



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 02 - أبو القاسم سعد الله -

كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ



# النهضة والإصلاح

عند عمر بن قنور (1886-1932)

وعبد الحميد الزهرراوي (1855-1916)

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم

تخصص: التاريخ الحديث والمعاصر

إشراف الأستاذ:

أ.د. زهر بديدة

إعداد الطالبة:

عائشة بن ساعد

أعضاء لجنة المناقشة

| الرقم | الاسم واللقب                 | الدرجة العلمية       | الجامعة الأصلية   | الصفة        |
|-------|------------------------------|----------------------|-------------------|--------------|
| 01    | مولود عويمر                  | أستاذ التعليم العالي | جامعة الجزائر - 2 | رئيسا        |
| 02    | زهر بديدة                    | أستاذ التعليم العالي | جامعة الجزائر - 2 | مشرفا ومقررا |
| 03    | محمد بلقاسم                  | أستاذ التعليم العالي | جامعة الجزائر - 2 | عضوا مناقشا  |
| 04    | عبد الرحمان أولاد سيدي الشيخ | أستاذ التعليم العالي | جامعة الجزائر - 2 | عضوا مناقشا  |
| 05    | ميلود ميسوم                  | أستاذ محاضر - أ -    | جامعة الشلف       | عضوا مناقشا  |
| 06    | محمد عبد الرؤوف ثامر         | أستاذ محاضر - أ -    | جامعة الوادي      | عضوا مناقشا  |

السنة الجامعية 2017/2018



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

﴿ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ

تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾

الآية 88 من سورة هود



## شكر و تقدير

اتقدم بجميل الشكر للأستاذ الدكتور لزهر بديدة

الذي لم يبخل بتوجيهاته ونصائحه أثناء إعداد هذا

العمل، فله مني جميل التقدير والتبريل...

كما لا يفوتني التعبير عن عرفاني واحترامي لأعضاء

لجنة المناقشة الذين سوف يشرفوننا بمناقشة هذا العمل

والله أسأل أن يجزي عنني الجميع خير الجزاء .

عائشة

## الإهداء

إلى روح أمي وأبي ..... طيب الله ثراهما.

إلى زوجي وأبنائي.... أريج وتيم ومزن يافا

إلى كل أفراد عائلتي وعائلة زوجي

إلى أساتذتي و زملائي وأصدقائي

إلى كل من توقع أن يجد اسمه هنا

إليهم جميعا ..... أهدي هذا العمل

عائشة

# مقدمة

عرفت الدولة العثمانية خلال مرحلتها الأخيرة، خاصة القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الميلاديين، حالة من التدهور والتردي عموديا وأفقيا، ومن القمة إلى القاعدة، وعلى جميع المستويات ( السياسية، الاقتصادية والثقافية و...) لم يسبق لها مثيل في تاريخها، وهو ما شكل أحد الأسباب الأساسية في تقليص رقعتها الجغرافية، خاصة بعدما تداعت عليها الأمم الطامعة والطامحة في خيراتنا الظاهرة والباطنة، إلى غاية نهايتها سنة 1924م، وظهور الدولة التركية بداية من ذلك التاريخ.

حالة التدهور والتردي والتخلف التي تفشت في مختلف مفاصل الدولة العثمانية، طالت آليا ومنطقيا البلاد العربية والإسلامية وشعوبها الواقعة تحت النفوذ العثماني، أو حتى تلك التي أعتدت عليها القوى الاستعمارية الأوروبية، واحتلتها خلال القرن التاسع عشر، ومثال ذلك الجزائر التي وقعت تحت نير الاحتلال الفرنسي سنة 1830م.

وأمام هذا الوضع المزرى الذي كانت تتخبط فيه الدولة العثمانية، وعموم شعوب البلاد العربية والإسلامية، وفي محاولة لإخراج هذه الشعوب مما أصبحت عليه، والتطلع لمستقبل أفضل لها، ظهرت محاولات إصلاحية عديدة، قادها مجموعة من مفكري وعلماء ورجال صحافة وإعلام من تلك الشعوب والبلدان، حملوا على عاتقهم هموم مواطنيهم وأوطانهم، التي تأنُّ تحت وطأة المحتلين المغتصبين أو الحكام المستبدين؛ وكان مسعاهم وأملهم في أن تعرف أمتهم حالة من الإصلاح الشامل، تؤدي بالنتيجة إلى نهضتها وخروجها من هامش التاريخ إلى صناعة وصياغة الحضارة والمدنية الحديثة.

وعرفت محاولات الإصلاح والنهضة لهؤلاء المفكرين والعلماء والمنقذين لحظات صعود وهبوط، وتتنوع في الاتجاهات والمعارف والأفكار والقيم، الأصيلة منها أو تلك التي تم العمل على تأصيلها في البيئة العربية والإسلامية من نماذج عالمية أخرى، أو تلك التي حاولت استنساخ النماذج الغربية دون تكييفها مع البيئة العربية الإسلامية.

وقد شكلت هذه الحركة الإصلاحية يقظة سياسية وثقافية، قادها علماء وطنيون وسياسيون مفكرون، تميزوا بالموسوعية في تكوينهم، حاولوا إقامة جسور متينة بين كل الأقطار العربية الاسلامية، بعد أن قوضت أركانها حركة الاستعمار الحديث، والممارسات التسلطية لبعض ولاة السلطنة العثمانية بالشام، فقاوموا كل المؤثرات السلبية في المجتمع العربي، سواءً كانت محلية أم خارجية أجنبية، حتى تمكنوا من زعزعة الجمود الفكري، الذي سيطر على ذهنيات وعقول الناس وعلى قلوبهم فترة من الزمن.

وعلى الرغم من انقضاء أكثر من قرن ونصف من تبلور موضوعات النهضة العربية، فإن الأسئلة والمشكلات التي أثرت في تلك المرحلة مازالت حاضرة بقوة في الخطاب الثقافي والفكري العربي- الاسلامي الراهن، لأن أغلب المشكلات التي حاولت أفكار الإصلاح معالجتها خلال تلك الفترة لازالت قائمة اليوم، والتي من أهمها التعليم وإدارة الحكم، والتجديد الديني، وغيرها من الأسئلة والمشكلات والتي لم ينجح بالعموم فشل الإصلاح السياسي والاجتماعي والثقافي في ايجاد حلول جذرية لها.

وتبقى أي محاولة لفهم وتحليل المنظومة الفكرية السائدة في عصر النهضة والعوامل التي أسهمت في تشكيل وتكوين بنية تلك المنظومة في فكر المصلحين النهضويين في المشرق والمغرب العربي؛ اجتهادا له فائدة بهدف الوقوف على الاشكاليات الرئيسية التي تحكمت في المسار الفكري لهؤلاء المفكرين وطبعت الوضع السياسي والاجتماعي المتفاعل مع هذه الأفكار سلبا وايجابا.

وقد اخترت في هذه الدراسة مفكرين يعتبران من الرواد في مجال الإصلاح بالمشرق والمغرب العربي، وكان لكتابتهما تأثير على الحراك السياسي والاجتماعي في تلك المرحلة - مرحلة الصراع مع المستعمر والاستبداد- وكان لهما تأثير على أبناء شعبيهما، ووضعاً أدوات العمل والتوجيه لمختلف القضايا التي كانت تطرح حينها في مختلف مجالات الحياة.

ففيما يخص شخص عمر بن قدور فقد لعب هذا الأخير دورا رياديا في تأسيس وتطوير الصحافة الجزائرية، والعمل الإصلاحي، فكانت كتاباته الغزيرة في الجرائد والمجلات الجزائرية والعربية والعثمانية، تعبيرا قويا عن مدى الوعي بالواقع الجزائري، تحت ظل الاستعمار الفرنسي، وإدراكه لمختلف التحديات التي وجب على النخب وعموم المجتمع مواجهتها للخروج من حالة الوهن والجهل الذي عشت في أوصال الشعب الجزائري، وفقا لمخططات ورغبة سلطة الاحتلال الفرنسي، وقد كانت أفكاره في الإصلاح منطلقا للعديد من المدارس الإصلاحية في الجزائر والمغرب والمشرق العربيين، ولا تزال الكثير من هذه الأفكار صالحة لزماننا هذا.

أما في بلاد الشام فقد برز عبد الحميد الزهراوي بفكره الإصلاحي، كما مثلت كتاباته اسهاما كبيرا في تأسيس وتأسيس الوعي القومي العربي المناهض لسياسة التتريك، منذ مؤتمر باريس الأول 1913م، وما قام به من تأسيس لعدد من الأحزاب والجمعيات السياسية، وانشاء الصحف ورئاسة تحريرها، فضلا عن نضاله السياسي الطويل التي انتهى به إلى حبل المشنقة.

وتسعى هذه الدراسة التاريخية للمقارنة بين رجلين من رجال النهضة والإصلاح العربي؛ عمر بن قدور من الجزائر وعبد الحميد الزهراوي من سوريا (الشام) من حيث أعمالهما الغزيرة، لفهم المتغيرات والفواعل المتحركة في عملية الإصلاح في المنطقة العربية، والأسس التي استندت عليها من أجل تحقيق ما كان يطمح إليه الصحفيان. فهذان المصلحان ساهما بقسط كبير علميا وعمليا في تصحيح الكثير من انحرافات البدع والخرافات التي عشت في المجتمعين الجزائري والسوري، وتوجيه الرأي العام إلى القضايا الأساسية في السياسة والاقتصاد والدين والأخلاق. كما ساهما من خلال ما كتباه في بعث وإحياء الموروث العربي والاسلامي والتعريف به للأجيال، التي كانت تحت وطأة التغريب والتتريك.

### مبررات اختيار الموضوع:

لقد جاء اختياري لموضوع " النهضة والإصلاح عند عمر بن قنور وعبد الحميد الزهراوي " لأسباب ذاتية وأخرى موضوعية؛ أما الذاتية، فيمكن إيجازها فيما يلي:

تعتبر الرغبة في البحث في تاريخ الجزائر بصفة خاصة وتاريخ الحركة الإصلاحية في المنطقة العربية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر (19) والنصف الأول من القرن العشرين (20)، بصفة عامة، الدافع الأقوى لاختيار موضوع البحث، وخاصة مسيرة أولئك الذين ساهموا بشكل أو بآخر في تغيير مجرى التاريخ الجزائري والعربي بمختلف الطرق والوسائل.

أما بالنسبة لاختيار شخصيتي عمر بن قنور وعبد الحميد الزهراوي تحديداً، فكان خلال إعدادي لمحاضرة علمية حول الصحافة العربية ودورها في مكافحة الاستعمار، فشد انتباهي غزارة ما كتبه الرجلان، والمواضيع التي تطرق إليها، وأنهما وبالرغم من تباعد المسافات واختلاف الظروف والبيئة، فقد اشتركا في الكثير من الاهتمامات، من حيث الطرح والرؤية، الأمر الذي لم يمنع من وجود قدر من الاختلاف والتباين في ملفات وقضايا أخرى، وهو التباين والاختلاف المبرر في بعض الأحيان، والذي يحتاج للدراسة والبحث والتمحيص في أحيان أخرى، لكن ما أثار فضولي العلمي أكثر، هو تلك الجرأة الصحفية المتميزة في قلم عمر بن قنور وعبد الحميد الزهراوي، لمواجهة سلطة الاستعمار الفرنسي في الجزائر والاستبداد العثماني في الشام والأفكار والقيم السائدة في مجتمعيهما.

أما السبب الذاتي الآخر؛ فهو حالة القلق الدائم من الوضع العربي الإسلامي والمآل الذي سار إليه من خضوع وخنوع غير مسبوقين، تكرر أكثر في حالة الانقسام والحروب التي ألمت بالمنطقة العربية، ولتأكيد قناعة شخصية لطالما آمنت بها؛ وهي اعتبار ما نحن عليه من حالة الوهن الآن، لا يمكن فك خيوطها وطلاسمها إلا بالعودة إلى التاريخ، ولا زلت أؤمن بأن فشل الإصلاح الذي قاده رجال ومفكرو

القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ليس لقصور في المنهج وقلة في الإمكانيات، وإنما لتربص المستعمر وأذنا به بالمشروع الاصلاحى الحقيقى، والإبقاء على حالة الضعف كما هي عليه، للاستفادة من خيرات وثروات البلاد العربية الإسلامية في مختلف أشكالها.

أما بالنسبة للأسباب الموضوعية، فيمكن تلخيصها هي الأخرى في النقاط التالية:

1- قلة اهتمام الباحثين والدارسين بتاريخ الحركات والشخصيات الفكرية الإصلاحية الجزائرية، التي سبقت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ولم تحض الأفكار الإصلاحية التي قدمها رجال الاصلاح الأوائل بقراءة مستفيضة لمضامينها ومراميها ، كما لم يتم بالشكل المطلوب والمأمول تتبع مراحل حياتهم ونشاطهم، ومدى انعكاس تلك الأفكار على الواقع سلبا وايجابا.

2- كان لعمر بن قنور وعبد الحميد الزهراوي الحضور الفاعل والمتميز في التاريخ العربي، رغم وجود الكثير من المصلحين والعاملين المخلصين غيرهما في مجال التعليم والصحافة، إلا أنّ ما يميّزهما، هو إيمانهما العميق بهذه الأمة بقيمتها ومقدراتها، ورغبتهما الصادقة في تقدّمها وتطورها وتلافي كل الأسباب المؤدية إلى التقهقر والتخلف، وقد دلت كتاباتهما الصحفية الغزيرة والمتنوعة المنشورة في مختلف الجرائد والمجلات حول شؤون الأمة العربية وأوضاعها، على رغبتهما في تحقيق هذا المبتغى، وهو الطموح والإصرار الذي كان من الصفات التي ميزتهما على الكثير من الإعلاميين والإصلاحيين المعاصرين لهما، أو حتى الذين جاءوا من بعدهما، ورغم هذا التميّز إلا أنّهما لم ينالا الدّراسة الكافية، كما لم تحظ كتاباتهما بالانتشار الواسع واللازم، سواء وسط المهتمين والمتخصصين بالتاريخ أو القائمين على شؤون هذه الأمة، لذلك كان المسعى من خلال هذا البحث هو تقديم إضافة علمية تاريخية للمكتبة الجزائرية والعربية من أجل أن تعرف الأجيال الراهنة والقادمة رجال الجزائر



والعرب، الذين ساهموا في إعادة صياغة وبناء الأمة العربية والإسلامية، من خلال محاولة إصلاح الاختلال الفكري والمنهجي الذي استشرى في عضدها.

3- نهدف من خلال هذا البحث إلى الكشف عن محتوى ومضمون مشروع الكاتبين والمفكرين، عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي حول الإصلاح والنهضة في الجزائر وسوريا والوطن العربي والإسلامي، وكذا الأدوات التي حددها كل منهما لأجل تحقيق مساهمتهما.

4- إن البحث عن طبيعة الجسور التي مدها عمر بن قذور وزملائه، للتعريف بالقضية الجزائرية لدى الرأي العام العربي والإسلامي، وبعدالة كفاحه ضد همجية الاستعمار الفرنسي ومسحه للقيم العربية والإسلامية، ومواجهة الأطماع الأوروبية والصهيونية في البلاد العربية.

5- ومن الدوافع الأخرى لاختيار هذا الموضوع، هو إعادة التأريخ لبعض الأحداث الجزائرية والسورية والدولية بالاستعانة بكتابات عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي في مختلف الجرائد والمجلات التي كتبا فيها.

6- الكشف عن مساهمات رواد الإصلاح والنهضة الجزائريين والعرب في التأسيس للنهضة العربية في المغرب والمشرق العربيين، ومعرفة جانب مهم من تاريخ الصحافة والصحفيين فيهما.

لهذه الأسباب، وغيرها، جاء اختياري لدراسة وبحث النهضة والإصلاح عند الشخصيتين المشار إليهما، والنتائج المترتبة عن جهديهما، حتى تسنى لمن جاء بعدهما وضع تجربتهما في الميزان بغية الاستفادة حاضرا ومستقبلا، من مكامن النجاح والفشل وتنميين الأول وتجنب تكرار الثاني.

### أدبيات الدراسة:

إن عدد المؤرخين الذين تناولوا حياة وكتابات عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي في النهضة والإصلاح لا يكاد يعد على أصابع اليد الواحدة، وأما

بخصوص المقارنة بين فكر الرجلين فلم نجد في المكتبة الجزائرية ولا السورية أو حتى العربية والاجنبية كتابا ولا رسالة، ولا حتى مقالة، تناولت فكر ومسار الرجلين معا.

وتجدر الاشارة، أنه وخلال عملية البحث وجدت دراسة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه للباحث في علوم الاعلام والاتصال السيد ساحل عبد الحميد بعنوان "فكر عمر بن قذور دراسة تحليلية لمقالاته الصحفية 1906-1927"، والتي تم نشرها لاحقا في كتاب تحت عنوان "عمر بن قذور، رائد الصحافة الإصلاحية في الجزائر- دراسة تحليلية"<sup>1</sup>، والتي تناولت صاحبها بالدراسة بعض المنتج الصحفي لعمر بن قذور في قضايا الفكر والإصلاح الديني، لكن الدراسة لم تتناول كل كتابات عمر بن قذور في الجرائد والمجلات خارج الوطن، واقتصرت على بعض مقالاته في جريدته الفاروق، سواء في طبعتها الأولى أو الثانية، وبعض مقالاته في الصديق والمشير، ونعتقد بأن الدراسة التي قدمها الباحث على الرغم من أهميتها، إلا أنه لم يسلط الضوء بصورة كفاية على مجهودات الرجل ومسيرته الصحفية والإصلاحية. ولذلك سعيت أن تكون دراستي تنمة وتكملة لعمل الباحث، خاصة بعد حصولي على مقالات نادرة لعمر بن قذور متواجدة في أرشيف ومكتبات تونس وسوريا والجزائر، ومن جهة أخرى يعتبر بحثي دراسة مقارنة بين عمر بن قذور وأحد أعلام الفكر الاصلاحى المعاصرين له وهو عبد الحميد الزهراوي الشخصية الإصلاحية والإعلامية السورية.

كما نجد العديد من الدراسات والمقالات التي تناولت أحد شخصيات دراستنا، ألا وهو عمر بن قذور، سواء بشكل منفرد أو بإشارات عرضية في مقالات ودراسات حول التجربة الإعلامية والإصلاحية الجزائرية لباحثين جزائريين وعرب، ومنها؛ ما كتبه الأستاذ أبو القاسم سعد الله في كتابه "تاريخ الجزائر الثقافي" المجلد الخامس، حيث أفرد في الفصل الثاني المعنون بـ "المنشآت والمراكز الثقافية" جزءاً للتعريف برواد الصحافة الجزائرية، أين أقر بأن عمر بن قذور هو أحد أعيان الصحافة

<sup>1</sup> عبد الحميد ساحل، عمر بن قذور الجزائري، رائد الصحافة الإصلاحية في الجزائر- دراسة تحليلية-.

الجزائر: منشورات ANEP، 2013.

الجزائرية الثلاثة بالإضافة إلى عمر راسم وبن اليقظان، وقد برر سعد الله إقراره هذا بشواهد تاريخية استخلصها من بحثه القيم، وخلص إلى أن بن قدور لم يحض بالقدر الكافي من الاهتمام من طرف الباحثين والمتخصصين في التاريخ الجزائري، على غرار ما كان لعبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي مثلاً، حيث يقول "إن المذكورين ناضلوا في الميدان الصحفي بوسائلهم إلى أن حفروا اسمهم على تمثال الخلود".

ويقر سعد الله ذاته بشح المعلومات المتعلقة بعمر بن قدور، حيث لم يخصص له رغم اعترافه بأهمية إسهاماته سوى ستة (06) صفحات من الكتاب المذكور، وهي الصفحات التي جاءت سرداً لحياته، دون الخوض في كتاباته ومشروعه الإصلاحية.

أما زهير إحدادن فقد كتب أيضاً، عن عمر بن قدور في مسار حديثه عن الصحافة الأهلية بالجزائر في كتابه "الصحافة الإسلامية الجزائرية من بدايتها إلى سنة 1930" الصادر سنة 1986، وطبعته المؤسسة الوطنية للكتاب. ولم يحد إحدادن عن سعد الله في حديثه عن عمر بن قدور، إلا في تتبع المراحل التي مر بها بن قدور في التأسيس لصحافته ومساهماته في المشرق العربي وتونس وكذا الأستانة. وهو ما ذكره أيضاً صالح خرفي في كتابه "شعراء من الجزائر"، حيث أبرز الأخير إبداعات عمر بن قدور الشعرية في الصحافة، ولم يكتف خرفي بإبراز الإبداع الشعري لبن قدور فقط، بل أفرد له لاحقاً، كتاباً مستقلاً بعنوان "عمر بن قدور الجزائري" صدر سنة 1984م، عن دار نشر المؤسسة الوطنية للكتاب، تكلم فيه عن كتابات بن قدور في الجرائد والمجلات الجزائرية والعربية، كما أشار إلى مختلف القضايا التي أثارها بن قدور في ذلك الوقت وعلى سبيل المثال لا الحصر؛ الأوقاف الإسلامية، والخدمة العسكرية الفرنسية، وموضوعات حول الأحداث التي عاصرها بن قدور من مثل القضية الطرابلسية.

وتبقى كل الكتابات والإشارات المتعلقة بعمر بن قدور هي نقل واستنساخ لما كتبه هؤلاء في أغلبها، وخاصة الكتابات التي تحدثت على الإصلاح ومدارس

الإصلاح في الجزائر، وقد استعنت بها خلال مرحلة الإعداد لهذه الرسالة بالإضافة إلى عشرات المقالات بقلم عمر بن قذور في الجرائد والمجلات العربية، خاصة التونسية منها، ومجلة الحضارة بالاستنانة.

أما بالنسبة لعبد الحميد الزهراوي، فهناك الكثير من المراجع التي حاولت استعراض ومناقشة أفكاره الإصلاحية والسياسية على وجه الخصوص، ومن ذلك مثلاً كتاب عصام حسين الجامع الموسوم بـ "التربية السياسية والوعي القومي: دراسة في الفكر السياسي لعبد الحميد الزهراوي"، والذي تناول فيه صاحبه الفكر السياسي للرجل انطلاقاً من مفهوم التربية السياسية والوعي القومي، وتجربة الزهراوي السياسية في مكافحة التواجد العثماني، وذلك بالرجوع إلى بعض آرائه ونشاطه السياسي وكتابات في بعض الجرائد السورية.

أما كتاب محمد راتب الحلاق المعنون بـ "عبد الحميد الزهراوي دراسة في فكره السياسي والاجتماعي"، فهو عبارة عن محاولة تحديد مفهوم بعض المصطلحات السياسية والاجتماعية حسب رؤية وتفكير المفكر الزهراوي من مثل، الحرية والعدالة والعروبة والتجديد، وبالتالي يكون الكتاب عبارة عن معجم للمصطلحات والمفاهيم التي وضعها الزهراوي في كتاباته.

كما كتبت سهيلة الريماوي في مجلة البحث التاريخي مقال بعنوان "مع رواد اليقظة القومية الشهيد عبد الحميد الزهراوي" ولهذا المقال أهمية كبيرة من حيث ربط الباحثة بين بين الزهراوي السياسي المفكر وبين عصره ومرحلته التي ستكون أحد أوجه المقارنة بين الزهراوي وعمر بن قذور في دراستي.

من كل ما سبق يتضح أن دراستي هذه ليست إعادة وتكراراً لما قد تناوله المؤرخون والكتاب حول الشخصيتين، وإنما هي محاولة للبحث في مضمون كتاباتهما، واستنباط الأسس والمبادئ التي قام عليها مشروعهما الإصلاحي من محتوى نصوصهما الموثقة في مختلف الصحف التي دأبها الكتابة بها، ومقارنتها أساساً مع بعضها البعض، لمعرفة أوجه الشبه والاختلاف، وسنسى من خلال هذا

البحث أيضا إلى معرفة مدى تأثر وتأثير المصلحين في الجزائر بأفكار وآراء مفكري ومصلحي المشرق العربي، من خلال نموذجي الدراسة، عمر بن قنور وعبد الحميد الزهراوي.

### إشكالية الدراسة:

لقد أصبح الإصلاح في الوطن العربي، أمراً ضرورياً وعاجلاً أكثر من أي وقت مضى، وإذا كانت الحكومات والشعوب العربية تتعرض اليوم لضغوط دولية مستمرة من أجل إحداث تغييرات جذرية في مفاصل الدولة حتى تستطيع التفاعل مع تحولات الألفية الثالثة، وافرازاتها المختلفة بحسب ما تدعيه مصادر هذه الضغوط، فإن الإصلاح كذلك بات مسألة داخلية أكثر إلحاحاً ومطلباً رئيسياً لشعوب معظم الأقطار العربية، إصلاحاً يوائم قيمها ومبادئها.

وبالرغم من استشعار الجميع أهمية وحتمية الإصلاح، فإن معظم أقطار الوطن العربي لم تمض كثيراً في هذا الأمر، وما زالت خطوات الإصلاح بطيئة وحذرة ومشوهة في الكثير من الأحيان، ولا تلبى الحد الأدنى من مطالب الشعوب العربية التي تتوق للتخلص من حالة الظلم والاستبداد والتخلف، الذي تعيشها، والتي أصبحت بمثابة اللزامة لها منذ أمد طويل.

عرف الوطن العربي الكثير من المفكرين المصلحين، منهم من تعامل مع موضوع الإصلاح والنهضة بإعادة القديم واستهلاكه، بأشكال جديدة، تتناسب ومعطيات زمانها وعصرها. والبعض الآخر، اقتصر أفكارهم الإصلاحية على التحليل والتسهيل، والقليل منهم من أخذ على عاتقه تقديم رؤية جديدة نستطيع اعتبارها ثورية بكل معنى الكلمة، ومن ثمة فإن نقطة البحث الأساسية التي نعالجها ونقف عندها في هذه الدراسة، هي كيف عمل كل من عمر بن قنور في الجزائر وعبد الحميد الزهراوي في سوريا (الشام) من أجل يقظة شعبيهما، ووضعهما في مواجهة المستعمر بالنسبة لأول وسلطة الاستبداد العثمانية بالنسبة للثاني، من جهة، وفي مواجهة الجمود والتحجر الذي طبع المؤسسات الدينية والاجتماعية من جهة

أخرى، وكيف استطاع كل واحد منهما أن يقاوم الجهل وينشر المعرفة العلمية والثقافة الدينية والوطنية الأصيلة بالاعتماد على امكانياتهما الخاصة، ومن أجل الوقوف عند هذه التفاصيل نطرح الإشكالية الرئيسية لبحثنا على النحو التالي:

**كيف تفاعل عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي مع بيئتهما الاجتماعية والسياسية، وما مدى تأثير ذلك على مشاريعهما الإصلاحية والنهضوية؟**

ولتفكيك الإشكالية الرئيسية للبحث نطرح الأسئلة الفرعية التالية:

- ما هو المميز في البيئة الاجتماعية، الثقافية والسياسية التي نشأ فيها كل من عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي؟.
- كيف ساهمت النهضة الإصلاحية في المشرق العربي في التأسيس لنهضة إصلاحية جزائرية؟.
- ما هو دور الصحافة العربية في التأسيس للوعي القومي العربي والتنشئة السياسية؟
- ما هي الاتجاهات السياسية والفكرية للصحف التي كتب فيها عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي؟.
- ما هي الصعوبات والعراقيل التي واجهت عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي في بعث مشروعهما الإصلاحي من خلال ما دوناه في الصحافة؟.

هذه بعض الأسئلة طرحتها من أجل إيجاد مقاربة أكثر موضوعية وواقعية لمضامين الإصلاح والنهضة عند الشخصيتين سالفتي الذكر.

**الفرضية الرئيسية للدراسة:**

لمعالجة إشكالية الدراسة والإمام بشتى حيثيات وجوانب الموضوع سنقوم بمناقشة وتحليل الفرضية الرئيسية التالية:

كان للأوضاع الاجتماعية والسياسية في ظل الاحتلال الفرنسي والعثماني دور كبير في بلورة أفكار الإصلاح والنهضة عند عمر بن قذور وعمر الزهراوي وتحديد مضامينها وألوياتها.

و لتبسيط الفرضية الرئيسية أكثر نقدم الفرضيات الثانوية التالية:

- ساهمت البيئة الاجتماعية والثقافية التي عاشها كل من عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي في بعث أفكارهما الإصلاحية في الجزائر وبلاد الشام.
- إن الفكر الإصلاحي الجزائري ما هو إلا امتداد للفكر الإصلاحي في المشرق العربي نقله الطلبة الجزائريون بعد عودتهم للوطن.
- واجهت الصحافة الجزائرية والسورية إبان الاستعمار الفرنسي للجزائر والوجود العثماني في الشام صعوبات وعراقيل كثيرة، لكنها حققت أهدافها التي تأسست من أجلها في التوعية والنضال الشعبي ضد الاستعمار والاستبداد.
- كان مشروع الإصلاح والثورة ضد المستعمر والمستبد هو الاتجاه الفكري لأغلب الصحف التي كتب فيها عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي؟.
- واجه المشروع الإصلاحي لعمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي سياسات السلطة الاستعمارية الفرنسية والاستبدادية العثمانية، وشلتا مختلف نشاطاتهما وعزلهما عن شعبهما.

### الإطار المنهجي:

نظرا لخصوصية دراسة "النهضة والإصلاح"، وخصوصية الشخصيتين المدروستين، واللذان عملتا في الإصلاح والإعلام، وكان لهما مواقف من ما تمر به الأمة العربية والاسلامية من محن، وضرورة العمل على إخراجها من تلك الحالة وإعادة بناء نهضتها، فقد لجأت إلى استعمال ثلاث مناهج رئيسية، المنهج المقارن، المنهج التاريخي التحليلي إضافة إلى منهج تحليل المضمون.

## 1. المنهج المقارن:

تقوم المقارنة في العلوم الإنسانية والاجتماعية مقام التجربة في العلوم الطبيعية وتحقق الكثير من وظائفها، وهنا يعرف "ستيوارت ميل" المقارنة بأنها، "دراسة ظواهر متشابهة أو متناظرة في مجتمعات مختلفة، أو هي التحليل المنظم للاختلافات في موضوع أو أكثر عبر مجتمعين أو أكثر"<sup>1</sup>، ويعتبر المنهج المقارن المنهج الرئيسي في دراستي التي تعالج موضوع لا يمكن الاجابة عن اشكاليته إلا بالمقارنة، وقد استندت من المنهج المقارن واستعملته عبر مختلف فصول الدراسة، وعلى سبيل الذكر، المقارنة بين الأوضاع السياسية في الجزائر وسوريا خلال نفس المرحلة التاريخية التي عايشها كل من بن قنبر والزهرابي، وكذا نقاط التشابه والاختلاف في مراحل نشأة الشخصيتين، وأفكارهما في مختلف موضوعات الاصلاح التي سيتم نقاشها في ثنايا هذا البحث.

## 2 . المنهج التاريخي التحليلي: يعتبر المنهج التاريخي التحليلي من أهم

المناهج العلمية، ليس فقط في التاريخ، بل في مختلف العلوم المعرفية الأخرى، فهو المنهج الذي يولي أهمية خاصة في تفسير الظواهر التاريخية، وتحليلها بهدف الخروج بجملة من الاستنتاجات والخلاصات، فهذا المنهج لا يكتفي بوصف الوقائع وسردها وتكديسها، لكنه يقدم تصوره للظروف والمحيط الذي يتحكم في ميلاد الظواهر واندثارها، ويحاول إيجاد القوانين التي تحكمت في ذلك، وهو مثل غيره من المناهج العلمية التي تهدف إلى التعميم بعد استخلاص العلاقات الموجودة بين ظاهرة أو حادثة ما والوضعية والحالة التي وجدت فيها.

وقد عدت إلى هذا المنهج واستخدمته في كل فصول الدراسة، وبخاصة في الفصلين الأول والثاني، والذي خصصته للحديث عن عصر كل من عمر بن قنبر

<sup>1</sup> محمد شلبي، المنهجية في التحليل السياسي، (المفاهيم، المناهج، الاقتربات، الأدوات). الجزائر: (د،د،ن)، 1997. ص 70.



وعبد الحميد الزهراوي وحياتهما لان ذلك تطلب مني نقل أحداث تاريخية جرت في تلك الحقبة، ونقل صورة عن سيرتهما وحياتهما بصورة موثقة. وكان الهدف الذي سعينا إليه هو البحث عن الأسباب والعوامل التي أثرت في الرجلين، وساهمت في تكوين أفكارهما ومعتقداتهما التي عملا على نشرها بين الخاصة والعامة، والهدف كذلك هو إعطاء صورة واضحة، قدر الإمكان، عنهما وعن عصرهما، وعن بيئتهما (الأهل، الرفاق المدرسين ...)، واستخلاص القواعد والمبادئ التي تحكمت في عصرهما ومسيرتهما.

### 3 . منهج تحليل المضمون:

وقد تمت الاستعانة بمنهج تحليل المضمون<sup>1</sup> في دراسة وتحليل مقالات وكتابات كل من عمر بن قنور وعبد الحميد الزهراوي الصحفية بهدف استخراج أفكارهما

<sup>1</sup> منهج تحليل المضمون: يعرف منهج تحليل المضمون بأنه:

- أسلوب أو طريقة للبحث تهدف إلى الوصف الموضوعي والمنظم والكمي للمحتوى الظاهر لمادة الاتصال.
- رصد عدد مرات تكرار الفئات التحليلية في المضمون ، وذلك لقياس مدى التركيز النسبي على أمر ما .
- أن منهج تحليل المضمون يجمع بين أسلوب المنهج التجريبي والمنهج التاريخي ، فهو يهتم بتحليل محتوى المادة التي تقدمها وسائل الاتصال الجمعي .

ويمكن تصنيف اتجاهات تعريف تحليل المضمون في اتجاهين أساسيين هما :

- 1- الاتجاه الوصفي للمحتوى الظاهر للاتصال وليس بالمعاني الكامنة.
- 2- الاتجاه الاستدلالي للمعاني الضمنية أو الكامنة وقراءة ما بين السطور .

ويستخدم تحليل المضمون في تحليل محتوى المادة التي تقدمها وسائل الاتصال الجمعي (الجماهيري) كالصحف والمجلات والكتب والأفلام وبرامج التلفزيون، وذلك بالوصف الموضوعي المنظم الكمي للمحتوى الظاهر لوسيلة الاتصال.

ويستند أسلوب تحليل المضمون إلى المسئلة التالية وهي أن اتجاهات الجماعات والأفراد تظهر بوضوح في كتاباتها وصحفها وآدابها وفنونها وأقوالها وملابسها ... فإذا ما تم تحليل هذه الأدوات فإن ذلك يكشف عن اتجاهات هذه الجماعات. انظر أكثر:

وآرائهما، ونظرتهما إلى ما كان يدور في عصرهما من أحداث، وما يطرح في ذلك العصر من أفكار وآراء إصلاحية، وموقفهما من كل ذلك.

### صعوبات البحث:

لا شك أن البحث في مثل هذا الموضوع الواسع الجوانب، المتعدد المعارف والمتداخل الأفكار والآراء، يتطلب من الباحث جهد كبير في جمع المادة العلمية من مصادرها الأصلية وقراءتها وتصنيفها، والاستعانة بالمراجع المتخصصة التي تتحدث عن المحاور محل الدراسة والبحث.

وما يمكن الإشارة إليه، هو أن الطموح من البحث كان كبيرا جدا في بدايته، وقد وضعنا خطة مبدئية من أجل معالجة كل القضايا التي تناولها الرجلين في حياتهما، وانعكاسات ذلك على واقع البيئة التي عاشا فيها، وصدى هذه الأفكار في الزمن الراهن، ومقارنة أفكار الرجلين ببعضها البعض لاستخراج موطن الشبه والاختلاف والقواعد التي تتحكم فيهما، وقد استغرقت وقتا طويلا في جمع المادة الأولية (المصادر) من المكتبة الوطنية الجزائرية ومكتبات جامعة تونس وأرشيفها الوطني، ومكتبات جامعات الجزائر، فيما يتعلق بعمر بن قدير، كما كان لنا فحص وجرد لكل ما كتب عن عبد الحميد الزهراوي في مكتبة الأسد السورية، ودار الوثائق القومية ومكتبات مصر والأردن، وغيرها من المكتبات العامة والخاصة، وكل هذا الجهد كان بهدف البحث عن معطيات ومعلومات جديدة لم يتم التطرق لها من قبل. لكنني وجدت نفسي في كثير من الأحيان مضطرة للتنازل عن مبحث أو عنصر لم يتوفر ما يساعدنا في التوسع فيه أو لم أجد فيه ما هو جديد وذا قيمة معرفية.

ويبقى أكبر عائق واجهته في إطار الإعداد للموضوع، هو تلف وفساد بعض النصوص الأصلية للمقالات التي كتب فيها عمر بن قدير تحديدا، وصعوبة قراءتها

---

- عمار بوحوش ومحمد محمود الذنبيات، مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث، ط2. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2001، ص 151.

بالعين المجردة أو حتى بالاستعانة بالأدوات التقنية المستخدمة من أجل ذلك. وفي رحلة البحث عن المصادر الأولية سقطت في بعض الأحيان العناوين وتواريخ المقالات التي نستشهد بها في تحرير نص الرسالة.

### خطة الدراسة:

تناولت الموضوع وفق خطة دراسة، تتكون من فصل تمهيدي وخمسة فصول بالإضافة إلى مقدمة والخاتمة؛ تناول في الفصل التمهيدي؛ مفهوم النهضة والإصلاح وأهم حركتهما في البلاد العربية، حيث قدمنا من خلاله مختلف التعاريف المقدمة للنهضة وعوامل قيامها، تم مفهوم الإصلاح في اللغة العربية واللغات الأجنبية وكذا مفهوم المصطلح في القرآن الكريم. كما تناولت الدوافع الأساسية لظهور فكرة الإصلاح في العالم العربي والاسلامي، وأهم الحركات الدينية والسياسية التي حملت شعار الإصلاح في القرن التاسع عشر والقرن العشرين. أما في النقطة الأخيرة من هذا الفصل فقد خصصتها لمجالات الإصلاح التي عني بها المفكرون والمصلحون العرب والمسلمين وهي، المجال الديني والسياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي.

أما في الفصل الأول والمعنون ب"البيئة السياسية والاجتماعية لعمر بن قدور وعبد الحميد الزهراوي، فتناول في المبحث الأول الظروف السياسية والاجتماعية التي عاشتها الجزائر بداية القرن العشرين، وهي ذات الفترة التي برز فيها عمر بن قدور وكثف فيها من نشاطه، وحاولت وصف وتحليل هذه الظروف ببعض التفصيل سواء ما تعلق بالأوضاع السياسية أو الاجتماعية والثقافية. أما المبحث الثاني فكان حول الظروف التي عاشتها بلاد الشام خلال نفس الفترة وبنفس التفصيل التي اوردت فيه أوضاع الجزائر.

وجاء الفصل الثاني لتتبع مراحل حياة عمر بن قدور وعبد الحميد الزهراوي من المولد والنشأة إلى غاية الوفاة، استكشفنا خلاله التيارات الفكرية، السياسية والدينية التي أثرت على فكرهما وممارساتهما الصحفية ورؤاهم الفكرية.

وإن كان الفصل الثاني يتقاطع بعض الشيء مع الفصل الثالث، الذي خص للمسار الصحفي لعمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي وتحدد مفاهيم النهضة والإصلاح في كتاباتهما، ارتئينا ضرورة تخصيص فصل للمسارين لما اتسم نشاطهما الصحفي بالغزارة والتحول جراء الأحداث والمواقف السياسية التي عرفتھا الجزائر وبلاد الشام، وأن ذات المسار يكشف عن الاهتمامات الإصلاحية التي خاض فيها الرجلين.

أما الفصل الرابع فكان ترجمة لمواقف عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي، فكان بعنوان "رؤية عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة، وقد عملت على اختيار أهم القضايا التي شغلت بال المصلحين وجل المفكرين في ذلك الوقت وهي ؛ التعليم ومسألة التجنيد الإجباري والتجديد الديني.

وأخيرا، كان الفصل الخامس بعنوان "المشروع النهضوي والإصلاحي عند عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي؛ التوافق والاختلاف"، وهذا لإبراز المعالم الكلية للمشروع الذي تبناه كل واحد منهما.

أما الخاتمة، فقد كانت عبارة عن استعراض للنتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة المقارنة بين أعمال ومسار الرجلين، وتبيان نقاط الاختلاف والتوافق فيما بينهما حول موضع النهضة والإصلاح.

كما ذيلت العمل بمجموعة من الملاحق ذات الصلة بالموضوع، والتي استعنت بها في فصول الدراسة، والتي تبرز بعض المآثر التي خلفها كل من بن قذور والزهراوي.

## الفصل التمهيدي:

### مفهوم النهضة والإصلاح وأهم حركتهما في البلاد العربية

أولاً: مفهوم النهضة

1- مفهوم النهضة لغة

2- مفهوم النهضة اصطلاحاً

ثانياً: عوامل النهضة

ثالثاً: مفهوم الإصلاح

1- مفهوم الإصلاح في اللغة العربية

2- مفهوم الإصلاح في القرآن الكريم

3- الإصلاح في اللغتين الفرنسية والانجليزية

رابعاً: دوافع الإصلاح في البلاد العربية والاسلامية

خامساً: تيارات الإصلاح

1- تيارات ذات نزعة دينية تقليدية

أ - الحركة الوهابية

ب- الحركة السنوسية

2- التيارات التجديدية المتفتحة (التوافقية)

أ - جمال الدين الافغاني

ب- محمد عبده

سادساً: مجالات الإصلاح .

1- الإصلاح الديني

2- الإصلاح السياسي

3- الإصلاح الاجتماعي

4- الإصلاح الاقتصادي

5- الإصلاح الثقافي

## الفصل التمهيدي: مفهوم النهضة والإصلاح وأهم حركتهما في البلاد العربية

يعد دخول البلاد الإسلامية إلى معترك العالم الحديث بعد الثورة الصناعية في الغرب، وبعد الحركات الاستعمارية التي اجتاحت المعمورة؛ جعلت المفكرون يُحسون بضرورة إصلاح ما أفسده التخلف والتقاعس عن مواكبة ركب الحياة، ويستشعرون ما آل إليه أمر أمة، أريد لها الريادة والقيادة في الأرض؛ أمة تناست دورها ومسؤوليتها في بناء الحضارة الإنسانية، وقنعت بالخنوع والاستسلام.

ومن داخل الشعور بأحوال المسلمين، وما هم عليه من تخاذل وضعف وهوان؛ انبثقت مظاهر الوعي لدى دعاة الإصلاح في البلاد الإسلامية، فكانت الدعوة إلى التجديد وإلى الدخول إلى معترك الحضارة الحديثة، والعمل على بعث الروح الإسلامية في مواجهة الحضارة الغربية الغازية بجيوشها، أفكارها، وبضائعها.

عرف القرن التاسع عشرة وأوائل القرن العشرين ظهور مفكرين ومصلحين و"تنويريين" أرادوا تغيير الأوضاع التي كان يزرع تحت ظلها المجتمع العربي الإسلامي، وأطلقوا العديد من الحركات النهضوية الإصلاحية في البلاد العربية والإسلامية، وكان شعارها التغيير والتجديد، والإسهام في الحضارة الحديثة، مع الحفاظ على الهوية الإسلامية، وقد اتخذت هذه الحركات توجهات بحسب أوضاعها، وعلاقاتها مع الحضارة الغربية.

### أولاً - مفهوم النهضة:

لا يوجد مفهوم واحد لمصطلح النهضة، حيث يظل مفهومها يتسم بالزئبقية والضبائية، ولا يوجد اتفاق على معناه كما هي أغلب المفاهيم في العلوم الإنسانية والاجتماعية، بل أن المفهوم يختلف من مشروع نهضوي إلى آخر ومن عصر إلى آخر، كما تختلف النظرة إلى المفهوم من مفكر لآخر، ولذلك سأحاول أن أقدم تعريف للنهضة من الناحية اللغوية والاصطلاحية.

## الفصل التمهيدي: مفهوم النهضة والإصلاح وأهم حركتهما في البلاد العربية

### 1- مفهوم النهضة لغة:

النهضة لغة مشتقة من فعل "نهض" والذي يعني البراح من المكان والقيام منه<sup>1</sup>، ونهض، ينهض، نهضاً، ونهوضاً؛ قام عن مكانه، وأرتفع عنه، ونهض إلى العدو بمعنى أسرع إليه يحاربه، وأنهضته أنا فانتهض، واستنهضه لأمر كذا؛ إذا أمره بالنهوض له<sup>2</sup>. وتناهض القوم؛ بمعنى أسرع كل فريق إلى مقاومة خصمه، حيث يقال تناهض القوم في الحرب<sup>3</sup>.

ومن خلال استعراض المدلولات اللغوية لـ «النهضة» في القواميس والمعاجم العربية يتضح أنها تدل على معنيين محددتين:

المعنى الأول؛ الحركة التي تعقب السكون، وهي حركة تبدو متسمة بالسرعة والمفاجأة، وهي ليست بعيدة عن المعنى الاصطلاحي الشائع في التراث الثقافي العربي كما سيتضح لاحقاً.

المعنى الثاني؛ القوة والعزيمة، وهي متممة لمعنى الحركة المفاجئة السريعة، لأن أي حركة تحتاج إلى قوة وعزيمة.

ومن خلال المعنى اللغوي تتضح حركية النهوض وفعليته في الأشياء سواء على الصعيد الفكري والنفسي أو المادي، وفي كلا المعنيين هناك انتقال من حال إلى حال

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، المجلد 6. الطبعة الثالثة. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1999، ص 730

<sup>2</sup> جبران مسعد، معجم الرائد، المجلد 2، ط5. بيروت: دار العلم للملايين، 1986، ص 163.

<sup>3</sup> إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، الجزء 01، ط2. القاهرة: دار المعارف، 1973، ص 958.

## الفصل التمهيدي: مفهوم النهضة والإصلاح وأهم حركتهما في البلاد العربية

وتغيير في الهيئة والموضع وتحرك للحواس عند المرء، واستحضار لطاقاته وقواه، من أجل التقدم بعد التأخر.

### 2- مفهوم النهضة اصطلاحاً:

النهضة بمفهومها الخاص هي حركة إحياء التراث القديم، أما بمعناها الواسع فهي عبارة عن ذلك التطور القديم في كل من الفنون والآداب والعلوم وطرق التعبير والدراسات، وما صاحب ذلك من تغير في أسس الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية. وبذلك تحدد النهضة كمفهوم أولوية التغيير والتحول، بمعنى التغلب على الانحطاط، وتمثل الإبداعات الجديدة، ويفترض التغيير الثورة على الوعي القائم، وعلى منظومة القيم التقليدية السائدة التي كانت سبباً في حالة التخلف والانحطاط. وتعرف النهضة أيضاً بأنها: "هبة مجتمعية تسعى إلى إكساب الحضارة القومية قدرتها على إنتاج المعارف والمهارات في تعامل متكافئ مع الحضارات الأخرى".<sup>1</sup>

ولا يمكننا أن نفهم معنى كلمة النهضة التي دخلت اللغة العربية للتماهي مع كلمة النهضة "Renaissance" التي وردت في التراث الأوروبي، وبالتالي لا يمكن إدراك معناها في غياب المعنى الذي جاءت منه أساساً، وهو معنى كلمة النهضة في الثقافة الأوروبية، والتي هي: "عملية خروج من نسق فكري مقيد للعقل؛ إلى نسق آخر يسمح للعقل بالانطلاق ليقوم بوظيفته في الإبداع وإعمار الحياة"<sup>2</sup>، ويرى الدكتور جاسم سلطان

<sup>1</sup> اسماعيل صبري عبد الله، نحو نهضة عربية ثانية: الضرورة والمتطلبات، في قضايا التنوير والنهضة، في الفكر العربي المعاصر. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1999، ص 257.

<sup>2</sup> جاسم سلطان، "مقاربة في تعريف النهضة" موقع متميزون، على الانترنت:



## الفصل التمهيدي: مفهوم النهضة والإصلاح وأهم حركتهما في البلاد العربية

بأن النهضة "حركة فكرية عامة منتشرة، تتقدم باستمرار في فضاء القرن، وتطرح الجديد دون قطيعة مع الماضي"<sup>1</sup>.

والملاحظ من خلال البحث في مختلف تعاريف النهضة بشكل عام، نجدها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بتعريف النهضة الأوروبية، التي تعتبر كمثال لنهضة إنسانية شملت مختلف مجالات الحياة، وأثرت في العالم بصفة عامة، وبذلك يمكن تعريف النهضة بالرجوع إلى أصل الكلمة الأوروبي والتي تطلق على تلك التطورات التي تزامن ظهورها مع سقوط القسطنطينية في عام 1453م، وهي تلك المرحلة التي امتدت من العصور الوسطى وصولاً إلى العصور الحديثة، إذ تضمنتها نزوح للعلماء من موطن النهضة إيطاليا، ناقلين معهم التراث اليوناني والروماني، كما يمكن وصفها بأنها سلسلة من التيارات الثقافية والفكرية التي انطلقت من إيطاليا في مطلع القرن الرابع عشر، وبدأت رقعتها بالتوسع لتشمل كلاً من فرنسا، وإسبانيا، وألمانيا، وهولندا، وإنكلترا وباقي أنحاء أوروبا<sup>2</sup>.

وإذا كانت النهضة الأوروبية في القرنين السابع والثامن عشر قضت على أغلب مقومات التخلف الذي كانت تعاني منه أوروبا، واستحدثت النظريات العلمية وأقامت سلطة العقل والمنطق، فإن النهضة العربية الحديثة التي عرفت بين نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وهي الفترة التي بدأت بحملة نابليون على مصر في أواخر القرن الثامن عشر، وامتدت إلى أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وما

<sup>1</sup> جاسم سلطان، من الصحوة إلى اليقظة: استراتيجية الإدراك للحراك ، ط4. القاهرة: أم القرى للترجمة والتوزيع،

2010، ص 17.

<sup>2</sup> نفسه، ص 13.

## الفصل التمهيدي: مفهوم النهضة والإصلاح وأهم حركتهما في البلاد العربية

رافقها من اتصال ثقافي بين الشرق والغرب، وأقول للدولة الإسلامية المتمثلة في السلطة العثمانية وتفككها على يد الدول الكبرى ذات الفعالية السياسية آنذاك، وقد برزت خلال تلك الفترة اتجاهات سياسية- اجتماعية جديدة في صفوف المفكرين العرب وانضوى معظمهم تحت أطر الأحزاب والجمعيات واتخذت منبراً لها على صفحات المجالات والصحف وعبر المؤتمرات<sup>1</sup>.

مما سبق ذكره، يمكن القول أن مصطلح النهضة في الفكر العربي، إذا دل على شيء فهو يدل على حقبة زمنية معينة، كان روادها يمارسون الوعي والفكر من أجل الاستنقاذ والإفاقة مما هم عليه، وذلك من أجل الخروج من الظلم والاستبداد والقهر إلى عالم يسوده العقل والحرية والأفكار<sup>2</sup>.

ولعل أهم الأحداث الفكرية التي شهدتها مستهل القرن العشرين في الوطن العربي، إقبال العلماء والمفكرين العرب على تدبر التراث العقلي والأدبي والفلسفي القديم، وإحيائه وتدارسه، بعد انقطاع صلتهم بذلك التراث طوال قرون متعددة. فبينما شهد القرن التاسع عشر قيام نهضة فكرية استهدفت إحياء الأدب واللغة العربيتين، كان روادها إبراهيم الحواري (1844- 1916)، وناصر اليازجي (1800-1871) وبيطرس البستاني (1819-1883) وجرجي زيدان (1861-1914) وغيرهم،

<sup>1</sup> عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، الجزء الرابع. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1994، ص 118.

<sup>2</sup> برهان غليون، إغتيال العقل: محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية، ط8. الدار البيضاء (المغرب): المركز الثقافي العربي، 2006، ص 164.

## الفصل التمهيدي: مفهوم النهضة والإصلاح وأهم حركتهما في البلاد العربية

### ثانيا : عوامل النهضة العربية:

لقد شكل عصر النهضة العربية مرحلة تاريخية مهمة بالنسبة للعرب ، نظرا لدوره الكبير والفاعل في تشكيل الوعي والتاريخ المعاصرين. ففيه تبلورت للمرة الأولى ملامح ما يمكن دعوته بالمشروع الإصلاحى الكلى أو العام للعالم العربى ، فيما يتعلق بتذليل جموده الخاص وآفاق خروجه منه والوسائل العامة والضرورية لمواجهة الغرب أو تحديه أو اللحاق به، وكان من العوامل التى عجلت بالنهضة العربية العوامل التالية:

#### أ- الحملة الفرنسية على مصر (1798-1801):

يكاد يجمع مختلف دارسوا عصر النهضة العربية الأهمية التى المركزية التى حظيت بها تاريخيا الحملة النابليونية الفرنسية على مصر فى سنة 1798، بل أنهم يؤرخون لعصر النهضة انطلاقا من تاريخ دخول نابليون إلى مصر وذلك لما مثله تلك الحملة فى جوانب منها، من اتصال وتلاقح ثقافيين ما بين الشرق والغرب، وادى استمرار هذه الاحتكاك إلى ظهور النهضة المادية<sup>1</sup>، فكان دخول المطبعة إلى مصر من أكبر العوامل التى اسهمت فى حدوث النهضة الثقافية، حيث كانت المطبعة فى ذلك الوقت وسيلة لنشر التراث، ومواجهة الصدمة الحضارية ومظاهر الاستيلاء الثقافى التى عبرت عنها البعثات التبشيرية، فالمطبعة شكلت قاطرة النهضة الثقافية والأدبية على امتداد القرن التاسع عشر فى البلاد العربية<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> إبراهيم السعافين، مدرسة الأحياء والتراث: دراسة فى أثر الشعر العربى القديم على مدرسة الأحياء فى مصر. بيروت: دار الأندلس 1995، ص 40.

<sup>2</sup> نفسه، ص 41.

## الفصل التمهيدي: مفهوم النهضة والإصلاح وأهم حركتهما في البلاد العربية

فقد رافق نابليون في حملته فريق من العلماء الفرنسيين في الرياضيات والهندسة والطب والجغرافيا، وعندما استقر به المقام في مصر أنشأ الدواوين وعرضه منها تعويد أعيان مصر على نظم مجالس الشورى وأساليب الحكم<sup>1</sup>، غير أن السنوات القليلة التي قضتها الحملة في مصر وانصرافها لتوطيد الحكم الفرنسي في البلاد لم تتح للمصريين إمكانية التفاعل معها، واقتصر رد الفعل في مصر على الإعجاب بال نماذج الحضارية التي جاءت بها الحملة ومحاولة الاستفادة منها في عهد محمد علي.

### ب- البعثات العلمية إلى أوروبا:

شكلت البعثات العلمية من بلاد العربية إلى أوروبا رافدا أساسيا للنهوض العربي، وتوجيه أنظار النخب العربية إلى خارج حدود البلاد الإسلامية، وقد كان ذلك من افرازات الحملة الفرنسية على مصر، فقد عمل محمد علي باشا على إرسال بعثات تعليمية لكل من إيطاليا وفرنسا وغيرها من الدول الأوروبية لدراسة مختلف العلوم التطبيقية والنظرية، وكانت هذه البعثات العلمية تلبية لحاجة من حاجات التعليم المصري، وحاجات النهضة الحضارية بوجه عام، لكنها شكلت اداة مهمة من أدوات نقل علم الغرب إلى الشرق، وخاصة مصر ولبنان وسوريا<sup>2</sup>.

وقد اسهم طلاب البعثات في احداث نقلة في أساليب التفكير وإدارة مؤسسات في مختلف المجالات، ونقل الأفكار التي ساهمت في تقدم الغرب حضاريا وثقافيا، "سواء مع التوفيق بينها وبين التراث الإسلامي لدى الاتجاه التجديدي التوفيقى، أو مع الدعوة

<sup>1</sup> علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، ط3. بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، 1980، ص 23.

<sup>2</sup> عبد الوهاب الكيلاني وآخرون، الموسوعة السياسية، الجزء الرابع، المرجع السابق، ص 119.

## الفصل التمهيدي: مفهوم النهضة والإصلاح وأهم حركتهما في البلاد العربية

للاتجاه إلى الغرب والتخلي تماما عن التراث الإسلامي لدى الإتجاه التغريبي، أو إعادة قراءة التراث الإسلامي من خلال منتجات الغرب الفكرية بمعنى النظر إلى الإسلام بعيون غربية لدى الاتجاه الليبرالي<sup>1</sup>.

لقد أدرك محمد علي أهمية البعثات التعليمية في احداث النهضة الحضارية في مصر، إذ أن هذه البعثات كانت أداة مهمة لنقل علوم الغرب وفنونه وصناعاته إلى مصر علما وعملا، وكانت البعثات في عهده تهدف إلى :

أ- أن يكون في مصر جيل من الأساتذة والعلماء المصريين الذين تلقوا العلم الحديث في أوروبا وبلغات أوروبا، ليحلوا محل الأساتذة والأطباء والمهندسين والضباط والصناع من الأجانب

ب- أن يكون طلبة البعثات أداة جيدة لنقل علوم الغرب وترجمتها إلى اللغة العربية.  
ت- تزويد الدولة بالكوادر الفنية الحديثة لبناء الجيش والإدارة، وذلك في مجال التحديث العلمي والإداري والصناعي.

### ت- الارساليات التبشيرية في البلاد العربية:

بدأت الإرساليات التبشيرية بالتوافد على بلاد الشام في القرن السابع عشر (17م)، وكان معظم المبشرين من أتباع المذهب الكاثوليكي، وقد شهد القرن التاسع عشر ميلادي (19م) حركة تبشيرية واسعة في مختلف البلدان العربية، حيث عملت على بناء المدارس وتأسيس الجمعيات العلمية والأدبية، وتعتبر مدرسة "عينطورة" من أقدم المدارس الارسالية

<sup>1</sup> أحمد محمد جاد عبد الرزاق، فلسفة المشروع الحضاري: بين الإحياء الإسلامي والتحديث العربي، الجزء الأول. الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1995، ص 212.

## الفصل التمهيدي: مفهوم النهضة والإصلاح وأهم حركتهما في البلاد العربية

في لبنان والبلاد العربية، كما نشطت الرسائل في ميدان الترجمة وتحديث اللغة العربية.

وما يمكن الإشارة إليه هنا هو أن النهضة والإصلاح من أكثر المفاهيم التصاقاً ببعضهما البعض، وتستعمل لدى الكثير من الباحثين كمفهومين مترادفين، في حين يرى البعض بأن الإصلاح هو الذي يحقق مشروع النهضة. ولذلك سوف نحاول تعريف مفهوم الإصلاح وأهم تياراته ومجالاته.

ثالثاً: مفهوم الإصلاح:

### 1- مفهوم الإصلاح في اللغة العربية.

يعد مفهوم الإصلاح من المواضيع التي لا تزال تثير الكثير من الإشكالات المفاهيمية والمعرفية وحتى الممارساتية، ويعرف الإصلاح من الناحية اللغوية في القواميس العربية بمعاني ومدلولات تكاد تكون واحدة، فقد جاء في لسان العرب لابن منظور بأنه لفظ مشتق من الفعل صلح، يصلح، صلاحاً، وصلوحاً، معناه الاستقامة، وبأن الإصلاح هو نقيض الإفساد، وأصلح الشيء بعد فسادِه: أقامه. وأصلح الدابة: أحسن إليها فصلحت. والصلح: تصالح القوم بينهم<sup>1</sup>، ويقال هذا شيء يصلح لك أي يوافقك ويحسن بك، ويقال أيضاً أصلح الله له في ذريته وماله أي أحسن إليه<sup>2</sup>. فالإصلاح عموماً هو عكس الفساد وتغيير الفساد إلى إصلاح يحتاج إلى عمل منظم ومنهج مدروس<sup>3</sup>، ينطلق من رؤية واضحة لينتهي إلى أهداف محددة. والإصلاح من الفعل صلح يصلح الشيء أي جعله ذا فائدة، إذ لم تكن فيه فائدة قبل ذلك بسبب ما

<sup>1</sup> ابن المنظور، لسان العرب، الجزء السابع. المرجع السابق، ص 382.

<sup>2</sup> لويس معلوف، المنجد في اللغة والأدب والعلوم، ط9. بيروت: المطبعة الكاثوليكية، د ت ن، ص 432.

<sup>3</sup> محمد طهاري، مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ط3. الجزائر: دار الأمة: دار الأمة، 1999، ص 11.

## الفصل التمهيدي: مفهوم النهضة والإصلاح وأهم حركتهما في البلاد العربية

حاق به إعطاب أو إفساد، الإصلاح هو إزالة التلف أو الضرر عن الشيء وجلب المنفعة والسلامة إليه، "وإذا كان الفساد هو التلف والعطب في الأمور والخلل والضرر والانحلال في المجتمع، فإن الصلاح هو الاستقامة والسلامة من العيوب وزوال العداوة والخصومة والشقاق والتخفيف من حدة الصراع فيه"<sup>1</sup>

فالإصلاح من الناحية اللغوية هو التغيير إلى إستقامة الحال على ما تدعو إليه الحكمة ، ومن هذا التعريف يتبين أن كلمة إصلاح تطلق على ما هو مادي ، وعلى ما هو معنوي ، فالمقصود بالإصلاح من الناحية اللغوية، الانتقال أو التغيير من حال إلى حال أحسن، أو التحول عن شيء والانصراف عنه إلى سواه.

والملاحظ من التعريف اللغوي الذي تقدمه المعاجم اللغوية أنه ذو معنى واحد وهو مقابل الفساد، ولا تقدم شروطاً كافية لمعنى الكلمة إلا بنقيضها، وعند البحث عن معنى الإفساد تردنا ذات المعاجم إلى نقيضها والإصلاح بقولها أن الإفساد هو ضد الإصلاح.

ويشير الباحث عماد صلاح عبد الرزاق الشيخ داود إلى أن الصلاح والفساد في اللغة متلازمان فالإصلاح هو ضد الإفساد، حيث يصعب فهم وتعريف أحدهما دون فهم وتعريف الآخر، وهذا التلازم يمكن تفسيره تاريخياً بكون الإصلاح ظهر مع ظهور أولى حالات الفساد في الأرض، حيث برزت إلى حيز المعرفة الإنسانية ظاهرة الإصلاح كعكس لفعل. الإفساد، حين حاول قابيل إصلاح ما أفسده بفعل قتله لأخيه<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> لبنى سمير بابوق، وضع المرأة في المبادرات الدولية للإصلاح في الشرق الأوسط، أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، سنة 2009 ، ص 19.

<sup>2</sup> عماد صلاح عبد الرزاق الشيخ داو، الفساد والإصلاح. دمشق: منشورات إتحاد الكتاب العرب، سنة 2003 ، ص

## الفصل التمهيدي: مفهوم النهضة والإصلاح وأهم حركتهما في البلاد العربية

### 2- مفهوم الإصلاح في القرآن الكريم

وبعكس التوظيف اللغوي الذي يبدو مختزلاً ومحدوداً من حيث المعاني للفظة الإصلاح في التراث العربي، وردت لفظة الإصلاح في القرآن الكريم في سياقات مختلفة ومعاني ثرية ومتعددة، فجزر "صلح" الذي هو أصل كلمة الإصلاح ذكر في صفحات المصحف الشريف بصور مختلفة (الصالحات ، الصالحين، أصلح، إصلاح.....) في مئة وسبعين (170) موضعاً.

وقد ورد مفهوم الإصلاح بمعاني مختلفة تختلف حسب مقام الآية، وحسب التفسير أيضاً، وجاء في أغلب الآيات القرآنية بأن الإصلاح قرين الإفساد ويأتي الإصلاح دائماً في مقام المدح، لأنه عمل الوجهاء من الناس، يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾<sup>1</sup>.

والإصلاح من أعمال البرّ المنجية، يقول تعالى: ﴿ وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾<sup>2</sup>

والإصلاح يكون في المعاملات أيضاً، ومن جسّد إيمانه بالإصلاح فإنّ جزاءه الفلاح في الدنيا والآخرة، يقول الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾<sup>3</sup>

ف نجد مثلاً، في سورة النساء معنى من معاني الإصلاح في قوله تعالى ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَمَنْ يَفْعَلْ

<sup>1</sup> الآية 56 من سورة الأعراف. للمزيد حول معنى الإصلاح في هذه الآية. أنظر:

- محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. القاهرة: دار الريان للتراث، 1987، ص 412.

<sup>2</sup> الآية 48 من سورة الأنعام. عبد الباقي، المرجع السابق، ص 410.

<sup>3</sup> الآية 97 من سورة النحل.



## الفصل التمهيدي: مفهوم النهضة والإصلاح وأهم حركتهما في البلاد العربية

ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا<sup>1</sup>، والمقصود في الآية هو إصلاح ذات البين، وهو وجه من أوجه الإصلاح الإجتماعي الذي يحرص عليه الدين الإسلامي، وفي آية أخرى قال تعالى على لسان النبي شعيب عليه السلام ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۖ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالَفَكُمْ إِلَيَّ مَا أَنهَأَكُم عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۗ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝﴾ والمعنى المصود هنا هو أن إرادة الإصلاح مبتغى لما أمر به الله تعالى، وفي ما نهى عنه.

وفي الآية التالية جاء مفهوم الإصلاح بأبعاد متعددة، حيث قال المولى عز وجل ﴿ وَاللِّي مَدِينَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۗ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝<sup>2</sup> تبين الآية سبل الإصلاح، حيث كان النبي شعيب عليه السلام يأمر قومه بتوحيد الله والالتزام بذلك، وهذا إصلاحا لما فسد من عقيدة الإيمان بالإشراك والكفر، ثم يربط الإصلاح التوحيدي بإصلاح المجتمع من فساد المعاملات بين الناس، وهنا نجد بؤادر الإصلاح الإقتصادي في الحث على عدم بخس الناس أشياءهم وعدم التطفيف في الكيل والميزان وكذلك عدم الإفساد في الأرض بالجور والظلم والحياد عن نهج العدالة القويم في الأمور كلها، بعد أن أصلحها الله بقدرته. ففي الآية الكريمة إشارة إلى نواحي من الإصلاح الديني والاجتماعي والاقتصادي التي يحث الله تعالى الناس عليها لإصلاح أمرهم وتيسير حالهم.

ورغم تعدد معاني الإصلاح والثراء والتعدد في توظيف لفظ الإصلاح في الخطاب القرآني إلا أن المفسرين "يكتفون بشرح مادة "صلح" ومشتقاتها الواردة في القرآن الكريم بكثرة بهذا النوع من التعريف بالسلب (صلاح: ضد فساد) وإذا خرجوا عن هذا جاؤوا

<sup>1</sup> الآية 114 من سورة النساء.

<sup>2</sup> الآية 88 من سورة هود.

## الفصل التمهيدي: مفهوم النهضة والإصلاح وأهم حركتهما في البلاد العربية

بالمعنى الذي يقتضيه السياق"<sup>1</sup>. وفي ما يشبه التناقض غير المبرر، يشير الجابري إلى أن تردد لفظ الإصلاح والصلاح في الخطاب القرآني والحديث النبوي ومختلف نصوصنا التراثية الدال على انشغال مستمر وتاريخي للمجتمع الإسلامي عبر مختلف المراحل بهذه القضية انطلاقاً من كون الدعوة المحمدية كانت دعوة إصلاحية عميقة جعلت على رأس مهامها إخراج الناس من الظلمات إلى النور، يقول الله عز وجل ﴿الرَّكَابَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾<sup>2</sup> إلا أن كل هذا الانشغال بقضية الإصلاح في أبعاده المختلفة التي وردت في القرآن الكريم، لم يشفع لفقهاء الإسلام للوصول إلى تعريف إيجابي محدد لمعنى إصلاح في مرجعيتنا التراثية أيضاً<sup>3</sup>.

### 3- الإصلاح في اللغتين الفرنسية والإنجليزية.

يتخلف مفهوم الإصلاح في اللغة الفرنسية عنه في اللغة الإنجليزية، فكلمة الإصلاح في اللغة الفرنسية يقابلها كلمة **Réforme**، والتي تتكون من لازمة "ré" والتي تفيد معنى الإعادة ولفظ "forme" التي تعني الشكل أو الصيغة، والمعنى الكامل؛ هو إعادة تشكيل أو إعطاء صورة أخرى للشئ.

أما في اللغة الإنجليزية فإن كلمة **reform** تشير إلى العمل الذي يحسن الظروف، أو التغيير الذي يطرأ على الشئ في اتجاه الأحسن، وبصيغة الفعل هي تغيير الشئ لجعله أحسن<sup>4</sup>. كما تحمل الكلمة أيضاً معنى إعادة البناء أي "from

<sup>1</sup> محمد عابد الجابري، في نقد الحاجة إلى الإصلاح، ط 1. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، سنة 2005، ص 17.

<sup>2</sup> الآية 01 من سورة إبراهيم.

<sup>3</sup> الجابري، المرجع السابق، ص 18.

<sup>4</sup> p ، 2004، **DICTIONARY of Politics and Government**. London: Bloomsbury، P.H.Collin 207.

## الفصل التمهيدي: مفهوم النهضة والإصلاح وأهم حركتهما في البلاد العربية

"again"، وجاءت منها كلمة "reformation"؛ وهي تعني التغيير للأحسن دائماً، سواء كان ذلك في مجال الأخلاق أو العادات أو الطرق والسياسات<sup>1</sup>، ذات الكلمة تحمل أيضاً معنى إعادة التشكيل أو تشكيل الشيء وتجميعه من جديد و معنى تحسين الحالة أو تصليحها أو التحسين بتصحيح الأخطاء<sup>2</sup>.

وبالمقارنة بين اللغة العربية واللغات الأوروبية نجد أن الإصلاح في المرجعية العربية متعلق بحصول فساد في الشيء، مادة وصورة، ومن ثم تؤول قضية الإصلاح فيه إلى الرجوع به إلى الحال التي كان عليها قبل حصول الفساد فيه. أما في اللغات الأوروبية، فاللفظ المستعمل في هذا المعنى، ليس "réforme" و"reform" بل هو مصطلح "réprer" و"repair" وهو بالضبط معنى الإصلاح في لغتنا أي إعادتها إلى الوضع السابق. أما إذا استخدمنا مصطلح "réforme" فإن المعنى سيصبح إعطاء الشيء صورة جديدة، وشكلاً آخر غير الشكل الذي هو عليه ويكون ذلك في اتجاه الأحسن غالباً<sup>3</sup>.

يظهر جلياً أن هناك اختلاف واضح بين المعنى اللغوي للفظ الإصلاح في اللغة العربية ومدلوله في القرآن الكريم، ومعنى اللفظ الذي يقابله في اللغات اللاتينية، فالإصلاح في مدلوله اللغوي من حيث كونه إعادة الأمر إلى أصله بإزالة ما شابه من فساد وانحراف، يظهر كحركة أقل عمقا من اللفظ اللاتيني الذي يشير إلى إعادة التشكيل وتفترض أن المراد إصلاحه قد انتهى تاريخ صلاحيته، وانقضى زمن حياته، ويحتاج إلى الإزالة أو التفتيح ليحل محله شيء جديد تماماً، من أجل إعطاء الوضع صورة أحسن وأفضل بصرف النظر عن صورته الأولى.

<sup>1</sup> بابوق، المرجع السابق، ص 19.

<sup>2</sup> شيخ داود، المرجع السابق، ص 42.

<sup>3</sup> الجابري، المرجع السابق، ص 19.

## الفصل التمهيدي: مفهوم النهضة والإصلاح وأهم حركتهما في البلاد العربية

وإذا كان مفهوم الإصلاح على إختلاف المعاني اللغوية التي يحملها في كل لغة، فإن الإصلاح الذي نقصده في بحثنا، يدل على يقظة ووعي الأمة الإسلامية والعربية، وإدراك المصلحين للمخاطر التي تحيط بهم، فقدموا تفسيرات للمشاكل التي تعترض نهوض الأمة، ووصفوا لها الدواء من أجل تحقيق ذلك. رغم أن كل مصلح كان ينظر لهذه المشاكل والحلول على حسب بيئتهم وثقافتهم وتكوينهم.

وقد ظلت أفكار هؤلاء المصلحين من أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده والكواكبي، وعبد الحميد الزهراوي وعمر بن قنبر وابن باديس.. إلخ، تعمل عملها في حياتهم وحتى بعد موتهم وإلى غاية الآن، وإلى أن يتحقق الإصلاح الذي ينهض بهذه الأمة، وتتبوء المكانة التي تستحقها بين الأمم.

### رابعا : دوافع الإصلاح في البلاد العربية والإسلامية.

إن فكرة الإصلاح فكرة قديمة قدم الإنسانية، إذ أننا نجد في كتابات قدماء المفكرين اليونان من أمثال أفلاطون وأرسطو الكثير من الأفكار الإصلاحية مثل العدالة والقوانين وتنظيم المجتمع والدولة والاستقرار السياسي والتوزيع العادل للثروة وغيرها، ويمكن القول إن فكرة الإصلاح كانت ولا تزال الهدف الأسمى للعديد من الفلاسفة والقادة والحركات السياسية والاجتماعية في مختلف أرجاء العالم<sup>1</sup>، فضلاً عن كونها موضوعاً رئيسياً في النظريات السياسية والاجتماعية للفلاسفة والمفكرين منذ أيام مكيافلي في العصور الوسطى حتى كارل ماركس في القرن العشرين، فقد تحدث مكيافلي في كتابه الشهير " الأمير " عن أهمية الإصلاح وبنفس الوقت صعوبة وخطورة خلق واقع جديد<sup>2</sup>. إلا أن حركة الإصلاح في العالم لم تتوقف وإن تعثرت أحياناً.

<sup>1</sup> عبد الكريم بوصفصاف، الفكر العربي الحديث والمعاصر، محمد عبده وعبد الحميد ابن باديس نونجا، الجزء الأول. الجزائر: دار مداد يونيفارستي براس، 2009، ص 272.

<sup>2</sup> ننيكولا مكيافلي، الأمير، (ترجمة أكرم مومن). القاهرة: دار غبن سيناء، 2004. ص 83.

## الفصل التمهيدي: مفهوم النهضة والإصلاح وأهم حركتهما في البلاد العربية

فتمرد اللورد كروميل\* في بريطانيا في منتصف القرن السابع عشر، والثورة الفرنسية 1789، وقبلها الثورة الأمريكية وغيرها من الحركات السياسية جاءت جميعاً لتحقيق إصلاحات سياسية واجتماعية وثقافية<sup>1</sup>.

وفي الوطن العربي والبلاد الإسلامية كانت الوضعية العامة تستدعي الإصلاح، بدأت أولاً في الدولة العثمانية في المجال العسكري بعد الهزيمة التي تعرضت لها أمام روسيا القيصرية عام 1774م وتوقيعها معاهدة "كجك قنطارية". ثم امتدت لاحقاً إلى المجالات السياسية والإدارية والاجتماعية<sup>2</sup>، ففي سنة 1839م أصدر السلطان عبد المجيد الأول مرسوماً عرف "بالتنظيمات الخيرية"، والتي أكدت على المساواة ما بين المسلمين وغير المسلمين في الدولة العثمانية، ثم تبع ذلك تبني أول دستور في الدولة العثمانية سنة 1876م والذي تم بموجبه إنشاء برلمان مُثل فيه المسلمون والمسيحيون واليهود، وبذلك ظهر مفهوم "المواطنة" لأول مرة في الدولة العثمانية، واستمرت حركة الإصلاح حتى نهاية الدولة العثمانية<sup>3</sup>. إن الجهود الإصلاحية كانت بطيئة، جزئية ومتأخرة، وبالتالي لم تفلح في إنقاذ الرجل المريض الذي توفي بانتهاء الحرب العالمية

---

\* أوليفر كروميل (Oliver Cromwell) 1599 - 1658 : سياسي وبرلماني وقائد عسكري لاكثر من ثلاثة عقود، نجح في تشكيل جيش نموذجي جديد، قدر له ان يحسم الحرب الاهلية الانكليزية، واعداد الملك شارل الاول، والاستيلاء على السلطة لانشاء عهد الجمهورية. انظر أكثر:

- Barry Coward، Peter Gaunt، The Stuart Age: England، 1603-1714. London:Taylor & Francis،1994، p 253.

<sup>1</sup> ربيع حيدر طاهر، "الجذور التاريخية للنظام الحزبي الانكليزي"، مجلة مركز بابل، العدد 01، جوان 2011، ص 24.

<sup>2</sup> John Esposito، **Islam and Politics**، 3rd Edition. New York: Syracuse University Press، 1991، p 184.

<sup>3</sup> William L.A.Cleveland، **Modern History of the Middle East**. Boulder:West view Press،1990، P62.

## الفصل التمهيدي: مفهوم النهضة والإصلاح وأهم حركتهما في البلاد العربية

الأولى نظراً لإختلاف الشعوب المكونة للإمبراطورية العثمانية لغويا وعرقيا، علاوة على الأزمات التي عرفتتها الامبراطورية العثمانية وتغلغل الاستعمار الأوروبي في أرجاء الدولة.

### خامسا: تيارات الإصلاح

لقد شملت النهضة العربية التي بدأت منذ منتصف القرن التاسع عشر مختلف جوانب الحياة العربية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ولما كانت لكل حركة قومية تضمن لنفسها واقعا تعمل من خلاله فقد أثمرت تلك النهضة الفكرية وأخذ صداها يترك آثاره على الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية.

ويرى الكثير من المفكرين أن حركة الإصلاح الحديثة جاءت كرد فعل على الغرب، فلما رأى المسلمون ما حل بهم من النكبات بسبب تقدم أوروبا عليهم بعلومها وانظمتها الحديثة، اقتنعوا بأنه لا بد من تقليد الغرب في علومه وأنظمتها التي تنهض بهم<sup>1</sup>.

وقد تنوعت تيارات الإصلاح في العالم العربي والإسلامي، باختلاف وتنوع توجهاتها ومنطلقاتها ومقاصدها، ومدى تجاوبها مع ظروفها العامة، وتعددت زوايا النظر إلى الحركات الإصلاحية وطغى البعد الإيديولوجي في تقييم جهود تلك الحركات الإصلاحية. ويمكن تقسيم تيارات الإصلاح إلى:

#### 1- تيارات ذات نزعة دينية تقليدية:

يعتبر هذا التيار أقدم وأعرق مدرسة في الإصلاح بسبب عمقها الديني وبعدها عن التأثير المباشر بالضغط والتأثير الأجنبيين، وجمعها بين الإصلاح الديني والإصلاح السياسي. وفي الربع الأول من القرن الثامن عشر، كانت هناك حلقة للحديث في المسجد

<sup>1</sup> بوضفصاف، المرجع السابق، ص272.

## الفصل التمهيدي: مفهوم النهضة والإصلاح وأهم حركتهما في البلاد العربية

النبوي، يشرف عليها العلامة محمد حياة السرهندي، حيث كان يتلقى عنه علوم الحديث وتراث ابن تيمية، خاصة عدد من الفتية برز منهم مصلحان عظيمان، مثلاً أهم جذر للمدرسة الإصلاحية السلفية وللحركة الإسلامية المعاصرة، هما الشيخ محمد ابن عبد الوهاب والعلامة "ولي الله شاه الدهلوي"\*. حمل كل منهما فكرة الإصلاح وترجمها بحسب مقتضى محيطه<sup>1</sup>. ورغم اختلافهما كاختلاف من بعدهما في ترجمة الفكرة، فالمتفق عليه أن منطلق الإصلاح هو إعادة الاعتبار إلى النص كتاباً وسنة وتجربة التطبيق الأولى للدين، مصدراً أعلى للحق والتشريع في كل مجالات الاعتقاد والسلوك ونظم المجتمع. وكانت الفكرة، على بساطتها، أساساً للثورة على ضروب شتى من المحافظة والتقليد، وفتحا واسعاً لأبواب الاجتهاد والتجديد، ولاسيما في مستوى الحرب على الخرافة والأوهام والمواريث الشركية والتقاليد الفقهية والبدع، ومن هنا رفضت الغرب من الناحية الحضارية<sup>2</sup>. وتمثلت هذه الدعوات في:

---

\* ولي الله شاه الدهلوي (1176 - 1114 هـ/1703-1762م): هو علامة الهند، بل عالم عصره ومحدثه، والمجتهد المسند المصنّف، شيخ الإسلام، قطب الدين، أبو محمد الشاه أحمد ولي الله بن عبد الرحيم بن وجيه الدين الشهيد بن معظم بن منصور بن أحمد بن محمود بن قوام الدين المعروف بقاضي قازن، العُمري الدهلوي. المشهور بـ "شاه ولي الله الدهلوي". ينتهي نسبه رحمه الله إلى عمر بن الخطاب الفاروق رضي الله عنه .

تلقى الشيخ ولي الله العلوم الابتدائية من والده الشيخ عبد الرحيم الذي كان مديراً لمدرسة كانت تسمى المدرسة الرحيمية، دخل الكتاب في الخامسة من عمره، وأكمل القرآن الكريم في السابعة، وأكمل دراسته للعلوم الابتدائية وهو ابن عشر سنوات. وكان الشيخ ولي الله الدهلوي ذكياً مفرطاً في الذكاء، جيد الحفظ، ومن هنا تمكن من إكمال الدراسة في عمر مبكر، يقول ابنه الشاه عبد العزيز عنه: "ما رأيت أحداً أقوى ذاكرة من والدي". ومن أهم مؤلفاته:

- "حجة الله البالغة في أسرار الحديث وحكم التشريع"، "الإنصاف في بيان سبب الاختلاف". أنظر أكثر:
- أحمد تمام، شاه ولي الله الدهلوي.. باعث السنة في الهند، موقع إسلام أون لاين، على الانترنت:

<https://archive.islamonline.net/?p=9550>

<sup>1</sup> جلال السعيد الحفناوي، موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، المجلد التاسع، ط1. بيروت: دار الجيل، 2005م، ص 366-367.

<sup>2</sup> بشير موسى نافع وآخرون، الظاهرة السلفية، التعددية التنظيمية والسياسات. بيروت: دار العلم للملايين، 2014، ص 25.

## الفصل التمهيدي: مفهوم النهضة والإصلاح وأهم حركتهما في البلاد العربية

### أ - الحركة الوهابية:

تنسب الحركة الوهابية إلى الشيخ "محمد بن عبد الوهاب"<sup>\*</sup>، وهي حركة سلفية ظهرت في مدينة الدرعية في نجد في جزيرة العرب إبان القرن الثامن عشر ميلادي التي عرفت صوراً متعددة من التدهور والإنحطاط في مختلف مجالات الحياة، وفي ظل هذه الأجواء ظهرت أول حركة إصلاحية في العصر الحديث من قلب شبه الجزيرة العربية، مهد الإسلام. حيث ظهرت في هذه الفترة ممارسات دينية تتعارض مع جوهر العقيدة الإسلامية وهو التوحيد الخالص لله وحده وإفراده بالعبادة والنسك، مثل التمسح بالقبور والاعتقاد بالموتى والتوسل بهم وبناء القباب والذبح لغير الله والاعتقاد بالأئمة والشيوخ.

دعت الدعوة الوهابية<sup>\*\*</sup> إلى اتباع السلف في مسائل العقيدة، وعملت على تنقيتها من شوائب الشرك وشبهات الوسائط بين الإنسان وخالقه، واعتبرت الوهابية التوحيد أساس

---

<sup>\*</sup> **محمد بن عبد الوهاب (1703-1795م):** هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي، وإليه تنسب الحركة الوهابية. ولد محمد بن عبد الوهاب في بيت علم، فجدّه القاضي سليمان بن علي بن مشرف من أكابر علماء نجد، وكذلك كان والده الشيخ عبد الوهاب بين الشيخ سليمان، الذي سار على نهج أبيه، وتولى القضاء مكانه، في هذه الأسرة العلمية نشأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فتعلم القرآن وحفظه قبل السن العاشرة، وكان حاد الفهم، سريع الحفظ، قرأ على يد أبيه الفقه، اتصف الشيخ محمد بن عبد الوهاب بسعة العلم والإطلاع، فكان عالماً عاملاً مجتهداً، ناصر السنة، وقامعاً للبدعة. ترك تراثاً فكرياً وعلمياً ضخماً في شتى فنون العلم والمعرفة، وقد امتازت هذه المؤلفات بمعالجة القضايا الرئيسية التي تعاني من الخلل في عصره، ومن أبرزها قضية التوحيد ومحاربة البدع ومن هذه المؤلفات نذكر: "كتاب التوحيد فيما يجب من حق الله على العبيد"، "سالة المغربي"، "كتاب أحاديث الفتن"، "كتاب الشرح الكبير في الفقه"، "كتاب القواعد الأربع في تمييز المسلم من المشرك". أنظر أكثر:

- خالد الجندي، شخصية الإمام محمد بن عبد الوهاب، بين الباحثين والدارسين. نيويورك: صافي إيرا، 2015،

ص 6-9.

<sup>\*\*</sup> **مصطلح وهابية** بحد ذاته مرفوض حالياً من قبل أتباع ابن عبد الوهاب مفضلين عليه اسم سلفية أو اسم (أهل السنة والجماعة) باعتبار أنهم من يمثلوا الإسلام الحقيقي، لكن مصطلح أهل السنة و الجماعة كمصطلح تاريخي له أهميته تتمسك به معظم الفئات السنية بمن فيهم الصوفية وأصحاب المذاهب السنية وتجده حتى في أدبيات الفرق الكلامية من أشاعرة و ماتريدية مما يجعله مصطلحاً خلافياً. لكن مصطلح وهابية يبقى مستخدماً بشكل كبير من قبل معارضيه الذين يرفضون نسبتهم إلى (السلف) وبالتالي يجدون في نسبتهم لابن عبد الوهاب الطريقة الأفضل لتميزهم



## الفصل التمهيدي: مفهوم النهضة والإصلاح وأهم حركتهما في البلاد العربية

العقيدة، ورفضت الجمود والتقليد، وجعلت إصلاح العقيدة جوهر كل إصلاح<sup>1</sup>، وكما رفضت ما طرأ على الإسلام من عقليات، رفضت مدنبة الغرب. وبلغت أصداء هذه الدعوة إلى الهند وشمال إفريقيا.

وبذلك تكون الحركة الوهابية أول رد فعل ديني على مفاسد المجتمع العربي في العصور الحديثة، من خلال بعث الفكر الإسلامي إلى الحياة من جديد، إلا أنها صدمت المسلمين بعنفها وتصلبها وعدم تسامحها إزاء الطقوس والعادات التي توارثها المسلمون في العهود المتأخرة، ومعاداتها للطرق الصوفية، والطرق السنية الأخرى، لذلك لم تحقق نجاحاً هاماً بين أهل السنة الذين اعتبروها خارجة عن جادة الإسلام القويم والمتسامح<sup>2</sup>، إلا أن هذه الحركة كانت مصدر إلهام للحركات الإصلاحية والدعوات التجديدية الإسلامية في القرن التاسع عشر والعشرين.

ب- الحركة السنوسية: لصاحبها محمد بن السنوسي 1787 - 1809م\*؛ عرفت السنوسية بأنها حركة دعوة إسلامية إصلاحية تجديدية تعتمد في معظم أمورها على

---

. وسائل الإعلام و الكثير من المؤلفين تستخدم المصطلح أيضا للتعبير عن المدرسة الإسلامية السلفية التوجه المنتشرة في شبه الجزيرة العربية و الخليج العربي. أنظر أكثر:

- ياسين بن علي، خروج الوهابية عن الخلافة الإسلامية، القاهرة، مكتبة الزيتونة، 214، ص 15.

<sup>1</sup> بشير موسى نافع وآخرون، المرجع السابق، ص 25.

<sup>2</sup> بوصفصاف، المرجع السابق، ص 278.

\* الشيخ محمد بن علي السنوسي بن العربي بن محمد بن عبد القادر بن شهيدة (1787 . 1859م) : هو المؤسس للدعوة السنوسية، وتنسب السنوسية لجدّه الرابع. وُلد في مستغانم بالجزائر، ونشأ في بيت علم وثقوى. وعندما بلغ سن الرشد تابع دراسته في جامعة مسجد القرويين بالمغرب ومكث بها ستة سنوات، ونظراً لذيوع دعوته وخوفاً من تحولها إلى دعوة سياسية شددت الحكومة المراكشية مراقبتها فأضطر إلى الرحيل. ثم أخذ يجول في البلاد العربية يزداد علماً فزار تونس وليبيا ومصر والحجاز واليمن ثم رجع إلى مكة وأسس فيها أول زاوية لما عُرف فيما بعد بالحركة السنوسية. وله نحو أربعين كتاباً ورسالة منها: الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية وإيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن. أنظر أكثر:

- محمد فؤاد شكرى، السنوسية دين و دولة، لندن: مركز الدراسات الليبية، 2000، ص 11، 57.

## الفصل التمهيدي: مفهوم النهضة والإصلاح وأهم حركتهما في البلاد العربية

الكتاب والسنة مع تأثر بالتصوف نشأت في الثلث الأول من القرن التاسع عشر، 1825م، بمكة المكرمة، تؤمن بالصوفية الموافقة للكتاب والسنة. وهي حركة سياسية إصلاحية دينية معتدلة، غير قومية وغير عنصرية... وباعتبارها نابذة للتطرف والغلو، فقد أسهمت الحركة السنوسية في تجديد حيوية الأمة... واستجابت في مراحل متعددة لنداءات الجهاد ومقاومة مؤامرات الغرب الاستعمارية<sup>1</sup>.

كان لسوء الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب والجزائر أثراً بالغاً في هجرته إلى مكة المكرمة باعتبارها ملجأً روحياً ومقصداً لكل طالب علم وملتقى ومجمعاً للعلماء وحقائق الأمور والأحداث الجارية في البلاد الإسلامية. انطلقت السنوسية من شمال إفريقيا باتجاه أواسط القارة، واستقرت في الأخير بليبيا، وهي حركة جمعت بين النزوع الوهابي في الإصلاح الديني، والنزوع الصوفي، وحاولت أن تعادي الاستعمار، وأن تنشر الإسلام بين القبائل الوثنية في إفريقيا الوسطى<sup>2</sup>.

إستغرقت رحلة محمد بن السنوسي من الجزائر إلى القاهرة أربع سنوات، قضى جُلها بين طرابلس وبرقة، حيث تعرّف وتوطدت له علاقات بطلبة علم وعلماء في طرابلس وبنغازي والجبل الأخضر، وتعرّف على أحوال البلاد والعباد<sup>3</sup>، إلى أن وصل إلى القاهرة، وتردد على الجامع الأزهر، وتعرّف على علمائه، وقام بالتدريس فيه، وكان قد سبق له أن درّس علوم الفقه والسنة في جامع القرويين في المغرب، وقد اختلف معه بعض علماء الأزهر، ووصفوه بالمبتدع في الدين وهاجموا آراءه الإصلاحية، ولم تعجب

<sup>1</sup> بوصفصاف، المرجع السابق، ص22.

<sup>2</sup> علي محمد محمد الصلابي، الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا، الجزء الأول، ط1. القاهرة: مكتبة التابعيين، 2001، ص 32.

<sup>3</sup> الشيخ أحمد الشريف، الأنوار القدسية في مقدمة الطريقة السنوسية. اسطنبول: مطبعة عامرة، 1939، ص 26.

## الفصل التمهيدي: مفهوم النهضة والإصلاح وأهم حركتهما في البلاد العربية

الشيخ السنوسي مواقف وأراء محمد على باشا الذي كان قد انفصل عن الدولة العثمانية واستقل بحكم مصر<sup>1</sup>.

أقام الشيخ محمد بن علي السنوسي في الحجاز خمسة عشر عاماً، درس وتفقه وخبر خصائص أئمة الإسلام على مختلف المذاهب وعلوم الدين، وعاش التيارات الفكرية وصراعات جيوش محمد على باشا مع الحركة الوهابية بين نجد والحجاز<sup>2</sup>. وكان غرض محمد بن علي السنوسي من دراسته الواسعة للمذاهب الإسلامية، أن يتمكن من إقناع البلاد الإسلامية باتخاذ مذهب واحد بعينه، وذلك من أجل تحقيق الإتحاد الإسلامي، عن طريق الأخذ من كل المذاهب ما صح منها، ولأجل ذلك سميت طريقته بـ"الطريقة المحمدية"<sup>3</sup>

تشكّلت لمحمد السنوسي رؤى خاصة تبلورت في إطار دعوة للإصلاح الدين، وأصبحت له طريقة خاصة صار يُلقنّها لأتباعه، وكان له اجتهاده الخاص في المذهب المالكي بعد أن سلك طريق السلفية وأصبح يعتمد على الكتاب والسنة، ولا يتقيد بالمذاهب، مع بقاء احترامه لها، و يؤمن بفتح باب الاجتهاد لمن تتوافر فيه شروط الاجتهاد، وقد ألقى باللائمة على الذين يُوجبون اقتصار التقليد في الأئمة الأربعة؛ لأنه لا واجب إلا ما أوجبه الله ورسوله<sup>4</sup>.

امتلك عناصر و قيادات الحركة السنوسية أدوات الحوار والتفاوض السياسي في حكمة وحنكة ودهاء في علاقاتها مع القوى الأخرى؛ اختارت تطبيق فكر و منهج مؤسسها في إرساء قواعد الدعوة والبناء التنظيمي للحركة، ومن ذلك اعتراف الدولة

<sup>1</sup> الصلابي، المرجع السابق، ص 51.

<sup>2</sup> أحمد الشريف، المرجع السابق، ص 96.

<sup>3</sup> شكري، المرجع السابق، ص 25.

<sup>4</sup> نفسه، ص 44.

## الفصل التمهيدي: مفهوم النهضة والإصلاح وأهم حركتهما في البلاد العربية

العثمانية للسيد المهدي سنوسي عن طريق واليها في طرابلس بالزعامة والإمارة<sup>1</sup>. وفي معرض مقارنة الحركة السنوسية بالحركة الوهابية وحركة ابن تيمية يقول محمد البهي "... تفادت الحركة السنوسية الازدواج الذي صحب الحركة الوهابية ، وأزالت الثنائية بين رجال الدعوة ورجال السلطة المشرفة على تنفيذ مبادئ الدعوة". ويضيف محمد البهي في مقارنته لأساليب القادة المؤسسين الثالث؛ محمد بن علي السنوسي ومحمد بن عبد الوهاب وابن تيمية "أن الرجال الثلاثة مع اشتراكهم في التأثير بعوامل واحدة ، كانت دعواتهم صدى لها؛ فأنهم يفترقون فيما بينهم في السبيل الذي سلكوه لتحقيق الدعوة؛ ... فقد اشتد ابن تيمية و قسا في طلب تحقيق آرائه وأراد أن يحققها دفعة واحدة، فخاصم الجميع وحاربهم، ومن أجل ذلك رُمى - بحق أو غير حق بالخروج عن الجماعة على نحو ما رمى هو خصومه،... ومحمد بن عبد الوهاب إتبع نفس الأسلوب و لحقته نفس النتائج،... أما السنوسي، فأثر المُهادنة، واستخدام أسلوب الإقناع والتّودة ..."<sup>2</sup>.

وقد أثرت فكر وممارسة الحركة السنوسية على الكثير من مفكري الإصلاح في المشرق والمغرب ومنهم جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، عبد الحميد الزهراوي<sup>3</sup>، وعبد الحميد الزهراوي وعمر بن قنبر الجزائري وعبد الحميد ابن باديس. وقد كان للحركة السنوسية الدور الفاعل في مجريات الأحداث السياسية الإقليمية والدولية على امتداد الوطن العربي وشمال إفريقيا، وما زالت لها قواعدها الفكرية والاجتماعية الراسخة في سلوك وعلاقات قطاعات من العرب والمسلمين في ليبيا وفي جنوب شرق أفريقيا السمراء،... وباعتبار أن للحركة السنوسية فكراً ومنهجاً وبرامج عمل فكرية وسياسية واقتصادية واجتماعية لا تختص بشئون ليبيا وحسب ولكنها تتضمن و منذ نشأتها الأولى

<sup>1</sup> شكري، المرجع السابق ، ص ص 76، 80.

<sup>2</sup> محمد البهي، كتاب محاضرات في الفكر الإسلامي. القاهرة: المطبعة الأميرية 1957، ص 125.

<sup>3</sup> عبد الحميد الزهراوي، "السنوسية والجامعة الإسلامية حقائق نافع بيانها"، مجلة المنار، المجلد 10، الجزء 8، أكتوبر 1907، ص 588.

## الفصل التمهيدي: مفهوم النهضة والإصلاح وأهم حركتهما في البلاد العربية

إطاراً إسلامياً معتدلاً اسهم بشكل فاعل في نشر تعاليم الدين الإسلامي، وإصلاح الأوضاع الإجتماعية والسياسية في عدد من مناطق انتشارها<sup>1</sup>.

### 2- التيارات التجديدية المتفتحة (التوافقية).

ضمت هذه التيارات أشهر المصلحين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى حدود أواسط القرن العشرين. وهي تيارات في مجملها حاولت التوفيق بين الهوية الإسلامية والتمدن الأوربي بمؤسساته وقوانينه الوضعية. وتقرر لديها أن لا سبيل إلى مواجهة الغرب إلا بأساليب الغرب ذاته، وقد انحصرت أهداف الإصلاح عند هذه التيارات في بعث النهضة الإسلامية والاستفادة من معارف العصر، مع السعي إلى الاستقلال من هيمنة الاستعمار ورفع الغشاوة عن العقول، وهذه صورة مقتضبة عن بعض المصلحين الذين شاركوا في بناء النهضة الحديثة.

<sup>1</sup> الصلابي، المرجع السابق، ص 97.

## الفصل التمهيدي: مفهوم النهضة والإصلاح وأهم حركتهما في البلاد العربية

أ- جمال الدين الأفغاني (1839 - 1897م):\*

اتفقت أغلب المصادر حول النهضة على اعتبار أن جمال الدين الأفغاني هو الأول في الدعوة والتفكير بالصوت العالي، الداعي إلى استنهاض البلادين العربية والإسلامية، فقد أثر بشخصيته القوية على كثير من رجالات الإصلاح<sup>1</sup>، من أمثال محمد عبده ورشيد رضا\*\* وعبد الحميد الزهراوي وعمر بن قدير الجزائري وابن باديس

\* جمال الدين الأفغاني (1839-1897): هو محمد بن صفدر (صفدر أو صفتر كلمة فارسية معناها: مخترق الصفوف) الحسيني، جمال الدين. وُلد في أسعد آباد بأفغانستان، ونشأ بكابل. وتلقى العلوم الدينية والعربية وبرع في الرياضيات. وكان يُجيد اللغات العربية والأفغانية والفارسية والسنسكريتية والتركية. وله إلمام باللغات الإنجليزية والفرنسية والروسية. عرف بكثرة رحلاته؛ فقد سافر إلى الهند، وحج سنة 1856م وعاد إلى أفغانستان وأقام بكابل، وشارك في حكومة محمد خان. ثم رحل إلى الآستانة (إسطنبول) سنة 1868م وانضم إلى أعضاء مجلس المعارف. ونفي من تركيا إلى مصر سنة 1288هـ، 1871م؛ فاستقر هناك وعمل على نشر الإصلاح الديني والسياسي، وتلمذ على يديه كثيرون منهم الشيخ محمد عبده. ولما نفته الحكومة المصرية سنة 1879م رحل إلى حيدر آباد ثم إلى باريس التي أنشأ فيها مع تلميذه الشيخ محمد عبده جريدة العروة الوثقى. كما أقام نحو أربع سنوات في روسيا، ومكث قليلاً في ألمانيا، فالتقى بشاه إيران ناصر الدين، الذي دعاه إلى بلاده، فسافر إليها ثم رحل عنها إلى لندن بعد أن ضيق عليه الشاه. وسافر من لندن إلى الآستانة بدعوة من السلطان عبد الحميد الذي طلب منه الكف عن التعرض لشاه إيران، فترك التحريض على خلعه والكتابة عنه في الصحف. ومن أهم مؤلفاته "تتممة البيان في تاريخ الأفغان"، رسائل الفلسفة والعرفان" تاريخ الأفغان، وهو مطبوع؛ رسالة الرد على الدهريين، مطبوعة بترجمة تلميذه الشيخ محمد عبده. أنظر أكثر:

- جمال الدين الحسيني الأفغاني، محمد عبده، الآثار الكاملة، جريدة العروة الوثقى، الجزء الأول، ط1، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2001م، وأيضاً - محمد طهاري، مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده. الجزائر: دار الأمة، ط3، 1999.

<sup>1</sup> طهاري، المرجع السابق، ص 17.

\*\* محمد رشيد رضا : ولد رشيد رضا بقرية القلمون من جبل لبنان 18 أكتوبر 1865، درس بالمدرسة الرشيدية في مدينة طرابلس وتلمذ فيها على يد العلامة حين الجسر اهتم رضا بالعلوم الدينية بالموازاة مع العلوم الدنيوية هاجر الى مصر ورافق هناك الامام محمد عبده ناضل في مجلة المنار الى ان توفي في : 22 اوت 1935 انظر أكثر : خير الدين الزركلي : الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، المجلد 06، ط12. بيروت : دار العلم للملايين ، فيفري، 1997، ، ص126.

## الفصل التمهيدي: مفهوم النهضة والإصلاح وأهم حركتهما في البلاد العربية

ومالك بن نبي وغيرهم من رجال الإصلاح في العصر الحديث، وظلت أفكاره تحظى باحترام وتقدير خاص للمشروع النهضوي الإصلاحى ولرجالاته إلى غاية اليوم،

ولد الأفغاني سنة 1839م، في قرية "اسعد آباد" القريبة من كابل في أفغانستان، اشترك الأفغاني في الصراع السياسي والعسكري ضد الإنجليز، لكنه اضطر إلى مغادرة بلاده إلى مصر، ويقول الأفغاني عن حياته، " وأي نفع لما يذكر أنني ولدت سنة 1254هـ، وعمرت أكثر من نصف عصر، وأضطررت لترك بلادي "الأفغان" مضطربة تتلاعب بها الأهواء والأغراض، وأكهرت على مبارحة الهند، وأجبرت عن الإبتعاد عن مصر، إن شئت قل نفيت منها ومن الإستانة، ومن أكثر عواصم الأرض..."<sup>1</sup>.

قضى الأفغاني أيام مجده منذ استقراره في مصر سنة 1871م، وكان محرك لعملية البعث والثورة التي تفجرت فيها في ذلك الحين (ثورة عرابي، ثورة الأزهر)، حتى أصبح أبا للنهضة المصرية<sup>2</sup> التي علق بها الأمل في أن تكون نموذجا للإصلاح والنهضة. وكان الأفغاني يقابل بالرفض أينما حل بسبب أفكاره التي لم تكن تحظى بالقبول في ذلك الوقت، سواء في الهند أو إيران، وشارك في كل حركات التحرر والنهضة لتلك الشعوب، مما سبب له سخط الحكام عليه<sup>3</sup>.

تميزت دعوة جمال الدين الأفغاني الإصلاحية بنبرة التمرد على الواقع المرير، وبلغة الثورة والتحدي، من دون أن تخلو من الدعوة إلى الحوار الرصين، ولم يكن صاحب نزعة مثالية ساذجة، وإنما أراد أن يبين وجهة نظر ناضجة عن العلاقة بين الفكر والتطبيق، حيث يؤكد بأن " الملاحظة تحدث عن طريق الفكر " ثم يعود الفكر إلى

<sup>1</sup> محمد عمارة، الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، مع دراسة عن حياته وآثاره. القاهرة: دار الكتاب العربي،

1968. ص 12

<sup>2</sup> طهاري، المرجع السابق، ص 64.

<sup>3</sup> عمارة، المرجع السابق، ص 15.

## الفصل التمهيدي: مفهوم النهضة والإصلاح وأهم حركتهما في البلاد العربية

التأثر في العمل (الواقع)، ثم تستمر علاقات التأثير المتبادل لتحدث التغيير في كل شيء<sup>1</sup>.

للإشارة، فقد انطلق الأفغاني في دعوته الإصلاحية من فكرة أن المسلمين ما صاروا أمة إلا بحسن فهمهم لدينهم وما ضعفوا واستكانوا إلا بانحرافهم وابتعادهم عنه، وهي ذات الفكرة التي انطلقت منها أغلب الحركات الإصلاحية الإسلامية، إلا أن آراءه وصيحاته الثورية الإسلامية أثارت انتباه الجميع داخل البلاد الإسلامية وخارجها<sup>2</sup>.

كان عمل الأفغاني من أجل إنهاء الشرق بأجمعه عبر الدعوة إلى وحدة العالمين العربي والإسلامي، رافعاً شعار الجامعة الإسلامية في شخص الخلافة العثمانية؛ إذ كان هدفه وحدة الشعوب تحت حكومة إسلامية واحدة تكون في القوة والعلم والمدنية كأحسن البلاد الأوروبية. وقد اعتبر الثورة السياسية وسيلة لإصلاح أحوال الشعوب الإسلامية؛ فناهض الاحتلال الأجنبي، ودفع بالحركات التحررية الوطنية، التي كان تزخر بها البلاد الإسلامية. ودعا الأفغاني إلى إصلاح المسلمين دينياً واجتماعياً وسياسياً، ووضع خطته في جريدة "العروة الوثقى" لتتوير الرأي العام الإسلامي حتى يتفهم حقوقه وواجباته، في ظل حكم، يأتّم بالقرآن؛ أساسه العدل والشورى. وقد عمل الأفغاني من خلال مجلة "العروة الوثقى"، التي قام بتأسيسها بباريس مع محمد عبده، بتكليف من جمعية العروة الوثقى سنة 1884م، على الدعوة إلى الاتحاد والتضامن، والأخذ بأسباب النهضة، وتحرير الشعوب الإسلامية من الإستعمار<sup>3</sup>.

اعطى جمال الدين الأفغاني محتوى تحريراً لشعار الجامعة الإسلامية معادياً للإستعمار الذي كافحه طيلة حياته، حيث تساءل في العروة الوثقى، قائلاً " أنرضى

<sup>1</sup> عمارة، المرجع السابق، ص 19.

<sup>2</sup> نفسه، ص 23.

<sup>3</sup> محمد أبو زهرة، الوحدة الإسلامية. بيروت: دار الرائد العربي، 1978، ص 246.



## الفصل التمهيدي: مفهوم النهضة والإصلاح وأهم حركتهما في البلاد العربية

ونحن المؤمنون، وقد كانت لنا الكلمة العليا أن تضرب علينا الذلة والمسكنة، وأن يستبد في ديارنا وأموالنا من لا يذهب مذهبنا ولا يرد مشربنا، ولا يحترم شعيرتنا، ولا يراقب فينا الأذمة، بل أكبر همه أن يسوق علينا جيوش الفناء حتى يخلى من أوطاننا ويستخلف فيها بعدنا أبناء جلدته، والجالية من أمته"<sup>1</sup>.

ويمكن قوله عن مشروع الأفغاني، اجمالاً، أن مشروعه الإصلاحية كان له هدفين؛ الأول بعث الشرق وتنقية عقيدته وتكوينه تربوياً وعلمياً، والثاني مناهضة الاحتلال الأجنبي.

### ب- الإمام محمد عبده (1849-1905م) \*

يعد "الإمام محمد عبده" واحداً من أبرز المجددين في الفقه الإسلامي في العصر الحديث، وأحد دعاة الإصلاح وأعلام النهضة العربية الإسلامية الحديثة؛ فقد ساهم بعلمه ووعيه واجتهاده في تحرير العقل العربي من الجمود الذي أصابه لعدة قرون، كما شارك في إيقاظ وعي الأمة نحو التحرر، وبعث الوطنية، وإحياء الاجتهاد الفقهي لمواكبة التطورات السريعة في العلم، ومسايرة حركة المجتمع وتطوره في مختلف النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية، الأمر الذي أهله لأن يكون علامة فارقة في أعمال المجددين المسلمين<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> عمارة، الأعمال الكاملة...، المرجع السابق، ص 24.

\* محمد عبده : أحد أشهر دعاة الإصلاح الديني والاجتماعي والرائد الأول للإصلاح في الأزهر من مؤلفاته العروة الوثقى ، الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية انظر: يوسف اسعد داغر ،:مصادر الدراسات الأدبية من العصر الجاهلي الى عصر النهضة ج 01، ط2 ، لبنان ،المطبعة المخلصية دار الثقافة ،1961، ص ص 126، 131.

<sup>2</sup> بوصفصاف، المرجع السابق، ص 289.

## الفصل التمهيدي: مفهوم النهضة والإصلاح وأهم حركتهما في البلاد العربية

تأثر الإمام بعدد من الشخصيات التي وجهته إلى دراسة العلوم الأخرى بجانب العلوم الدينية، مثل الشيخ درويش خضر، والشيخ حسن الطويل ثم جمال الدين الأفغاني الذي نشأت بينه وبين عبده صداقة قوية، أساسها الدعوة للإصلاح<sup>1</sup>.

انطلق محمد عبده في حركته الإصلاحية من واقع المجتمع الإسلامي المتدهور، ومن أجل فهم هذا الواقع فقد زوج بين العلوم الدينية والعلوم الإنسانية والاجتماعية، فقرأ مقدمة ابن خلدون والحكام السلطانية للماوردي، وأطلع على كتب ابن سينا وابن رشد. كما قرأ منهج الحركة الوهابية في الحجاز والسنوسية في ليبيا، وقرأ لأستاذه جمال الدين الأفغاني ورافقه سنوات من حياته، مما تأثر أكثر بحركته ومنهجه الإصلاحية<sup>2</sup>، حيث اعتبر إصلاح أحوال المسلمين الداخلية هو الوسيلة لمناهضة الاستعمار. فانصرف إلى إصلاح العقيدة والمؤسسات الإسلامية كالأزهر والأوقاف والمحاكم الشرعية. ونظراً لأهمية التعليم في مشروعه اعتبر إصلاح الأزهر بمثابة إصلاح لأحوال المسلمين عامة. وفي مواجهة التيارات الغربية، التي عرف لها نشاط واسع في تلك المرحلة.

لقد كانت حركة الإصلاح توظفها تيارات مختلفة؛ الأول، يمثله فريق المحافظين الذين يرون أن الإصلاح الحقيقي للأمة إنما يكون من خلال نشر التعليم الصحيح بين أفراد الشعب، والتدرج في الحكم النيابي، وكان الإمام "محمد عبده" والزعيم "سعد زغلول" ممن يمثلون هذا التيار. والتيار الثاني، يدعو إلى الحرية الشخصية والسياسية تأسياً بدول أوروبا، وكانت نواته جماعة من المثقفين الذين تعلموا في أوروبا، وتأثروا بجو الحرية فيها، وأعجبوا بنظمها، ومنهم "أديب إسحاق". وكان هؤلاء ينظرون إلى محمد عبده

<sup>1</sup> عبد الحليم الجندي، الإمام محمد عبده، ط2. القاهرة: دار المعارف، 1987. ص ص 07-16.

<sup>2</sup> الجندي، المرجع السابق، ص 17.

## الفصل التمهيدي: مفهوم النهضة والإصلاح وأهم حركتهما في البلاد العربية

ورفاقه على أنهم رجعيون، ولا يوافقونهم فيما ذهبوا إليه من أن الإصلاح ينبغي أن يأتي بالتدريج<sup>1</sup>.

عند إندلاع الثورة العُرابية سنة 1882م\*، التف حولها الكثير من الوطنيين، وانظم إليها الأعيان وعلماء الأزهر، ومن بينهم محمد عبده، رغم أنه لم يكن من المتحمسين للتغيير الثوري السريع، وأصبح واحدًا من قادتها وزعمائها، فتم القبض عليه، وأودع السجن ثلاثة أشهر، ثم حُكم عليه بالنفي لمدة ستة سنوات، ويقول في هذا السياق أحمد أمين " لوحكنا منطوق الواقع فيما يحدث لقلنا أن الشيخ محمد عبده لا ينغمس في هذه الثورة العرابية مطلقاً لأنه لا يؤمن بالحكم النيابي السريع، وأنه لا يرضى أن تكون الثورة بيد العسكريين.."<sup>2</sup> انتقل خلالها إلى بيروت ثم إلى باريس، والعديد من العواصم الأوروبية. واشتغل خلالها ومارس التدريس والكتابة والتأليف إلى جانب العمل بالصحافة والعمل السياسي وتأسيس الجمعيات، وصاحب فيها الأفغاني وعمل معه في تأسيس

<sup>1</sup> هشام جعيط، " النهضة وحركات الإصلاح ومفهوم الثورة في البلاد الإسلامية الحديث"، جريدة المستقبل العربي، العدد 38، أبريل 1982، ص 13.

\* الثورة العُرابية: هي الثورة التي قادها أحمد عرابي في فترة 1879-1882 ضد الخديوي والتأثير الأوربي، وسميت آنذاك "هوجة عرابي". وإندلعت تلك الثورة إثر قرار طرد الضباط المصريين من الجيش المصري، وبعد أن علم الأدميرالي أحمد عرابي بهذه القرارات اجتمع في منزله مع مجموعة من الرفاق من قادة الجيش في ليلة 16 جانفي 1881، وأتفقوا على اختيار احمد عرابي نائباً عنهم وقام عرابي بكتابة عريضة يطالب فيها بعزل ناظر الجهادية (وزير) عثمان رفقي ووقع عليها هو وكل من الاميرالي علي فهمي وعبد العال حلمي، وفي صباح 17 جانفي توجهوا الي مقر نظارة الداخلية وسلموا العريضة وطلبوا تقديمها إلى رياض باشا، وفي 31 يناير اجتمع مجلس الوزراء برئاسة الخديوي وقرر تكليف وزير الحربية بإلقاء القبض على الضباط الثلاثة وتقديمهم للمحاكمة العسكرية. لكن الضباط المصريين رفضوا القرار، وقاموا بحركة تمرد، مما أذعن الخديوي لمطالبهم، لكن القوات البريطانية رفضت قرارات الخديوي وقاموا بحملة لضرب الثوار ووقعت عدة معارك في القاهرة والاسكندرية، وفي الخير فشلت الثورة في تحقيق مطالبها. أنظر أكثر:

- عبد الرحمن الرافعي، الثورة العرابية والاحتلال الانجليزي، ط4. القاهرة: دار المعارف، 1983.

<sup>2</sup> أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ط3. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1971، ص 326

## الفصل التمهيدي: مفهوم النهضة والإصلاح وأهم حركتهما في البلاد العربية

جمعية العروة الوثقى، وإصدار جريدة العروة الوثقى في باريس، كما التقى خلال هذه الفترة وتعرف وتجاوز مع العديد من الشخصيات الفكرية والسياسية غربيين وشرقيين<sup>1</sup>.

وحيثما عاد الشيخ عبده إلى بلده مصر، رجع وهو يحمل معه خبرات وتجارب ومعارف جديدة، عايشها ومارسها واكتسبها خلال الفترة التي أمضاها خارج مصر، فقد عاد بوعي وأفق جديدين، وشخصية جديدة، والأهم من ذلك أنه عاد إلى مصر ليبدأ دورة جديدة من الفاعلية والحيوية والانخراط في قضايا الشأن العام.

ومع هذه العودة، مثل الشيخ عبده طورا جديدا في أطوار تجربته الفكرية والإصلاحية، وعد هذا الطور الذي امتد إلى عقد ونصف العقد ما بين (1889-1905م)، من أكثر الأطوار تألقا وتميزا في تجربة الشيخ عبده، وذلك من جهة إبراز ذاتيته، وإثبات وجوده، وتحقيق أثره وتأثيره<sup>2</sup>.

ففي هذا الطور، أظهر الشيخ عبده شخصيته المستقلة، وتحددت بصورة ثابتة وواضحة اتجاهاته ومسلكياته الفكرية والإصلاحية، وكشف في هذا الطور أيضا عن منهجه وغاياته في التجديد والإصلاح الفكري والديني، كما أنه في هذا الطور ارتقى إلى أعلى المناصب الدينية حين أصبح مفتيا عاما للديار المصرية سنة 1899م. وقد ركز خلال هذه المرحلة على الإصلاح الاجتماعي، والذي حسبه لا يتم إلا عن طريق خلق المدارس بكثرة في كل أنحاء العالم العربي. وبهذه الطريقة تتم المعرفة بسرعة وتتقدم الشعوب العربية بتقدم العلم<sup>3</sup>.

كان هدف محمد عبده بأعماله وكتابته سد الثغرة القائمة في المجتمع الإسلامي لتقويته من الناحية الأخلاقية، وذلك بعدم الرجوع إلى الماضي بما فيه من جمود وبدع

<sup>1</sup> طهاري، المرجع السابق، ص 121.

<sup>2</sup> زكي الميلاد، "محمد عبده وتطور الفكر الإصلاحي"، مجلة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، مارس 2015.

<sup>3</sup> طهاري، المرجع السابق، ص 118.

## الفصل التمهيدي: مفهوم النهضة والإصلاح وأهم حركتهما في البلاد العربية

وخرافات، وينبغي ربط التقدم العلمي بمبادئ الإسلام؛ لأنه هو المبدأ الصالح للتغيير، فالإسلام ينطوي على أدوار عقلية وقوانين أخلاقية تجعله صالحا لأن يكون أساسا للحياة الحديثة.

لم يشأ محمد عبده أن يكون نسخة مكررة من أستاذه جمال الدين الأفغاني، بل أراد أو أرادت له طبيعته الخاصة أن يكون نموذجا آخر في ميدان الإصلاح، وعلى الرغم من هذا، فقد كان لأستاذه سلطة روحية عليه نفاذة، وكان يملك التأثير فيه وحمله أتباع ما ينهجه من طرق للإصلاح، ولهذا كان يشاركه في السير في طريق السياسة وشؤون الأحزاب والمطالبة بإصلاح نظم الحكم، ومناوأة العروش وذوي السلطة من المستبدين المعارضين للإصلاح. لكنه في سنوات عمره الأخيرة اعاد رسم خارطة الإصلاح الخاصة به، ويتخلص شيئا فشيئا من تأثير أستاذه، فيراجع فكره، ويستجيب أخيرا لطبيعته الهادئة التي تملي عليه طرقا ووسائل تختلف عن تلك التي كان يسير على مقتضاها.

كان محمد عبده يدرس "المشكلة" التي تواجهه مجردة من تلك العواطف الهائجة التي تثير كوامنها الحوادث المؤلمة، والأوضاع القاتمة التي تسود البلاد الإسلامية، ولطبيعته الدور الفعال في اتخاذه هذا الموقف، كما أن التجارب التي مرت به، وفشل الأسلوب السياسي، ومستوى المجتمع الذي يعيش فيه، كل ذلك ساهم أيضا في تكوين رأيه الذي استقر عليه<sup>1</sup>، مخالفا بذلك أستاذه جمال الدين الأفغاني.

والملاحظ، أن الشيخ عبده قد ترك تأثيرا كبيرا وممتدا، جعل منه موضوعا لحقل من الدراسات التي لم تتوقف على اختلاف وتنوع ميادينها الفكرية والدينية والفلسفية والكلامية والتربوية والإصلاحية، وأكثر ما تميز به الشيخ عبده أنه تمكن من تأسيس مدرسة فكرية وإصلاحية، عدت واحدة من أهم المدارس الفكرية التي ظهرت في مصر

<sup>1</sup> محمد حلمي عبدالوهاب، "مركزية الإصلاح في فكر محمد عبده"، جريدة الحياة، السبت، 22 أبريل 2017.

## الفصل التمهيدي: مفهوم النهضة والإصلاح وأهم حركتهما في البلاد العربية

والعالم العربي الحديث والمعاصر، وضمت رجالاً هم من ألمع الرجال الذين عرفتهم مصر في حقبتها الحديثة والمعاصرة، وجميعهم كانوا من طبقة المصلحين والمجددين.

كما نجد ضمن هذا التيار الكثير من رجال الإصلاح الذين حملوا على عاتقهم إصلاح الأوضاع الاجتماعية والسياسية في البلاد العربية، ومن بينهم، **عبد الرحمان الكواكبي (1848-1902م)** في سوريا\*؛ والذي عاش في العصر الأخير من الدولة العثمانية، واشتهر بنضاله الفكري ضد الاستبداد السياسي، وقاسى في سبيل ذلك الكثير من آلام الغربة والهجرة ووحشة السجن وعذاب الاضطهاد، فقد عادَ الحكم المطلق، من خلال كتابه "طبائع الإستبداد"<sup>1</sup>، الذي شخص فيه أمراض المسلمين، ورسم طرق معالجتها في كتابه "أم القرى" الذي وشحه باسم مستعار "السيد فراتي"<sup>2</sup>. كما يعتبر

**رفاعة الطهطاوي (1801 - 1873م)\*\*** في مصر من رجال الإصلاح الذين دعوا للانفتاح على الحضارة الأوروبية الحديثة فيما لا يخالف ثوابت شريعة الإسلام،

---

\* **عبد الرحمان الكواكبي (1848-1902م)**: هو عبد الرحمن أفندي ووالده الشيخ أحمد أفندي من آل الكواكبي ومن المدرسين في الجامع الأموي الكبير والمدرسة الكواكبية، وآخر وظيفة كان فيها عضوية مجلس إدارة ولاية حلب. تعلم القراءة والكتابة في المدارس الأهلية الابتدائية، ثم استحضر له أستاذ متخصص علمه أصول اللسانين التركي والفارسي. وتلقى العلوم العربية والشرعية بمدرسة الكواكبية المنسوبة لأسرته، وأخذ الإجازات من علمائها ودّرس فيها. وهو يقرأ ويكتب بالعربية والتركية، وقد تعلم العلوم الرياضية والطبيعية وبعض الفنون الجديدة بالمطالعة والمراجعة. ترأس تحرير الجريدة الرسمية "فرات" بقسميها التركي والعربي في سنة 1292هـ إلى سنة 1297هـ وجريدة الشهباء التي = أنشأها في حلب سنة 1293هـ وكان هو المحرر لها من مؤلفاته كتاب أم القرى، وطبائع الاستبداد. توفي في القاهرة مسموماً سنة 1902. أنظر أكثر:

- عمر رضا كخالة، **المستدرك على معجم المؤلفين**، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1985.

<sup>1</sup> عبد الرحمن الكواكبي، **طبائع الاستبداد ومصاع الاستعباد**، ط3. بيروت: دار النفائس، 2006.

<sup>2</sup> محمد عمارة، **عبد الرحمن الكواكبي شهيد الحرية ومجد الإسلام**. القاهرة: دار المستقبل العربي، 1984، ص 04.

\*\* **رفاعة الطهطاوي**: ولد قبل تولي محمد علي باشا بأربع سنوات، ودرس في الأزهر على مجرى العادة، فلما كان في شبابه كان عهد البعثات العلمية قد بدأ، فكان ضمن بعثة علمية إلى فرنسا قضت خمسة أعوام هناك (1826 - 1831م) فأنتن الفرنسية وقرأ أهم الأعمال الفكرية حينئذ، وسجّل هذه الرحلة في كتابه "تخليص الإبريز في تلخيص باريز"، ولما عاد إلى مصر كان من أهم رجال الدولة في مجال التعليم والترجمة وإدارة وإشرافاً ومتابعة، ثم حين مات =

## الفصل التمهيدي: مفهوم النهضة والإصلاح وأهم حركتهما في البلاد العربية

وبالرغم من إعجابه بالحضارة الأوروبية؛ أدرك خطورة الاحتواء والتبعية لتلك الحضارة، فدعا إلى التمسك بالسيادة والاستقلال. ورأى أن يبدأ الشرق من حيث انتهت أوروبا، فطالب بتحقيق الحرية الأوروبية في جميع المجالات الحيوية، ودعا أن يصبح الشرق ليبراليا في سياسته وفي اقتصاده بإقامة الشركات وإنشاء البنوك، واعتبر حرية الفلاحة والتجارة والصناعة أعظم ما ينبغي تحريره في المملكة المتمدنة؛ حيث تتحقق أعظم المنافع العمومية.

أما في بلاد المغرب فيمكن إعتبار **حمدان خوجة (1773-1840)**\* من أكبر مفكري العالم الإسلامي الذين ظهوروا في القرن التاسع عشر بل من أوائل دعاة التحديث

---

=محمد علي تغيرت الإرادة السياسية في عهد حفيده عباس، فنال الطهطاوي من ذلك النفي إلى السودان (1850م) بذريعة افتتاح مدرسة هناك، وكانت أياماً عصيبة عليه، ثم عاد إلى مصر بعد أربع سنوات حين مات عباس وخلفه سعيد (1854م) فعاد للطهطاوي بعض قدره وشيئاً من أيامه لثمان سنوات قبل أن يتغير عليه سعيد فيفصله ويغلق مدرسة أركان الحرب التي كان مديراً لها (1861م)، لكن لم تمض سنتان حتى مات سعيد وجاء إسماعيل (1863م)، وقد عاش الطهطاوي في زمن إسماعيل عشر سنوات ارتفع فيها شأنه وعادت له أيامه الأولى، وصار من واضعي المناهج التعليمية وعضواً في عدة لجان، وكان له نفوذ توجيه المطبعة المصرية (مطبعة بولاق) إلى نشر أعمال بعينها مثل مقدمة ابن خلدون، وظل على هذه الحال حتى توفي (1873م) أنظر أكثر:

- هيثم محيي طالب الجبوري و زينب حسين عبد الجبوري، "أثر الإصلاح العثماني في تطور الحركة الفكرية في الوطن العربي في العهد العثماني المتأخر"، مجلة بابل للعلوم الانسانية، المجلد 63، العدد 03، 2015، ص 1465.

\* **حمدان عثمان خوجة: ( 1775 - 1840م):** من المولدين الكراغلة، بمدينة الجزائر. وبها نشأ وتعلم. درس القانون على أبيه، ثم قام مقامه، بعد وفاته، وأصبح أستاذاً في الحقوق المدنية والقوانين الإسلامية. وفي سنة 1784م صحب خاله في زيارة لأهم مدن البلقان والقسطنطينية وغيرها. وفي سنة 1820 زار فرنسا وتعلم اللغة الفرنسية. وبعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، وعدم وفاء الفرنسيين بالشروط التي اشترطتها الحكومة العثمانية عليهم قبل أن تسلّم لهم البلاد، نظم الجزائريون بزعامة حمدان أول حزب وطني سياسي عرف بلجنة المغاربة أو حزب المقاومة، فقارع حمدان الاستعمار الفرنسي بقلمه ولسانه، فنفاه الفرنسيون من الجزائر، فكان أول عربي مسلم يطرد من وطنه من قبل دولة أجنبية = من أجل قضية وطنية. وبعد أن أقام مدة قصيرة في فرنسا (1833 - 1836م) سافر إلى استانبول حيث اشتغل بالتأليف والترجمة، والتحرير لجريدة «تقويم وقائع» إلى حين وفاته=.

## الفصل التمهيدي: مفهوم النهضة والإصلاح وأهم حركتهما في البلاد العربية

والتنوير في البلاد الفكر التنويري العربي في القرن التاسع عشر، فقد جعل حمدان خوجة من التراث والفكر الإسلامي القاعدة الأساسية التي يركز عليها في المحاجبة والإقناع بالنسبة للأوروبيين والاستناد على الفكر الأوروبي ومقارنته بهذا التراث في إقناع الجزائريين بالأخذ بالمدنية الغربية، واستعمال وسائلها من أجل الدفاع عن القضية الجزائرية، ويظهر ذلك جليا من خلال العرائض والشكاوي والرسائل والتقارير التي كان يكتبها للرأي العام الفرنسي والعثماني على حد سواء في الدفاع عن القضية الجزائرية<sup>1</sup>.

لقد تعرضت أفكار حمدان خوجة وأعماله للتجاهل والحصار من طرف الاستعمار الفرنسي، خاصة تغييب كتابه "المرأة"، حيث كشف فيه سياستها الاستبدادية أمام الرأي العام<sup>2</sup>، مكن ولع حمدان خوجة بالسفر من الاطلاع على آثار النهضة الأوروبية، وذلك ما جعله عارفا بمشاكل الساحة السياسية والعسكرية الأوروبية، ومطلعا على حقيقة الصراع بين الأحلاف والكتل، فكان بذلك متقدما في التعرف على المدنية الأوروبية من كثير من المفكرين النهضويين على الساحة العربية.

---

=من آثاره «المرأة» فرغ من تأليفه سنة 1833م، و «إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس عن الوباء». و «حكمة العارف بوجه ينفع لمسألة ليس في الإمكان أبداع» رسالة، شرح فيها قول الإمام الغزالي «ليس في الإمكان أبداع مما كان» فرغ منها سنة 1837م. أنظر أكثر:

- حميد عمراوي، دور حمدان خوجة في تطوير القضية الجزائرية (1827-1840). قسنطينة (الجزائر): دار البعث، 1987م.

<sup>1</sup> حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، (تقديم وتعريب وتحقيق: محمد العربي الزبيري)، الجزائر: الوكالة الوطنية للنشر والإشهار، 2005، ص 09.

<sup>2</sup> عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ط 6. بيروت: دار الثقافة، 1983، ص 38.



## الفصل التمهيدي: مفهوم النهضة والإصلاح وأهم حركتهما في البلاد العربية

ويعد أيضا حمدان خوجة أول من نادى واستعمل عبارة "الجزائر للجزائريين"<sup>1</sup> وفق المفهوم الوطني الذي كان سائدا في النصف الأول من القرن التاسع عشر، مؤكدا أن الجزائر تشترك في مقومات كثيرة مثل الشعوب الأوروبية، ولهذا بذل كل مساعيه من أجل الدفاع عن القضية الوطنية، حيث جاء على لسانه مبرزا وطنيته الفذة "إني جزائري، محب للإنسانية، فمن واجبي إذن أن أتعرف أغوار قضية الجزائر ومشاكلها، ومصدر بؤسها، وسبب الحرب فيها، وحقيقة أوضاع شعبها، قبل الاحتلال الفرنسي وبعده"<sup>2</sup>، لقد طالب باستقلال الجزائر واقترحه على فرنسا كحل لمشكلة بلاده قائلا: "ومن الأحسن لفرنسا أن تخلي البلاد من جنودها، وتترك الحكم لسكانها، فلماذا لم تسلك سبيلها في الجزائر مثلما سلكته في مصر؟.."<sup>3</sup>، بل زاد على ذلك بقوله "فإذا كان حب وطنكم راسخا في قلوبكم، فغير ممكن عدم استجابتكم لمطالبة حقوقنا. وكيف لا، ونحن مثلكم في حب وطننا؟"<sup>4</sup>

ارتكزت النظرية السياسية لدى حمدان خوجة على مبادئ الثورة الفرنسية (الحرية والمساواة والإخاء)، والتي لا تتنافى مع روح الشريعة الإسلامية -حسبه- لاسيما فيما يخص النظام الجمهوري الذي أعجب به حمدان خوجة حين أشار إلى معرفة الجزائريين للنظام الجمهوري في ظل الحكم العثماني، فهو من وجهة نظره لا يتعارض مع ما تدعو إليه فلسفة الأنوار إذ يقول: "... وبعبارة أوضح نستطيع القول بأن الجزائريين اختاروا

<sup>1</sup> محمد بن عبد الكريم، من أعلام الجزائر حمدان بن عثمان خوجة الجزائري ومذكراته، ط 1. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1972، ص 190.

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 203.

<sup>3</sup> نفسه، ص 200.

<sup>4</sup> بن عبد الكريم، المرجع السابق، ص 205

## الفصل التمهيدي: مفهوم النهضة والإصلاح وأهم حركتهما في البلاد العربية

مبادئ الحكم الجمهوري ورئيس الجمهورية هو الـداي" <sup>1</sup>، ثم نجده يجري مقارنة فيما يخص النظام الجمهوري في كل من الجزائر وأوروبا حيث يقر بوجود فرق بسيط في التطبيق، إذ يقول "وفي أثناء رحلتي إلى أوروبا، درست مبادئ الحرية الأوروبية التي تشكل أساس الحكم التمثيلي والجمهوري، ووجدت أن هذه المبادئ كانت تشبه المبادئ الأساسية لشريعتنا إذا استثنينا فارقا بسيطا في التطبيق، وعليه فكل من يدرك الشريعتين إدراكا صحيحا يستطيع الموافقة بينهما<sup>2</sup>.

أما خير الدين التونسي (1810 - 1890م)\* فيعتبر هو الآخر من أوائل رواد الإصلاح في البلاد الإسلامية، تقلد مناصب سامية، وأدخل النظم الغربية الحديثة إلى تونس، مُدركا أن سرَّ تفوق أوروبا كامنٌ في قوتها الاقتصادية. أراد خير الدين أن تشترك الرعية في توجيه سياسة الدولة. ورأى أن الليبرالية في الاقتصاد تؤدي إلى الاستثمار والرخاء، ووضع في مقدمة كتابه "أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك"<sup>3</sup> خلاصة آرائه

<sup>1</sup> خوجة، المرجع السابق، ص 127.

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 4.

\* خير الدين التونسي، أو خير الدين باشا، ولد عام 1820 في قرية بجبال القوقاز. وتوفي والده في إحدى المعارك العثمانية ضد روسيا، وأسر وهو طفل وبيع في إسطنبول لـتحسين بك القبريصي الذي رباه تربية خاصة. وفي عام 1837، اشتراه والي تونس "أحمد باشا" من سيده وأخذَه إلى قصره في تونس وهو في السابعة عشر من عمره. وتمكن خير الدين باشا من تعلم الفنون العسكرية والسياسية والتاريخ، كما تعلم ثقافة واللغة الفرنسية جيدا. تولى خير الدين باشا عددًا من المناصب الرفيعة في حياته، ومنذ عام 1869 وحتى عام 1868 عاش خير الدين باشا بعيدا عن السياسة، وفي هذه الفترة ألف كتابا تحت اسم "أقوم المسالك في معرفة الممالك"، وطبع هذا الكتاب في مطبعة في تونس. وفي عام 1870 عاد خير الدين باشا إلى ساحة السياسة، وتولى منصب رئاسة الوزراء وقام بالكثير من الإصلاحات، قدم خير الدين باشا إلى إسطنبول في عام 1878، وطلب السلطان عبد الحميد الثاني الاستفادة من جهوده في الإصلاح وعينه صدراً أعظم، ولكن في عام 1879 استقال باشا من منصبه. وقضى باقي عمره في منطقة "كورو جشمة" بإسطنبول، وتوفي عام 1890. أنظر أكثر:

- محمد بن موسى الشريف، "أبو النهضة التونسية خير الدين التونسي"، مجلة المجتمع، 26 أبريل 2016.

<sup>3</sup> خيرالدين التونسي، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، ط1. تونس: مطبعة الدولة، 1284هـ.

## الفصل التمهيدي: مفهوم النهضة والإصلاح وأهم حركتهما في البلاد العربية

في التمدن، فحَفَزَ هِمَمَ الساسة ورجال العلم للنهوض بالأمة الإسلامية حتى تستعيد أمجادها، وفي عهد أحمد باي (1837 - 1855م) تحققت إصلاحات هامة في مجالات تنظيم الجيش، وإصلاح الأوضاع الإدارية والجبائية، وإنشاء المصانع العصرية، مع هياكل جديدة للدولة وتطوير نظام التعليم<sup>1</sup>.

ومما سبق، يمكن القول أننا عرجنا على أهم وأبرز المدارس الإصلاحية المعاصرة التي كانت سائدة في مرحلة ما قبل وخلال فترة حياة المصلحان عمر بن قنور وعبد الحميد الزهراوي، لمعرفة المنابع الأولى لأفكار الرجلين الإصلاحية، في شتى المجالات، وسوف نلاحظ فيما سيقدم من فصول الأثر البارز لهذه المدارس الفكرية في عمل عبد الحميد الزهراوي وعمر بن قنور.

### سادسا: مجالات الإصلاح

تعددت رؤى المشاريع الإصلاحية التي عرفها العالم العربي والإسلامي في القرن التاسع عشر في وصف الداء، وتوصيف الدواء لحال الأمة، مع اتفاقها على ضرورة الإصلاح والتغيير للحالة المتردية التي أصابتها في تلك الفترة. وهذا التعدد في الآليات والإختلاف في الأولويات يعود في الأساس إلى الإختلاف المنهجي في طريقة تحقيق الإصلاح، والقضايا التي تحتاج إلى إصلاح وتغيير، والإختلاف أيضا في المنبع الذي أنتج هذه الرؤى وهو المصادر والمرجعية الفكرية لهذا المشروع أو ذاك.

يتضح من طبيعة الحركات الإصلاحية، أنها أهتمت بالقضايا الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وقد عاصرت هذه الحركات الإصلاحية واقعا إسلاميا مترديا، وواقعا أوربيا متقدما في تلك المجالات يتميز بالتفكير في تطوير الحياة المعاصرة مدنيا وقانونيا واجتماعيا وعلميا.

<sup>1</sup> بن موسى الشريف، المرجع السابق.

## الفصل التمهيدي: مفهوم النهضة والإصلاح وأهم حركتهما في البلاد العربية

### 1\_الإصلاح الديني:

حاولت الحركات الإصلاحية في العالم العربي والإسلامي أن تعمل على بعث الحقيقة الإسلامية، وذلك بتتقية الدين مما علق به من بدع وضلالات، والعودة به إلى منابعه الأولى. فكان رفض الجمود والتقليد وفتح باب الاجتهاد، وتم تفسير الدين تفسيراً جديداً يتلاءم مع حاجات العصر الحديث، مع الحفاظ على الهوية الإسلامية وإثبات وجودها الحضاري، ونجد أن أبرز المشاريع الإصلاحية التي جعلت الأولوية للإصلاح الديني كمدخل منهجي لكافة فروع الإصلاح الأخرى، في المقام الأول الحركة الوهابية، وقد اتخذت من التوحيد والسنة منطلقاً، وناقشت قضايا الشرك في العبادة، وتصحيح العقائد من البدع والمحدثات، وجعلت ذلك مدخلاً للإصلاح السياسي والحضاري العام، وتم توظيفها لخدمة الإصلاح العقدي، ونشر الدعوة إلى التوحيد والسنة.

أما المدرسة الإصلاحية الثانية، والتي يمكن نسبتها إلى الشيخ محمد عبده، والهدف الأساسي في مشروعه هو نهضة الأمة المنكسرة أمام تطور الغرب المادي، ومدخل هذه النهضة يتم من خلال الإصلاح الديني، لان التخلف الحاصل في الأمة جاء بسبب ترسب مفاهيم دينية خاطئة، ولا يتم الخروج منه إلا بحركة إصلاح ديني تشبه حركة الإصلاح الديني البروتستانتية التي قام بها مارتن لوثر، وكانت هي المخرج لأوروبا الحديثة من خرافات الكنيسة، وهي البوابة لزوال التخلف عنها<sup>1</sup>، وهو بهذا الاعتبار يدخل في الإصلاح الديني، ولكن نهاية مشروعه يعنى بالجانب المدني، فهو يتذرع بالإصلاح الديني للوصول لغاية الإصلاح المطلوب لديه وهو المدنية الحضارية.

انتشرت لدى مفكري الإصلاح في ذلك الوقت فكرة "المستبد العادل وإن كانت الفكرة في أصلها أوروبية المنشأ، فإن فكرة المستبد العادل لدى الاصلاحيين العرب مستوحاة من التراث العربي، وتبدو الدعوة الإصلاحية إلى المستبد العدل متناقضة مع

<sup>1</sup> محمد رشيد رضا، "مارتن لوثر وابن تيمية"، مجلة المنار، المجلد 15، جزء 7، ص 542.

## الفصل التمهيدي: مفهوم النهضة والإصلاح وأهم حركتهما في البلاد العربية

الحكم الدستوري والشورى التي تكافىء الديمقراطية التي طالما نادوا بها ، إلا أن الظروف التاريخية التي تولدت فيه هذه الفكرة ينبىء عن سبب المطالبة بالمستبد العادل، نظرا لما تتعرض له الأمة من إعتداء خارجي وجهل داخلي؛ فالأفغاني يدعو إلى استبداد عادل يقترب من مفهوم الملكية، حيث يقول "لا تحيا مصر ولا يحيا الشرق إلا إذا أتاح الله له رجلا عادلا قويا يحكمه بأهله على غير المتفرد بالقوة والسلطان، لأن بالقوة المطلقة الاستبداد"<sup>1</sup>.

ويؤكد محمد عبده هذه المطالبة بشكل صريح من خلال الدعوة إلى "مستبد يكره المتناكرين على التعارف" يحمل الناس على رأيه لمنافعهم بالرهبة إن لم يحملوا أنفسهم على ما فيه سعادتهم بالرغبة، عادلا لا يخطو خطوة إلا ونظرته الأولى إلى شعبه، وهو بذلك يؤيد فكرة الأفغاني في المستبد العادل، ويرى أن الأمة بما تعانيه من أمراض وجهل، وتخلف ليست مؤهلة للعمل السياسي، فالإصلاح الديني هو المقدمة للعمل السياسي، ولهذا يرى أن المستبد العادل أفضل للأمة من الديمقراطية<sup>2</sup>.

**2\_الإصلاح السياسي:** شاركت الحركات الإصلاحية العربية والإسلامية كافة في العمل السياسي من وقت مبكر، وقد ظهرت أولوية الإصلاح السياسي من خلال الإهتمام بالهوية، ومحاربة التغريب، والمطالبة بتحكيم الشريعة إلى الدعوة للحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان والتعددية، والاعتراف بالآخر وغيرها من المفاهيم ذات الصلة بالديمقراطية الغربية، وذلك لمواجهة سلطة استبداد الباب العالي من جهة، وحملات التغريب التي كانت تقوم بها القوى الأوروبية في ذلك الوقت<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> محمد المخزومي، خاطرات جمال الدين الأفغاني. بيروت: دار الحقيقة، 1980، ص 78.

<sup>2</sup> محمد عبده، الأعمال الكاملة، الجزء 03، ط1، تحقيق وتقديم: محمد عمارة. القاهرة: دار الشروق ، 1993، ص 215.

<sup>3</sup> علي أومليل، "في معنى التنوير"، في كتاب جماعي بعنوان: حصيلة العقلانية والتنوير في الفكر العربي المعاصر. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2005، ص 141.

## الفصل التمهيدي: مفهوم النهضة والإصلاح وأهم حركتهما في البلاد العربية

وأصبحت الدعوة إلى الحرية والانتخابات لبعض الحركات الإصلاحية تأتي في المقدمة وسابقة الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، فالحرية لها أولوية قصوى على كافة مجالات الإصلاح، وطالب البعض بتأجيل كافة القضايا الشرعية حتى تتحقق الحرية والديمقراطية، وارتبط بهذه القضية المحورية في الخطاب الإصلاحي المعاصر عدد من المسائل والمواقف المنهجية حول نظام الحكم والعلمانية<sup>1</sup>.

كانت الحركات الإصلاحية تقوم بدور تشريح الأوضاع الداخلية للعالم الإسلامي، وتنبّه إلى الأخطار المحدقة بالمشرق عموماً وتدعو إلى تحريره من السيطرة الأوروبية، والتمسك بالخلافة الإسلامية ممثلةً في الخلافة العثمانية كما هو حال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده. وقد انصرفت جهود المصلحين إلى معالجة نظام الحكم ووضع تصورات لعلاقة الحاكمين بالمحكومين وذلك بتنظيم الحكومات وتوفير المجالس النيابية والحرية السياسية مع التثبيت بالوحدة الإسلامية قصد مقاومة الغزو الأوروبي، وتم نشر أفكار الحرية والعدالة والمساواة والديمقراطية والدستور<sup>2</sup>.

**3\_الإصلاح الاجتماعي:** كان الانفتاح على التفكير الأوربي الدائر حول الحقوق والواجبات وطبيعة المجتمع، فدعا المصلحون إلى العناية بالفرد والجماعة وذلك بتحقيق الكفالة والعدالة الاجتماعيين، وطالبوا بالحرية العامة مثل حرية التفكير والاجتماع، ودعوا إلى خلق التجانس والتماسك الإسلامي وإحلال قيم اجتماعية جديدة ومحاربة أسباب التخلف ومشكلة الغنى والفقر بأساليب مختلفة.

**4\_الإصلاح الإقتصادي:** حاول بعض المصلحين الاستفادة من بعض النظريات الاقتصادية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وخاصة ما يتصل منها بالنزعة

<sup>1</sup> العربي صديقي، البحث عن ديمقراطية عربية:الخطاب والخطاب المقابل،(ترجمة:محمد الخولي وعمر الأيوبي).ط1. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2005، ص 29.

<sup>2</sup> صديقي، المرجع السابق، ص 443.

## الفصل التمهيدي: مفهوم النهضة والإصلاح وأهم حركتهما في البلاد العربية

الاشتراكية، فكان الحديث عن رأس المال وفائض القيمة وتوزيع الإنتاج وتنظيم الثروات، وتوفير التجهيزات الأساسية بالنواحي الاقتصادية مع العناية بقضايا الفلاحة والتجارة.

**5\_الإصلاح الثقافي:** عني المصلحون بقضايا التعليم بصفة خاصة في مشروعهم الإصلاحية، وعرف الشرق طفرة في مجالات المعرفة ما تزال آثارها بارزة في حياتنا اليوم.

ومما سبق، يمكن القول أن الحركات الإصلاحية في العالم العربي والإسلامي عبرت بشكل واعي عن يقظة الشعوب العربية والدخول إلى معركة التحديث ومواجهة كل مظاهر التخلف والانحطاط الفكري والأخلاقي والاستبداد السياسي. ولم تكن طريق حركات الإصلاح الرئيسية سهلا في ظل الضغوطات الأجنبية والإدارة العثمانية، لكن عزمهم وإصرارهم على تأسيس اللبنة الأولى للإصلاح كان هو السبيل الذي انتهجته أغلب الحركات الإصلاحية في القرن العشرين وحتى المرحلة الراهنة، ولا زال الثرات الفكري للمصلحين الأوائل يعتبر الأساس في أي حركة إصلاحية و في أي مجال من مجالات الإصلاح.

إن سعى المصلحين إلى نهضة شاملة وتنظيم البلاد اقتصاديا وسياسيا على الطراز الأوربي أو بالعودة إلى العهد الأول للدولة الإسلامية كانت تواجههم حركات مضادة مدعومة بقوى أجنبية وجماعات محلية، هدفها الأساس إبقاء حالة التخلف على ما هي عليه للحفاظ وتسهيل مهمتها في استنزاف خيراتهم.

## الفصل الأول:

### البيئة السياسية والاجتماعية

#### لعصر عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي

المبحث الأول: الظروف السياسية والاجتماعية للجزائر في بداية القرن العشرين.

أولاً: الأوضاع السياسية

ثانياً: الأوضاع الاجتماعية

ثالثاً: الأوضاع الاقتصادية

رابعاً: الأوضاع الثقافية والتعليمية

المبحث الثاني: الظروف السياسية والاجتماعية لبلاد الشام في بداية القرن العشرين.

أولاً: الأوضاع السياسية

ثانياً: الأوضاع الاجتماعية

ثالثاً: الأوضاع الدينية

رابعاً: الأوضاع الثقافية والتعليمية

خامساً: الأوضاع الاقتصادية

خلاصة الفصل.



عرفت المنطقة العربية نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين العديد من التحولات انعكست سلبا وايجابا على تاريخ وجغرافية المنطقة، ولا تزال آثارها ممتدة إلى غاية اليوم، وهي ذات الفترة التي ولد ونشأ في ظلها كل من عمر بن قذور الجزائري وعبد الحميد الزهراوي، ولذلك سنحاول من خلال هذا الفصل فهم وتحليل أوضاع ومميزات هذه المرحلة وانعكاساتها على البيئة الاجتماعية والسياسية والمنظومة الفكرية، التي كانت سائدة في كل من الجزائر وبلاد الشام بداية القرن العشرين، والعوامل التي أسهمت في تشكيل وتكوين تلك المنظومة على النحو الذي ظهرت عليه، وبخاصة لدى الجيل الثاني\* من المفكرين النهضويين في المغرب والمشرق العربيين، حتى نستطيع الوقوف على المحددات الرئيسية التي حكمت السيرورة الفكرية والسياسية - الاجتماعية لأولئك المفكرين في سعيهم من أجل تحقيق هدف النهضة والإصلاح.

وقد كان عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي نموذجان بارزان لهؤلاء المفكرين الذين واجهوا تحديات كثيرة على مستوى المجتمع والسلطات الحاكمة، من أجل تمرير مشاريعهم الإصلاحية عبر صفحات الجرائد التي يكتبون فيها، والمنابع التي يتحدثون عليها.

ونسعى من خلال هذا الفصل إلى معالجة بيئتي عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي، وإبراز دور البيئة الاجتماعية والسياسية والثقافية التي نما وتطور فكر الرجلين في ظلها، حيث نتناول في المبحث الأول؛ المعنون بـ "الظروف السياسية والاجتماعية للجزائر في بداية القرن العشرين"، أهم التحولات التي أحدثها الاستعمار الفرنسي على البنى الاجتماعية، السياسية، الثقافية والاقتصادية للمجتمع الجزائري. كما سنحاول من خلال هذا المبحث معرفة كيفية انبعاث التيار الاصلاحى الجزائري، وتحديه كل تلك الظروف الصعبة من أجل تحقيق الإصلاح الذي رسموه لمجتمعهم.

\* إذا اعتبرنا كل من جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده يمثلان الجيل الأول من المصلحين في المنطقة الإسلامية.

أما المبحث الثاني؛ المعنون بـ"الظروف الاجتماعية والسياسية لسوريا في بداية القرن العشرين"؛ فتناولنا أيضا الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية لسوريا في ظل حكم العثمانيين، وتبيان طبيعة الممارسات التي انتهجها مختلف ولايات المدن السورية الرئيسية لمجابهة أي حراك اجتماعي يخلق ثورة عربية ضدهم، كما تناول المبحث آليات تحكم الدولة العثمانية على المقدرات الاقتصادية في البلاد، لخدمة الباب العالي، دون أن ينعكس على المستوى المعيشي للسكان، وكيف اثرت هذه الأوضاع على الممارسة السياسية للنخبة ومساعدتهم لتحقيق النهضة والإصلاح سواء في إطار الدولة أو خارج نسقها السياسي والتنظيمي.

### المبحث الأول: الظروف السياسية والاجتماعية للجزائر في بداية القرن

#### العشرين:

عاصر عمر بن قذور الكثير من التحولات السياسية والاجتماعية التي افرزتها الجمهورية الثالثة (1870-1940)\* في الجزائر وفرنسا، ورغم أن هذه الجمهورية عرفت 14 رئيسا للجمهورية، وعشرات الحكومات التي كانت تظهر وتسقط في ظروف معينة، فإنها لم تختلف في نظرتها للجزائر، وظلت النظرة الاستعمارية مشتركة فيما بينها<sup>1</sup>. فلم يعرف الجزائريون في ظلها إلا الحكم العسكري البوليسي، الذي ظل مسلطا عليهم طيلة الوجود الاستعماري في البلاد.

---

\* الجمهورية الفرنسية الثالثة: بالفرنسية (La Troisième République)، وتكتب (La IIIe République)، أعلنت الجمهورية الفرنسية الثالثة في أعقاب الهزيمة الساحقة التي مني بها الإمبراطور نابليون الثالث على يد الجيوش الألمانية التي استولت على إقليم الألزاس واللورين. استمرت الجمهورية الفرنسية الثالثة من عام 1870 حتى عام 1940 عندما سقطت باريس في قبضة الألمان، وتتصيب الجنرال بيتان رئيسا للحكومة الفرنسية الجديدة الموالية لألمانيا التي عرفت باسم حكومة فيشي. اتسمت سنوات الجمهورية الفرنسية الثالثة بالاضطرابات السياسية المستمرة وتعاقب الحكومات. أنظر أكثر:

- نادية زروق، سياسة الجمهورية الفرنسية الثالثة في الجزائر 1870-1900. الجزائر: دار هومة، 2014. ص15.

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945م، ج 3، ط3. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986، ص 54.

تعتبر الفترة الممتدة من سنة 1900 إلى سنة 1930 فترة تحول هام في تاريخ وكفاح الشعب الجزائري ونضاله ضد الاحتلال الفرنسي، حيث برزت روافد جديدة للكفاح ضد الاستعمار، بعد أن ساد الاعتقاد بين جموع الجزائريين، وخاصة النخب منهم، بأن الإعتماد على المقاومة المسلحة غير المنظمة والمحدودة إقليمياً والضعيفة عسكرياً<sup>1</sup>، لم يعد كافياً وحده لتحرير البلاد، وإجبار سلطات الاحتلال على الرضوخ لمطالب الشعب الجزائري، فكان من أهم وسائل الكفاح الجديدة التي اعتمدت عليها الحركة الوطنية مع نهاية القرن 19م وبداية القرن العشرين، الصحافة، الجمعيات، والنوادي الثقافية، أساليب أفرزتها التطورات الحاصلة في الجبهة الداخلية والدولية، لتبدأ مرحلة جديدة للمقاومة سمتها السلمية وأساليبها العمل السياسي، وهدفها الحفاظ على روح المقاومة في جسد الشعب، التي راهن المستعمر على نزع فتيلها بكل الإغراءات المادية والوسائل القمعية.

وبذلك، يمكن اعتبار مطلع القرن العشرين بمثابة تحول تاريخي في مسار النضال الوطني، جراء الفعالية التي أحدثتها الصحافة الجزائرية سواء كانت باللغة العربية أو الفرنسية، ومثلت هذه المرحلة عهداً جديداً للجزائريين سواء فيما يخص السياسة الفرنسية المتبعة في الجزائر، وكذا وضعية الجزائريين في مختلف الميادين حيث شهد هذا التحول ميلاد، أو إعادة ميلاد وبعث التراث الفكري، والحضاري للأمة الجزائرية من خلال عمل بعض النخب الجزائرية على إحياء التراث الثقافي الجزائري والانخراط في عمليات التأليف والترجمة، وربط أواصر العلاقات بين المشرق العربي ومغربه، وفي الوقت نفسه توجهت فئة أخرى إلى الغرب في محاولة للاستفادة من الحضارة الغربية، والعمل على ردم الهوة التي أصبحت تفصل بين العالمين الغربي والإسلامي في مجال التطور العلمي والتقني<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> خيثر عبد النور و(آخرون)، منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 . الجزائر: المطبعة الرسمية 2007، ص 230.

<sup>2</sup> سعد الله، الحركة الوطنية..، المرجع السابق، ص85.

لم يتبلور المسار الجديد في أساليب النضال من الفراغ، وإنما جاء استجابة لظروف سياسية واجتماعية وثقافية ساهمت في الخروج من مرحلة الكفاح المسلح الذي ساد القرن 19م، فأوقف دور السلاح ليحل محله دور القلم وأسلوب البعث الحضاري، والوعي الفكري ضمن النضال السياسي الذي بلوره رجال الفكر والإصلاح وتيارات الحركة الوطنية.

### أولا - الأوضاع السياسية:

اتبعت فرنسا في الجزائر سياسة استعمارية ذات طابع استيطاني كان هدفها القضاء على كل المقومات الحضارية للشعب، من أجل إخضاعه والتحكم فيه. وتجلى ذلك بصورة واضحة في الطريقة التي أدارت بها مستعمرة الجزائر، فقد تم حكم البلاد طوال الأربعين سنة الأولى من الاحتلال من قبل حكام عسكريين، كان حكمهم مركزيا في باريس تارة، وفي مدينة الجزائر تارة أخرى، وتميز تسيير شؤون المستعمرة بالفوضى وللاستقرار وتضارب المصالح والتخصصات بين أجهزة الحكم المختلفة.

في 22 جويلية 1834، صدر المرسوم الملكي الذي نص بأن الجزائر من الممتلكات الفرنسية في إفريقيا، أوكل بموجبه مهمة قيادة جيش الاحتلال وإدارة الممتلكات الفرنسية في شمال إفريقيا لحاكم عام يخضع لوزير الحربية، يساعده مجلس إدارة يضم عددا من كبار ضباط الجيش ومعتمد مدني ووكيل عام ومدير مالية. وحكمت الجزائر في هذه الفترة بنظام المناشير الملكية، ماعدا ما يتعلق بشؤون الحرب والبحرية اللتين ظلتا لدى الوزارتين المعنيتين بهما<sup>1</sup>.

وبعد تقسيم الجزائر إلى منطقة مدنية وأخرى عسكرية عام 1844، أنشئ مجلس استشاري واستحدث منصب مدير للشؤون المدنية لمساعدة الحاكم العام. وبموجب قرار 16 أوت 1848، ألحقت شؤون التعليم والدين بوزارتي التعليم والدين في باريس، وأعقب ذلك بأربعة أيام قرارا ثانيا ألحقت بموجبه شؤون العدل بالوزارة المختصة، ثم شؤون الجمارك بوزارتها في 20 أكتوبر من العام نفسه. الغت الحكومة الفرنسية بعد

<sup>1</sup> أمزيان حسين، النظام الإداري الفرنسي في الجزائر: دراسة تاريخية عن دائرة باتنة بين 1870-1919، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، 1991، جامعة الاسكندرية(مصر)، ص 25.

عشر سنوات من قرار اللاحق، وأُنشئت وزارة الجزائر والمستعمرات التي لم تعمر طويلا، وألغيت بعد سنتين ونصف من إنشائها، وأعيد الحاكم العام إلى الجزائر وفي يده كل السلطات العليا ما عدا التعليم والعدل اللذان احتفظت بهما وزارتهما في باريس<sup>1</sup>.

ويرأس الحاكم العام إلى جانب المجلس الأعلى للحكومة المجلس الاستشاري، وفي عام 1863م جاء نابليون الثالث بفكرة "المملكة العربية" إلا أنها قوبلت بمعارضة شديدة من طرف المستوطنين في الجزائر، وإثر سقوط حكم نابليون في 1870م وقيام الجمهورية الثالثة، انتقلت السلطة من الجيش إلى أيدي المدنيين الذين عدلوا من الهيكل الإداري للجزائر، عمل الجهاز التشريعي الفرنسي في ظل الجمهورية الثالثة على إحلال نظام مدني يوفق بين مصالح الأوروبيين والجزائريين<sup>2</sup>، وفق التنظيم التالي:

### 1 - التنظيم الإداري:

أ - **الحاكم العام** : موظف مدني كبير يتبع وزارة الداخلية الفرنسية، وينفذ أوامرها، ويمثل أعلى سلطة في الجزائر ويعاونه مستشارون، وفي 1898 م استحدث "مجلس الحكومة الأعلى" لمساعدة الحاكم العام، ويتشكل من قائد القوات البرية والبحرية ومفتش الأشغال العمومية، ومفتش المالية، ومن أهم وظائفه وضع ميزانية الجزائر.

ب - **العمالات**: قسمت الجزائر إلى ثلاث عمالات (ولايات) هي: الجزائر - وهران - قسنطينة، على رأس كل منها وال (Préfet) يعينه وزير داخلية فرنسا، ويتبع الحاكم العام، ويساعده في تسيير ولايته مجلس ولائي من الفرنسيين، أنضم إليه عدد قليل من الجزائريين في أواخر القرن 19 م. وقسمت كل ولاية إلى دوائر (sous-préfecture) ويشرف عليها نائب وال (sous-préfet).

<sup>1</sup> أمزيان، المرجع السابق، ص 27.

<sup>2</sup> محمد العيد مطمر، "التنظيم الإداري في عهد الاحتلال الفرنسي وأثره على الحالة الاجتماعية للسكان بمنطقة الأوراس"، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد 04، ماي 2003، ص 41.

ج - البلديات : وتوجد نوعان من البلديات.

1. بلديات كاملة الصلاحيات (Communes en pleins exercices): تطبق فيها القوانين المتبعة في فرنسا، واقتصر وجودها على المناطق التي تضم غالبية أوروبية، وكافة أعضاء مجالسها أوروبيون.

2. بلديات مختلطة (Communes Mixtes): تواجدت في المناطق التي يقل فيها عدد الأوروبيين، وكانت تسير من قبل مسؤول إداري برتبة متصرف إداري (Administrateur) يعين من طرف الحاكم العام أو عامل العمالة، يساعده في مهامه ممثلون أوروبيون وآخرون جزائريون تعينهم السلطات الفرنسية أيضا<sup>1</sup>.

أما في جنوب البلاد الذي كان يخضع للنظام العسكري، فكان توجد به نوع ثالث من البلديات وهي البلديات الأهلية (Communes Indigenes)، التي يديرها ضباط فرنسيون بمساعدة "القياد"، وكان لكل قبيلة مجلس جماعة يعينه الحاكم العام (من عملاء فرنسا)، وكان عددها محدودا جدا، بلغ عددها سنة 1900م 12 بلدية فقط<sup>2</sup>. لقد كانت السياسة الاستعمارية في المجال الإداري، تهدف إلى تحقيق عملية الإلحاق، التي دشنها الملك "لويس فيليب" (Louis Philippe) (1773-1850)، عندما أصدر مرسوما بتاريخ 22 جويلية 1834م الذي أعلن من خلاله "أن الجزائر أرض فرنسية"<sup>3</sup>.

وقد تدعمت هذه المنظومة الإدارية بجملة من القوانين "التعسفية"، ومنها على الخصوص قانون الأهالي (Code D'indigénat)، وقانون التجنيد، فقد صدر الأول في فترة حكم الجمهورية الثالثة شهر مارس 1871م، اثر ثورة المقراني، ويحدد فيه المخالفات التي يعاقب عليها الجزائريين دون غيرهم، وتضمن جملة من التعليمات والأوامر الصادرة، عن الضباط العسكريين، والمسؤولين الإداريين، والجهات الموكلة لها النظر، فيما يرتكبه الجزائريون من جنح، مع العلم أن ذلك من مسؤولية القضاء،

<sup>1</sup> سعد الله، الحركة الوطنية ...، ج 3، المرجع السابق، ص ص 15-16.

<sup>2</sup> نفسه، ص 28.

<sup>3</sup> جوان غليسي، الجزائر الثائرة، (ترجمة: خيرى حماد)، ط1. بيروت: دار الطليعة 1961م، ص 15.

مثل تلك الأوامر؛ فرض على الجزائري حمل رخصة التنقل من مكان لآخر داخل الجزائر، فإذا لم تكن بحوزته يعاقب على ذلك<sup>1</sup>، وكان القانون يهدف إلى القضاء على روح المقاومة لدى الشعب الجزائري وطمس هويته، وقد مكن هذا القانون من تحويل الجزائري إلى إنسان دون حقوق، وعليه فقط أن ينفذ بطريقة آلية أوامر المسؤول الإداري أو العسكري<sup>2</sup> وقد لقي هذا القانون معارضة واستنكاراً حتى من طرف الفرنسيين أنفسهم، لبشاعته وعدم إنسانيته، و قد ظل مسلطاً على الجزائريين منذ صدوره، وإلى غاية استرجاع الاستقلال<sup>3</sup>.

أما قانون التجنيد الإلجباري؛ فقد بدأ التخطيط له في سنة 1908م، و صدر في 03 فيفري 1912م، الذي تضمن تجنيد كل جزائري بلغ سن 18 سنة في الجيش الفرنسي، باعتبارهم (الجزائريين) رعايا فرنسيين. وعرف هذا القانون أيضاً، معارضة شديدة من قبل غالبية الجزائريين<sup>4</sup>.

ويعتبر القانونان نموذجين لطبيعة القوانين التعسفية التي أصدرتها فرنسا لتنظيم شؤون الجزائريين، فقد أصدرت السلطات الفرنسية قوانين أخرى، لا تقل ظلماً وجوراً منهما مثل "مرسوم كريميو"، وقانون حالة الطوارئ والرقابة.... الخ<sup>5</sup>.

### ثانياً - الأوضاع الاجتماعية:

كان سكان الجزائر في أواخر العهد العثماني ينقسمون إلى طبقات ومجموعات طائفية، تتميز عن بعضها البعض بنمط المعيشة وأسلوب الحياة، وتباين مصدر الرزق، وطبيعة علاقاتها مع الحكام، فسكان المدن كانوا يتكونون من عدة مجموعات

<sup>1</sup> Ageron Charles-Robert. Collot (Claude) " Les institutions de l'Algérie durant la période coloniale (1830-1962)" **Revue française d'histoire d'outre-mer**, tome 75, n°281, 4e trimestre 1988. pp. 480-481;

[http://www.persee.fr/doc/outre\\_0300-9513\\_1988\\_num\\_75\\_281\\_2715\\_t1\\_0480\\_0000\\_2](http://www.persee.fr/doc/outre_0300-9513_1988_num_75_281_2715_t1_0480_0000_2)

<sup>2</sup> Djilali Benamrane, **L'Émigration algérienne en France**. alger: SNED, 1983, P 24.

<sup>3</sup> عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصرة (الفترة الأولى

1920-1936م). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986م، ص 28.

<sup>4</sup> Charle Robert Ageron, **Histoire du l'Algérie, les Algériens Musulmans et la France (1871-1919)**, Tome02 Paris, France: presses universitaires de France, , 1964, p 734.

<sup>5</sup> أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، المرجع السابق، ص 204.

طائفية ومهنية<sup>1</sup>، تأتي الأقلية التركية المكونة من الجنود "الانكشارية" في المرتبة الأولى، من حيث المكانة الاجتماعية، رغم أن عدد أفرادها لا يتجاوز عشرة آلاف (10.000) فرد. وكانوا إضافة إلى عملهم في الجيش يمارسون الوظائف الإدارية، أو التجارة بفتح دكاكين القماش والمجوهرات والمواد الكمالية، أو الإشراف على بساتينهم التي كانوا يملكونها في ضواحي المدن. ثم تأتي طبقة "الكراغلة"، التي تكونت عن طريق تزواج الجنود الأتراك بنساء جزائريات، وقدر عددهم في أوائل القرن 19م بعشرين ألف (20.000) نسمة، احتلوا المرتبة الثانية في السلم الاجتماعي، بفضل علاقاتهم بالأهالي، وعملهم في الزراعة والتجارة والمهن الحرة، وحتى في الوظائف الإدارية.

وتأتي في المرتبة الثالثة طبقة "الحضر"؛ وهم سكان المدن، وأغلبهم من أصول أندلسية وشريفية، يزاولون التجارة والتعليم والقضاء وركوب البحر، وكان منهم الكثير من الفقهاء والعلماء<sup>2</sup>.

أما فيما يخص المراتب الدنيا فكانت توجد مجموعة "البرانية" وهم السكان الذين هاجروا إلى المدن الكبرى من مختلف مناطق البلاد، بحثا عن العمل وحيياة اجتماعية أفضل، ومنهم "الميزابيون" (منطقة مزاب)، والبساكرة (بسكرة)، و"الزنج" و "الجواجلة" (جيجل)، والأغواطيون (الأغواط) وجماعة القبائل.

أما بالنسبة للجماعات الأجنبية، فكانت هنالك الجالية اليهودية، التي بلغ عددها عند بداية الاحتلال ثلاثون ألف (30.000) نسمة ، يتمتع أفرادها بنفوذ اقتصادي كبير، ومجموعة الدخلاء وتتكون من التجار الأجانب وقناصل الدول الأوروبية، وأفراد البعثات الدينية والإرساليات التبشيرية والأسرى المسيحيين<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)، ج4. الجزائر: المؤسسة

الوطنية للكتاب، 1984م، ص 87.

<sup>2</sup> نفسه، ص ص 92-94.

<sup>3</sup> نفسه، ص ص 10-107.



أما سكان الريف، فيمثلون غالبية سكان البلاد، إذ كانت نسبتهم تفوق 95% من مجموع السكان، ويتكونون بدورهم من عدة مجموعات، ومنه؛ "قبائل المخزن"، التي تقوم بمهام وأعمال فلاحية وعسكرية وإدارية، وتمثل حلقة الاتصال بين الأرياف والمدن، و"قبائل الرعية"؛ التي كانت تخضع لسلطة "البايات" عن طريق "القياد" والشيوخ، وتعامل عادة بأسلوب القسوة والاضطهاد، خاصة من طرف محصلي الضرائب<sup>1</sup>.

وما يمكن ملاحظته، هو أن المجتمع الجزائري لم يكن في نفس المرتبة في الحصول على الامتيازات، بل كان يخضع ذلك لمقياس المكانة الاجتماعية والانتماء المناطقي (المنطقة)، إلا أن ذلك لم يكن عامل للصراع بل أن كل مجموعة اجتماعية كانت تكمل الأخرى، ويعيش الجميع في انسجام على اختلاف مستويات معيشتهم ومناطق تواجدهم<sup>2</sup>.

أما بعد الاحتلال، فقد تغير الوضع الاجتماعي، بسبب سياسة الاستيطان التي انتهجتها فرنسا، والتي أدت إلى انقسام سكان الجزائر إلى مجموعتين رئيسيتين فقط؛ المجموعة الأوروبية واليهودية، والمجموعة الجزائرية الإسلامية.

وشهدت المجموعة الأوروبية نمو متزايد منذ احتلال الجزائر بسبب تدفق المستوطنين من كل أنحاء أوروبا وخاصة الضفة الجنوبية منها، بسبب التحفيزات التي تقدمها السلطات الفرنسية، من مساعدات للسفر وحصولهم على أخصب الأراضي، التي يتم مصادرتها من الجزائريين المالكين الشرعيين لها. مما جعلهم يسيطرون في فترة وجيزة على المصالح الاقتصادية والتجارية في البلاد<sup>3</sup>.

ودخل المستوطنون الأوروبيون الذين جاؤوا من مناطق مختلفة من أوروبا في مظلة واحدة هدفها استنزاف خيرات الجزائريين بالرغم مما كان يطبع علاقاتهم الاجتماعية من خلاف واختلاف، لكنهم اتفقوا على أرض الجزائر على كراهية واحتقار

<sup>1</sup> بوالصفصاف، المرجع السابق، ص 110.

<sup>2</sup> صلاح العقاد، المغرب العربي، ط3. القاهرة: المكتبة الانجلو مصرية، 1969، ص ص 160-161.

<sup>3</sup> بوالصفصاف، المرجع السابق، ص ص 62-63.

الجزائريين، فأمعنوا في استغلالهم بأبشع الطرق والوسائل، بعد أن تم تجريدهم من كل أملاكهم<sup>1</sup>، ورفضوا أي شكل من أشكال المساواة بينهم وبين أهل الأرض، حتى أولئك الذين استطاعت الكنيسة تنصيرهم، فقد ظلوا ينظرون إليهم على أنهم مسلمون فقط<sup>2</sup>. أما اليهود فقد أصبحوا من المجموعة الفرنسية، بعد أن منحهم مرسوم "كريميو" (CREMIEUX) الجنسية الفرنسية الصادر في 22 أكتوبر 1870م. فانقل عددهم من 30 ألف نسمة سنة 1830م، إلى 130 ألف نسمة سنة 1950م<sup>3</sup>. وكان هدف السلطات الاستعمارية هو استقطاب هؤلاء إلى صفها، واستخدامهم كأداة قمع إضافية لصالحها ضد الجزائريين.

لقد احدث الاحتلال الفرنسي خلا كبيرا في تركيبة المجتمع الجزائري وفي بنيته التحتية، وقضى على الانسجام الاجتماعي والطبقي الذي كان سائدا خلال فترة الوجود العثماني، بسبب سياسة الاستيطان التي قسمت المجتمع إلى قسمين متباينين في العرق والثقافة والمكانة الاجتماعية؛ مجتمع اوروبي يملك ويسيطر، وينتفع بكل شيء، ومجتمع جزائري لا يملك شيء، وينظر له من المجتمع الأول بأنه مجرد أداة استغلال يتصرف فيه المستوطنون كما يشاءون.

وقد أدى ذلك إلى إضعاف أداء المجتمع الجزائري في المجال السياسي والاقتصادي والعسكري، وهمش دور العائلات الكبيرة، التي كانت تشكل نواة قوة المجتمع، عن طريق نهب اراضيها والتقليص من نفوذها الذي كانت تتمتع به قبل الاحتلال على جميع الأصعدة<sup>4</sup>، مثلما كانت عليه عائلة "الحداد" التي قادت ثورة 1871م. بالشرق الجزائري، وحتى تلك العائلات التي سعت التقرب من الادارة الفرنسية، لاقت المصير ذاته، بعدة وسائل وطرق، ومنها تأليب العائلات المعادية لها

<sup>1</sup> سعد الله، الحركة الوطنية ...، ج 2، المرجع السابق، ص 27.

<sup>2</sup> بوالصفصاف، المرجع السابق، ص 64.

<sup>3</sup> بن العقون، المرجع السابق، ص ص 432 - 438.

<sup>4</sup> Ageron, Op,cit, p 57.

ضدها وتشجيعها ماديا ومعنويا، بهدف تقويض المكانة الروحية والسياسية التي كانت تتمتع بها سابقا<sup>1</sup>.

وقد دفعت الظروف التي عاشها الشعب الجزائري عقب الاحتلال إلى هجرة الالاف من العائلات خارج البلاد، نحو بلدان عربية وإسلامية وحتى إلى فرنسا ذاتها وبلدان أوروبية أخرى، وقد كانت لهذه الهجرات الأثر الواضح في تشكل رافد من روافد الحركة الوطنية، وقبلها في تشكيل الوعي الفكري والسياسي لفئة من الجزائريين، بدأت تظهر ثماره بعد الحرب العالمية الأولى.

### ثالثا- الأوضاع الاقتصادية:

كانت الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي، تتمتع باقتصاد زراعي تقليدي، يتمشى ومتطلبات المجتمع آنذاك، لكن بعد الاحتلال تغير نمط الإنتاج الاقتصادي الجزائري، وأصبح في خدمة الاقتصاد الفرنسي باستغلال كل مكونات خلق الثروة لصالحه، وأمام هذا الاستغلال الذي سلب الجزائريين التحكم في مقدرات بلادهم، عانى هؤلاء ويلات الفقر والتهميش الذي استفحل مع مطلع القرن العشرين، بعد أن قامت سلطات الاحتلال بنزع أراضيهم الخصبة ومنحها للمستوطنين وطردهم للجبال والمناطق الوعرة، واحتكار جميع الأنشطة الاقتصادية بالبلاد من زراعة وصناعة وتجارة.

كما عملت على إتلاف وثائق ملكية الأراضي والاستيلاء على أراضي الوقف الإسلامي وغيرها بالقوة تمهيدا لإعادة نقل ملكيتها للوافدين الجدد من المستوطنين الأوروبيين. وطبقا لهذه السياسة، سخرت الحكومة الفرنسية كل الإمكانيات والامتيازات والمغريات المادية والمعنوية. وفي هذا الصدد تحدث الجنرال "بوجو" (Bugeaud)\* في

<sup>1</sup> بشير فايد، "جوانب من حياة الشيخ سي عزيز بن الحداد"، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة فرحات عباس سطيف، العدد 04، جوان 2006، ص ص 67-70.

\* توماس روبر بيجو دولا بيكو نيري: (1849-1784) (Thomas Robert Bugeaud) والمعروف بالدوق دي إيسلي (D'Isly) ولد في 15 أكتوبر سنة 1784 بليمونج، ومات بباريس (فرنسا) بالكوليرا 10 يونيو سنة 1849. رقي إلى رتبة مارشال فرنسا في 31 يوليو 1843. حارب قبل مجيئه إلى الجزائر في إسبانيا وأشتهر هناك بالعنف. تولى بيجو الحكم في الجزائر في 29 ديسمبر 1840 إلى 29 يونيو 1847. سلك خلال سنوات=

مجلس النواب سنة 1840م، قائلاً "إننا في حاجة إلى جحافل دهماء من المعمرين الفرنسيين والأوروبيين، ولكي تجلبوهم فمن اللازم عليكم الاستيلاء على أراضي خصبة لا يطير غرابها، وحيث ما وجدتم مياه متدفقة، وأراضي رعوية انزلوا المعمرين بها ولا يهتمكم أمر أربابها، يجب توزيع هذه الأراضي للأوروبيين حتى يصبحوا أصحابها وأربابها، ويصير أصحابها الأولون نسيا منسيا. وأخيراً يجب علينا أن نجعل نصب أعيننا هدفاً متيناً محكماً، وأن ننشأ إقليماً فرنسياً ولذا فإننا في حاجة ماسة إلى غزو واسع يشبه غزوات القوط\*، وإن لم نفعل هذا تكون نتيجتنا أوهن من نسيج العنكبوت"<sup>1</sup>. وفي ذلك أيضاً كتب "فاراند" (Farand)، أحد أنصار فرنسة الجزائر، قائلاً: " يجب أن نستولي شيئاً فشيئاً، بدون هوادة ولا شفقة على جميع مراتعهم ومراعيهم، ونثقل كواهلهم بضرائب مرهقة حتى تتعذر عليهم الحياة، فلا يجدون ما يسدون به رمقهم، فيصبحون حينذاك بين أمرين لا ثالث لهما؛ إما أن يثوروا أو ينخرطوا في جيش فرنسا للدفاع عنها"<sup>2</sup>. وهذا الكلام يؤكد مسعى السلطات الاستعمارية في تفكير وتجويع الأهالي بكل الوسائل، وذلك بضرب القطاع الفلاحي، النشاط الرئيسي لأغلبهم، حيث كانت تعيل 70 بالمئة من المجتمع<sup>3</sup>.

=حكمه سياسة القهر والعنف والإبادة والتدمير والتهجير والنفي في إطار الحرب الشاملة التي مارسها تجاه الجزائريين. أنظر أكثر قاموس لاروس Larousse على الإنترنت:

[http://www.larousse.fr/encyclopedie/personnage/Thomas\\_Robert\\_Bugeaud/110524](http://www.larousse.fr/encyclopedie/personnage/Thomas_Robert_Bugeaud/110524)

\* القوط أو الغوط (Goths) : قبائل جرمانية شرقية. أرجح الآراء أنهم قدموا من إسكندنافيا إلى وسط وجنوب شرق القارة الأوروبية، لكن يبقى الخلاف على البلاد الأوروبية التي قدموا منها قائماً إلى اليوم. كان للقوط تأثير قوي في تاريخ أوروبا السياسي والثقافي والديني. يُقسَمون إلى قوط شرقيين وقوط غربيين. أنظر أكثر: - محمد الزين، القوط، الموسوعة العربية. على الإنترنت:

<https://www.arabency.com/ar/%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%AD%D9%88%D8%AB/%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%88%D8%B7>

<sup>1</sup> De Peyerimhoff Enquete sur Les Resultats de La Colonisation Officielle Algerie 1871-1895. Alger : ed Torrent, 1906, P 25

<sup>2</sup> فرحات عباس، ليل الاستعمار، (ترجمة أبو بكر رحال). المغرب مطبعة فضالة، د ت ن، ص 74.

<sup>3</sup> رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الجزائرية 1931-1956م، ط2. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981، ص 87.

لم تكن السلطات الاستعمارية تفتقر إلى الوسائل التي تساعدنا على نهب أراضي الجزائريين، والاستيلاء عليها، وذلك منذ بداية الاحتلال، بموجب جملة من المراسيم والقوانين، لإعطاء الصفة القانونية لتلك العمليات، أهمها:

- "قانون أكتوبر 1844م" الخاص بالأوقاف والممتلكات العقارية، وينص على مصادرة أراضي الأهالي غير المزروعة، والتي لا يملك أصحابها وثائق تثبت ملكيتهم لها<sup>1</sup>. وقد أثمر القانون سيطرة الاحتلال على أراضي شاسعة.
- مرسوم 21 جويلية 1846م : فرض على كل مالك أرض جزائري حيازة وثائق تثبت ملكيته، وإلا ضمت أرضه إلى أملاك الدولة.
- مرسوم 16 جوان 1851م : سحب ملكية أراضي العروش من القبائل، وترك لها حق الانتفاع بها فقط.
- قرار 30 مارس 1871م : جاء بعد ثورة المقراني، ونص على مصادرة أراضي كل من قام بنشاطات معادية لفرنسا.
- قانون 26 جويلية 1873م (قانون فاريني - warnier\*) : فرض إقامة الملكية الفردية على أراضي العروش التي لم تتمكن فرنسا من ضمها إلى أملاك الحكومة (لتسهيل انتقالها للمعمرين بالبيع أو التهديد) ثم تبعتها قوانين أخرى أدت كلها ارتفاع مساحة أراضي المعمرين، وقد ألحق هذا القانون آثار سلبية كبيرة على ممتلكات الخواص، القبائل والعروش، وخوفا من نزع أراضيهم أصبح صغار الملاك يبيعون أراضيهم للمعمرين بسهولة لبساطة إجراءات

<sup>1</sup> Paris : Charles André Julien, **Histoire de l'Algérie contemporaine 1827-1871**

P.U.F, 1964. P 240.

\* قانون فاريني: نسبة إلى واضعه فاريني، وهو طبيب جراح فرنسي معروف بنزعه الاستعمارية ودفاعه عن مصالح المستوطنين، وبعد إحالته على التقاعد في عهد نابليون الثالث، كرس وقته لكتابة ونشر الكتب التي تدافع عن المصالح الاستعمارية، وهو محرر " الكراسات الجزائرية" التي يعتبرها المستوطنون ميثاقهم في مواجهة الإمبراطورية، للمزيد أنظر:

- صالح عباد، الجزائر بين فرنسا والمستوطنين (1830-1930). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1999، ص 130.

البيع المتخذة من طرف السلطات الفرنسية<sup>1</sup>، وكذلك بسبب الجفاف والجراد الذي ضرب الجزائر ربيع عام 1877م، وقضى على كل المحاصيل الزراعية، مما أرغب الأهالي على بيع أراضيهم للكولون<sup>2</sup>. وفي سعي الحكومة الفرنسية إلى تقفير الجزائريين، عمل الاستعمار الفرنسي على ائقال كاهلهم بالضرائب، بالإضافة للضرائب التي تسنها القوانين الفرنسية كان على الجزائريون دفع ضرائب أخرى كان منصوص عليها قبل 1830م، مثل الزكاة والعشور<sup>3</sup>.

كان الاحتلال الفرنسي من خلال سياسته يعمل على تقفير الجزائريين وتجويعهم وقتل روح المقاومة في نفوسهم، وإلى تحقيق أهداف أخرى منها:

- تشجيع الاستيطان الأوروبي.
- تفكيك البنية الاقتصادية والاجتماعية للجزائريين، سيما وأن الفلاحين وملاك الأراضي لعبوا دورا كبيرا في المقاومات الشعبية خاصة في ثورتي "المقراني" و"الحداد"<sup>4</sup>.

#### رابعا- الأوضاع الثقافية والتعليمية:

قبل الاحتلال الفرنسي كانت الجزائر تشهد انبعاثا مستمرا للثقافة العربية الاسلامية، تقوم به المدارس والزوايا والمساجد والكتاتيب القرآنية. ومن مظاهر هذا الانتعاش الثقافي، الانتشار الواسع للمؤسسات التعليمية في المدن والقرى على حد سواء، وانخفاض نسبة الأمية، بالمقارنة مع الدول الأوروبية، ومنها فرنسا ذاتها<sup>5</sup>، وقد

<sup>1</sup> مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، (ترجمة: حنفي بن عيسى). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983، ص 16.

<sup>2</sup> شارل رويبر أجيرون، المسلمون وفرنسا (1871 - 1919م)، (ترجمة: محمد حاج مسعود)، ط1. الجزائر: دار الرائد للكتاب الجزائر 2007، ص ص 691-692.

<sup>3</sup> دحماني توفيق، "تطرات على الضرائب في الجزائر، العهد العثماني، الأمير عبد القادر، الاحتلال الفرنسي حتى 1914"، مجلة المصادر، العدد 18، السداسي الثاني، 2008، ص 46.

<sup>4</sup> المنصف الوناس، الدولة والمسألة الثقافية في الجزائر. تونس: المطبعة العربية، دت، ص 31.

<sup>5</sup> عباس، المرجع السابق، ص 60.

تميز التعليم في الجزائر في ذلك الوقت بالنظام المحكم والبعد العربي الإسلامي، ولا سيما في الحواضر العلمية مثل قسنطينة، بجاية، الجزائر وتلمسان، بفضل نخبة من المعلمين والأساتذة الذين كانوا يسهرون على ترقية التعليم وتطويره، ونشره ما بين مختلف الأوساط الشعبية، ولعل ما يؤكد على ذلك قائمة المثقفين البارزين عشية الاحتلال الفرنسي من أمثال؛ ابن حمادوش الجزائري\*، ابن العنابي\*\*، وحمدان بن عثمان خوجة، وغيرهم ممن تركوا مؤلفات راقية في مختلف العلوم والفنون والآداب. غير أن انتشار العلم والمعرفة في الجزائر، لم يصل إلى مستوى الإنتاج المادي، مثلما كان عليه الوضع في أوروبا في تلك المرحلة، فقد كانت الثقافة الجزائرية، ثقافة روحية وأدبية وفكرية، لم تتحول إلى مواجهة مشكلات الحياة المادية، كالصناعة والزراعة وغيرها من المجالات العلمية بمستوى ذلك العصر. ومن ثمرات الازدهار التعليمي والثقافي في الجزائر، أن أربعين بالمائة (40%) من السكان الذكور، كانوا يحسنون القراءة والكتابة، وتوجد في كل حي أو قرية مدرسة تعليمية<sup>1</sup>.

\* ابن حمادوش الجزائري: هو عبد الرزاق بن محمد بن محمد، ولد في مدينة الجزائر سنة 1695م، وتوفي بعد حوالي تسعين سنة في مكان وتاريخ مجهولين. وقد درس في وطنه وتزوج بها وتقلد بعض الوظائف الدينية. ولكنه منذ العشرينات من عمره أخذ يجوب العالم الإسلامي، بدأ ذلك بالحج، ثم حملته قدامه إلى المغرب الأقصى والمشرق في مناسبات أخرى. وكانت أسرته فيما يبدو تمتحن الدباغة، ولذلك كان والده يعرف أيضا بالحاج محمد الدباغ. تقلد عدة وظائف دينية، وتخصص في علوم الطب والفلك والرياضيات والصيدلة والحساب. أنظر أكثر:

- أبو القاسم سعد الله، رحلة ابن حمادوش الجزائري. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1982.

\*\* ابن العنابي: هو محمد بن محمود بن محمد بن حسين الذي عرف بابن العنابي تارة و بالعنابي تارة أخرى، من أسرة جزائرية كان لها مكانة دينية وفكرية، تولى بعض أفرادها مناصب دينية و سياسية و فكرية، فقد تولى جده الأكبر (حسين بن محمد) الإفتاء الحنفي كمنصب لشيخ الإسلام لا يفوقه في الاعتبار سوى الداوي أو رئيس الدولة، و اشتهر جده الأدنى (محمد بن حسين) بالعلم وحضي بالتقدير الكبير مما رشح بن العنابي للوظائف، تساعده في كل ذلك، إمكانياته الفكرية التي فرضت احترامه و تقديره. عرف عنه أنه كان شديد النقد للسلطات الفرنسية على خرقها لاتفاق 05 جويلية، ترك أثارا فكرية عديدة، منها كتاب " السعي المحمود في نظام الجنود". أنظر أكثر:

- أبو القاسم سعد الله، ابن العنابي رائد التجديد الإسلامي. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،

1977

<sup>1</sup> Fanny Colonna, *Instituteurs Algériens 1883-1939*. alger : OPU, 1975, P P 27-30.

أما بعد الاحتلال، فقد انقلبت الموازين وتغيرت الأوضاع، إذ تم انتهاج سياسة تعليمية تعتمد على التجهيل والفرنسة والإدماج و التغريب<sup>1</sup>. ونجاح هذه السياسة يكمن في العزل القسري للمقومات الحضارية للتراث العربي الاسلامي في الجزائر، وتغيير الهوية الثقافية السائدة، ومن ثم على الجزائر أن تكون فرنسية في كل شيء، وأن تنسى ذاكرتها وجسور اتصالها بالماضي دفعة واحدة وإلى الأبد.

مع بدايات القرن العشرين عرفت الجزائر حركة ثقافية وفكرية جراء الفعالية التي أحدثتها الصحافة الجزائرية سواء كانت باللغة العربية أو الفرنسية. وكذلك من خلال توجه بعض الجزائريين إلى محاولة إحياء التراث الثقافي الجزائري من خلال عمليات التأليف والترجمة وإعادة طبع التراث، ومحاولة ربط أواصر العلاقات بين المشرق العربي ومغربه، وفي الوقت نفسه توجهت فئة أخرى إلى الغرب في محاولة للاستفادة من الحضارة الغربية وكذا العمل على ردم الهوة التي أصبحت تفصل بين العالمين الغربي والإسلامي في مجال التطور العلمي والتقني<sup>2</sup>.

تعتبر هذه المرحلة من تاريخ الجزائر من الأهمية بما كان، حيث أنها تمثل الجسر التاريخي الذي يربط أصول الحركة الوطنية الجزائرية وبين انطلاقتها بشكل رسمي حاملا معه سمات سياسية. وبدل تجربة المقاومة العسكرية التي واجهت الاستعمار في القرن التاسع عشر، اعتمدت النهضة عند بدايتها على الضغط السياسي والإبداع الثقافي لمواجهة المشروع التغريبي القائم على سياسة التجهيل، والهيمنة على منابع المعرفة الثقافية والاجتماعية للمجتمع الجزائري، المتمثلة في المؤسسات الثقافية التقليدية، وذلك بهدف تمزيقه عن انتمائه ومرجعياته الحضارية<sup>3</sup>. وحتى يتسنى للإدارة الفرنسية غرس التقاليد والقيم التي تخدم المشروع الاستعماري، وهذا ما عبر عنه أحد الفرنسيين وهو النقيب ريتشارد (Rechard)، بالقول: "عندما

<sup>1</sup> تركي، المرجع السابق، ص 104.

<sup>2</sup> خيثر عبد النور، المرجع السابق، ص 85.

<sup>3</sup> احمد مريوش، الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في القضية الوطنية وثورة 1954م، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، جامعة الجزائر، 2005-2006، ص 14.



تصير المدارس القرآنية هباء منثورا تدرّوه الرياح، ويتحول الشعب العربي إلى جهالة العصور الأولى، فعندئذ يصبح من الممكن تعليمه شيئا مفيدا..<sup>1</sup>.

وبادرت السلطة الاستعمارية إلى محاربة كل ما هو موروث ثقافي في الجزائر، خاصة اللغة العربية باعتبارها وعاء الإسلام، وأداة التواصل الثقافي في المجتمع الجزائري، حيث اعتبرتها لغة أجنبية يمنع تدريسها والتعامل بها في الأوساط الرسمية، والهدف من وراء ذلك هو إرساء قواعد مجتمع جزائري جديد "مكون هجين لغويا، يندرج في نموه النفسي من قابلية تبني اللغة الفرنسية حتى تصبح لغة رسمية وبالمقابل التخلي عن اللغة الأم، وهي اللغة العربية"<sup>2</sup>. ويؤكد في هذا الصدد ف. بويسون (F.Buisson) تعليم السكان الأهالي هو أولا تعليم لغتنا، فلما يتكلم الأهالي لغتنا يصبحون شبه فرنسيين، فالتعليم يجب ان ينتشر في أوساط السكان المسلمين باللغة الفرنسية التي تعد وسيلة للتبادل بيننا ولتواصل الأفكار..<sup>3</sup>.

أثر الوضع الجديد الذي أحدثه الاحتلال على التعليم وعلى الصحافة في الجزائر بشكل كبير، وهذا نتيجة للحروب المتواصلة، والهجرة الجماعية للعلماء والأعيان واستيلاء الفرنسيين على موارد الحياة العلمية كالمكتبات والوثائق، وأدى ذلك إلى جمود الحياة العلمية والإعلامية خلال القرن التاسع عشر.

استنكر عمر راسم هذه الوضعية التي آلت إليها أحوال الجزائريين في جميع المجالات وتقاعس الإدارة الفرنسية في تحسينها من خلال رسالة مفتوحة بجريدة "التقدم"، وجهها إلى رئيس وزراء فرنسا ووزير الحربية والوالي العام، حيث جاء في نصها "نحن شبان الجزائر ورجال المستقبل يسوئنا جهالة أبناء وطننا، وحالة أبناء جنسنا الراهنة التي لا شك تسير إلى الاضمحلال.."<sup>4</sup>. وطالب عمر راسم في ذات

<sup>1</sup> آجرون، المرجع السابق، ص 584.

<sup>2</sup> مريوش، المرجع السابق، ص 30.

<sup>3</sup> يوسف حميطوش، "المدرسة الفرنسية في الجزائر ودورها في تكوين النخب"، مجلة المصادر، العدد 16، السداسي الثاني، 2007، ص 170.

<sup>4</sup> عمر راسم، "رسالة مفتوحة إلى رئيس الوزراء فرنسا ووزير الحربية والوالي العام"، جريدة التقدم، العدد 20،

26 ديسمبر 1902.

الرسالة من فرنسا أن تعمل على تغيير الأوضاع وذلك " بإنشاء المدارس والمكاتب في كل قرية ودشرة، تبث روح الفضيلة بين أبناء سكانها وتمجيد التعليم العام والمشروعات التي تساعد على تحقيق رغائب فرنسا من التقدم في العلوم والمدنية...." بدأت بوادر لصحف جزائرية تظهر مع بداية القرن العشرين، وكسرت بذلك احتكار الكولون لمجال الإعلام والصحافة التي كانت من أهم أدوات التأثير في الرأي العام وتوجيهه. وعلى قلة الأوروبيين في الجزائر مقارنة بالجزائريين فقد كانوا يمتلكون ترسانة من الصحف تخدم مصالحهم الاستعمارية إلى جانب مجموعة من الصحف العربية ولكنها كانت في خدمتهم ونذكر منها على وجه الخصوص؛ الأخبار (1839) والمبشر (1884)، فرنسا الإسلامية (1913) وغير ذلك من الجرائد المسخرة لخدمة سياسة الحكومة العامة في الجزائر.

وقد كانت البدايات الأولى للصحافة الجزائرية صعبة للغاية بحيث لم تتمكن كثير منها من البقاء طويلا كجريدة "الحق" عنابة 1893، وهذا ما أدى ببعضها إلى مهادنة الاستعمار كجريدة الصباح التي كانت تدعو إلى التعايش بين المجموعتين الجزائرية والأوروبية. ومن بين الصحف المهمة التي ظهرت "صحيفة الجزائر" (1908) لعمر راسم، وقد عرفت بلهجتها الحادة عندما يتعلق الأمر بالقضايا الوطنية، كما كانت مهتمة بالقضايا الدولية وتطورات الأوضاع في العالم الإسلامي<sup>1</sup>. ومن أبرز الصحف التي ظهرت قبل الحرب العالمية الأولى، صحيفة "المغرب"؛ وهي باللغتين العربية والفرنسية، وقد كان هناك تباين واضح حول مضمونها ومحتوى خطابها الإعلامي، فمن جهة يذكر محمد ناصر<sup>2</sup>، بأنها كانت جريدة منحازة للإدارة الفرنسية على الرغم من تظاهرها بالدفاع عن حقوق ومطالب الجزائريين، ومن جهة أخرى يرى أبو القاسم سعد الله أن توجهها كان إصلاحيا بحكم وجود مجموعة من

<sup>1</sup> زهير إحدان، أعلام الصحافة الجزائرية (عمر بن قنور، عمر راسم)، الجزء الثاني. الجزائر: دار إحدان للنشر والتوزيع، 1999، ص 46.

<sup>2</sup> محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية ما بين ( 1939 - 1847 ). الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980، ص 22

كتابها كانوا ضمن الحركة الإصلاحية من أمثال الشيخ عبد القادر المجاوي وابن الموهوب ومحمد بن أبي شنب وغيرهم<sup>1</sup>، وإلى جانب ما ذكر من صحف هناك غيرها كثير، وقد لعبت جميعها دورا أساسيا في تثقيف الجزائريين وفي انهاء عزلتهم التي كانوا يعانون منها وشكلت مقالاتها فيما بعد مرجعيات للبرامج السياسية للأحزاب فيما بعد .

### أ\_الجمعيات :

بفعل التضييق الذي كان يمارس على الصحافة الوطنية فإن كثيرا من كتابها ومتعديها لجأوا إلى إنشاء الجمعيات الثقافية لتكون متنفسا لهم من أجل إيصال كلمتهم إلى أكبر عدد ممكن من المواطنين الجزائريين، وقد كانت الجمعيات من أبرز مظاهر النهضة الجزائرية إذ شهدت المدن الكبرى ميلاد العديد منها، وقد كانت شبيهة في نشاطها بالمنتديات الأدبية والعلمية في المشرق العربي في ذلك الوقت، ومن بين أهم الجمعيات التي ظهرت: "جمعية الرشيدية" التي تأسست في الجزائر العاصمة سنة 1902م على يد جماعة من الشبان الجزائريين من خريجي المدرسة الفرنسية، وكان يحضون بتأييد عدد من الفرنسيين المتعاطفين مع الجماهير الجزائرية المسلمة، وكان من أهدافها نشر العلوم في أوساط . الجماهير، ومن بين أهم نشاطاتها عقد سلسلة من المحاضرات في مختلف فروع المعرفة<sup>2</sup>، كذلك نذكر الجمعية التوفيقية التي تأسست في الجزائر العاصمة سنة 1908م على يد جماعة من الشبان الجزائريين وقد تزعمها الدكتور ابن التهامي أحد أبرز وجوه النخبة. وقد تبنت هذه الجمعية شعار السعي نحو تحقيق تجمع للجزائريين الراغبين في الارتقاء الفكري والاجتماعي، وكانت بمثابة مدرسة ومنتدى ينشر العلم والمعارف. وقد نظمت سلسلة من المحاضرات في القانون والآداب والحضارة العربية والتاريخ<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> خيثر، المرجع السابق، ص 235.

<sup>2</sup> نفسه، ص 238.

<sup>3</sup> أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي. الجزء 5. ط1. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2000، ص 47

إن النشاط الفكري والثقافي لتلك الجمعيات يعكس حقيقة الجهود الثقافية والاجتماعية التي كرسّت لخدمة المصالح العامة للجماهير. وقد أظهرت اهتماما خاصا باللغة العربية التي حاولت السياسة التعليمية الاستعمارية طمسها. وقد أثرت هذه الجمعيات بشكل بارز في انتقال النشاط الثقافي إلى مناطق عديدة من الجزائر. فقد ظهرت الجمعية الصديقية في مدينة تبسة عام 1913م، وكان هدفها العناية بالتربية الإسلامية والإصلاح الاجتماعي، وهناك جمعيات أخرى هيئت الأرضية للحراك السياسي والإصلاحي في السنوات اللاحقة<sup>1</sup>.

#### ب\_ النوادي:

من أهم النوادي التي ظهرت في الجزائر "نادي صالح باي"؛ الذي تأسس في قسنطينة عام 1907. وكان ثمرة لمبادرة من طرف مجموعة من المثقفين الجزائريين وبدعم من العناصر الفرنسية، وقد ضم في صفوفه أسماء بارزة من أمثال: ابن الموهوب ومصطفى باشطارزي ومحمد ابن باديس. وكانت له فروع في عدد من المدن مثل: عين مليلة، وواد الزناتي وقالمة وسوق أهراس، ومهمته كانت نشر التعليم وعقد المحاضرات الأدبية والعلمية كما كان شعاره: "العمل والتعاون"<sup>2</sup>.

#### ج \_ انبعاث التيار الإصلاحي في الجزائر ومنطلقاته :

إذا كان الشعور الوطني في الجزائر قد أدى إلى مقاومة مسلحة فإنه بالمقابل أنشأ مقاومة سياسية نشطت مع الاحتلال وتطورت خلال النصف الأول من القرن العشرين وتطورت بفعل عوامل داخلية وخارجية مكنت بعض الزعماء من تكوين أحزاب وجمعيات انصبّت مطالبها على حقوق الفرد الجزائري والتنديد بالإجراءات الفرنسية المتواصلة ضد الوطنيين الجزائريين والتي من بينها قانون التجنيد الإجباري سنة 1912، كما كان هناك تيار وطني إصلاحي يدعو إلى الاستقلال باعتباره الهدف الأسمى لحركة التحرر الجزائرية.

<sup>1</sup> خثير، المرجع السابق، ص 239.

<sup>2</sup> محمد علي دبوز، النهضة الجزائرية الحديثة، الجزء الأول. الجزائر: المطبعة الجزائرية، 1971، ص 264

### الجامعة الإسلامية :

وبالإضافة إلى جملة من الأسباب الداخلية التي تأثرت بها حركة الإصلاح الجزائرية كانت هناك معطيات خارجية، منها ظهور فكرة الجامعة الإسلامية والتي لعبت دورا أساسيا في بلورة الأفكار التحريرية في الجزائر، خاصة في دعوتها إلى المحافظة على الشخصية العربية الإسلامية، وإلى وحدة العالم الإسلامي.

لقد كانت الجامعة الإسلامية تعني بمعناها الشامل ومفهومها العام، الشعور بالوحدة العامة والعروة الوثقى لا انفصام لها بين جميع المسلمين، وبذلك فدعوة الجامعة الإسلامية تهدف إلى إعادة وحدة المسلمين التي كانوا عليها في بداية الإسلام، فالبعد الديني ليس جديدا، لكنها أضافت عليه في نهاية القرن التاسع عشر شحنة سياسية<sup>1</sup>.

ففقدان الدولة العثمانية لقبرص سنة 1878م وتونس 1881م ومصر 1882م، تطلب إيديولوجية سياسية، وإجراءات عملية لمواجهة التدخل السياسي والعسكري والاقتصادي والتبشيري لأوروبا، ومن هذا المنطلق فقد كانت فكرة الجامعة الإسلامية بالأساس سياسة دفاعية تهدف بالدرجة الأولى إلى انتشار المسلمين من الهيمنة الأجنبية بواسطة توحيدهم، طمعا في تحولهم مجتمعين إلى قوة لها وزنها من شأنها أن ترهب أعدائهم.

وكان عموم المسلمين في الدولة العثمانية وخارجها، كانوا على استعداد في هذه الفترة للاستجابة لأي دعوة موجهة ضد الهيمنة الأجنبية، وهو ما جعل السلطان عبد الحميد الثاني يتبنى مشروع الجامعة، وذلك ليست بسبب زيادة أطماع القوى الاستعمارية على دولته، وإنما أيضا لمواجهة النزعات القومية التي بدأت تنمو في البلاد، وخاصة في المنطقة العربية، الذين نهضوا للمطالبة بحقهم في الخلافة بدعوى أنهم أولى بها من الأتراك<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> التليلي العجيلي، صدى حركة الجامعة الإسلامية في المغرب العربي 1876-1918. تونس: دار الجنوب

للنشر، 2005، ص 91.

<sup>2</sup> نفسه، ص 92.

وقد وصلت أفكار الجامعة الإسلامية إلى الجزائر عن طريق الحجاج والطلبة في المشرق العربي<sup>1</sup>، ويذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله أن علاقة الجزائر بالعالم الإسلامي خاصة المشرق العربي ليست بالأمر الجديد، ومعنى هذا أنها بقيت مستمرة حتى خلال فترة الاستعمار، بل أن الجزائريين كانوا ينظرون إلى الدولة العثمانية على أنها دولة الخلافة، لكن ضعفها هو الذي جعلهم لا يتوقعون منها الكثير<sup>2</sup>.

وقد تزعم الشق الأول من الجامعة الإسلامية - ذات الطابع الإسلامي في إطار ديني تعليمي كوسيلة لنهضة الشعوب الإسلامية - جمال الدين الأفغاني ثم محمد عبده ومحمد رشيد رضا<sup>3</sup>. فقد كان جمال الدين الأفغاني بأن سبب انحلال المسلمين وضعفهم السياسي في وجه الغرب هو تركهم لعقيدتهم الدينية، فكان يراهن على الجامعة الإسلامية في مواجهة القوى الاستعمارية وإعادة الدين الإسلامي إلى أصوله الأولى<sup>4</sup>. أما الشق الثاني، فقد اتخذ النهج السياسي من أجل إثارة الشعور والحماس الوطنيين المطعمين بالروح الإسلامية لاسترجاع حرية الشعوب واستقلالها، وقد تزعم هذا التيار الأمير شكيب أرسلان منذ بداية القرن العشرين حيث اتصل بمجموعة من علماء مصر الذين أخذوا من أفكاره ومنهم: محمد عبده ومحمد رشيد رضا ومصطفى كامل\* وسعد زغلول\*\*.... إلخ،

<sup>1</sup> بن العقون، المرجع السابق، ص 26.

<sup>2</sup> سعد الله، الحركة الوطنية...، المرجع السابق، ص 82.

<sup>3</sup> نفسه، ص 63

<sup>4</sup> العجيلي، المرجع السابق، ص 95.

\* مصطفى كامل باشا: ( 1874 - 1908): زعيم سياسي وكاتب مصري. أسس الحزب الوطني وجريدة اللواء. كان من المنادين بإنشاء (الجامعة الإسلامية. كان من أكبر المناهضين للاستعمار وعرف بدوره الكبير في مجالات النهضة مثل نشر التعليم وإنشاء الجامعة الوطنية، وكان حزبه ينادي برابطة أوثق بالدولة العثمانية، أدت =مجهوداته في فضح جرائم الاحتلال والتدبير بها في المحافل الدولية خاصة بعد مذبحه دنشواي التي أدت إلى =سقوط اللورد" كرومر" المندوب السامي البريطاني في مصر. انظر أكثر : - يحي جلال، العالم العربي الحديث والمعاصر، الجزء الأول. مصر: المكتب الجامعي الحديث، 1998، ص ص 378-383.

\*\* سعد زغلول باشا ( 1858 - 1927): زعيم مصري وقائد ثورة 1919 في مصر وأحد الزعماء المصريين التاريخيين. شغل منصب رئاسة الوزراء ومنصب رئيس مجلس الأمة. أنظر أكثر: =

وقد ساهم الأمير شكيب أرسلان\* من مقره في جنيف بسويسرا في نشر الوعي عن طريق، محاضراته ونشرياته المطبوعة وعلى رأسها مجلة الأمة العربية (La Nation Arabe) التي كانت تصدر باللغة الفرنسية، وكان بحق من الأوائل الذين حركوا فترة الجمود الفكري والسياسي في أرجاء العالم الإسلامي<sup>1</sup>.

ويقول عنه شارل أندري جوليان، بأنه شخصية عجيبة تلك التي لهذا الإقطاعي اللبناني الذي بث طيلة ثمانية عشر عاما. من مكتبه بجنيف تعليماته الإسلامية في دول حوض البحر المتوسط، وبرز ككاتب وداعية، (Le Prince du Manifeste). وكان متضلعا في اللغة العربية حتى لقب بأمير البيان<sup>2</sup> وقد كان لاتصالاته المباشرة مع الزعماء الوطنيين في دول المغرب دورا بارزا في توجهاتهم الوطنية، وفي غرس روح الكفاح المصوبغ بالروح العربية الإسلامية ضد الوجود الفرنسي<sup>3</sup>، ومن بين الشخصيات الجزائرية الهامة التي أثر فيها شكيب أرسلان تأثيرا مباشرا وقويا مصالي الحاج أحد أبرز القيادات السياسية الجزائرية في النصف الأول من القرن العشرين(20).

ومن اقطاب الجامعة الإسلامية الذين زاروا الجزائر "محمد عبده" سنة 1904م وقد ذكر بأنه رجع إلى مصر وهو يحمل ذكرى سيئة عن الجزائر خاصة فيما يتعلق بتدهور اللغة العربية<sup>4</sup>. ويذكر إبراهيم بن العقون في مذكراته بأن هناك سببين رئيسيين جعلوا محمد عبده يأخذ هذا الانطباع عن الجزائر:

- يحي جلال، العالم العربي الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص390.

\* شكيب أرسلان: 1870\_1946 احد اعلام اليقظة العربية والسياسية في العالمين العربي والإسلامي , اديب , صحفي ,وسياسي مناضل , عضو المجمع العلمي العربي بدمشق , اشتهر مجاهدا في حرب طرابلس الغرب ضد إيطاليا ثم انقطع للرحلة والكتابة , من اهم مؤلفاته لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم انظر:يوسف اسعد داغر ,المرجع السابق ج02 ص ص 69, 100

<sup>1</sup> بن العقون، المرجع السابق، ص 55.

<sup>2</sup> شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، ترجمة: محمد مزالي وآخرين. تونس: الدار التونسية للنشر، 1976، ص 32.

<sup>3</sup> بن العقون، المرجع السابق، ص 58

<sup>4</sup> سعد الله، الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص 127.

الأول: اضطهاد الاستعمار للثقافة الوطنية، وهذا أمر لا جدال فيه.

والثاني: أن محمد عبده لم يتصل بالطبقات الشعبية ولا بالمتقنين ثقافة عربية إسلامية خاصة، وقد عرف عنه كرهه الخوض في الأمور السياسية، كما أنه لم يقابل إلا الشخصيات التي قدمت له فرنسا، وهم أصلاً متقنين ثقافة فرنسية<sup>1</sup>. وفي معرض حديثه عن زيارة محمد عبده للجزائر يقول شارل أندري جوليان "في سنة 1904م لم يثر مرور محمد عبده انتباهها خاصاً، وقد تحدث مفتى القاهرة أمام جمع صغير من المستمعين بمسجد متواضع، ولم يخطر على بال أحد ما يظهر بأن ذلك العالم المفسر كان باعث النهضة السياسية والدينية والثقافية والإسلامية"<sup>2</sup>.

وعند التكلم عن محمد عبده كشخصية فإننا نتكلم بدورنا عن أفكار الجامعة الإسلامية كقوة مؤثرة ظهر مفعولها جلياً على الجزائريين بظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931. وبناء على رأي أبو القاسم سعد الله فإن من نتائج أفكار الجامعة الإسلامية على الجزائريين، أن أصبح الصراع بين الجامعة وفرنسا، كما قدمت للحركة الوطنية أفكار جديدة من خلال الكتب والصحافة، وكذلك تشجيع الجزائريين على الهجرة نحو المشرق، كما عملت على بث فكرة رفض التجنيس، كما نقلت القضية الجزائرية إلى مجال أوسع<sup>3</sup>. وإذا كانت أفكار الجامعة الإسلامية قد نجحت في جلب انتباه الجزائريين إليها، فإن ذلك راجع بالدرجة الأولى إلى استعدادهم لتقبل هذه الأفكار وهي التي كانت متصلة لديهم، لولا أن الاستعمار عمل على شل مفعولها بالإجراءات التي اتخذها وكذلك محاولته غلق الأبواب أمام أي تواصل بين الجزائريين وأشقائهم المسلمين في المشرق والمغرب.

<sup>1</sup> عبد الرحمن بن العقون، المرجع السابق، ص 56

<sup>2</sup> جوليان، المرجع السابق، ص 34.

<sup>3</sup> سعد الله، الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص 131.



## المبحث الثاني: الظروف السياسية والاجتماعية لبلاد الشام في بداية القرن العشرين.

شهدت بلاد الشام خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر (19م) العديد من الأزمات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، أدت إلى تكريس حالة من انعدام الأمن والاستقرار وتفشي سياسة القمع والاستبداد، وأدى المسار الذي سلكته الدولة العثمانية في هذه الفترة إلى الانهيار والسقوط في مطلع القرن العشرين، وذلك بسبب البنية السياسية للدولة، التي احتكرت جميع مظاهر السلطة، فيما يعود السبب الآخر إلى التدخلات الخارجية من جانب بعض الدول الأوروبية بدعوى الإصلاح، بالإضافة إلى الأزمات الاقتصادية والاجتماعية التي واجهتها الدولة بسبب امتدادها في مناطق شاسعة يقطنها خليط اجتماعي غير متجانس. فتفاقمت حركات العصيان والتمرد في صفوف الانكشارية، وأشدت التصدع في أجهزتها السياسية.

وبالرغم من أن تاريخ بلاد الشام أصبح جزء لا يتجزأ من تاريخ السلطنة العثمانية منذ انتصارهم على المماليك في معركة مرج دابق سنة 1516م\*، إلا أن البلاد العربية في نهاية القرن التاسع عشر عرفت حركة تنويرية، نمت فيها الوعي القومي، والدعوة إلى الاستقلال السياسي مثل الحركة الوهابية في الحجاز والمهدية في

---

\* مرج دابق: هو اسم معركة قامت في 24 أوت 1516 بين العثمانيين والمماليك قرب حلب، قاد العثمانيين سليم الأول وقاد المماليك الغوري. تمزق جيش المماليك بسبب الخلافات الداخلية. وساءت العلاقة بين العثمانيين والمماليك، وفشلت محاولات الغوري في عقد الصلح مع السلطان العثماني "سليم الأول" وإبرام معاهدة للسلام، فاحتكما إلى السيف، والتقى الفريقان عند "مرج دابق" بالقرب من حلب في 24 أوت 1516م. وكان من نتائج هذه المعركة:

- الرفع من المعنويات العسكرية والنفسية للعثمانيين، لمواصلة حملتهم للقضاء على الدولة المملوكية.
- تأمين سيطرتهم على بلاد الشام، وفتح طريق مصر والحجاز في الوقت نفسه أمام العثمانيين.
- مثلت عاملاً لإتمام وحدة الأناضول. أنظر أكثر:
- فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي (دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية-مطلع العهد العثماني - أواسط القرن 19م)، ط1. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2007، ص 130. وأيضاً، فيليب حتي، تاريخ لبنان من أقدم العصور التاريخية إلى عصر الحاضر. بيروت: دار الثقافة، 1993. ص 430-432.

السودان، وإصلاحات محمد عبده في مصر، فأسهمت في تقليص سلطات الدولة والانتقاص من مكانتها السياسية والدينية بفعل حركات الإصلاح الديني الإسلامي، والتأثير القوي للثقافة الغربية على الثقافة العربية.

### أولاً: الأوضاع السياسية:

عاش عبد الحميد الزهراوي في مرحلة كانت فيها الدولة العثمانية في أيامها الأخيرة، حيث كانت مطمئناً للدول الأوروبية، التي قررت إنهاء حياة الرجل المريض، كما كانت تسمى، فأخذت تتدخل في شؤون الدولة، وتحرض الشعوب على الثورة، بل وتقتطع أجزاء منها، بعد أن هزمتها في ساحات القتال<sup>1</sup>. وقد بلغ الضعف فيها مبلغاً عظيماً، حتى عمت الفوضى جميع أرجائها، وقامت الثورات في كل نواحيها. وبسبب هذا الضعف والتمزق، ساد الظلم والفساد بين موظفي الدولة، وتخلخل الجيش وضعف، وتضعف الاقتصاد.

حاول بعض السلاطين العثمانيين إنقاذ الدولة من وضعها المزرى الذي وصلت إليه، فقام بعضهم بإصدار القوانين التي ترمي إلى الإصلاح، وإنقاذ الدولة من السقوط، غير أن الوقت كان قد فات، ولم تنفع هذه القوانين في شيء. وكان من هؤلاء السلاطين السلطان عبد الحميد\*، الذي حكم الدولة العثمانية في وقت متأخر من تاريخها بين عامي 1876\_1909م، حيث قام بسن قوانين كثيرة بنية الإصلاح<sup>2</sup>، ولكنه سلك مسلكاً ظن أنه يستطيع من خلاله الحفاظ على إمبراطوريته،

1 ليلي الصباغ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ط3. دمشق: منشورات جامعة دمشق، 1991، ص 235.  
\* عبد الحميد بن عبد المجيد بن محمود الثاني، ولد سنة 1842م، وتولى الحكم سنة 1876، وخُلع سنة 1909، نُفي إلى سالونيك (اليونان)، وتوفي في قصر بلكريك في استانبول سنة 1918. اختلف فيه الناس فبعضهم وصمه بالاستبداد والتسلط، وآخرون اعتبروه حاكماً جيداً. ولكن الظروف لم تساعد على حفظ ملكه، لأن المؤامرات التي حيكته ضده كانت كبيرة. عُرف بالذكاء والدهاء، ولم يرضخ لمطالب اليهود في فلسطين. انظر أكثر:

- محمد حرب، مذكرات السلطان عبد الحميد، ط3. دمشق: دار القلم، 1991، ص 17.

2 عائشة عثمان أوغلي، والدي السلطان عبد الحميد الثاني: مذكرات الأميرة عائشة عثمان أوغلي، (ترجمة: صالح سعداوي صالح). عمان (الأردن: دار البشير، 1991، ص 11.

فسيطر على الحكم، وحشد مستشاريه وكتبته ووزراءه في قصر "يلدز" \*، وزاد من الجاسوسية، فعم الشك، والقلق، وسوء الظن، جميع أرجاء الدولة<sup>1</sup>.

وكان السلطان عبد الحميد الثاني يرى في أي دعوة للإصلاح تهديدا للسلطنة العثمانية ككل، ويصف أصحابها بأنهم "عصابة منافقة.. تنكرت لدينها ووطنها"<sup>2</sup>، وانجرت وراء الأفكار الأوروبية المستوردة والمسمومة التي تشكل خطرا وكارثة أليمة<sup>3</sup>، حيث ربط السلطان بين عدائه لأوروبا وبين مناصبته العداء لدعاة الإصلاح، وبالتالي فقد واجههم بسياسة متشددة في محاولة لكبح جماحهم.

وتميزت فترة حكم السلطان عبد الحميد بمظاهر متعددة؛ شملت التضييق على المثقفين والنشطاء السياسيين من دعاة الإصلاح والزج بهم في السجون، ووضع رقابة على الصحافة والتعليم والنشاط السياسي، وفرض الغرامات المالية عليهم، فضلا عن اصدار القوانين المقيدة لحرية الرأي والتأليف والحرية الصحفية<sup>4</sup>، وغيرها من الاجراءات التعسفية، وإن كان بعض المؤرخين يرون بأن السلطان عبد الحميد الثاني، ليس بذلك السوء الذي صوره به بعض المؤرخين في المشرق العربي، ويرون بأنه لم يكون المستبد المطلق، وإنما تدخل ممارساته في ظل ما كان يطلق عليه جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده بـ"المستبد العادل"، وتبريرهم لذلك، وهو ما كانت تعيشه الإمبراطورية العثمانية في ذلك الوقت، من أطماع أوروبية في مختلف الولايات التي تحكمها، بالإضافة إلى الوضع الهش الذي تعيشه البيئة الداخلية في شتى المجالات،

---

\* قصر يلدز (بالتركية: Yıldız Sarayı) هو قصر عثماني يتكون من عدد كبير من الأجنحة والدور، يقع في أسطنبول، تركيا. بني القصر في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وكان مقراً للسلطان العثماني عبد الحميد الثاني والحكومة العثمانية حتى 1853، بدلا من قصر دولمة باهجة..

<sup>1</sup> أحمد طريين، تاريخ المشرق العربي المعاصر، ط4. دمشق: منشورات جامعة دمشق، 1992، ص 370؛ ومحمد كمال الدسوقي، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية. القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، 1976، ص 312؛

<sup>2</sup> عبد الحميد الثاني، السلطان: مذكراتي السياسية 1891-1908م، ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1979، ص 46.

<sup>3</sup> نفسه، ص 196.

<sup>4</sup> فيليب دي طرازي، تاريخ الصحافة العربية، المجلد 1، الجزء 2. بيروت: المطبعة الأدبية 1913م، ص 7.

وضع ورثه ممن سبقه في الحكم، فكان لزاماً عليه أن يعيد تنظيم شؤون الحكم وقمع كل محاولات زعزعة الدولة العثمانية، وكان يدرك أيضاً، الدور الذي كانت تقوم به الحركة الصهيونية، وسعيها من أجل اجتثاث أرض فلسطين، وهو ما حدث فعلاً عقب تنحيته.

وزاد من نقمة الناس سوء الحالة الاقتصادية، حيث عانى الناس من الفقر والجوع، وزاد على ذلك أيضاً انعدام الأمن في السلطنة، حيث زاد السلب والنهب وقل الأمان، مما أدى إلى سوء الأحوال عامة.

وفعلاً كان لتدخل الدول الأوروبية في السلطنة، وطمعهم فيها، الدور المهم في تحريك الثورات فيها هنا وهناك، وشيئاً فشيئاً خرجت الأمور من يد السلطان "مما أدى إلى نشوب الثورة عام 1908م، وكانت الثورة هذه المرة في تركيا نفسها، و ضد السلطان عبد الحميد وسياسته"<sup>1</sup>. وكان هدف هذه الثورة المعلن، هو التخلص من استبداد السلطان وإقامة حكومة دستورية ووضع حد لتدخل القوى الأوروبية<sup>2</sup>.

وسواء كان حكم السلطان عبد الحميد استبدادياً، كما يصفه بعضهم، أم لم يكن كذلك، فإن الاتحاديين الذين تولوا الحكم بعده كانوا أشد استبداداً منه، فعاملوا الشعوب التي كانت تحت سيطرة الدولة العثمانية بعنف واستخفاف، ومجدوا القومية التركية، فنذبوا الخلافة الإسلامية وألغوها، وأعلنت الجمهورية التركية، في 03 مارس 1924<sup>3</sup>. عانت البلاد العربية من الظلم، ومن أقسى أساليب الحكم الاستبدادي الذي مارسه الاتحاديون على هذه البلاد<sup>4</sup>، فارتفعت الأصوات تطالب بالإصلاح، ولم يكن في نية العرب الخروج من الدولة العثمانية، لأن الهدف الأساسي لهم كان يتمثل في الإصلاح<sup>5</sup>، فالروابط التي تربط العرب والترک كثيرة، وأهمها الدين، ولم يكن التفكير بالاستقلال وارداً في نفوسهم.

<sup>1</sup> الدسوقي، المرجع السابق، ص 313.

<sup>2</sup> خيرية قاسمية، الحكومة العربية في دمشق ما بين 1918-1920. القاهرة: دار المعارف، 1971، ص 17.

<sup>3</sup> الدسوقي، المرجع السابق، ص 428.

<sup>4</sup> طربين، المرجع السابق، ص 377.

<sup>5</sup> قاسمية، المرجع السابق، ص 18.

وعندما قامت الثورة في تركيا سنة 1908م، شارك العرب فيها على أنهم عثمانيون، وكان أملهم كبيراً في أن تأتي هذه الثورة بما يطلبون، إلا أن الاتحاديين خيَّبوا الرجاء فيهم، واتبعوا سياسة مركزية شديدة، واستغلوا السلطة لمصلحة العرق التركي باحتكار الوظائف دون السماح لسكان الولايات من العناصر القومية الأخرى من أي نصيب من المشاركة في الحكم<sup>1</sup>، و عملوا على نقل الضباط، والتحكم في الانتخابات، وتشجيع الصحافة التي تمجد النعرة الطورانية، وفرض اللغة التركية كلغة رسمية وحيدة في الدواوين والإدارات والمحاكم والمدارس واستخفوا بالشعوب الأخرى، فقد كان لهم من الأهداف ما أظهرته الأيام فيما بعد. الأمر الذي زاد من حالة التذمر وألهب المشاعر القومية ضد الأتراك، الذين مارسوا أساليب القمع والاستبداد والملاحقة والإعدامات ضد النشطاء الذين وقفوا ضد هذه السياسة.

وكانت سياسة الاتحاديين الاستبدادية، وقمعهم الدموي للعرب، ومذابح جمال باشا\*، وإعدامه لرموز الثقافة والأحرار العرب، ومن بينهم عبد الحميد الزهراوي. ومن الأسباب التي جعلت الشعوب العربية تفكر بالثورة، فساد الإدارة العثمانية وسياسة التضييق المتبعة ضد شعوب المناطق الأخرى.

نالت سوريا بشكل خاص قسطاً كبيراً من هذه السياسة، فقد دخلها جمال باشا في 05 ديسمبر عام 1913م والياً، وبدأ بخداع الشعب، بالحديث عن إحياء التراث العربي واللغة العربية والمجد العربي، ولم يكن لذلك في واقع الأمر أساس حقيقي، فكل أعمال هذا الوالي أظهرت معاداته للفكرة العربية، وخوفه من الحركة العربية، مما دفعه إلى نشر جواسيسه، وتتبع أخبار رجالات الحركة العربية، وتشيتت الكتاب

<sup>1</sup> جورج أنطونيوس، يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية، (ترجمة: ناصر الدين الأسد)، ط8. بيروت: دار العلم للملايين، ص 174.

\* جمال باشا، أحمد جمال باشا القائد التركي الشهير بالسفاح، وبالداغستاني، وبالكبير. ومن مواليد 1872. تولى حكم دمشق بين عامي 1914. 1918م، اعتمد على الإرهاب والبطش، وكانت سياسته تقوم على أساس تترك العناصر العربية، وفي عام 1921م قتله في مدينة تقيس أرمني، انتقاماً لأبناء قومه، يدعى "اسطفان زاغكيان".  
أنظر أكثر:

- أدهم الجندي، شهداء الحرب العالمية الكبرى. دمشق: مطبعة العروبة، 1960، ص 222؛

العربية الموجودة ضمن الجيش العثماني في دمشق إلى الأناضول، واستبدالها بكتائب تركية. وكان من نتائج هذه السياسة المستبدة القبض على العديد من رجالات العرب، وتعليق أفواج منهم على المشانق<sup>1</sup>. مما جعل العرب يوازنون بين الحكم التركي واستمراره، أو الثورة عليه بمساعدة حليف أجنبي، فرأى معظمهم أن مصلحة العرب تقتضي إضرام نار الثورة<sup>2</sup>.

وكان للتدبير الخارجي، وللخطط التي رسمتها الدول الغربية، لتفكيك الدولة العثمانية والقضاء عليها، بمساعدة بعض الفئات العربية، وذلك من أجل مصالحها الخاصة في المنطقة، أثر كبير في حث العرب، وتزيين الثورة في عيونهم على الحكم التركي. فعملت على إثارة الفتن والاضطرابات داخل الدولة، وشجعت الخلافات المذهبية والطائفية والعرقية، من أجل الوصول إلى غايتها المرجوة<sup>3</sup>.

وبالفعل قامت الثورة في عام 1916م، بقيادة الشريف حسين شريف مكة\*، وبتحالف مع بريطانيا العظمى، حيث جرت اتصالات بين العرب والبريطانيين أسفرت عن قيام هذه الثورة، وتوجت الثورة العربية بدخول القوات العربية دمشق في 30 أيلول 1918م، وإعلان الحكومة العربية في قلب عاصمة العرب التاريخية، وبذلك تحررت معظم أراضي آسيا العربية من الحكم العثماني<sup>4</sup>.

غير أن هذه الفرحة لم تدم طويلاً، فقد كانت الدول الاستعمارية قد خططت مسبقاً، ودون علم العرب، وقامت بتنفيذ ما خططت له، وسيطرت على المنطقة

<sup>1</sup> قدورة زاهية، تاريخ العرب الحديث، ط2. بيروت: دار النهضة العربية ، 1985، ص ص 240، 241

<sup>2</sup> طرين، المرجع السابق، ص 3.

<sup>3</sup> مصطفى الخالدي، وعمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، ط3. صيدا (لبنان): المكتبة العصرية 1986، ص 135.

\* الشريف حسين (1854. 1931): أول من أعلن في الحجاز استقلال العرب عن الترك، وآخر من حكم مكة من الأشراف. ولد في الأستانة، وكان أبوه منفياً بها، وانتقل معه إلى مكة فتأدب وتفقّه ونظم الشعر. نفي من قبل الإنكليز إلى قبرص فأقام ست سنين، لكنه مرض فسمح له الإنكليز بالسفر إلى عمان، وبها مات، ودفن في المسجد الأقصى. أنظر أكثر:

- خير الدين الزركلي، الأعلام، ط10. بيروت: دار العلم للملايين، 1992، ص ص 249، 250.

<sup>4</sup> قاسمية، المرجع السابق، ص 46.

العربية، وتقاسمتها في ما بينها، ومزقت أوصالها، ولم يشعر العرب إلا ووطنهم يئن تحت وطأة أحكام مختلفة ومتعسفة، وقوم يرطنون ويعجمون بين ظهرانهم<sup>1</sup>. وهكذا انقسمت البلاد العربية، وأصبحت دولاً متعددة، بعد أن كان كتلة واحدة متصلة، ونجحت الدول الاستعمارية (بريطانيا وفرنسا) في ايجاد واقع جديد لم يعرفه العرب من قبل، وبدأ نضال العرب من جديد ضد هذا الاستعمار الغادر الذي خدعهم، وقسم بلادهم، وزرع كياناً غريباً بينهم في فلسطين.

كان الدين يجمع بين الأتراك والعرب، ولولا سوء معاملة الاتحاديين للعرب وظلمهم واستبدادهم، ولولا ما قام به الأوروبيون من تخطيط محكم لدفع العرب للثورة، ما فكر العرب بالاستقلال عن السلطنة العثمانية المسلمة. ولكن هذا المستعمر الجديد لا تجمع مع العرب أية جامعة، بل على العكس، أثبت لهم أنه عدو بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى، يريد نهب خيراتهم، واحتلال بلادهم، وتهديم دينهم، لذلك فقد قاوموه منذ أول يوم دخل فيه إلى أرضهم، وقامت الثورات الكثيرة في وجهه، ولم تهدأ حتى استطاعت أن تخرجه من أرضها، ونالت البلاد العربية استقلالها بعد أن دفعت ثمناً كبيراً من دماء أبنائها\*.

لكن هذا المستعمر خرج بجسمه وجيوشه، وبقي تأثيره في الحياة العامة. فقد غير من بنية هذه البلاد، وأرسى الضعف والتخلف فيها، وأدخل إليها مفاهيم غريبة عنها، وزرع الخلاف والتشردم بين أبنائها. وقد فرق الاستعمار بين أجزاء القلوب في الشعب الواحد، فرق بين البربر والعرب، وهم متحدون في دينهم ولسانهم، وفرق بين المسلم والنصراني في كل مكان.<sup>2</sup> فانتشرت الطائفية، والعداوة بين أفراد الشعب الواحد، وما زالت البلاد العربية تعاني إلى اليوم من هذا البلاء الذي حل بها، ولم تستطع الاتفاق أو النهوض من جديد حتى وقتنا الحاضر.

<sup>1</sup> طرابيين، المرجع السابق، ص 411.

\* من جملة الشعوب العربية التي قاومت قوة الاحتلال العراقيون والسوريون والمصريون، الذين استعادوا بشكل أو بآخر حريتهم وسيادتهم تباعاً ومنها سوريا سنة 1949

<sup>2</sup> محمد كرد علي، الإسلام والحضارة العربية. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1950، ص 356.

## ثانياً: الأوضاع الاجتماعية:

انقسم المجتمع في ظل الحكم العثماني عموماً إلى طبقتين، طبقة الحكام؛ وتضم القادة والجند وكبار الملاك. وطبقة الرعية؛ التي تضم أفراد الشعب الفقير. ويصف السيد فخري البارودي\* في مذكراته، وكان معاصراً لتلك الفترة، الطبقة الأولى بقوله: "إن أكثرهم كانوا ينظرون إلى الناس نظرتهم إلى العبيد والخدم.... وكان ذوات تلك الأيام، ومعظمهم من أصحاب المزارع الأغنياء، يُكثرون من اقتناء الخدم، فلكل ذاتٍ في داره وكيل خرج يشرف على مصروف الدار، وكاتب للمحاسبة، وقهوجي، حداد، ونادل، وسائس، وكانت بيوت الأكابر تعج بالخدم من سود وبيض"<sup>1</sup>. أما الفقراء فكانوا لا يملكون شيئاً، ويكتفون بأقل القليل بعد العمل الطويل. ومع تقدم الزمن وتأخر الدولة العثمانية ازداد فقر هذه الطبقة ومعاناتها.

وهناك طبقة أخرى كانت تتألف "من التجار، والأطباء، والمحامين، والمعلمين، وأرباب الصنائع والحرف الآخرين"<sup>2</sup>.

وكان الناس يسكنون في المدن والأرياف، فالمدن يعتمد سكانها على الحرف والتجارة، أما أهل الريف فكانوا يعتمدون على الزراعة.

أما الأسرة فقد كانت متماسكة، للأب فيها سلطة قوية لا يُخالف رأيه، ويشرف على شؤون البيت وتكون له الكلمة الأولى والأخيرة في كل ما يتعلق بأسرته.

---

\* فخري البارودي: هو محمد فخر الدين بن محمود البارودي ولد في دمشق 1887، حارب مع العثمانيين في الحرب العالمية الأولى. صار مرافقاً للأمير فيصل وحارب الفرنسيين فاعتقلوه عدة مرات. اُنتخب نائباً عن دمشق على مدى عشرين عاماً، اعتزل العمل السياسي سنة 1948م، توفي في أيار سنة 1966م. أنظر أكثر: فخري البارودي، أوراق ومذكرات فخري البارودي، (تحقيق عبد الحكيم دعد)، القسم الأول. دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 1999، ص 08.

<sup>1</sup> البارودي، المرجع السابق، ص 28.

<sup>2</sup> طربين، المرجع السابق، ص 371.



وبالنسبة لوضع المرأة فقد كان وضعاً سيئاً جداً، ولم يكن لها أية مشاركة فاعلة في بناء المجتمع إلا ما ندر، فقد "تعرضت لانحطاط شديد، زاد عن انحطاط المجتمع، وفقدت أية مساهمة جدية في حركة المجتمع وحياته"<sup>1</sup>.

ومع ازدياد الاحتكاك بالغرب، وتغلغل الأوروبيين في الدولة العثمانية، كانت ملامح التغيير الاجتماعي تتضح تدريجياً، بالرغم من معارضة فريق من العلماء وطلبة العلم، ووقوفهم في وجه جهود كبار الداعين إلى التجديد في السلطنة، عن طريق الأخذ عن الغرب وتقليده، ومناصرة تيار الاقتباس منه<sup>2</sup>.

ومع دخول المستعمر الأوروبي إلى البلاد العربية، دخلت مفاهيم جديدة وأفكار كثيرة أثرت في المجتمع وفي تركيبته وتكوينه الاجتماعي، وبدأت البلاد العربية تحتك بالحضارة الغربية العصرية، وتقتبس منها، فتغير اللباس، وتغيرت الأفكار والعادات، وظهرت إلى الوجود أصوات تدعو إلى الأخذ عن الغرب، ونبذ الماضي بكل ما فيه من أجل النهوض واللاحق بركب المستقبل<sup>3</sup>، فظهر ما يسمى بتيار التغيير، الذي كان يدعو إلى الاقتباس عن الغرب، وعمل كل ما يمكن عمله حتى ولو أدى ذلك إلى تغيير كل شيء مهما كان، أملاً في أن يؤدي ذلك إلى التقدم المنشود.

ويمكن القول إن المجتمع العربي انتقل من حالة اجتماعية، إلى حالة أخرى مختلفة تماماً، وكان هذا نتيجة لما حصل من تغييرات على مستوى العالم ككل، ونتيجة لتشجيع الأوروبيين الذين خططوا لغزو هذه البلاد، والسيطرة عليها بطرق كثيرة ظهرها فيه الرحمة وباطنها فيه العذاب.

### ثالثاً : الأوضاع الدينية:

كان الدين الإسلامي هو الرابط الذي جمع العرب مع الأتراك، وجعلهم يقبلون بحكمهم لبلادهم طوال تلك السنين، وكان الأتراك يدركون هذا جيداً، وكان العلماء

<sup>1</sup> زينب نبوه بجوح، ، زينب فواز رائدة من أعلام النهضة العربية الحديثة. دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 2000، ص 35.

<sup>2</sup> طرايين، المرجع السابق، ص 373.

<sup>3</sup> كرد علي، المرجع السابق، ص 354.

والفقهاء يتمتعون بالاحترام والتقدير في ظل الدولة العثمانية<sup>1</sup>. وقد عُيّنت الدولة بإقامة المساجد والكتاتيب التي تعلم الدين الإسلامي، ووقفت لها الأوقاف الكثيرة وأنفقت عليها بسخاء.

كان مذهب الدولة العثمانية هو المذهب الحنفي، وعُرف عنها أنها شجعت التصوف والصوفية تشجيعاً كبيراً "حتى أن عدداً من العلماء أنفسهم انخرط في الفرق الصوفية العديدة، واختلط الأمر على أفراد الشعب فأخذت مختلف طبقات المجتمع الإسلامي تنتمي هي الأخرى إلى تلك الفرق، وغدا للتصوف مراكز دائمة، ونشاط مستمر، وأصبح من الطبيعي جداً، بالنسبة لذلك العصر، أن يربط كل فرد نفسه بطريقة من الطرق"<sup>2</sup>.

وانتشرت الخرافات والخزعبلات، ودخلت مفاهيم غاية في السذاجة، واعتقد الناس أنها من الدين، فقامت في مقابل ذلك حركات تدعو إلى "الإصلاح الديني، والرجوع بالشريعة إلى أصولها وقواعدها، وإزالة ما أُدخل عليها في عهود الظلام والانحطاط من بدع وأكاذيب، مناهضة للعقل، مناقضة للإسلام"<sup>3</sup>.

وتوسع هذا الإصلاح ودعا "إلى مواجهة التحديات الغربية للمسلمين بالعودة إلى مصادر الشريعة الأصيلة، من قرآن وسنة، وإلى إحياء الإسلام فكرياً وسياسياً، ونبذ الجهل والجمود والتزمت"<sup>4</sup>.

وكان لظهور الشيخ جمال الدين الأفغاني، أكبر الأثر في هذه الدعوة، وكان هم هذا الشيخ الجليل "أن يغير المسلمون ما بأنفسهم من رثاة تقاليد، وغثاة أخلاق بالرجوع إلى القرآن وتعاليمه، وجعله (أي القرآن) روحاً للحركة الدينية، التي دعا المسلمين إليها، وجعل معوله في تقدمهم ورفيهم عليها"<sup>5</sup>. وتوسعت مدرسة الشيخ

<sup>1</sup> الصباغ، المرجع السابق، ص 193.

<sup>2</sup> الصباغ، المرجع السابق، ص 212.

<sup>3</sup> قلعجي، المرجع السابق، ص 9.

<sup>4</sup> طريبن، المرجع السابق، ص 373.

<sup>5</sup> عبد القادر المغربي، جمال الدين الأفغاني، ط3. القاهرة: دار المعارف، د.ت، ص 101.

جمال الدين الأفغاني، وضمت كثيراً من النبهاء والعظماء من أبناء الأمة، وكانت أفكاره تعبر تعبيراً صادقاً عن روح النهضة العربية الحديثة.

ومع دخول الأوروبيين إلى البلاد العربية والإسلامية، وانتشار أفكارهم التي تدعو إلى فصل الدين عن الدولة، وزيادة أعمال التبشير، ظهرت دعوات تدعو إلى ترك الدين والابتعاد عن الإسلام، واعتبرت أنه السبب في التخلف والجمود. فظهر مذهب لا يعترف للدين بأي فضل، وطالب بنبذ الدين، والتخلص من كل ما من شأنه أن يجعل للدين مكانة ورأياً في الحياة، وأن يلتحق المسلمون بمدنية أوروبا. ودعا إلى تكتل العرب دون النظر إلى دياناتهم، وتشكيل أمة عربية تضم جميع العرب مسلمين وغير مسلمين<sup>1</sup>.

وبالمقابل نشأ تيار آخر دافع عن الدين، وبين أن الانحطاط الذي أصاب العرب والمسلمين ليس بسبب دينهم وتمسكهم به، إنما بسبب فهمهم الخاطئ لهذا الدين، وعدم تطبيقه التطبيق الصحيح، كما أمر الله عز وجل<sup>2</sup>.

ومعلوم أن البلاد العربية تحفل بديانات أخرى غير الإسلام، كاليهودية والمسيحية. وقد عاش أصحاب الديانات الأخرى من مسيحيين ويهود بين المسلمين بأمان واطمئنان، وتمتعوا بحقوقهم كافة، فمنذ قيام الإسلام إلى زمن الدولة العثمانية تمتع الفريقان بالأمن، وكانت لهم حريتهم، وكانت لهم علاقاتهم الجيدة مع إخوانهم المسلمين. واستمرت هذه الصورة إلى أن بدأ التدخل الأوروبي، الذي حاول التفريق بين أفراد الشعب الواحد، وحاول تحريك الفتن الطائفية، ليثبت نفوذه في المنطقة ويحافظ على وجوده ومصالحه. ومع خروج الأوروبيين ظهرت أصوات كثيرة تدعو إلى نبذ الخلافات الدينية، وتكوين مجتمع موحد يعيش فيه المسلمون وغيرهم من أهل الديانات الأخرى بأمن وسلام كما كانوا دائماً.

<sup>1</sup> ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة 1798-1939، (ترجمة كريم عزقول)، ط4. بيروت: دار النهار، 1986، ص 425.

<sup>2</sup> أبو الحسن على الحسيني الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ط14. الكويت: دار القلم، 1992، ص 4.

#### رابعاً: الأوضاع الثقافية والتعليمية:

لم يكن حال التعليم في ذلك العصر جيداً بما فيه الكفاية، فالجهل كان عاماً، والأمية منتشرة في كل مكان، والمدارس قليلة، والمدرسون غير أكفاء. وقد حاول بعض الحكام العثمانيين إصلاح التعليم، وخصوصاً في زمن عبد الحميد الثاني، ولكن سوء الإدارة كان له الأثر الأكبر في تكريس الجهل والأمية بين أفراد الشعب. وكان التعليم ينقسم إلى أقسام ثلاثة: تعليم أهلي أُطلق على مؤسساته تسمية المدارس الخاصة، وتعليم حكومي تشرف عليه الدولة، بالإضافة إلى التعليم الديني، المتمثل في الكتاتيب والمدارس الدينية. وكانت المدارس الحكومية تنقسم إلى مدارس ابتدائية، ومدارس رشدية\*، ومدارس إعدادية، ومدارس اختصاصية مثل دور المعلمين والمكاتب الصناعية والزراعية والكليات المتقدمة الأخرى، والتي تمركزت بشكل أساسي في الأستانة<sup>1</sup>.

ولا يمكن إغفال دور البعثات التبشيرية الأوروبية التي حاولت الدخول إلى قلوب وعقول المسلمين من بوابة التعليم، فافتحت المدارس المتنوعة، وأنشأت الكليات العالية مثل الكلية السورية البروتستانتية التي سُميت فيما بعد بالجامعة الأمريكية لكل من بيروت والقاهرة<sup>2</sup>.

وبالرغم من هذا التنوع إلا أن المدارس لم تكن كافية، والحالة التعليمية فيها كانت متأخرة ومتخلفة، بالإضافة إلى أنها لا تدرس اللغة العربية، فالدولة العثمانية، وبعد استيلاء الاتحاديين على الحكم، جعلت التدريس باللغة التركية، وكانت تدرس حتى اللغة العربية والنحو والصرف باللغة التركية<sup>3</sup>. لهذا واجه الطلاب مصاعب لا قبل لهم بتذليلها، وأهمها قضية اللغة آنذاك، لغة الحاكم التركية، وهي اللغة الوحيدة

\* المدارس الرشدية: هي المدارس التي أنشئت في عهد السلطان عبد الحميد، وعددها تسع وعشرون مدرسة في ولايات الدولة جميعها، وكان هدفها تهيئة الطلاب لمتابعة الدراسة الجامعية. أنظر أكثر:

- طربين، المرجع السابق، ص 281.

<sup>1</sup> طربين، المرجع السابق، ص 375.

<sup>2</sup> محمود كامل، الدولة العربية الكبرى. القاهرة: دار المعارف، 1958، ص 372.

<sup>3</sup> عبد العزيز عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1864. القاهرة: دار المعارف، 1969، ص 262.

التي تُدرس في مدارس الدولة، أما اللغة العربية فلم تكن تُدرس إلا في الكتاتيب والمدارس الدينية<sup>1</sup>.

أما المدرسون فكانوا غير أكفاء، ولم يكن إعدادهم جيداً. وذكر أحد الكتاب أن الوظائف التدريسية كانت تُوضع في المزاد، ليتولاها من يقبل بأقل أجر بغض النظر عن معرفته بالعلم الذي يريد تدريسه<sup>2</sup>. لذلك اتجه الناس إلى المدارس الأهلية والتبشيرية، والتي انتشرت في الدولة العثمانية انتشاراً كبيراً لما وجدوا أنها تتقدم عن مدارس الدولة الحكومية تقدماً كبيراً. وتنافس المرسلون الأمريكيان واليسوعيون والعازار يون في بث المعرفة والتبشير، وإعمار مدارسهم وكلياتهم، فكان عليّة القوم يأنفون من وضع أولادهم في المدارس الحكومية، فاتجهوا إلى هذه المدارس، التي اهتمت بتدريس اللغة العربية، واللغات الأوروبية، والعلوم الحديثة بطريقة تفوقت فيها على المدارس الحكومية بصورة كبيرة جداً<sup>3</sup>.

أما الكتب وانتشار الثقافة، فقد كانت الكتب عزيزة الوجود، وإن وُجدت فقد كانت غالية الثمن. وصحيح أن هناك مكتبات عامة، لكنها كانت قليلة، تحوي المخطوطات والكتب، ولكن الأيدي لا تصل إليها بسهولة<sup>4</sup>.

وبرزت إلى الوجود الصحف التي بدأت بداية خجولة، ثم ما لبثت أن انتشرت في كل البلاد العربية، وتبارى المثقفون في الكتابة فيها، وكان انتشارها في مصر أكبر من انتشارها في الشام، وذلك بسبب الرقابة الشديدة من قبل السلطات العثمانية. وكانت أكثر الصحف الموجودة في مصر هي لناس من نصارى الشام، الذين هاجروا إلى مصر وأنشأوا فيها صحفهم، لما كانت تتمتع به مصر من حرية نوعاً ما في ذلك الوقت<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> عبد العزيز عوض، المرجع السابق، نفس الصفحة

<sup>2</sup> كرد علي، المرجع السابق، ص 345 .

<sup>3</sup> سامي الدهان، الأمير شكيب أرسلان حياته وآثاره. القاهرة: دار المعارف، 1960، ص 50.

<sup>4</sup> نفسه، 46.

<sup>5</sup> محمد منير سعد الدين، الإعلام، بيروت: دار بيروت المحروسة، 1991، ص 109.

### خامسا: الأوضاع الاقتصادية:

عاش عبد الحميد الزهراوي في مرحلة كانت الدولة العثمانية خلالها ضعيفة في كل المجالات، وخصوصاً في المجال الاقتصادي، وكانت النشاطات الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة متأخرة وضعيفة. حيث عانت الدولة خلال فترة حكم عبد الحميد الثاني أخطر أزماتها المالية التي كانت تتصاعد سنة عقب أخرى، بعد فشل البرامج الإصلاحية في انقراض الاقتصاد التداخي، ووجهت أغلب الجهود والإمكانات إلى تحديث الجيش والنظام الإداري، مما تسبب في زيادة الانفاق دون العمل على تطوير خطط النهوض الاقتصادي، وتحديث المجتمع وتجديد العلاقات الانتاجية وحماية الانتاج المحلي وتنمية الصناعات الوطنية<sup>1</sup>.

إلى جانب ذلك فقد انهكت الامتيازات الأجنبية الاقتصاد العثماني، بعد أن أتاح للدول الأوروبية إمكانيات اقتصادية فائقة، مكنتها من إحداث تغلغل اقتصادي في كافة أرجاء الدولة دون رقابة أو حواجز. مما أدى إلى تداعي النظام الضريبي والجمركي القائم على حماية المنتج المحلي من المنافسة الأجنبية، وحال دون القيام بتنفيذ مشروعات إصلاحية والحصول على موارد مالية جديدة<sup>2</sup>، سهل الغزو الاقتصادي للأسواق العثمانية القضاء على الصناعات المحلية التقليدية، التي عجزت عن مقاومة هذا الواقع الجديد، وكبلت تلك الامتيازات حركة الانتاج المحلي ونزعت عنصر المبادرة والمنفعة من يد التاجر المحلي ومنحتها للتاجر الاوروبي<sup>3</sup>.

انعكست الامتيازات الاقتصادية الأوروبية سلباً على الوضع الاقتصادي في الولايات العثمانية، التي أصبحت بسببها مجرد سوق لتصريف السلع الأوروبية، وبعبارة أخرى إلى مجرد مستعمرة للدول الأوروبية الرأسمالية، بعد أن اكتسبت الامتيازات الأجنبية شكل الالتزامات الدولية، وفتحت الباب أمام الرأسمال الأجنبي،

<sup>1</sup> عبد الكريم غرابيية، سوريا في القرن التاسع عشر 1840-1876م. القاهرة: معهد الدراسات العربية، 1962م، ص 159.

<sup>2</sup> قيس العزاوي، الدولة العثمانية، قراءة جديدة في عوامل الانحطاط، ط1، بيروت: الدار العربية للعلوم، 1994م، ص 27.

<sup>3</sup> غرابيية، المرجع السابق، ص 159.

بعد أن تعهدت الدولة العثمانية بمنح امتيازات السكك الحديدية والبنوك وصناعة التعدين وغيرها من الامتيازات؛ كإلغاء الضرائب على السلع الأجنبية الواردة، ومنح الأجانب حق شراء الأراضي<sup>1</sup>.

ومن أجل مواجهة الأزمة المالية لجأت السلطنة العثمانية إلى فرض ضرائب عالية في البداية، كجزء من حل مؤقت لمواجهة تلك الأوضاع الصعبة، ثم لجأت فيما بعد إلى الاقتراض من الدول الأوروبية<sup>2</sup>، مما أوقعها في مأزق الرساميل الأجنبية، وثم اختراق اقتصادها بشكل كامل من خلال تأسيس "مؤسسة إدارة الدين العام العثماني"؛ والتي تم بموجبها تسليم اقتصاديات الدولة العثمانية للدول الأوروبية وخاصة بريطانيا وفرنسا<sup>3</sup>. لقد تمكنت هاتان الدولتان من الاستيلاء على عائدات بعض الاحتكارات مثل الملح والطوباع والدمغات والكحول، مقابل رؤوس الأموال المودعة<sup>4</sup>. مما زاد من حدة الأزمة وتعقيدها وعجز الدولة عن إحداث أي إصلاحات اقتصادية لإنقاذ الوضع.

وقد انعكست هذه الأزمة على الوضع الاقتصادي في بلاد الشام خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حيث شهد النشاط الاقتصادي بها تراجعاً ملحوظاً، تفاقم مع مرور الزمن ليمس جميع فئات المجتمع وفي كافة مناطق البلاد<sup>5</sup>. فالاجتياح السلعي الأجنبي كان على حساب الإنتاج الحرفي المحلي، الذي لم يستطع الصمود، مثل الصناعات النسيجية، التي كانت تشكل ثروة عدد من المدن الشامية<sup>6</sup>، فقد أدت الضرائب المرتفعة، ورفع التعريفات الجمركية التي تحمي الصناعة المحلية من منافسة المنتجات الرخيصة المستوردة من الخارج، إلى إفلاس هذه الصناعة.

<sup>1</sup> سيار الجميل، العرب والأترك، ط1. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1997، ص 81.

<sup>2</sup> نفسه، ص 81.

<sup>3</sup> نفسه، ص 87.

<sup>4</sup> قيس العزاوي، المرجع السابق، ص 72.

<sup>5</sup> المرجع السابق، ص 95.

<sup>6</sup> وجيه كوثراني، المرجع السابق، ص 146.

أما في المجال الزراعي التي تعتبر العماد الأساسي للاقتصاد عند أهل الشام، فقد تعرض لتراجع حاد، خاصة إذا علمنا أن الصناعات الحرفية الشامية تعتمد في أغلبها على الزراعة كمادة خام أساسية بشقيها النباتي والحيواني، فقد كان الارتباط وثيق بينهما بحيث يتأثر كل منهما بنشاط الآخر.

وكانت الزراعة في الأساس تعاني من الضعف والتأخر. وقد حاولت السلطنة العثمانية أن تحسن من أدائها في هذا القطاع، فكانت تسن القوانين التي تهدف إلى إصلاح الزراعة وتحاول تنفيذها، ولكنها كانت تفشل في ذلك، وذلك لعدة أسباب كان من أهمها سوء الإدارة، وتفشي الرشوة وضعف الكادر التنفيذي<sup>1</sup>.

كان نظام الإقطاع منتشراً في ذلك الوقت، وقد أضر هذا النظام بالزراعة ضرراً كبيراً، فالإقطاعيون كانوا يعاملون الفلاحين معاملة ظالمة، وأكثروا عليهم الضرائب والأعباء المادية. وجاء زمان والفلاحون يتنازلون برضاهم عن أرضهم إلى الإقطاعيين، لأنهم لا يستغلون منها ما يفي بالضرائب الموضوعه عليها لكثرتها، ليس على الفلاحين والأراضي الزراعية وحدها، بل على كل مرافق الحياة الاقتصادية، تحاول الدولة من خلالها أن تعوض ما كانت تخسره في حروبها الكثيرة<sup>2</sup>. فكانت تفرض ضرائب متعددة تحت ذرائع وحجج مختلفة، كضريبة الإعانة أو ضريبة إنشاء سكة الحديد أو بناء الأسطول، وضرائب أخرى على رؤوس الماعز والأغنام، وغيرها من الضرائب المرهقة على الفلاحين، والتي كانت تقترب في أحيان عدة مستويات تكلفة قيمة الإيجار الذي يتقاضاه مالك الأرض من الفلاح، بحيث يتحول العمل في الزراعة إلى عبء يفوق طاقة الفلاحين، وتتحول حيازة الأرض إلى التزام مرهق يدفعهم للوقوع في مصيدة الديون، فيلجؤون إلى اقتراض المال لتسديد ما يترتب عليهم من ضرائب لعجز الانتاج عن سد تلك الالتزامات.

وانتشر نظام الالتزام فكانت "الدولة تطرح الأعشار في المزاد العلني لكي تقبض ريعها من الملتزم سلفاً، وتطلق له العنان في تحصيلها من طرف المكلفين. وكم تحمل

<sup>1</sup> عبد العزيز عوض، المرجع السابق، ص 245.

<sup>2</sup> محمد كرد علي، المرجع السابق، ص 317.



الناس من ظلم الملتزمين عند التحصيل، فقد كان هؤلاء من أرباب النفوذ الإقطاعيين، وكانوا يتفقون مع الحكام على سلب الفلاح<sup>1</sup> كل ممتلكاته.

فقد عانى الفلاحون في مختلف أرجاء الشام من الفقر والظلم، فقد كانت للوسائل البدائية المتبعة في الزراعة وفقر التربة وتقلب المناخ وانتشار الأوبئة والأمراض؛ كالآفة الزراعية التي أصابت دودة القز (المنتج للحير) بين سنتي 1865 و1871م، مما أدى إلى انخفاض الانتاج بنسبة 58%<sup>2</sup>، وكذلك هجوم الجراد كما حصل بين سنتي 1865 و1866م، والذي أدى إلى تدمير محاصيل القطن والسهم وأشجار الزيتون والفواكه ومساحات واسعة من الأراضي المزروعة في بلاد الشام<sup>3</sup>، بالإضافة إلى الفيضانات والمجاعة التي تضرب البلاد بين الحين والآخر.

ومما ساهم أيضا في التراجع الزراعي وزاد من معاناة الفلاحين، التجنيد الإجباري، حيث كان على الذكور ما بين (18-45) سنة، أن يؤدوا الخدمة العسكرية الإجبارية<sup>4</sup>، التي كان لها تأثير سيء من الناحيتين الأمنية والاقتصادية بشكل ملحوظ، بعد أن أدت إلى هجرة أعداد كبيرة من الشباب هربا من أداء الخدمة، الأمر الذي أدى نقص العناصر المنتجة في الأرض، مما شكل عاملا آخر من عوامل إضعاف الزراعة والتأثير على حياة الفلاحين المعيشية، ودفع بجموع الفلاحين للبحث عن مصادر رزق في أماكن أخرى لتلبية متطلبات حياتهم المعيشية.

وهكذا، نرى أن عبد الحميد الزهراوي عاش في عصر كثير الاضطراب، يطغى التخلف فيه على شتى مناحي الحياة. فقد كانت الحياة السياسية مضطربة كثيرة الحروب، مما أسفر عن فقدان الأمن والاستقرار. وكان لسقوط الدولة العثمانية، ووقوع البلاد العربية تحت سيطرة الأوروبيين، الأثر البالغ في التغيير الذي طرأ على بنية المجتمع العربي، وقد أدخل الأوروبيون إلى هذه البلاد أفكاراً كثيرة، وعادات غريبة لم

<sup>1</sup> البارودي، المرجع السابق، ص 103.

<sup>2</sup> Orfalea, Op, Cit, P 110.

<sup>3</sup> Ibid, P 123.

<sup>4</sup> صليبا، المرجع السابق، ص 68.

تكن معروفة فيها من قبل، وفتح عيون العرب على الحضارة الغربية، واستخدم أساليب كثيرة للسيطرة على هذه الشعوب، وعلى خيرات هذه البلاد، فكان العرب أشبه بنائم مستغرق في نوم عميق وفجأة... أيقظه ضجيج قوي، فقام مذعوراً لا يعرف أين هو وماذا حصل، فهو يحتاج إلى وقت حتى يستطيع أن يستوعب ما جرى.

هذا الاضطراب السياسي انعكس على كل المجالات الأخرى الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، فكان له تأثير كبير في حياة السيد عبد الحميد الزهراوي، وفي صوغ أفكاره، وفي طروحاته التي قدمها، والتي حاول من خلالها أن يقدم ولو شيئاً صغيراً لأمته من إصلاحات كان يراها ضرورية للنهوض بهذه الأمة، لتعود كسابق عهدها أمة وسطاً بين الناس، تتبوأ مركز الصدارة والريادة بين جميع الأمم.

وما يمكن أن نقوله، هو أن السياسة العثمانية في الولايات العربية خلال القرن التاسع عشر خلفت آثاراً مدمرة، لأن الدوائر الحكومية العثمانية صبت اهتمامها على خلق ظروف مناسبة لسحب أكبر قدر ممكن من الأموال للإنفاق على الجيش، وتلبية المطامع المتنامية للطبقة الحاكمة. وازداد سلب المناطق الخاضعة للحكم العثماني بسبب الإخفاقات العسكرية المتتالية وفساد الحكام، والصراع بين الحكام المحليين وتسابقهم في نهب المناطق الخاضعة لإدارتهم. كل ذلك أدى إلى انحطاط الاقتصاد في الولايات العربية من الدولة العثمانية.

### خلاصة الفصل:

ونخلص مما سبق في هذا الفصل، بتشابه البيئة السياسية والاجتماعية لكل من الجزائر وسوريا في عديد من المجالات، إلا في بعض الاستثناءات القليلة والتي منها الطبيعة الاستيطانية للوجود الفرنسي في الجزائر، حيث خضع الشعب الجزائري لقوانين معاملة استثنائية استعمارية، ولنمط تسيير عسكري وإداري اتسم بالقمع والتعسف، وألحقت السياسة الاستعمارية أضراراً بأموال وأوقاف الجزائريين مما انعكس سلباً على حالتهم الاجتماعية البائسة. فظهرت الأوبئة والمجاعات، وتنامت ظاهرة الهجرة خارج البلاد.

كما شهدت الجزائر غزواً ثقافياً، بحيث تمّ تهديم البنى التعليمية الأصيلة، والتضييق على كل المحاولات للحفاظ وترسيخ الهوية الجزائرية الأصيلة، عبر تأسيس جمعيات مستقلة عن الإدارة. وانعكس ذلك ايجاباً بشكل كبير على بروز حركية تنويرية قادها رجال الفكر والاصلاح في مختلف مدن وقرى الجزائر، وكان لرجال الاصلاح والنهضة الدور الأبرز في مواجهة العديد من المشاريع الاندماجية سواءً عبر بوابة التجنيس أو التعليم الحكومي.

كما اتسمت هذه الفترة بفرض قانون "التجنيد الإجباري" للجزائريين في الجيش الفرنسي، وبداية تشكل تيار سياسي معارض لكل ما يمس بالشخصية الجزائرية المسلمة.

لم تكن أوضاع سوريا بأحسن حالاً منها في الجزائر، على الرغم من اختلاف طبيعة السلطة الحاكمة في كلا البلدين، فقد كانت سوريا امتداداً للوضع العام في الدولة العثمانية في سنوات أفولها الأخيرة، تحيط بها سمات التفكك والتخلف والجهل والاستبداد. بالإضافة إلى المعاملة الدونية للسوريين من طرف الولاة العثمانيين، وانتقال كاهل الأهالي بالضرائب مما زاد من صعوبة ضيق سبل العيش الكريم. وقد ساهمت التدخلات الأوروبية في شؤونها الداخلية في الولايات والباب العالي، من تعميق مختلف أزماتها الاقتصادية والاجتماعية، والتي جعلت من أوضاع السكان شبيهة بالأوضاع المجتمعات التي تكون تحت الاستعمار، والتي منها الجزائر.

وما يكن أن نستنتج من خلال هذا الفصل هو أن الأوضاع العامة المزرية التي عاشتها كل من الجزائر وسوريا على جميع المستويات، كانت لها الأثر الكبير في تحديد توجه عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي نحو تبني خيار الإصلاح كضرورة ملحة من أجل إنقاذ بلديهما من مظاهر البؤس والفساد اللذان تسببت فيها السلطات الحاكمة في كل منهما، ومنهما إلى عموم البلاد العربية. وقد ساهمت كتاباتهما ورؤاهما في بلورت الحركات الاصلاحية داخل البلاد العربية والاسلامية على اختلاف مبررات كل تيار للإصلاح والإطار الذي يتحقق فيه. فقد ساهمت هذه التيارات في بعث النهضة العربية سواء في إطار الجامعة الاسلامية أو الإطار

القومي، وقد استفاد كل من عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي من الانفتاح الفكري الذي عرفته مصر في تلك المرحلة، فنهلوا من المنابع الفكرية المختلفة التي كانت سائدة بها، وكانت مصر أول محطات الرجلين لنقل فكريهما إلى عموم البلاد العربية، من خلال ما كان يكتبانه في جرائدها ومجالاتها.

لقد فشلت كل محاولات الاصلاح التي قامت بهما سلطات الاحتلال الفرنسي والدولة العثمانية في استيعاب المطالب العربية والتعبير عن هموم المجتمع وإخفاقاتهما في السياسة والاقتصاد.

## الفصل الثاني:

### عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي؛ المولد والنشأة

المبحث الأول: عمر بن قذور؛ مولده ونشأته

المبحث الثاني: عبد الحميد الزهراوي؛ مولده ونشأته

خلاصة الفصل:

انطلاقاً من نظرية أن الإنسان ابن بيئته، كان من الضروري التطرق إلى أثر البيئة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية، على نشأة وتكوين كل من "عمر بن قدور" و"عبد الحميد الزهراوي"، فقد كان للأوضاع السائدة خلال نشأتها دوراً رئيساً في بناء شخصية كل منهما، وفي تحديد توجهاتهما الفكرية والإصلاحية، فقد عاش "عمر بن قدور" حياته في ظل الاحتلال الفرنسي، الذي أحكم سيطرته على الجزائر منذ سنة 1830م، هذا الاحتلال الذي انتهج سياسة تستهدف الهيمنة على الإنسان بكل مقوماته، وجعله مسلوب الهوية والروح والثقافة والفكر، بعد أن تمكن من الاستيلاء على الأرض؛ فمارس القمع والإقصاء والتهميش وصادر الحقوق السياسية والمدنية، ولجأ إلى التقيير والتجهيل ونشر الأمية بين صفوف الجماهير، وأحكم قبضته على الدين الإسلامي ومؤسساته، وشجع الطريقة المنحرفة والدروشة والدجل باسم الإسلام، وحارب العلماء والمثقفين الحقيقيين من أمثال "عمر بن قدور" و"عمر راسم" وغيرهما من الوطنيين، وذلك بالقتل والتضييق والإبعاد والنفي والسجن... .

وعلى النقيض من ذلك فتح الباب أمام غلاة المستوطنين القادمين من مختلف البلدان الأوروبية، للتمتع بكل الامتيازات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، التي لم تكن متاحة لهم حتى في بلدانهم الأصلية. ومنه يمكن القول أن الجزائر في عصر "عمر بن قدور"، كانت تتميز ببيئتين: الأولى تشمل معظم المجتمع الجزائري المحروم من أبسط الحقوق الإنسانية، والثانية أوروبية تضم مجتمع المستوطنين؛ الذين أطلقت إدارة الاحتلال يدهم في القمع والبطش والاستغلال، ونفس الحال في سوريا حيث عاش الزهراوي بيئة مشابهة مع بعض الاختلاف في الأسلوب وأدوات الاستبداد، باختلاف طبيعة ونمط المحتل، وإذا كانت الدولة العثمانية المهيمنة على بلاد الشام تمارس سياسة التتريك وإقصاء السكان المحليين من المشاركة في الحكم، بل أكثر من ذلك تقوم بقمع كل تحركاتهم واللامبالاة بمطالبهم ومعاتاتهم من استبداد الولاية.

ولاستكمال الصورة نخرج في الصفحات الموالية لحياة "عمر بن قدور" و"عبد الحميد الزهراوي"، وإن كانت المهمة ليست بالأمر السهل على أكثر من صعيد،

فالمصادر والمراجع التي أمكنني الحصول عليها لا تغطي كل المراحل في مسيرة الرجلين، حيث تظل بعض المحطات العمرية الخاصة بهما مجهولة، أو تتناقض المراجع في توصيفها وتبيان أثرها على حياتهما وفكرهما، والهدف من دراسة عمر بن قذور من حيث المولد والنشأة، هو ابراز أهم المحطات في حياته، ومصادر تكوينه الفكري سواء داخل الجزائر اوخارجها، بالاضافة إلى الشخصيات التي رسمت معالمها في مساره في مرحلة الطفولة والشباب، كما تناول المبحث أعمال بن قذور خلال مسار حياته والجرائد والمجلات التي كتب بها، والمعالم الفكرية التي كان يدافع عنها نهاية بتصوفه واعتزاله العمل في الصحافة.

والأمر نفسه، عندما تم التوقف عند مولد ونشأة عبد الحميد الزهراوي، بحيث تم سرد مختلف المحطات الرئيسية في حياته. سواء في ولاية حلب أو بالاستانة عاصمة الخلافة أو في مصر، وقد حاولت التدقيق في بعض المواقف الفاصلة في حياته، والمسارات التي أخذها بعد ذلك، ولم يغفل المبحث أيضا مصادر فكر الرجل، ومبررات مواقفه من الباب العالي وجماعة الاتحاد والترقي، وغيرها من الحركات الفكرية الناشئة في ذلك الوقت بسوريا ومصر ولبنان، كما عرضنا دور الزهراوي في الدفع بحركة الفكر العربي واسهاماته المتميزة في مجلته الحضارة أو المنار لصاحبها محمد رشيد رضا، كما تم الكشف عن دور وموقف الزهراوي في مؤتمر باريس، ومبرراته لدخول مجلس المبعوثان وغيرها من الأحداث ذات الأهمية.

المبحث الأول: عمر بن قدور مولده ونشأته.

ولد "عمر دزيريل" ابن قدور بن سعيد، وابن "ياسن يمينة بنت أحمد"<sup>1</sup>، بمنطقة الأربعاء (ضواحي العاصمة الجزائرية)، في سبتمبر سنة 1886، حسب ما أكده هو شخصياً في مقالة له بجريدة الحضارة الصادرة بالاستانة حول التجنيد الإجباري<sup>2</sup>. إن اللجنة ستستدعي كل الشبان الذين يتراوح سنهم بين 18 سنة و25 سنة، وإن صح هذا القول فإنني سأكون من جملة الذين سيحملون السلاح بموجب هذا القرار، لأن سني الآن لا يتجاوز الخامسة والعشرين سنة، فقد ولدت في سبتمبر سنة 1886، وفي سبتمبر من هذه السنة بلغت هذا السن<sup>2</sup> وتزامن ميلاد بن قدور مع فترة الحاكم العام "لويس تيرمان" (Louis Tirman)\*؛ المعروف بمحاباته للمستوطنين ومعاداته للجزائريين<sup>3</sup>. ثم انتقلت به عائلته إلى مدينة الجزائر، حيث استقرت بحي الأبيار في أعالي العاصمة.

ولم تشر المصادر والمراجع إلى نسب عمر بن قدور، ولا إلى مصدر كنيته الجزائري، لكن من المرجح أنه ألحق هذه الكنية بإسمه نسبة إلى وطنه، كحال أغلب الكتاب والصحفيين العرب في ذلك الوقت، إعتزازاً منهم بأوطانهم وتمييزاً لهم عن الأسماء الأخرى المتشابهة<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> Associations Culturelles Musulmanes, in : A.N.A (Archive Natinoal d'Algérie) ; IBA/CUL-18 ,N°881.

<sup>2</sup> عمر بن قدور الجزائري، "سنحمل السلاح ونحن صاغرون، مجلة الحضارة، العدد 79، 12 أكتوبر 1911، ص 10.

\* لويس تيرمان Louis Tirman: (29 جويلية 1837 - 2 أوت 1899) كان الحاكم العام للجزائر الأطول مدة، من 26 نوفمبر 1881-أفريل 1891. وقد عينه ليون غامبetta (Gambetta Léon) خلفاً للحاكم ألبير كريفي (Albert krifi) على رأس الإدارة الاستعمارية في الجزائر. لقد كان لويس تيرمان، أداة طيعة في يد المستوطنين حيث استطاعوا من خلاله أن يجعلوا الجزائر مستعمرة خاصة بهم تكون مستقلة عن فرنسا في العديد من القضايا المصيرية.

<sup>3</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الخامس. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998، ص 276.

<sup>4</sup> عمر بن قينة، أعلام وأعمال في الفكر والثقافة والأدب. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2000، ص 33.



سمحت الظروف التي نشأ فيها "عمر بن قدور" بمدينة الجزائر العاصمة، بتلقي تربية دينية وعصرية في نفس الوقت، وقد أشار إلى ذلك في بعض كتاباته التي يفهم منها أنه من عائلة عريقة، تهتم بالعلم والأدب، حريصة على غرس تعاليم الإسلام في نفوس أبنائها، فكان أبوه يصطحبه معه إلى مجالس الفكر، وخاصة إلى مسجد سيدي رمضان بالقصبة، بهدف "تدريبه على الصلاة، وترويض ذهنه الصغير على التدين، والتخلي بأخلاق الإسلام"<sup>1</sup> - حسب ما ذكره بن قدور-. ومن ذلك يمكن القول أن التربية المسجدية أثرت كثيرا في التكوين الفكري والعقائدي لـ"عمر بن قدور"، وكان للشيخ محمد السعيد بن زكري (1850-1914)\*، الأثر الكبير في تربية بن قدور، هذا الأخير تأثر بشيخه كثيرا، وهو ما تدل عليه المراثية التي كتبها في مجلة الفاروق، - والتي كان الشيخ من قرائها المداومين-، حيث يروي بن قدور عن آخر زيارة قادت أستاذه إلى مقر المجلة، فيقول: "لأنها كانت آخر عهدي بمفتي الإسلام الذي كان يفتح قلبي بعد أن أسست "الفاروق". كلما قابلته بلطفه وحنوه يبارك لي عملي"<sup>2</sup>.

ووصف بن قدور معلمه في ذات المقال، بأنه أحد المُصلحين والمُرشدين الذين افتقدتهم الجزائر، مؤكدا بالحرف الواحد: "... أستاذنا وإمامنا فقيه العلم والإسلام، وقدوة العلام ومهذب الأذهان والأفهام المرحوم الشيخ بن زكري محمد السعيد..<sup>3</sup> كما كانت لوالدة بن قدور التي توفيت سنة 1914 عظيم الأثر في مسيرة حياته، إذ كانت امرأة تقية متورعة متهذبة تهذيبا روحيا، الأمر الذي مكنها من أن

<sup>1</sup> جريدة الفاروق، العدد 57، 20 أفريل 1914.

\* الشيخ محمد بن سعيد بن زكري: خطيب مسجد (سيدي رمضان) بالجزائر العاصمة سنة 1896، ومفتي المالكية في الجامع الأعظم سنة 1908م، وبعد من أبرز مدرّسي العاصمة، وكان من الفقهاء المتمكنين من علمهم، له كتاب بعنوان " أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل" الذي طبعه في الجزائر سنة 1902، وأحدث به ثورة في الفكر الإصلاحية، حيث أدخل إحدى المفاهيم الأساسية في الإصلاح الجزائري، وهو الكفاح ضد الشرك، وقد تأثر به عمر بن قدور أيما تأثر. للمزيد أنظر أكثر:

- سعد الدين بن شنب، " النهضة العربية في الجزائر في النصف الأول من القرن الرابع عشر للهجرة"، مجلة كلية الآداب (جامعة الجزائر)، العدد 01، 1964، ص 47، 1964، ص 47.

<sup>2</sup> عمر بن قدور، " إلى الروح المقدسة، الفاروق، العدد 57، 20 أفريل 1914م

<sup>3</sup> نفسه.

تشمل ولدها برعاية وتربية وتأديب كبير، في هذا المقام يذكر بن قدور بأنه " لو كنت أعلم أنّ هذه الدموع التي تتصبّب من مقلتي، تقنعني بالجواب لسألت كلّ قطرة منها علامة نزلت من جحرها، وبرزت من مكمّنها على تلك الوالدة التي طالما ضمّنتني إلى صدرها، وقربّنتني لفؤادها، وأعدّدت لي في حضنها مّتكناً رحباً ومضجعا واسعاً " وقد سجّل بن قدور في ذات المقال أهمّية رعاية أمّه له والتي اعتبرها مهمّة شاقّة قامت بها بكل نشاط في تكوين ذاته بين الذوات منذ كان رضيعاً. لقد اعتبرها والدة تقدر واجب الأمّهات حق قدره ووصفها بقوة الإيمان والتقوى<sup>1</sup>.

وحرصاً من أبيه على تربيته تربية دينية، - التي كانت تعتبر شكلاً من أشكال المقاومة ضد الغزو الفكري والثقافي الفرنسي - أرسله إلى الكُتاب وعمره ما بين خمس أو ستة سنوات<sup>2</sup>، وفي نفس الوقت كان يتردد على المدرسة الثعالبية\*، فحفظ القرآن الكريم، وتعلم مبادئ اللغة العربية، ثم التحق "بالمدرسة الرسمية" التي كان التعليم فيها مزدوج اللغة في ذلك الوقت، وكانت السلطات الفرنسية تعتمد على خريجها في مجال القضاء، وصناعة النخب الهجينة، وفي نفس الوقت القضاء على المدارس الإسلامية الحرة<sup>3</sup> والتقليل من أهميتها، وهو ما جعل بن قدور يغادر مقاعدها، ويسافر إلى تونس ثم إلى مصر ليتمّ تعلمه<sup>4</sup>، ولا تذكر الدراسات السابقة متى وكيف التحق بالزيتونة، ولا متى وكيف سافر إلى مصر، و لا عن المشاركة في صحافتها<sup>5</sup>، إلا أن إسمه في جريدة اللواء بدأ بالظهور سنة 1906م<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> عبد الحميد ساحل، عمر بن قدور الجزائري، رائد الصحافة الإصلاحية في الجزائر. الجزائر: منشورات ANEP، 2014، ص68.

<sup>2</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر ...، المرجع السابق، ص ص 276 - 277.

\* المدرسة الثعالبية: تأسست خلال القرن التاسع عشر، ومنذ العام 1904م أصبحت تهتم بتخريج موظفي الحكومة الفرنسية في مجال القضاء والافتاء والتدريس، أشرف جوناو على فتح المدرسة الثعالبية سنة 1904م، بجوار مقام سيدي عبد الرحمن الثعالبي.

<sup>3</sup> حلوش، المرجع السابق، ص 54.

<sup>4</sup> زهير إحدادن، الصحافة المكتوبة في الجزائر. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1999، ص 54.

<sup>5</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الخامس، المرجع السابق، ص 277.

<sup>6</sup> صالح خرفي، عمر بن قدور الجزائري. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م، ص 09.

## الفصل الثاني: عمر بن قدور وعبد الحميد الزهراوي؛ المولد والنشأة

والى جانب تأثر بن قدور بأسرته وأستاذه محمد السعيد بن زكري، تأثر أيضا برجال النهضة والاصلاح الذين عرفتهم الجزائر في بداية القرن العشرين، ومن ثمة لم يكن بمعزل عن أسئلة النهضة والإصلاح التي تطرح في حواضر الجزائر وعموم بلاد المغرب والمشرق العربيين، ويبرز ذلك بشكل واضح في كتاباته، ومقالاته التي يرثي فيها أعمدة النهضة الجزائرية المتوفون، وهذا مؤشر على وجود تواصل بين جيلين من أجيال الإصلاح في الجزائر، حيث يُكن التلاميذ تقديرا كبيرا لأساتذتهم، مثل ما هو الشأن لـ"عمر بن قدور" والعالم المصلح عبد القادر المجاوي (1848-1914)\*،

\* الشيخ عبد القادر المجاوي (1848-1914م): ولد الشيخ عبد القادر المجاوي في تلمسان في عام 1266 هـ/ 1848 م، وهو ينتمي إلى أسرة تلمسانية عريقة ساهمت في نشر العلم وممارسة القضاء. فقد تقلد والده محمد بن عبد الكريم المجاوي منصب القضاء بهذه هذه المدينة لمدة خمسة وعشرين عاما، فنشأ ابنه نشأة علمية، ثم انتقل إلى المغرب لما عين والده قاضيا بطنجة. فدرس بتطوان ثم بجامع القرويين بفاس على مجموعة من العلماء المعروفين أمثال: الشيخ صالح الشاوي، الشيخ أحمد بن سودة،... الخ. وفي عام 1869 عاد إلى بلده الجزائر واستقر أولا في قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري، ودرس في مساجدها، ومن بين تلاميذه هناك عبد الحميد بن باديس ومالك بن نبي. وفي سنة 1877 تولى تدريس العلوم الشرعية واللغة العربية في المدرسة الكتانية التي أسسها صالح باي في عام 1778. وفي عام 1898 انتقل إلى الجزائر العاصمة للتدريس بمدرسة الجزائر العليا (الثعالبية) المكلفة بتكوين القضاة والمترجمين الجزائريين. ثم توسع نشاطه بداية من سنة 1908 خارج المدرسة الثعالبية للدعوة والإرشاد فعمل إماما واعظا في مسجد سيدي رمضان ومسجد سيدي محمد الشريف. لقد ألف الشيخ عبد القادر المجاوي عدة كتب في شتى العلوم وهي في غالبيتها كتب مدرسية، صغيرة الحجم موجهة لطلاب العلم. فمنها ما طبع، ومنها ما بقي مخطوطا لم يطبع بعد. ويبلغ عددها حسب الدكتور سعد الدين بن أبي شنب ثلاثة عشر كتابا ورسالة، وأهمها: إرشاد المتعلمين، نصيحة المريدين، شرح ابن هشام، شرح اللامية الجردية في المسائل النحوية، الدرر البهية على اللامية الجردية في الجمل، نزهة الطرف فيما يتعلق بمعاني الصرف، شرح منظومة البدع، تحفة الأخبار فيما يتعلق بالكسب والاختيار. ونشر الشيخ المجاوي «نصيحة المريدين» في تونس، و طبع «الدرر النحوية» و «شرح الجمل النحوية» و«الاقتصاد السياسي»، و«شرح منظومة البدع» في الجزائر. كما طبع «شرح منظومة ابن غازي في التوقيت» و«شرح شواهد القطر» في قسنطينة. نشرت جريدة «الفاوق» خبر وفاة الشيخ المجاوي في العدد 80 الصادر في 2 أكتوبر 1914م، الذي وافته المنية في قسنطينة يوم السبت 26 سبتمبر 1914 بقسنطينة التي زارها منذ 20 سبتمبر لزيارة أقاربه وأصدقائه وتلامذته.

## الفصل الثاني: عمر بن قدور وعبد الحميد الزهراوي؛ المولد والنشأة

الذي كان له تأثير في صقل فكره وتهذيب بلاغته، في مدرسة الثعالبية، وكان بن قدور يواظب على حضور مجالسه العلمية. وقد رثاه "عمر بن قدور" في جريدته الفاروق مع والدته التي توفت في نفس اليوم الذي توفى فيه المجاوي، وأبان عن تأثره الكبير لفقدانه، فهو بالنسبة إليه " ذلك الأستاذ الذي طالما قربني إلى مجلسه، وأفرغ على ذهني من قلبه دروسا علمية حليلة، وتهذيبا روحيا عاليا.... أبكي السرّ الذي كان يتدفق في حلق دروسك حتّى أنه ليخيّل للحاضر بها أنك تشق القلوب شقا وتفتحها فتحًا فتودع بها معاني العلم وروح الفضيلة والكرامة"<sup>1</sup>.

ولم تكن سنة 1914م مثل بقية السنوات السابقة أو اللاحقة لبن قدور، فقد كانت بمثابة سنة الحزن إذ فقد فيها والدته وبعض أساتذته وإبنته التي توفت بعد ولادتها مباشرة في شهر جانفي من ذات السنة، والتي تحسر عليها كثيرا، وكتب فيها مقالا تأبينيا بعنوان " فقيدتي الصغيرة "، قائلا: " لست أنعي يوم الأحد الفارط، حيث أوتيت أمانة ابتغاها ربّها قبل أن أجيل طرفي في طرفها ولم يذرها سوى برهة كانت لدى حقيقة أتميّزها عن رغبة طاهرة، فلم يخامر يقيني ريب في أن صلاحيتي كانت موقوفة عليها ومحفوظة...."<sup>2</sup>

ودعت جريدة "الفاروق" الكتاب والشعراء للكتابة النثرية والشعرية عن الراحل. فجاءتها مساهمات شعرية من مختلف أرجاء البلاد ونشرتها تحت عنوان واحد: "دموع الشعر والشعراء على فقيد العلم والإسلام أستاذ الجماعة المقدس الأستاذ عبد القادر المجاوي" بداية من العدد 82 إلى غاية العدد 92 الصادر في 25 ديسمبر 1914. لقد تبوأ الشيخ عبد القادر المجاوي مكانة مرموقة في الوسط العلمي الجزائري، وكان له فضل كبير على العلماء =والقضاة والمترجمين الجزائريين الذين تتلمذوا عليه في المدارس العليا في قسنطينة والجزائر، كما كان له تأثير على عامة الناس الذين كانوا يقبلون على سماع دروسه وخطبه في المساجد. وانتشر تلامذته بدورهم في أنحاء القطر الجزائري ينشرون العلم ويخدمون القضاء الإسلامي ويحاربون البدع ويدعون الناس إلى الإصلاح. فهو بحق أستاذ الجماعة وشيخ العلماء في الجزائر. أنظر أكثر:

- مولود عويمر، العلامة عبد القادر المجاوي التلمساني الجزائري، المكتبة الجزائرية الشاملة، على

<http://shamela-dz.net/?p=1101>

الانترنت:

<sup>1</sup> عمر بن قدور، "والدتي أستاذتي" الفاروق، العدد 80، 02 أكتوبر 1914م.

<sup>2</sup> عمر بن قدور، "فقيدتي الصغيرة، جريدة الفاروق، العدد 44، 12 جانفي 1914.

وكان بن قدور في تلك اللحظة ينتابه شعوران متضادان، شعور بالفرحة لنجاة الأم (زوجته)، وشعوراً بالحزن لفقدان ابنته، ما حدى به إلى أن يكتب في نفس المقال معبراً عن مشاعره وأحاسيسه من هذه الوقائع بالقول: "أوتيت إلى المنزل مساءً فألقيت ريتي مضطجعة على فراش الراحة، وبجانبي فقيدتي الصغيرة، وقد أتكأت على فراش الراحة، مضجعان متباينان ومرقدان مختلفان، وفي خاطري فرحة وكره. فأعجبوا كيف امتزج الضدان، فما كان سروري لنجاة الأولى من مخالاب المدنية لا كسرور يعقوب لما تنسم ريح الثوب وما كان جزعي لضياح الثانية إلا كجزعي لو تراءت لي أيامها المستقبلية لو لم تقارق الدنيا...."<sup>1</sup> وسوف ينطلق من هذه الفاجعة ليقدم رؤيته الإصلاحية في تربية البنات، لدى المجتمع الجزائري. لقد كانت وفاة ابنته إعلاناً آخر لاستمرارية قلمه الصحفي السيل ومقلته السخية بدموعها الطاهرة حزناً على من فقدهم، وخاصة ابنته، وهو ما صدحت به قريحته الشعرية في هذا البيت البليغ:

قلمي لسان ثلاثة بفؤادي      ديني ووجداني وحبّ بلادي<sup>2</sup>

لم يكن تأثر بن قدور فقط بالمشايخ السابق ذكرهم، بل وجدناه متأثراً ورافقاً وملازماً للشيخ "عبد الحميد بن سماية" (1866-1936م)\*، المعروف بولائه لفكرة الجامعة الإسلامية والمتأثر بفكر محمد عبده، وكان أول من أهتم بتدريس رسالته في التوحيد، وختمها في ظرف سبعة أشهر، وقد لازمه في زيارته لمختلف مناطق وأرجاء الجزائر ليلاً ونهاراً، فلم يفارقه طوال أيام إقامته في العاصمة حتى غادرها إلى

<sup>1</sup> عمر بن قدور، "فقيدتي الصغيرة، المصدر السابق.

<sup>2</sup> البيت الشعري الذي وضعه شعاراً لجريدته الفاروق، وكان يكتبه دائماً أسفل عنوان الجريدة في كل أعدادها.  
\* الشيخ عبد الحليم ابن سماية (1866-1936): علم من أعلام الجزائر الذين كانت لهم بصمات في الحياة الثقافية وتأثيرات عميقة في بعث الحركة الإصلاحية في الجزائر في الثلث الأول من القرن العشرين، ولد بمدينة =الجزائر العاصمة سنة 1866م وتعلم بها وبتونس. تولى التدريس بالجزائر العاصمة في ديسمبر 1896م ثم بالجامع الجديد سنة 1900م. اشتهر بكونه أستاذاً بارزاً بالمدرسة الثعالبية حيث تخرج على يده جيل من المثقفين المزدوجي الثقافة، فقد كان للشيخ عبد الحليم بن سماية إلمام باللغة الفرنسية كما كانت له معرفة باللغة العبرية، وهو أيضاً مقدّم الطريقة التيجانية. الشيخ عبد الحليم بن سماية المتوفى في 4 جانفي 1933. أنظر أكثر: عبدالرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، الجزء الخامس. الجزائر: دار الامة، 2014. ص 265، 277.

تونس<sup>1</sup>، وقد أشاد بن قدور بمواقف أستاذه في مختلف القضايا السياسية والاجتماعية، ومنها موقفه الرافض لقانون التجنيد الإجباري، ومما قاله في بن سماية " ... الأستاذ العالم العلامة بن سماية البقية الصالحة والجهذ الناسك، وخاطب الملاء الاسلامي قائلاً " ... المسلمون إذا أدوا الخدمة العسكرية للدولة الفرنسية لا يكونون مسلمين بجميع معاني الكلمة..."<sup>2</sup>.

إن تواصل بن قدور مع رجال الفكر والاصلاح بالجزائر، جعله جد منشغل بالوضع الاجتماعية والسياسية لأمته، وسعى في بيئة استعمارية شديدة التعسف والظلم الى أن يجتهد ويفكر فيما يخص إشكالية تخلف المسلمين، وكيفية نهضتهم، وهو ما جعله منفتح على أفكار الاصلاح على تعددت إتجاهاتها وأصحابها، وقد مكنته زيارته لتونس عن الاطلاع على الحراك الفكري الذي تميزت به الأخيرة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين، فكان بن قدور من المولعين بالصحافة التونسية الإصلاحية، التي كان لها الأثر البالغ على الحياة الثقافية والأدبية؛ وذلك من خلال ما كانت تقوم به بعض الصحف من متابعة مسيرة النهضة الأدبية والسياسية والفكرية في الجزائر، وفتح صفحاتها لبعض النخب الجزائرية لينشروا فيها بعض أعمالهم، ولعله من الأسباب المهمة التي جعلته يتجه إليها، ويستقر فيها فترة من الزمن.

فقد كان "جامع الزيتونة" قبلة الطلبة التونسيين وغيرهم وخاصة الجزائريين منهم<sup>3</sup>، وقد ساهمت الصحافة التونسية في تسويق أفكار الاصلاح والنهضة، والحفاظ على مقومات الشخصية العربية الإسلامية في بلاد المغرب<sup>4</sup>، فكان الجزائريون على

<sup>1</sup> الجليلي، المرجع السابق، ص 271-272.

<sup>2</sup> عمر بن قدور، "الرفض الأخيل مشروع التجنيد الاجباري"، جريدة المشير، العدد 31، 10 سبتمبر 1911. ص 02.

<sup>3</sup> أبو القاسم سعد الله، تيارات اليقظة والاصلاح في المغرب 1830-1956 "مجلة المصادر، العدد 08، ماي 2003، ص 93.

<sup>4</sup> محمد الصالح الجابري، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1983، ص 171.

صلة دائمة بها منذ ظهور أول جريدة بتونس سنة 1860م\*، وكانت الصحافة جسر القراء الجزائريين للإطلاع أفكار النهضة في المشرق العربي، كما كانت ذات الصحافة نافذة حركة الإصلاح في الجزائر على العالم، ونظرا لما أصبحت تشكل الصحافة من حالة وعي وتنوير عملت السلطات الاستعمارية على حصر دخول كل المجالات العربية الى الجزائر والتي كانت تحمل طابع الدعوة إلى يقضة الأمة العربية الإسلامية، وجمع شمل المشرق بالمغرب.

غير أن هذا الحضر لم يشمل الصحافة التونسية بما فيها تلك ذات الطابع الإصلاحية، إذ كان يسمح لها بالروج في الجزائر، "لأن الصحافة التونسية مهما جنحت للمعارضة أو غالت في طرح القضايا من خلال منظور إصلاحية وطني، فإنها لا تقدم في كل الأحوال كوابح الرقابة التي كانت لها بالمرصاد داخل تونس، كما أنها واقعة تحت طائلة الحجر والزجر، واستعداد الإدارة الفرنسية أن تنزل بها ما تراه مناسبا من عقوبات.."<sup>1</sup>. على عكس الصحافة العربية في أوروبا والمشرق العربي.

أقام بن قنور خلال مكوثه في تونس شبكة علاقات قوية مع المثقفين والكتاب التونسيين، وخاصة أولئك الذين ينحدرون من أصول جزائرية، وفي مقدمتهم الطيب بن عيسى\*، أحد رواد القومية الإسلامية في تونس وشمال إفريقيا، وقد أشار كل من

\* وهي جريدة " الرائد التونسي" التي ظهر عددها الاول في 23 جويلية 1860.

<sup>1</sup> الجابري، المرجع السابق، ص ص 173 174.

\* الطيب بن عيسى (1885-1958): ولد بتونس من أسرة جزائرية الأصل، درس في البداية في الكتاتيب القرآنية ثم درس بجامع الزيتونة كما تابع دروس المدرسة الخلدونية. وقد اشتغل في متجر أحد أقاربه في حي باب منارة بالعاصمة التونسية، وبدأ يساهم بالكتابة في بعض الصحف الصادرة بتونس آنذاك. أصدر في مطلع سنة 1911م، جريدة المشير التي أحتجبت في نفس السنة مثل بقية الصحف التونسية الناطقة بالعربية إثر حوادث الجلاز في نوفمبر 1911، وبعد الحرب العالمية الأولى أعاد إصدار جريدته في سنة 1920م، لكن سلطات الإنتداب عطلتها في نفس الشهر نتيجة نشر مقال رأت فيه سلطات الحماية أنه مقتبس من كتاب تونس الشهيدة للشيخ عبد العزيز الثعالبي بعد مدة قصيرة من صدورها، فأصدر بعد جريدة "الوزير" التي صدر عددها الأول في 5 أفريل 1920، واستمر وجودها حتى توقفت في جانفي 1956. وفي أكتوبر 1957 عاد إلى تسمية جريدته الأولى حيث أصدرها تحت عنوان المشير في عهد الاستقلال. أنظر أكثر:



## الفصل الثاني: عمر بن قنور وعبد الحميد الزهراوي؛ المولد والنشأة

بن قنور وبن عيسى إلى تلك العلاقة التي ربطتهما فيما كتباها بالصحافة التونسية والعربية، ومن ذلك ما كتبه بن عيسى في نعي بن قنور رفيقه، ومما قاله فيه: " فالرجل صحفي بأتم معنى الكلمة لأنه يعرف مهنة الصحافة من أولها إلى آخرها، وكان كاتباً كبيراً، إذ طالما راسل صحف الشرق الكبرى بمصر وسوريا وتركيا خصوصاً جريدة "الحضارة" باستنبول وجريدة "المشير" بتونس، وإن لقلمه سيال وفكره لثاقب ووجدانه طاهر ونيته لخالصة... فالفقيه قطب من أقطاب الشمال الإفريقي، لقد عرفناه بالمكاتبة والتقينا مرتين بتونس ومرة بالجزائر..<sup>1</sup>. وما يؤكد العلاقة القوية التي ربطت الرجلين، هو أن بن قنور، وعندما أسس جريدة الفاروق، اختار بن عيسى ليكون وكيلاً لها بتونس.

ولم ينحصر تأثير بن قنور بالعلماء والمتفنيين، بل تعداه إلى الصحفيين الذين تأثر بهم وسار لاحقاً على دربهم، ومن هؤلاء نذكر "سليمان الجادوي"<sup>\*</sup>، صاحب جريدة "مرشد الأمة" الذي استقبله بن قنور سنة 1910م بمدينة تونس، وكتب عن لقاءهما، قائلاً: "... وجدناه بحراً زاخراً في العلم والسياسة، يتدفق غيرة على الإسلام

---

\_ خيرالدين شترة، "النضال الصحفي للنخبة الجزائرية بتونس 1900-1956، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد 07، ديسمبر 2012، ص ص 185-237.

<sup>1</sup> الطيب بن عيسى، "وفاة رصيف كبير" مجلة الوزير، العدد 348، 13 فيفري 1932.

<sup>\*</sup> سليمان الجادوي (1871-1951): ولد في آجيم بجزيرة جربة، وينسب أسلافه إلى بلدة جادو التي توجد وسط جبل نفوسة بليبيا. تعلم مبادئ علوم عصره في جربة ثم رحل إلى تونس وانظم إلى طلبة جامع الزيتونة ودامت مدة تعلمه بها ثلاث سنوات. ثم سافر إلى مدينة يفرن بجبل نفوسة بعد ما تشبع بالفقه المالكي لمتابعة تعليمه في الفقه الإباضي ومحاولة الإلمام به. اشتغل الجادوي بعد عودته من جبل نفوسة في التجارة في تونس العاصمة ودخل عالم الصحافة سنة 1906، وأسس صحيفة "المرشد" لكنها حجبت عديد المرات بسبب مواقف الجادوي المعادية للاستعمار وعطلت نهائياً سنة 1908. وكلما تعنتت السلطة ازداد الجادوي إصراراً على المواجهة وصموداً في مواقفه وهو ما نستشفه من معاودته تأسيس جريدتين: الأولى تحت عنوان "مرشد الأمة" سنة 1909؛ واصل فيها توجهه الإصلاحية في أسلوب نقدي ساخر. وقد تعرضت هي الأخرى إلى مضايقات رجال السياسة الموالين للسلطات الفرنسية آنذاك وعطلت ثلاث مرات إلى أن تعطلت نهائياً في ديسمبر 1950. والثانية =هزلية تحت عنوان "أبو نواس" كتب فيها الجادوي باللغة العربية الفصحى والعامية واعتمد فيها الأسلوب الساخر في نقده المجتمع التونسي والعالم الإسلامي عموماً. أنظر أكثر:

الجيلاني بالحاج يحي، الصحافي المناضل سليمان الجادوي. تونس: دار سيراس للنشر، 2006. ص ص



## الفصل الثاني: عمر بن قدور وعبد الحميد الزهراوي؛ المولد والنشأة

وأهله، وفي رأي جنابه أن مطالبة الجزائريين والتونسيين بحقوقهم من دولة الجمهورية أمر ضروري...<sup>1</sup>. كما ربط بن قدور صلة صداقة مع الكثير من الصحفيين التونسيين، من أمثال "الصادق الرزقي"<sup>\*\*</sup> و"إبراهيم فهمي بن شعبان" وحسين الجزيري<sup>\*</sup> والذين سيساهمون فيما بعد في تحرير مجلة "الفاروق"، ويدعمون صاحبها في مشروعه للإصلاح والنهضة

إن اطلاع بن قدور على الصحافة التونسية واحتكاكه برجالاتها، وتعرفه على مشاريع النهضة والإصلاح، زاده استنارة بفكر "جمال الدين الأفغاني" و"محمد عبده" في المشرق العربي، وأفكارهما الداعية إلى الوحدة في إطار الجامعة الإسلامية، ومواجهة الاستعمار بكل أشكاله.

<sup>1</sup> عمر بن قدور، "مقابلة رصيف كبير"، جريدة الأخبار، العدد 13650، 02 أوتبر 1910م.

<sup>\*\*</sup> **محمد الصادق الرزقي (1874-1939):** ولد ببينزيرت، من أصول جزائرية، ودرس بالزيتونة كتب في الصحافة التونسية، وأسس مجلة إقتصادية اسمها "العمران" في أبريل 1921 ولما انقطعت، أصدر جريدة "أفريقيا" سنة 1922 التي احتجبت في 25 ماي 1925. و هو من أبرز إعلام الصحافة في ثلاثينات القرن العشرين واشهر رجالات الفكر والأدب وهو أيضا رائد من رواد السرد إذ تنسب إليه كتابة اول رواية تونسية بالمفهوم الدقيق لكلمة رواية. ومن مؤلفاته "الساحرة المنسية"، الامثال والاغاني التونسية، مسرحية "عنتره". أنظر أكثر:

- محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، الجزء الثاني. بيروت: دار الغرب الاسلامي، 1982، ص ص 134-135.

<sup>\*</sup> **حسين الجزيري (1895-1974):** ولد بتونس العاصمة، تلقى تعليمه المبكر في الكتاب، فتعلم القرآن الكريم ومبادئ الكتابة. ثم انتظم في سلك طلبة جامع الزيتونة، ولكنه لم يتمكن من إتمام دراسته فيه، بسبب انضمامه إلى المطالبين بإصلاح التعليم الزيتوني. سعى إلى تثقيف نفسه بالإقبال على القراءة ومخالطة الأدباء. مارس الكتابة في الصحف، منها: «اللواء»، و«المنار»، واختص بتحرير «المضحك» - كما كتب في جريدة «جحا» زمناً طويلاً، وعمل مراسلاً لصحيفة «الفاروق» الجزائرية. أصدر جريدته «النديم» عام 1921 فكان محررها الوحيد والقائم على كافة شؤونها، وقد استمر صدورها 22 عامًا، وفي أعقاب توقفها شغل عدة وظائف بوزارة العدل، ثم بالإذاعة من سنة 1957 التي استمر بها حتى رحيله. انتسب إلى جمعية الشهامة العربية لفن التمثيل، فاشتغل ملقنًا، ثم أمينًا للجمعية. كانت له علاقة متينة بزعماء الإصلاح في المشرق، خاصة الشيخ رشيد رضا. كان من المؤسسين الأوائل للحزب الحر الدستوري. أنظر أكثر:

- محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، الجزء الأول، المرجع السابق، ص 29. و أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح، مذكرات**، الجزء الأول. الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2010، ص 101-105.

وكان لجريدة "العروة الوثقى" \*\* الصادرة في باريس، دور كبير في نهضة العالم الإسلامي رغم عمرها القصير الذي لم يتجاوز 18 شهرا، وصدورها في بلد أوروبي<sup>1</sup>. لكن المجلة التي كان لها الأثر الأكبر في فكر بن قذور هي مجلة "المنار" لصاحبها "رشيد رضا"، فقد حملت هذه المجلة على عاتقها نشر فكر محمد عبده في البلاد الإسلامية، ومنها الجزائر، وقد وصف عمر بن قذور المجلة بأنها ".. منار الهدى... والرشاد.. والنور الذي يسترشد به المؤمنون.."<sup>2</sup>. كما كان لمجلتي "المؤيد" و"اللواء" المصريتين اللتين تحملان فكر جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده دورا في بناء وعي وفكر بن قذور حول مشروع النهضة، فقد كانتا تصلان للجزائر بشكل دوري منتظم، وكان بن قذور يعمل على شرح ما جاء فيهما لعامة الناس<sup>3</sup>. ولعل إعجاب بن قذور وإهتمامه بالصحافة الإصلاحية المصرية كان من وراء هجرته إليها، كما كان لاحتكاكه برجال الفكر والسياسة هناك الأثر في توجهاته لاحقا، وبخاصة "مصطفى كامل" حيث تأثر بمواقفه السياسية ضد الاستعمار الإنجليزي، وبدعوته إلى الإتحاد الإسلامي، وقد أظهر بن قذور عمق علاقته بمصطفى كامل وتشابه آرائهما، في قصيدته التي رثاه فيها، والتي نشرت في مجلة "اللواء" وجرائد أخرى<sup>4</sup>.

ومن بين الشخصيات التي تأثر بكتاباتنا نجد الأديب والشاعر "مصطفى لطفى المنفلوطي"، الذي أشاد بأعماله في غير ما مرة، وقام بنشر بعض فصول كتابه "النظرات" في مجلته "الفاروق"<sup>5</sup>، وكذلك الكاتب "رفيق العظم"، والذي نشر له أيضا

---

\*\* العروة الوثقى هي مجلة أنشأها جمال الدين الأفغاني مع محمد عبده موجهة للأمة الإسلامية داعيا فيها الأمة إلى التوحد. بدأت من غرفة فوق أحد أبنية باريس، وكان أول عدد لها صدر في 13 مارس 1884 الموافق لـ 15 جمادى الأولى 1301 هـ.

<sup>1</sup> عمر بن قذور، الإبداء والإعادة في مسلك سائق السعادة، تقديم محمد الحلیم بیشي، الجزء الأول، الجزائر، دار البصائر، 2011، ص310.

<sup>2</sup> عمر بن قذور، الإبداء والإعادة في مسلك سائق السعادة، المصدر السابق، ص310.

<sup>3</sup> عمر بن قذور "الشعور الإسلامي في الجزائر" اللواء المصرية، العدد 1954، 06 فيفري 1906م، نشر وتعليق صالح خرفي، الثقافة، العدد 07، مارس 1972، ص 118.

<sup>4</sup> زهير إحدادن، أعلام الصحافة الجزائرية، الجزء الثاني. الجزائر "دار إحدادن للنشر والتوزيع، دت، ص 12.

<sup>5</sup> ألفاروق العديدين 39 و40، 05 و12 ديسمبر 1913.

## الفصل الثاني: عمر بن قدور وعبد الحميد الزهراوي؛ المولد والنشأة

على صفحات الفاروق كتابا على شكل حلقات تعرض فيه لسيرة حياة الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)<sup>1</sup>.

وما يمكن قوله إجمالاً، هو أن "عمر بن قدور" تأثر بكتّاب المرحلة وأدبائها وغرف من فكر الكثير من كتاب النهضة من أمثال "شكيب أرسلان، والصادق الرافعي، وغيرهم من الرواد، على أن علاقة "عمر بن قدور" بشخصية عبد الحميد الزهراوي، كانت كبيرة الأثر في مسيرته الفكرية والصحفية، لما جمعتهما الصداقة القوية<sup>2</sup>، حيث أثرت مواقفه حول العنصر التركي والدولة العثمانية في كتابات بن قدور، وأشاد بها صراحة في بعض كتاباته بمجلة "الأخبار"، كما قام "الزهراوي أيضاً بنشر مقالات بن قدور في جريدة "الحضارة"<sup>3</sup>، بعد أن أُنذره الحاكم العام "جونار" بالكف عن مراسلة "اللواء" المصرية، كما أشاد بن قدور بمواقف الزهراوي في مؤتمر باريس سنة 1913، والقرارات التي صدرت عنه، والتي منها إقرار اللغة العربية لغة رسمية في الدولة العثمانية<sup>4</sup>.

### المبحث الثاني: عبد الحميد الزهراوي، مولده ونشأته.

ولد عبد الحميد بن محمد شاكر بن إبراهيم الزهراوي بمدينة حمص السورية، خلال فترة عرفت بأنها الأسوأ في تاريخ الإمبراطورية العثمانية، تعاضمت خلالها

---

\* رفيق بك العظم (1867-1925) : رفيق العظم، عالم وباحث، من رجال النهضة الفكرية العربية، ولد في دمشق سنة 1867، واستقر في مصر، واشترك في كثير من الأعمال والجمعيات الإصلاحية والسياسية والعلمية، ومن أشهر كتبه كتاب أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة، وكتاب البيان في كيفية انتشار الأديان والجامعة الإسلامية وأوروبا وغيرها، مات بالقاهرة سنة 1925. أنظر أكثر:

- محمد رجب البيومي، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، ط1. دمشق: دار القلم للطباعة والنشر، 1995، ص 163.

<sup>1</sup> ظهرت الحلقة الأولى من الكتاب بجريدة الفاروق في العدد 18 بتاريخ 07 جوان 1913.

<sup>2</sup> صالح خرفي، عمر بن قدور الجزائري . الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م، ص 51.

<sup>3</sup> لدى الباحثة بعض مقالات بن قدور بها.

<sup>4</sup> نفسه، ص 50.

## الفصل الثاني: عمر بن قنور وعبد الحميد الزهراوي؛ المولد والنشأة

أسباب السقوط والإنهيار حيث بلغت فيها السلطة السياسية أقصى درجات الاستبداد والقهر لرعايها من سكان الشام تحديداً، وتوسعت فيها تدخلات وأطماع القوى الغربية على أقاليم "الرجل المريض". أما عن تاريخ ميلاده، فقد كان موقع اختلاف بين الباحثين والمؤرخين. فقد أشار البعض إلى العام 1855، والبعض الآخر إلى سنة 1871، وحددها آخرون بسنة 1875<sup>1</sup>. وينتهي نسب أسرة الزهراوي إلى الإمام الحسين ابن السيدة فاطمة الزهراء، ولها تعود كنية الزهراوي<sup>2</sup>.

بعد أن بلغ عبد الحميد سن السادسة أرسله والده إلى "الشيخ مصطفى الترك" لتعلم القراءة والكتابة والحساب واللغة التركية، ثم انتقل بعد ذلك إلى المدرسة الرشيدية<sup>3</sup>، ومنها إلى مدرسة المعارف\*، فدرس في هذه الأخيرة اللغة العربية والفقهاء الحنفي على يد الشيخ حسن خوجة، والحديث والتفسير والعقائد على يد الشيخ عبد الستار الأتاسي (محدث زمانه)، ومنه أخذ اجازة في قراءة الحديث وروايته، وقرأ علم الأصول على يد الشيخ عبد الباقي الأفغاني. وقد أثار عبد الحميد الزهراوي خلال مراحل تعليمه الأولى إعجاب أساتذته ورفاقه، بما برز به من التفوق وحسن الخلق<sup>4</sup>.

سافر الزهراوي إلى الاستانة سنة 1890م، بقصد السياحة، وأنتقل بعد فترة وجيزة من اسطنبول إلى القاهرة (محط رجال العلماء والأدباء في ذلك الوقت)، ونزل هناك في دار نقيب "الأشراف" توفيق البكري، والتقى خلال إقامته بالقاهرة، برجال العلم والسياسة، وأشترك معهم في النقاشات الفكرية والأدبية، وهو ما سمح له بالاطلاع على أفكار الإصلاح، القومية العربية ومقاومة الاستعمار، وقد أسهمت تلك اللقاءات في تنمية ميله إلى العمل في حقل الإصلاح الديني والاجتماعي، فاتصل

<sup>1</sup> ناجي علوش، مدخل إلى قراءة : عبد الحميد الزهراوي، حياته-مؤلفاته-أفكاره. دمشق: منشورات وزارة الثقافة السورية، 1995، ص 12.

<sup>2</sup> أنور الجندي، تراجم الأعلام المعاصرين في العالم الإسلامي. القاهرة: مكتبة الأنجلومصرية، 1970، ص ص 209، 216.

<sup>3</sup> عصام حسين الجامع، التربية السياسية والوعي القومي: دراسة في الفكر السياسي عند عبد الحميد الزهراوي. بيروت: شبكة المعارف، 2010، ص 48.

\* مدرسة المعارف، من المدارس الحديثة في ذلك الوقت التي قامت الدولة العثمانية بإنشائها.

<sup>4</sup> الجامع، المرجع السابق، ص 49.

## الفصل الثاني: عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي؛ المولد والنشأة

خلال مكوثه بالقاهرة بأعضاء جمعيتي "الاتحاد والترقي" و"جمعية الشورى العثمانية"<sup>1\*\*</sup>.

وبعد عودته إلى حمص سنة 1891م، بدأ الزهراوي أولى نشاطاته الاجتماعية ونضاله السياسي بإصداره صحيفة سرية أطلق عليها اسم "المنير"، والتي كانت تمثل وجهة نظر جماعة الاتحاد والترقي، التي أصبح الزهراوي أحد أعضائها البارزين<sup>2</sup>، وكان يطبع "المنير" بنفسه، وعلى نفقته الخاصة ويرسلها مجاناً بواسطة البريد لمختلف البلدان، وتضمنت أعداد الصحيفة انتقادات شديدة لسياسات السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909) وحكومته "الاستبدادية" كما يراها، حيث حذرنا من سوء العاقبة إذا استمر جورها وطغيانها. وسرعان ما تم الكشف عن هذه الجمعية و وصل خبرها إلى الباب العالي، فمنعت إرسالها عبر البريد قبل أن تمنع صدورها نهائياً، ليكون توقيف "المنير" أول احتكاك بين السلطات العثمانية وعبد الحميد الزهراوي، وأول فصول هذا الأخير في مراحل النضال ضدها<sup>3</sup>.

وبعد بلوغه الخامسة والعشرين من العمر تقريبا، عاد مرة ثانية إلى الاستانة سنة 1895م بقصد التجارة هذه المرة، وفتح محل في مكان يسمى "سلطان أوطه لر"، إلا أنه لم يفلح وثقلت عليه أعمال التجارة، فتركها، وعكف على مطالعة الفنون والعلوم في دور الكتب العمومية، وقلما خلت منها واحدة من مراجعته لأكثر كتبها؛ فكانت له فرصة قراءة الكتب المترجمة إلى التركية والتي تبحث في مجالات الاجتماع والسياسة والتربية، ويرجح أنه أطلع خلال هذه الفترة على كتابات كل من مونتسكيو (روح القوانين) وجان جاك روسو (إميل أو عن التربية)، وقرأ ما ترجمه وكتبه خير الدين

<sup>1</sup> الجندي، المرجع السابق، ص 210.

<sup>\*\*</sup> جمعية الشورى العثمانية: أسست في القاهرة سنة 1897م؛ وتمثل هدفها في العمل من أجل وحدة جميع القوميات في الدولة العثمانية في إطار حكم القانون ونظام الحكم النيابي يحدد أركانه الدستور لوضع حدّ للحكم الفردي، وكان منهم: الشيخ رشيد رضا، ورفيق العظم، والأديب التركي عبد الله جودت وغيرهم. أنظر أكثر: البيومي، المرجع السابق، ص 201.

<sup>2</sup> عبد الحميد الزهراوي، الأعمال الكاملة، القسم الأول. (إعداد وتحقيق عبد الإله نبهان). دمشق: وزارة الثقافة السورية، 1995، ص 40

<sup>3</sup> علوش، المرجع السابق، ص 14.

التونسي ورفاعة الطهطاوي، وظلت أفكار هؤلاء ماثلة في كل كتاباته وخطاباته اللاحقة<sup>1</sup>. وخلال هذه الفترة جاءه صاحب جريدة "معلومات" \* طاهر بك، وكلفه بتحرير القسم العربي من الجريدة، ولم يتردد في قبول العرض، وبدأ الزهراوي بحسب تعبيره يحرق فيها " المقالات الأدبية والاصلاحية التي لم يكن يتجرأ أحد في البلاد العثمانية على نشر مثلها، مع شدة المراقبة على الجرائد في ذلك الوقت"<sup>2</sup>.

وكانت كتابات الزهراوي بجريدة "معلومات" قد أثارت حفيظة السلطات العثمانية الرسمية وخشيتها، فقررت نفيه إلى دمشق ووضعه تحت الإقامة الجبرية سنة 1899، أي بعد أربع سنوات قضاها في الإستانة. كما حاولت في الوقت نفسه استمالة، حيث عرض عليه السلطان عبد الحميد منصب قاض في أحد الألوية، وهو ما رفضه الزهراوي<sup>3</sup>. كما لفتت مقالاته رجال الفكر والسياسة من أمثال الشيخ محمد عبده ومحمد رشيد رضا، الذي نشر بعض هذه المقالات وعلق عليها في مجلة "المنار"، وتعتبر هذه المقالات بداية العلاقة بين الرجلين والتي استمرت حتى وفاة الزهراوي<sup>4</sup>.

لم يهدأ الزهراوي، ولم يستكن خلال إقامته الجبرية بدمشق، وظل يكتب ويعمل على نشر أفكاره، حيث كتب خلال هذه الفترة ثلاث رسائل " في الفقه والتصوف"، انتقد فيها بعض المسائل المتعلقة بالفقه والتصوف وهاجم الصوفية وبين خطرها على الدين والوطن، ومن الرسائل التي نشرها في مجلة "المنار". وفي هذه الفترة أيضا كتب

<sup>1</sup> محمد راتب الحلاق، عبد الحميد الزهراوي، دراسة في فكره السياسي والاجتماعي. دمشق: إتحاد الكتاب العرب، 1995، ص 69

\* صحيفة معلومات: لصاحبها محمد طاهر بك، لم نستطع الحصول على أعدادها، لكن من خلال البحث عن المصادر التي تحدثت عنها، فقد صدرت كأسبوعية باللغة التركية في 1897/06/20، قبل أن تصبح جريدة يومية ثم صدر لها عدد أسبوعي باللغة العربية، وتشير أعداد سنتها الأولى، بأن طابعها الرئيس هو مدح السلطان، وتغطية المناسبات السلطانية، كانت الصحيفة مهتمة بأحوال الولايات العربية، وعينت وكلاء في بعضها، فكانت تتلقى رسائل من تونس ومصر، وقد منعتها السلطات الفرنسية من دخول الجزائر بحجة الترويج للأفكار الإسلامية

<sup>2</sup> عبد الحميد الزهراوي، الأعمال الكاملة، القسم الأول، المصدر السابق، ص 41.

<sup>3</sup> ديفيد دين كومنز، الإصلاح الإسلامي : السياسة والتغيير الاجتماعي في سوريا اواخر العهد العثماني، (ترجمة مجيد الراضي). دمشق: دار المدى للثقافة والنشر، 1999، ص 101.

<sup>4</sup> علوش، المرجع السابق، ص 15

مقالة بعنوان "أجوبة عن المسائل الشرعية في الخلافة" نشرت في جريدة "المقطم" بين فيها رأيه في الخلافة وشروطها<sup>1</sup>، وبعض المسائل المتعلقة بها، ورسائل أخرى في النحو والمنطق والطلاق\*.

وقد أثارت مقالات الزهراوي التي كانت تتميز كعادة صاحبها بالجرأة والصراحة وتغليب العقل والمنطق (خاصة رسالة الطلاق) غضب العلماء المحافظين، الذين أتهموه بتحريف الدين، وحرصوا عليه العامة من الناس من على منابر المساجد، ولم يكتفوا بذلك فراسلوا ضده الباب العالي مستكترين ما يكتبه واتهموه بالزندقة والارتداد والمروق عن الدين، إلا أن الوالي "ناظم باشا" أمر بالتحقيق، فقرر استدعاء الزهراوي وعند مناقشة موضوع الرسالة أمام العلماء المحافظين أقنعهم بالحجج الدامغة بأنها ليست بالخطورة التي أدعى بها هؤلاء المحافظين<sup>2</sup>.

وبالرغم من براءة الزهراوي من التهم المنسوبة إليه من طرف علماء الشام المحافظين، فقد قرر الباب العالي تليفيق تهم سياسية له، ونفيه مرة أخرى إلى الاستانة، ليس إرضاء لحملة العمائم المتعصبين، وإنما بسبب مقالة له عن الخلافة، التي نشرها في "المقطم" وكانت سببا في أن ذاع صيته بين العلماء والمفكرين<sup>3</sup>، حيث نوه الإمام محمد عبده برسالتيه الزهراوي في "الفقه والتصوف" و"الخلافة" وكتب عن المحنة التي تعرض لها قائلا: "ألم يسمع بأن رجلا في بلاد إسلامية غير البلاد المصرية كتب مقالا في الاجتهاد والتقليد وذهب فيه إلى ما ذهب إليه أئمة المسلمين كافة. ومقالا بين فيه رأيه في مذهب الصوفية، وقال إنه ليس مما انتفع به الاسلام بل قد يكون مما رزئ به، أو ما يقرب من هذا، وهو قول قال به جمهور أهل السنة من قبل. فلما طبع مقاله في مصر تحت اسمه هاج عليه حملة العمائم وسكنة الأثواب

<sup>1</sup> الحلاق، المرجع السابق، ص 70.

\* رسائل الطلاق والمنطق والنحو، لم نحصل عليها ولا تزال غير متوفرة لدينا. لكن جاء ذكرها في عديد من المصادر المراجع التي تناولت ما حدث للزهراوي خلال إقامته الجبرية في الشام. ومنها مجلة المنار، في المجلد 19، وما كتبه ناجي علوش ومجد راتب الحلاق في كتابيهما.

<sup>2</sup> علوش، المرجع السابق، ص 17.

<sup>3</sup> محرر المنار، "السيد عبد الحميد الزهراوي"، مجلة المنار، الجزء الثالث، المجلد 19. ص 170.



والعباءب، وقالوا أنه مرق من الدين أو جاء بالإفك المبين، ثم رفع أمره إلى الوالي فقبض عليه وألقاه في السجن، فرفع شكوى اهالي عاصمة الملك، وسأل السلطان أن يأمر بنقله إلى العاصمة ليثبت براءته مما أختلق عليه بين يدي عادل لا يجور، ومهيمن عن الحق لا يحيف، إلى آخر ما يقال عن الشكوى؛ فأجيب طلبه لكن لم ينفعه ذلك كله، فقد صدر الأمر الأمر هناك أيضا بسجنه ولم يُعف عنه إلا بعد أشهر، مع أنه لم يقل إلا ما يتفق مع أصول الدين ولا ينكره القارئ والكاتب ولا الآكل والشارب<sup>1</sup>.

ظل الزهراوي بالاستانة ثلاثة شهور تحت مراقبة جواسيس السلطان العثماني، قبل أن يتم ترحيله إلى مدينة مسقط رأسه حمص عن طريق الإسكندرونة ثم حماه فحمص، وخصص له راتب قدره 500 قرش بعملة ذلك الزمان وابقائه تحت الإقامة الجبرية أيضا<sup>2</sup>، إلا أنه لم يطق هذه المرة ضغوط الإقامة الجبرية، ففر إلى مصر سنة 1902- التي كانت تعد في تلك الفترة قبلة الأحرار والهاربين من قمع وبطش الدولة العثمانية- ووجد هناك اتصالاته برجال النهضة والاصلاح، وكان من بينهم الشيخ علي يوسف (1863-1913)، الذي عمل معه محررا في جريدة "المؤيد"، ونشر بها مقالات في مواضيع مختلفة بين عامي 1902 و 1906<sup>3</sup>.

بعد تأسيس حزب "الأمة"<sup>\*</sup> في مصر، عمل الزهراوي محررا ومصححا في جريدة "الجريدة" الناطقة باسم الحزب، والتي كان يديرها أحد أقطاب الفكر في مصر

<sup>1</sup> محمد عبده، الاسلام بين العلم والمدنية ( عرض وتحقيق وتقديم طاهر طناجي. القاهرة: دار الرغائب 1912، نقلا عن : الحلاق، المرجع السابق، ص ص 71،72.

<sup>2</sup> الحلاق، المرجع السابق، ص 72.

<sup>3</sup> علوش، المرجع السابق، ص 21.

<sup>\*</sup> عرف حزب الأمة بـ "حزب الإمام" لقيامه على مبادئ سياسية مستمدة من تعاليم الامام محمد عبده. وحزب الأمة هو حزب سياسي ليبرالي مصري تأسس في 21 ديسمبر عام 1907، برئاسة محمود باشا سليمان (والد محمد محمود باشا). وكان مفكره الرئيسي أحمد لطفي السيد، الذي كان يشرف على اصدار صحيفته، الجريدة. رفع شعار "مصر للمصريين" وكان هدف الحزب الرئيسي هو "المطالبة بالاستقلال التام والدستور تم حل الحزب بعد ثورة 1919. أنظر أكثر:

- يونان لبيب رزق، الأحزاب المصرية عبر مائة عام، ط1. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006، ص ص 27 - 32.



الأستاذ "أحمد لطفي السيد" وذلك ما بين عامي 1907 و1908، ومن خلال هذا الموقع نشر مقالاته في مختلف القضايا والهادفة للإصلاح السياسي والاجتماعي. فقد بدأ الزهراوي خلال هذه الفترة أكثر ارتباطاً بحركة التجديد الديني والإصلاح، والتي كان رائدها محمد رشيد رضا، فارتاد حلقة الشيخ طاهر الجزائري (1852-1920)، وتوثقت العلاقة بينه وبين محمد رشيد رضا لما كان بينهما من أفكار وميلهما المشترك إلى الاشتغال بالإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي<sup>1</sup>.

ظل الزهراوي في مصر عالماً من أعلام الفكر والإصلاح ينشر في جرائدها ومجلاتهما، ويحضر حلقات الفكر والثقافة إلى غاية إعلان دستور عام 1908، فطلبه أهل حمص ليكون مندوباً عنهم في مجلس المبعوثان\*، وانتخب الزهراوي وخالد أفندي البرازي نائبيين عن لواء حماة في المجلس، وذهب إلى الاستانة، فكان له دور كبير داخل المجلس في الدفاع عن الدستور وقضايا المنطقة العربية والذود عن سكانها<sup>2</sup>.

استطاع عبد الحميد الزهراوي أن يقوم بمجموعة من الأدوار المهمة في مجلس المبعوثان، ميزتها الثبات على المبدأ ومقاومته لكل أشكال الظلم أيا كان مصدرها، حيث عمل على توحيد القوى المعارضة للدفاع عن الدستور، وتكريس الحياة الدستورية، والتصدي لمحاولات السلطان عبد الحميد الثاني وأد الحركة الدستورية الوليدة<sup>3</sup>.

كما وقف في وجه جماعة "الاتحاد والترقي" بعد تراجعهم عن المبادئ التي كانوا يبشرون بها، لما كانت الجماعة في المعارضة، واستطاع أن يشكل معارضة قوية داخل المجلس تحت لواء "حزب الحرية والائتلاف" بعد الإطاحة بالسلطان عبد الحميد

<sup>1</sup> محمد رشيد رضا، "السيد الزهراوي (كتاب سري من الزهراوي)"، جريدة المنار، مج 19 ومنتشر في الأعمال الكاملة لعبد الحميد الزهراوي، القسم الأول، المرجع السابق، ص 41، 40.

\* مجلس المبعوثان: هو المجلس النيابي العثماني بهذا الإسم لأن كل لواء (محافظة) كان ينتخب مبعوثين اثنين إلى المجلس.

<sup>2</sup> علوش، المرجع السابق، ص 22.

<sup>3</sup> توفيق على بر، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني. القاهرة: جامعة الدول العربية، ص 27.

الثاني\*\*، وتعيين أخاه محمد رشاد، رفض الزهراوي كل محاولات أعضاء جمعية الاتحاد والترقي عروض استمالته لصالحها، رافضا منصب رئيس مجلس المبعوثان<sup>1</sup>، وانصب اهتمام الزهراوي في المجلس على سبل توحيد القوى المختلفة في الدولة، لضمان استمرارية الحياة الدستورية، وفضح الأطماع الخارجية، ومن يقوم بخدمتها من الداخل<sup>2</sup>.

التزم الزهراوي خلال فترة ولايته بمجلس المبعوثان بالثبات على مواقفه التي كان يجاهر بها والصدق في الدفاع عنها، واثبت احترامه لمبادئه بصورة واضحة، ودافع عن حقوق العرب في السلطنة من خلال مشروع الإصلاح العام في الدولة، مايسمح لهم بالمشاركة في إدارة أمور البلاد. وللدفاع عن أفكاره هذه أنشأ الزهراوي جريدة "الحضارة" بالاشتراك مع شاكرا الحنبلي\*، وقد حرص الزهراوي على أن لا تكون جريدته "آلة هوى" بيد السياسيين، أو أن تكون "متشعبة لهوى فرقة من الفرق"<sup>3</sup>. ف"الحضارة" لم ينشئها حزب من الأحزاب بل أنشأها صاحبها لخدمة قومه عن طريق

---

\*\* وعلى اثر الحركة المضادة التي حدثت في 13 أبريل 1909 وتعرف في التاريخ العثماني (الفترة الارتجاعية) حيث عقد مجلس المبعوثان في 27 أبريل في السنة نفسها جلسة أعلن فيها خلع السلطان عبد الحميد بتهمة تشجيع الحركة المضادة. وقد تم تنصيب أخيه محمد رشاد باسم السلطان محمد الخامس (1909 - 1918). ولقد سرت نتيجة لهذا التغيير موجة من الفرح والابتهاج في معظم أرجاء الدولة العثمانية املا في بداية عهد جديد تترجم فيها شعارات الاتحاديين المتمثلة بالحرية والعدالة والمساواة، لكن الاتحاديين سرعان ما اعتمدوا سياسة التتريك وتمجيد النعرة الطورانية واستخدموا لتحقيق ذلك الارهاب. أنظر أكثر:

البيومي، المرجع السابق، ص 215.

<sup>1</sup> نفسه، 283.

<sup>2</sup> حسين الجامع، المرجع السابق، ص 53.

\* شاكرا بن راغب الحنبلي: ولد في دمشق سنة 1876 وتوفي فيها سنة 1978، درس فيها، وتخرج في المكتب الملكي بالأستانة. ولي عدة وظائف إدارية وتعليمية، أصدر جريدة «الحضارة» في الأستانة مع عبد الحميد الزهراوي للدفاع عن حقوق العرب، إلا أنه انسحب بعد أن عين متصرفا للواء عكة ثم حماه، وعزل عام 1916م. للمزيد أنظر أكثر:

- عبد الفتاح الصعيدي، معجم الأديباء من العصر الجاهلي إلى سنة 2002، الجزء الثالث، ط1. بيروت: دار العلم للملايين، 2002، ص 116.

<sup>3</sup> عبد الحميد الزهراوي، "إلى قرائنا الأعزاء"، جريدة الحضارة، 23 المجلد الثالث العدد 111، 1912/03/23. ص

الصحافة"<sup>1</sup>. فكانت " الحضارة في اتجاهها العام نقديّة، لكن في حدود الاعتدال، وكان همها الأساسي الدفاع عن حقوق الأمة العربيّة، ومساواة الأمم في الوطن العثماني، وإحترام الدستور والدفاع عنه، والدعوة إلى لامركزية الحكم"<sup>2</sup>.

وقد تعرض الزهراوي لحملة تشويه من طرف الاتحاديين، الذين عملوا على اسقاطه في انتخابات 1912، هذه الانتخابات أجريت في ظروف سيئة جدا، مما دفع بالكثير من السوريين إلى عدم الإدلاء بأصواتهم، مما أدى إلى فوز منافسه وصفي الاتاسي (1880-1932م) بالمقعد النيابي<sup>3</sup>.

عقب فشله في انتخابات مجلس المبعوثان، والسياسات القمعية التي اتخذتها جمعية الاتحاد والترقي بعد التحول الذي طرأ على بنيتها وتوجهاتها، عاد الزهراوي إلى الإستانة لمتابعة عمله السياسي خارج حلبة المجلس، ليشكل ائتلافا بين حزبه (الحرية والاعتدال) و"حزب الأهالي"، واستطاع هذا الائتلاف أن يقنع الكثير من الضباط والنواب بالانضمام إليه. وطالب هؤلاء بالعمل على تحقيق المساواة في حقوق الشعوب المشاركة في السلطنة العثمانية على أساس العدد (أي تتوزع المسؤوليات في السلطنة بين القوميات على أساس عددها)، وعليه طالبوا بالاصلاح وتوسيع الصلاحيات في الولايات العثمانية (اللامركزية)<sup>4</sup>، ونددوا بسياسة "الاتحاديين" الرامية إلى التتريك وكبت حرية القوميات التي تعيش في ظل الامبراطورية العثمانية. وقد حقق الائتلاف العديد من الانتصارات السياسية على الاتحاديين وكان أبرزها اسقاط حكومتهم وتشكيل حكومة "مختار باشا"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> نفسه، ص 277-278.

<sup>2</sup> الحلاق، المرجع السابق، ص 76.

<sup>3</sup> Khalidi rachid, "the 1912 Election Campaign in the Cities of Bilad El- Sham", *International Journal of Middel East Studies*,14, 1984, p 86.

<sup>4</sup> الحلاق، المرجع السابق، ص 77.

<sup>5</sup> محرر الرسالة، الغازي احمد مختار باشا، مجلة الرسالة، العدد 50، 1934/06/18. على الانترنت:

[https://ar.wikisource.org/wiki/%D9%85%D8%AC%D9%84%D8%A9\\_%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%B3%D8%A7%D9%84%D8%A9/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%AF%D8%AF\\_50/%D8%A7%D9%84%D8%BA%D8%A7%D8%B2%D9%8A\\_%D8%](https://ar.wikisource.org/wiki/%D9%85%D8%AC%D9%84%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%B3%D8%A7%D9%84%D8%A9/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%AF%D8%AF_50/%D8%A7%D9%84%D8%BA%D8%A7%D8%B2%D9%8A_%D8%)

وبعد أن ذاع صيت جريدة " الحضارة " قامت السلطات الاتحادية بايقافها في أواخر 1912<sup>1</sup>، فعمد الزهراوي إلى إصدار جريدة "المدنية"، لكن سرعان ما تم منعها هي الأخرى، فأصدر جريدة "الإدارة"، وهو ما دل على إصراره على النضال من أجل نشر مبادئه بطريقة سلمية<sup>2</sup>.

أدت المتغيرات الكثيرة التي مرت بها الإمبراطورية العثمانية، كإفصال الولايات الأوروبية، ونشوب حرب البلقان، واحتلال إيطاليا لليبيا (طرابلس الغرب)، إلى تطورات في مواقف الزهراوي، وشبكة علاقاته مع المناضلين ضد سياسة الاتحاديين خارج الاستانة\*. وكان خلال هذه المرحلة من بين المصلحين العرب المؤمنين بضرورة تنسيق الجهود السياسية المشتركة، للدفاع عن العرب في مواجهة سياسة التتريك ومشاريع التدخل للقوى الأوروبية الكبرى.

في ظل هذه الظروف الخاصة جاء انعقاد المؤتمر العربي الأول في باريس في الفترة الممتدة بين 18 و 23 أبريل سنة 1913، لمناقشة الظروف السياسية الصعبة على جميع الجبهات التي تمر بها الشعوب العربية ؛ ففي الاستانة كان الاتحاديون قد أحكموا قبضتهم على السلطة، وكشفوا عن نواياهم العنصرية، ومعاداتهم للعرب، وتراجعهم عن كل الوعود بالإصلاح وإعطاء حقوق الاقليات مع المحافظة على الهوية المميزة لكل أقلية. فشنوا حملات قمع على كل المعارضين في المركز والولايات، وعطلوا الصحافة المعارضة<sup>3</sup>.

أما في الاقاليم العربية، فقد شكلت ممارسات حكومات "الاتحاد والترقي"، نقطة تحول في مستوى الوعي العربي، بأهمية تنسيق الجهود المشتركة لمواجهتها، فقد سهلت التطورات السياسية في بيروت- بعد حلّ "جمعية بيروت الإصلاحية" واعتقال

[A7%D8%AD%D9%85%D8%AF\\_%D9%85%D8%AE%D8%AA%D8%A7%D8%B1\\_%D8%A8%D8%A7%D8%B4%D8%A7](#)

<sup>1</sup> علوش، المرجع السابق، ص 28.

<sup>2</sup> الجامع، المرجع السابق، ص 55.

<sup>\*</sup> وخاصة في مصر مع حزب اللامركزية.

<sup>3</sup> محمد كامل الخطيب، المؤتمر العربي الأول: قضايا وحوارات النهضة العربية، ط2. دمشق: وزارة الثقافة السورية، 1996، ص 85.

بعض أعضائه، لقبول أي مبادرة عربية من شأنها تنظيم الجهود العربية الهادفة لنيل الحقوق<sup>1</sup>.

جاءت دعوة بعض أعضاء "الجمعية العربية الفتاة"<sup>\*</sup>، لعقد مؤتمر عربي لتلبي المتطلبات المستجدة للعمل السياسي العربي، ولما كان انعقاده في إحدى الولايات العربية سيكون مستحيلاً، فقد تم اختيار باريس كمكان لعقد المؤتمر، وعليه قرر حزب اللامركزية في مصر، إرسال مندوبين عنه لهذا المؤتمر، ورشحوا لذلك كل من عبد الحميد الزهراوي وندره مطران، وتم اختيار الزهراوي لرئاسة المؤتمر العربي، تقديراً لمكانته العلمية والاجتماعية، وهو الذي استطاع أن يقود المؤتمر نحو اتخاذ قرارات بالاجماع يمكن وصفها بالمعتدلة طالبت بالاصلاحيات ضمن حدود السلطة بالدولة العثمانية، وضد دعاة الانفصال ودعاة الحماية الأوروبية<sup>2</sup>.

وقد سعى الزهراوي خلال أعمال المؤتمر على إزالة كل ما من شأنه إثارة الشكوك حول نيات العرب في عقد المؤتمر، فبين من خلال تصريحاته الصحفية أن المؤتمر يعني فقط العرب العثمانيين، وأنه ليس له علاقة بالولايات غير العثمانية، وأن المؤتمر ليس له صفة دينية، وأن المؤتمرين يهدفون إلى إسماع مطالبهم وآرائهم لأوروبا التي تهتم يوم بعد آخر بمصالحها في المنطقة، ويأملون من ناحية أخرى، بأن تؤدي احتكاكاتهم بالغربيين إلى إزالة سوء التفاهم بين الشرق والغرب وتمهد الطريق لوضع أسس للتفاهم<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> برو، المرجع السابق، ص 26.

<sup>\*</sup> الجمعية العربية الفتاة: هي جمعية سياسية قومية عربية سرية أنشأها مجموعة من الطلاب العرب في باريس عام 1911م. كان من أهدافها؛ المطالبة بالحقوق العربية في الولايات العربية التي كانت تحت الحكم العثماني آنذاك ومنها حقوق اجتماعية وقومية. نشأت الجمعية كرد على جمعية الاتحاد والترقي التركية التي كانت تدعو إلى التتريك. و بعد الإعدامات التي طالت أعضاءها في سوريا على يد الوالي العثماني "جمال باشا السفاح"، طالبت الجمعية بالحكم الذاتي في الأقاليم العربية ثم ما لبثت أن طالبت بالاستقلال التام لكافة الأقاليم العربية. وتأسست الجمعية على يد سبعة من الطلاب:

1- عوني عبد الهادي من فلسطين 2- رفيق التميمي من فلسطين 3- محمد البعلبكي من لبنان 4- محمد عزة دروزة من فلسطين 5- جميل مردم بك من سوريا 6- توفيق السويدي من العراق 7- محمد رستم حيدر من لبنان.

<sup>2</sup> برو، المرجع السابق، ص 26.

<sup>3</sup> الجامع، المرجع السابق، ص 57

ويمكن إبراز الدور الفعال لعبد الحميد الزهراوي في هذا المؤتمر، من خلال النقاط التالية:

1\_ قيادة المؤتمر العربي الأول لاتخاذ قرارات إجماعية معتدلة.  
2\_ المساهمة في تشكيل الوعي بالتكامل السياسي العربي، وإبرازها أمام الاتحاديين والأوروبيين، سواء بتأكيداته على أهمية المؤتمر بحد ذاته، أو بإدارته بطريقة دفعت المؤتمرين إلى تجاوز نقاط الخلاف بينهم والخروج بموقف عربي موحد.

3\_ الالتزام بإظهار الموقف العربي المستقل عن أطراف النزاع، وعدم تبعيته للسياسات الأوروبية أو الاتحادية على حد سواء.

كلف المؤتمر في نهاية أشغاله رئيسه بإطلاع الحكومة الفرنسية على قراراته، والتفاوض مع السلطة العثمانية على وضع قرارات المؤتمر موضع التنفيذ. وعقب نهاية المؤتمر، وبناء على توصية المؤتمرين بضرورة تبليغ قراراته إلى كل من له علاقة بوضع الدولة العثمانية، اجتمع الزهراوي مع "بيشون"، وزير الخارجية الفرنسي وأطلعته على نتائج المؤتمر، كما باشر اتصالاته مع السلطنة عن طريق مندوبين أرسلتهم حكومة الاتحاديين للمؤتمر، وأعطوا حينها موافقة الباب العالي على تنفيذ قرارات المؤتمر، على شرط أن يبقى هذا الاتفاق سرياً، حتى لا يثير القوميات الأخرى، التي تتكون منها الدولة العثمانية. وعلى هذا الأساس قبل الزهراوي بتعيينه في مجلس الأعيان في 04 جانفي 1914، وهو المنصب الذي أثار عليه جزءاً من الرأي العام العربي، الذي اعتبر الزهراوي باع القضية العربية للإتحاديين<sup>1</sup>.

ولعل أبرز نشاطات الزهراوي السياسية خلال هذه المرحلة تمثلت في المشاركة في عملية التفاوض مع جمعية الاتحاد والترقي لإقرار مواد الإصلاح المتفق عليها سراً، والضغط على الحكومة الاتحادية ومتابعتها ومراقبتها عن قرب، بصفته نائباً في مجلس الأعيان، وهي الانشغالات التي أوضحها في رسالته إلى الشيخ رشيد رضا يشرح فيها دواعي وأسباب قبوله بالمنصب في مجلس الأعيان، وتم نشرها بعد وفاته

<sup>1</sup> الحلاق، المرجع السابق، ص 79.

في جريدة "المنار"<sup>1</sup>. ويمكن من خلالها تلخيص موقف الزهراوي من السلطنة والإصلاحات في النقاط التالية:

1\_ إن وجود الاتحاديين على رأس السلطة لوحدهم، يمكنهم من التقرد بالقرارات.  
2\_ إن رجال الإصلاح العرب قلة في مراكز صناعة القرار، لذلك وجب علينا دعم صفوفهم.

3\_ يجب الدفع بالإصلاح في الدولة العثمانية، من خلال العمل مع رجال الإصلاح الحقيقيين، ومواجهة مشكلتين أساسيتين هما:

أ- السبات الذي تعيش فيه الأمة.

ب- الجشع الذي فيه أوروبا.

ويتضح من الرسالة، بأن الزهراوي كان على وعي كامل بالسياسات التي تحيكها الدول الأوروبية ضد الدولة العثمانية، ومدى ضعف العمل السياسي العربي، وأن الأمة العربية غير مستعدة للمواجهة مع الاتحاديين الأتراك الذين يملكون كل عناصر القوة. وبالتالي جاء موقفه من الاتحاديين بعد المؤتمر بناء على حسابات دقيقة لموازن القوى.

ودخل الزهراوي بعد تعيينه في مجلس الأعيان في مواجهة مع بعض أعضاء المؤتمر العربي من الطلاب والمناضلين الشباب، وأتهمهم بالجهل وقلة الخبرة، وهو ما نفر الضباط العرب منه، وخاصة أولئك الضباط الذين دخلوا في عداوة معلنة مع الاتحاديين، وتم ابعادهم من مراكز القيادة في الجيش العثماني. والسبب في تقديرنا يعود الى أن الزهراوي كان حينها مؤمن بالدولة العثمانية كوطن نهائي للعرب والترك معاً، ويجب العمل على تقويتها، لأن ضعفها أو انفصال العرب عنها، سيجعلهم فريسة للقوى الأوروبية، الجاهزة للاستيلاء على مناطقهم.

كانت تلك قناعات عبد الحميد الزهراوي بالرغم من إدراكه أن الاتحاديين انتهجوا مع القضية العربية سياسة الخداع والمماطلة في مفاوضاتهم مع النخبة العربية، مما

<sup>1</sup> رشيد رضا، "كتاب سري من السيد الزهراوي"، جريدة المنار، المجلد 19. وأيضا انظر أكثر : عبد الحميد الزهراوي، الأعمال الكاملة، الجزء الأول، المصدر السابق، ص 56-62.

جعله يجهر باستيائه لهذه الممارسات، والتعبير عن الرغبة العربية الحقيقية رؤية الأفعال وليس سماع الأقوال. إلا أنه ظهر عقب اندلاع الحرب العالمية الأولى "إتحادياً" لا يقل عن غيره من الاتحاديين، ووافق الحكومة على إصدار أمر التعبئة العامة وسعى لاستمالة العرب. وهذا الموقف شاركه فيه العديد من رجال الدين والإصلاح الذين كانوا يخشون على الإسلام والدولة العثمانية من التهديدات الاستعمارية<sup>1</sup>.

غير أن هذا الموقف من الاتحاديين ومساندته للسلطنة في حربها لم يشفع لعبد الحميد الزهراوي من تقييد اسمه ضمن المجموعة التي أقاموا لها المحاكم العسكرية، حيث عمد جمال باشا إلى تليفق التهم والأدلة التي تدين الزهراوي، مستندا إلى الوثائق والرسائل الخاصة بحزب "اللامركزية" والتي تشير إلى تفويض الحزب له بقبول وظيفة نائب بمجلس الأعيان، والثانية كتاب توصية من إمام اليمن من أجل مساعدة أحد موظفي الترك<sup>2</sup>.

ورغم أن الوثيقتين لا تحملان في طياتهما أي إدانة بالخيانة والتآمر على الدولة العثمانية<sup>3</sup>، وأن وقائع التهم المنسوبة تعود إلى مرحلة ما قبل الاتفاق السري المبرم ما بين العرب والأتراك بعد مؤتمر باريس سنة 1913م، السالف الذكر، إلا أن جمال باشا الصق تهمة الخيانة العظمى به، وأصدر حكم الإعدام عليه، دون أن يخضع لأي محاكمة أو تحقيق، وإنما كان الحكم "صورياً"، ويذكر أن اسمه لم يأتي في بيان الحكم بالإعدام لحصانته النيابية، وكان ذلك يقتضي أمر من السلطان مباشرة، وهو ما لم يكن، وبالرغم من ذلك تقبل الزهراوي هذا الحكم بثبات وشموخ، وحين سيق إلى

<sup>1</sup> أسعد داغر، ثورة العرب ضد الأتراك: مقدماتها، أسبابها، نتائجها، تحقيق وتقديم عصام شبارو، ط2. بيروت: دار التضامن 1993. ص 164.

<sup>2</sup> عصام حسين الجامع، المرجع السابق، ص 64-65.

<sup>3</sup> وفي نص الاتهام الذي نشره جمال باشا في سوريا على الأهالي، لم تكن هناك تهم واضحة للزهراوي تدينه بالخيانة، وقد نشرت مجلة المنار ذلك البيان على صفحاتها، وتحوز الباحثة على نص هذا البيان، أنظر أكثر:

- محرر مجلة المنار، "جمال باشا السفاك"، مجلة المنار، الجزء الثاني، المجلد 19، ص 115 - 119



منصة الأعدام، - وقد كان أول من أعدم في مجموعته - أطلق كلمته المشهورة " المشنقة أرجوحة الأبطال"<sup>1</sup>.

### خلاصة الفصل:

ومما سبق، يبدو أن مسيرة حياة "عمر بن قنور" و"عبد الحميد الزهراوي" لم تكن مفروشة بالورود، رغم نشأتها في عائلتين ميسورتا الحال، فقد واجها طوال حياتهم تجارب قاسية في مواجهة السلطات الحاكمة والعادات والتقاليد في المجتمع، وكان سبيلهما في مواجهة الكتابة في الصحف والجرائد، ورغم اختلاف مسار الرجلين في بعض النقاط مثلا رؤيتهما لبعض القضايا، فقد كان للقائهما على صفحات جريدة الحضارة الأثر البارز في صقل شخصية كل واحد منهما. فقد راهن الاثنان على امكانية تحقيق الاصلاح عن طريق تربية النشأ تربية تمزج بين القيم العربية الاسلامية والعلوم الغربية المتطورة، وهو ما سجلاه في مقالاتهما العديدة عبر مختلف الجرائد، بل أكثر من ذلك عمل بن قنور في آخر حياته مدرسا باحدى المدارس الخاصة، التي أشرف بمعية رفقاءه في المسيرة الاصلاحية على تأسيسها.

كما كان بن قنور حريصا على دوام الترابط بين بلاد المغرب والمشرق، فكان له ثناء كبيرا على رجال المشروع النهضوي في المشرق، وفتح لهم أعمدة جرائده للكتابة بها بما ينور الشعب الجزائري، ويخرجه من حالة الجمود الفكري والاستيلاء الثقافي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى ساعد سفر بن قنور إلى كل من تونس ومصر على الاحتكاك أكثر بقيادة رجال الفكر العربي النهضوي، وتكونت لديه أفكار و رؤى واضحة عمل على انزالها لواقع الميدان في الجزائر، لكن الطبيعة الاستعمارية للحكم عرقلت مشروعه، وضعت أمامه الكثير من الحواجز والعراقيل.

أما عبد الحميد الزهراوي فكان مثالا للشخصية العارفة بخبايا السياسة والفكر، فقد كانت لنشأته الدور البارز في تحديد مساره في عالم الصحافة والفكر، فهو قد

<sup>1</sup> سليمان موسى، الحركة العربية لسيرة المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة 1908-1924. ط2. بيروت:

دار النهار للنشر، 1986 ص121

خبر السياسة وتمرس في دروبها، كما ذاق المنفى والابعاد، لكن كل هذه الصعوبات لم تثنيه على مواصلة مسيرة خطها عبر صفحات جريدته الحضارة. وكان لهجرته إلى مصر ومخالطته لرجال الفكر والسياسة في تلك المرحلة دور بارز في تحديد توجهاته ومواقفه من الباب العالي، فكان ترؤسه للمؤتمر العربي في باريس بالغ الأثر في نضجه الفكري والسياسي، حيث راهن على تحقيق الإصلاح من داخل الدولة العثمانية، لكنه صدم من طبيعة الممارسات التي كانت تقوم بها سلطات الباب العالي، تجاه العرب، لكنه ظل وفيًا لمبادئه إلى غاية شنقه، وقد شكلت كتابات عبد الحميد الزهراوي منارة احتدى بها من جاء بعده من أجل استكمال مسيرة كان قد بدأها لوحده.

## الفصل الثالث:

# المسار الصحفي لعمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي وتحدد مفاهيم النهضة والإصلاح في كتاباتهما

المبحث الأول: المسار الصحفي لعمر بن قذور

أولاً: المسار الصحفي لعمر بن قذور قبل الحرب العالمية الأولى

ثانياً: المسار الصحفي لعمر بن قذور بعد الحرب العالمية الأولى

المبحث الثاني: المسار الصحفي لعبد الحميد الزهراوي وتجليات مفاهيم النهضة والإصلاح

أولاً: موقف الزهراوي من السلطة العثمانية من خلال الصحافة

ثانياً: الزهراوي بين ممارسة السياسة ومهنة الصحافة

خلاصة الفصل:

لم يمنع اختلاف البيئة بين سوريا والجزائر وابتعاد الجغرافيا، والظروف التي كانت تمر بها كل منطقة كل من عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي من تأسيس مدرستين متميزتين في الصحافة، عملا من خلالها على تحقيق مشروعيهما الإصلاحية وفق الرؤية التي حددته تجربة كل واحد منهما، وحتى تتضح معالم هذه المدرسة لا بد من معرفة المسار الذي خطه كل واحد منهما، ونتناول في هذا الفصل بشكل مفصل المسار المهني لكل منهما، وحتى تتضح الصورة أكثر وجب التوقف عند السياق العام للفضاء الذي تزامن والنشاط الإعلامي للرجلين، وكذا فهم البيئة السياسية والاجتماعية المؤثرة في العمل الصحفي وهياكلها التنظيمية للمؤسسات الإعلامية في البلدين، حتى يمكن معرفة الصعوبات والتسهيلات التي عملا في إطارها.

إن التجربة الصحفية الجزائرية والسورية خلال بداية القرن العشرين لكل واحدة منها خصوصيتها التي تميزها عن الأخرى، من جهة، وتجارب دول أخرى في المنطقة العربية، من جهة ثانية، وهذا ما يجعلنا في الصفحات الموالية نبحت عن هذه الخصوصية وسياقات هذه التجربة، وخاصة الأطر القانونية التي فرضتها السلطة، المتحكمة في شؤون البلدين ومواقف وأراء الصحفيين حول هذه البيئة، وما قدماه من أجل تحقيق أهداف الصحافة في الإصلاح والتطوير وخدمة شعبيهما، في تلك الظروف الخاصة، وكيف استطاعا من خلال هذه الوسيلة التي أصبحت محل اهتمام شريحة مهمة من شعبي المنطقتين ونشر فكرهما الإصلاحي، وإبراز قدراتهما على التأثير من خلال العمل الصحفي الأمر الذي أزعج السلطات القائمة في البلدين، والعمل على التضييق على نشاطهما في هذا المجال ، وذلك بايقاف ومصادرة الصحف التي أشرفا على تأسيسها.

## الفصل الثالث: المسار الصحفي لعمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي وتحدد مفاهيم النهضة والإصلاح في كتاباتهما

### المبحث الأول: المسار الصحفي لعمر بن قذور

كان لعمر بن قذور مسار ثري في عالم الصحافة المكتوبة، الجزائرية والعربية، في ظل بيئة استعمارية كانت تضيق على العمل الصحفي بالجزائر. إلا أنه استطاع أن يجعل من مهنته، وسيلة لتحقيق مشروعه الإصلاحية وخدمة الشعب الجزائري في الدفاع عن حقوقه، في مواجهة آلة الاستعمار الفرنسي، وتتجلى أهمية العمل الصحفي عند عمر بن قذور كما ذكرها هو بنفسه في "... تنوير الأذهان بالمعارف، وكذلك خدمة اللغة العربية وإحيائها، وخدمة تاريخ القومية الإسلامية"<sup>1</sup>، وهو هنا يُرجع النهضة التي شهدتها العالم الإسلامي، في بداية القرن العشرين، إلى ما بذله الصحفيون من نشاط وحركية، أثمر في تحقيق جملة من المكاسب الحضارية، بعدما كانت المنطقة تعيش في جهل وظلال، حيث يقول " ... كنتم معشر الرصفاء العاملين على ذلك، والمهيمنين على نزع ما هنالك من جهل وظلال وفساد في الأخلاق وعتو في القلوب... نعم أنتم مصدر هذه الحركة الحسنة، وغارسو أشجار هذه الثمار تنيع ويحلو أكلها لكل حاضر وباد..."<sup>2</sup>

### أولاً- المسار الصحفي لعمر بن قذور قبل الحرب العالمية الأولى:

وقد كان لإدراك عمر بن قذور لأهمية الصحافة، ما جعله يكرس حياته للكتابة الصحفية التي بدأها سنة 1906، عبر جريدة "الهلال" (Le Croissant) التي قام بإصدارها الفرنسي "غاستون دو فولبير" (Le Gaston De Vulpilliere) بتاريخ 22 أكتوبر 1906م<sup>3</sup>، وكانت تحمل شعارًا أسفل العنوان بالعربية "جريدة كفالة حقوق

<sup>1</sup> عمر بن قذور، "المقال الافتتاحي"، جريدة الفاروق، العدد 01، 28 فيفري 1913م.

<sup>2</sup> خرفي، المرجع السابق، ص 119.

المسلمين" وفي العدد السادس (06) من نفس السنة، أعلنت عن تعاون عمر بن قذور الجزائري مع جريدة الهلال<sup>1</sup>.

ويرجح أن يكون أول مقال لبن قذور بالعدد الرابع، حيث كتب مقالا لم يضع له عنوانا، ودون أن يوقعه باسمه. كأنما استهل به دخوله عالم الصحافة، أشاد في مقدمته، برجال الصحافة، وبأهمية الكتابة بالنسبة للأمة، وكتب قائلا: " الحمد لله الذي أطلع رجال الصحافة إلى أشرف المراتب ورقى معلوماتهم إلى قمة هذا العصر المتمدن، وجعل صناعة القلم أشرف الصناعات، فرجاله لسان الأمة، وبهم يُنال المرام..."<sup>2</sup>

وأول ظهور لاسمه على الصحفية كان بالعدد الخامس الصادر بتاريخ 01 ديسمبر 1906 وجاء المقال تحت عنوان " إلى حضرات الأغنياء والسراة ". أين يدعو فيه الأغنياء إلى مديد العون إلى هذا المشروع الصحفي، المتمثل في جريدة "الهلال"، خدمة " للعدالة وتثبيتا لدعائم الإنسانية، ودعم العنصرين، الفرنسي والعربي. وتعد هذه الإعانة دعما هاما للنهوض بالوطن. وحولها كتب التالي: " إلى متى يا حضرات الأغنياء تخفون وجوهكم تحت برانيسكم مهما طلبنا منكم إعانة في سبيل حب الوطن أعينوا ... أعينوا .. إخوانكم المساكين" ويستشهد في ذات المقال بالحديث النبوي الشريف، "المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا". وواصل بن قذور التعريف بالأفكار التي يتبناها على صفحات العديد من أعداد الجريدة، وبقي على هذا المنوال نشاطه في هذه الصحيفة تقريبا في معظم أعدادها،

<sup>1</sup> Zouhir Ihaddaden, **Histoire de la Presse Indigène en Algérie, des Origines jusqu' en 1930**. Alger: ENAL, 1983, P 135.

<sup>2</sup> Zouhir Ihaddaden, **Op, Cit**, p 136.

## الفصل الثالث: المسار الصحفي لعمر بن قدور وعبد الحميد الزهراوي وتحدد مفاهيم

### النهضة والإصلاح في كتاباتهما

إلى غاية إلى أن دفع تحت طائلة أول اعتقال سياسي يتعرض له عمر بن قدور بسبب نشاطه الصحفي، وذلك في شهر مارس من سنة 1907م<sup>1</sup>. هذا الاعتقال كان محل استنكار من الجريدة التي نوهت بخصاله الحميدة، وجودة مقالاته الصحفية، لقد عبرت مقالاته في "الهلال" عن الكثير من القضايا التي سوف يُعالجها، ويُسهب فيها مستقبلا سواء على مستوى نشاطه الصحفي داخل الجزائر، أو بتعاونه وبمُراسلاته للصحافة العربية خارج الجزائر، بدءًا من التعبير عن الشعور الوطني الجزائري، وضرورة النهوض والمطالبة بالحقوق الإنسانية تجنبًا للفناء والذوبان، إلى انتقاد الغرب في جانبه الاستعماري الاستعبادية للشعوب، أو النظر إلى الجوانب الإيجابية في الغرب الحضاري، مع الدعوة إلى الإصلاح، بالاستناد إلى مرتكزات معينة<sup>2</sup>.

لقد أثر اعتقاله من طرف السلطات الاستعمارية في أول تجربة إعلامية له، مما جعله يفكر في مغادرة الجزائر بشكل مؤقت، حيث زار في هذه السنة بالذات، أي سنة 1907، تونس، وأقام فيها عدة شهور، حيث تعرف على أحد الطلبة الزيتونيين، وهو الصحافي المعروف، الطيب بن عيسى، ذي الأصول الجزائري (كما ذكرنا سابقًا)<sup>3</sup>. واستغل عمر بن قدور تواجدته بتونس، ليواصل نشاطه الصحافي كمحرر في جريدة "الحقيقة" التونسية، التي كان يصدرها مديرها عثمان بن عمر سنة 1907، وقد كان بن قدور يوقع مقالاته في هذه الجريدة باسم مستعار تارة، وهو "لكاتب نابغة في الجزائر"، هذه المقالات التي أختار لها زاوية بعنوان "منبر العبر.."، وتارة أخرى،

<sup>1</sup> في العدد رقم 12 بتاريخ 11 مارس 1907، يعلن قاستون فولبير (Gaston De Valpillieres) عن توقف جريدة "الهلال" ونيته إصدار جريدة أخرى نصف شهرية تحت عنوان (Le Défi).

<sup>2</sup> lhaddaden, Op, cit, p 135.

<sup>3</sup> أنظر الفصل الثاني، عمر بن قدور المولد والنشأة

## الفصل الثالث: المسار الصحفي لعمر بن قدور وعبد الحميد الزهراوي وتحدد مفاهيم

### النهضة والإصلاح في كتاباتهما

بتوقيعه المعروف "أبو حفص الجزائري"، وتحت هذا التوقيع نشر مجموعة من المقالات المتسلسلة الهامة حول واقع نظام الوقف والحبوس بالجزائر<sup>1</sup>. وسمح له تواجدُه بتونس، بإقامة علاقات صحافية، وحتى إنسانية كما أسلفنا، بحيث سيشرع، عند عودته إلى الجزائر، بداية من شهر مارس 1908 بمراسلة عدد من الصحف التونسية منها، "التقدم"، "المشير" لغاية سنة 1911<sup>2</sup>. ولما عاد بن قدور من تونس عاد للكتابة على صفحات جريدة "الأخبار" \* لأول مرة في العدد 13520، بدعوة ملحة من مديرها "فيكتور باروكوند" (Victor Barrucand) واشتغل بها كمدير ومحرر قسمها العربي، وذلك بتاريخ 05 أبريل 1908<sup>3</sup>، وعمل على تطوير مستوى المحتوى العربي بها، بحيث يقوي على منافسة الصحافة العربية التي بدأت بالظهور مع جريدة "كوكب إفريقيا" \*\*. وبدأ بن قدور بترجمة المحتوى الفرنسي إلى اللغة العربية. وقام بترجمة مقالات هامة بعنوان "جزائر الغد" أعاد نشرها بجريدة (الفاروق) سنة 1914م، كانت هذه الترجمة وإعادة النشر بطلب من "فيكتور باروكاند"، والذي كان قد نشرها في أعداد من جريدة "الأخبار" . فعهد إليه ترجمة هذه السلسلة من المقالات ونشرها ريثما يعود إلى الجزائر<sup>4</sup>. وكم كانت فرحة بن قدور كبيرة بعودته لوطنه الجزائر.

<sup>1</sup> أنظر الملحق رقم 03.

<sup>2</sup> أنظر الملحق رقم 04.

\* الاخبار: كانت جريدة الأخبار الصادرة باللغة الفرنسية، الجريدة الوحيدة في الجزائر التي بدأت تخصص منذ سنة 1904، ورقتين من صفحاتها للتحليل باللغة العربية، وكان لا يوجد في الجزائر جرائد باللغة العربية منذ إختفاء جريدة المغرب سنة 1903م. أنظر أكثر:

- زهير إحدادن، المرجع السابق، ص 74.

<sup>3</sup> خرفي، المرجع السابق، ص 70.

\*\* كوكب أفريقيا: هي دورية تونسية باللغة العربية أسسها محمود كحول في تونس عام 1907م، وكانت مقرية من السلطات الفرنسية.

<sup>4</sup> جريدة الفاروق، العدد 79، بتاريخ 25 سبتمبر 1914.



استمر عمر بن قدور في نشاطه الصحفي والنضالي، وكان يأمل أن يلعب دورا في النهضة الإسلامية بالجزائر عبر صفحات "الأخبار"، وهذه المواقف المبكرة والتي سجلها بن قدور على صفحات العديد من الجرائد والمجلات جعلت السياسي والشاعر مفدي زكرياء وبحسب بعض الكتابات تعتبر صحافته جزءًا مهما من صحافة المقاومة القلمية في الجزائر<sup>1</sup>.

وخلال فترة تحريره للقسم العربي بجريدة "الأخبار" تعرض عمر بن قدور إلى العديد من المضايقات على كتاباته، وكان دوما على خلاف مع مديرها حول خطها الافتتاحي، ويظهر هذا الخلاف فيما كان يكتبه بالجرائد العربية، مثل جريدة "الحقيقة" التونسية، التي كانت تشير إلى الظلم والإجحاف الذي يتعرض له عموم الشعب الجزائري، وكذا النقد الصريح للإدارة الاستعمارية الفرنسية. ثم إن مقالته الأولى لدى عودته إلى الجزائر، والتي نشرها بـ"الأخبار" في 05 أبريل 1908م، تحت عنوان "مبدؤنا: بقوة الوطنية نتقدم"، وهي المقالة التي كان قد نشرها كذلك من قبل في جريدة "التقدم" التونسية في 27 فيفري 1908، تحت عنوان "تقدم قوة الوطنية العالية، لا التهور في التقدم"<sup>2</sup>، وكتب فيها يقول: "ها قد جننا إلى عاصمتنا ومسقط رأسنا تلك الأرض التي غدتنا برزقها وألقت على كهولنا حقوقا لا يجوز لنا أن نلقيها ونجعلها كالعدم في تحقق رجاء وطنيتنا، ونجل قدرها ومجدها العظيم. ها قد جننا لندخل بجريدة (الأخبار) في دور جديد من التقدم والنظام..."<sup>3</sup>.

وقد أعطى بن قدور فعلا لجريدة "الأخبار" دفعا قويا، حيث أصبحت من أكثر الجرائد مقروئية، نتيجة كتاباته المفعمة بالروح الوطنية، ونصائحه الحاثثة على تنشيط الهمم نحو نهضة كاملة وشاملة، ويبدو أن عمر بن قدور قد التحق بجريدة "الأخبار" نتيجة عاملين أساسيين هما:

<sup>1</sup> ساحل، المرجع السابق، ص 77.

<sup>2</sup> عمر بن قدور، "التقدم بقوة الوطنية العالية"، جريدة التقدم، 27 فيفري 1908.

<sup>3</sup> جريدة الأخبار، العدد 13520، بتاريخ 05 أبريل 1908.

## الفصل الثالث: المسار الصحفي لعمر بن قدير وعبد الحميد الزهراوي وتحدد مفاهيم

### النهضة والإصلاح في كتاباتهما

- أولاً : سياسة الوالي العام "جونار" التي تميزت باللين إتجاه الأهالي المسلمين، وربما استقدام بن قدير لهذه الجريدة كان بايعاز منه حتى يتمكن من مراقبة كتاباته، التي كانت "تحمل نقداً لاذعاً لسياسة فرنسا في شمال إفريقيا" على حد وصف الرسالة التي وجهها مدير الأمن العام في الجزائر إلى المقيم العام في تونس، المؤرخة في 19 فيفري 1921م<sup>1</sup>.

- ثانياً: صداقته الشخصية مع مدير الجريدة "باروكاند"، الذي كان يرى أن بن قدير هو الرجل الوحيد القادر على انهاض جريدته، وجعلها في مستوى منافسة الجرائد العربية الناشئة.

بعد سنوات من العمل في جريدة الأخبار في قسمها العربي، غادر بن قدير الجزائر متجهاً إلى مصر، وهي المغادرة التي أشارت إليها جريدة "الأخبار" بعدد يوم 21 مارس 1909، جاء كما يلي "تنبيه جاء نصه كالاتي: "نفيد قراء الجريدة بأن مُنشئ أعمدة العربية بها السيد عمر بن قدير الجزائري تخلى عن عمله وتباعد عن خدمته لأسباب منعه من ذلك، وأن الجريدة لا زالت ماشية في عملها تظهر في أوقاتها على ما جرى العادة المألوفة وتسير سيرتها المعروفة"<sup>2</sup>.

وظلت الجريدة تنشر هذا التنبيه لغاية 20 جوان 1909، خاصة وأن مراسلاته لصحف تونس كانت قد توقفت كلياً في سنة 1909م<sup>3</sup>. والسبب في ذلك يعود لاصطدامه بالواقع الاستعماري، فلم يقوى بن قدير على المكوث فيها، وهي تنتهج منهاجاً منافياً لمواقفه الوطنية.

<sup>1</sup> بيانات وتقارير حول علاقة الوطنيين الجزائريين بالشباب التونسي 1920-1923م في الأرشيف التونسي، ملف رقم 19 علبة رقم 0003.

<sup>2</sup> جريدة الأخبار، العدد 13310، 21 مارس 1909.

<sup>3</sup> ساحل، المرجع السابق، ص 79.

## الفصل الثالث: المسار الصحفي لعمر بن قدور وعبد الحميد الزهراوي وتحدد مفاهيم

### النهضة والإصلاح في كتاباتهما

بدأ اسم بن قدور يظهر في جريدة "المؤيد" التي عمل محررا بها، لفترة زمنية، كما كتب بالقاهرة في جريدة "اللواء" لصاحبها مصطفى كامل، إلا أن مشاركته في هذه الجريدة لم تدم طويلا.

تعرف بن قدور خلال اقامته بالقاهرة على كبار الصحفيين المشاركة ومنهم - كما ذكرنا عبد الحميد الزهراوي - مما حفزه ذلك على الكتابة أكثر في مختلف الجرائد العربية، فكانت له مثلا إسهامات ومقالات سياسية عميقة في جريدة "الحضارة" في فترة وجوده بالقاهرة. والتي سيعيد نشر بعضها في جريدته "الفاروق" لاحقا، كما قامت بعض الصحف التونسية بإعادة نشر بعضها، خاصة تلك التي تحمل صبغة سياسية متعلقة بقضايا العالم العربي والإسلامي معاً\*.

ولم يطل به المقام بالقاهرة ليعود في سنة 1910م، مرة أخرى إلى الجزائر، وإلى جريدة "الأخبار" تحديدا، هذه العودة أثلجت صدر مديرها، الذي كتب في هذا الشأن بالحرف الواحد: "أيها القراء الكرام، لقد أفاد الله على هذه الجريدة أن تعود إلى خطتها الأولى التي نزعها عنها أحد خدمتها، فهي ترجو من عواطفكم الإقبال"<sup>1</sup>، وقد كان بن قدور هذه المرة أكثر مسaire وتماشيا مع الوقائع، فكتاباته لم يرد فيها ما يمكن أن يسبب له الأذى، ويُرجع زهير إحدادن هذا التحول في مواضيع وأسلوب بن قدور، إلى ازدياد نشاط النخبة الجزائرية المفرنسة، مما جعله يتحول إلى المقالات ذات الطابع الديني الإصلاحية بدل المقالات الطابع السياسي الوطني<sup>2</sup>.

إلا أن هناك تفسير آخر وراء تغير لهجة عمر بن قدور، وهو تغيير الحاكم العام "جونار"، ومجئ "شارل لوتو" (Charles Lutaud)، الذي يعتبر بمثابة نكسة

\* على سبيل المثال، مقال بعنوان "هفوات الأوروبيين، : مسألة التجنيد"، جريدة المشير، بتاريخ 27 أوت 1911، والذي كتب في نهايته، نقلا عن الحضارة. أنظر الملحق رقم 16.

<sup>1</sup> جريدة الأخبار، العدد 13640، 13 جانفي 1910م.

<sup>2</sup> إحدادن، المرجع السابق، ص 72.

## الفصل الثالث: المسار الصحفي لعمر بن قدور وعبد الحميد الزهراوي وتحدد مفاهيم

### النهضة والإصلاح في كتاباتهما

للجزائريين، بسبب كرهه الشديد للعرب المسلمين<sup>1</sup>، وهو المتحالف مع اليهود المنتسبين إلى " الماسونية" ومحاربه للثقافة العربية الإسلامية<sup>2</sup>.

فقد كانت لاستقالة "جونار" الأثر الكبير في توجهات بن قدور، الذي كان يرى فيه إيجابيات كثيرة، رغم ازدواجية سياسته، وقد قال فيه "هذا الرجل الراحل عنا أفاد الأمة الجزائرية بفوائد تظهر عظمة النظر إلى ضعف جرم الأمة، وانحطاط رتبتها، منها قلة التضييق على المفكرين الذي نتج عنه نوع من الحرية، صار به أفراد يعدون على الأصابع يكتبون في الصحف ويجهرون بأرائهم ومنهم الكاتب لهذه الرسالة، وقد كان أحدنا قبل ولاية المسيو جونار إن نطق بجملة سياسية بين الجمهور يحمل من حيث لا يدري ويخلى إلى جهة مجهولة..."<sup>3</sup>.

ورغم ما اتصف به "لوتو" من تضييق الخناق على الجزائريين الوطنيين، إلا أن ذلك لم يمنع بن قدور من البقاء في "الأخبار" إلى غاية توقفها في الجزائر وانتقالها إلى فرنسا سنة 1914م. إلى جانب ذلك ظل خلال هذه الفترة يرأس عددا من الصحف العربية، مثل صحيفتي "المشير" و"الوزير" التونسيين سنة 1911 لصاحبهما "الطيب بن عيسى"، وجريدة "الحضارة" لعبد الحميد الزهراوي بالأستانة. وعلى عكس كتاباته في جريدة "الأخبار"، فقد كان يغلب الطابع السياسي والفكري على مضمون مراسلاته لهذه الجرائد، فكانت كتاباته بـ"الحضارة" مواكبة لكل الأحداث التي عرفت الجزائر والعالم العربي والإسلامي، وهذا ما يبرز أن البيئة الإعلامية الاستعمارية لم تكن لتسمح لعمر بن قدور من التعبير عن انشغالاته السياسية، خاصة ما تعلق بالواقع السياسي للجزائر وشمال إفريقيا في جريدة "الأخبار" والدليل الموضوعات الهامة التي كانت تصدر بها تحت مسؤوليته.

<sup>1</sup> روبر أبجون، تاريخ الجزائر المعاصر من انتفاضة 1871 إلى ثورة حرب التحرير 1954م، (ترجمة: جمال فاطمي وآخرون)، الجزء الثاني. الجزائر: دار الأمة، 2008، ص 393.

<sup>2</sup> شاوش حباسي، "من مظاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي بالجزائر 1830-1962م" مجلة الدراسات التاريخية، العدد 10، 1997، ص 98.

<sup>3</sup> عمر بن قدور، "إستقالة المسيو جونار" المشير التونسية، العدد 11، 11 مارس 1911م.

## الفصل الثالث: المسار الصحفي لعمر بن قدور وعبد الحميد الزهراوي وتحدد مفاهيم

### النهضة والإصلاح في كتاباتهما

لقد لفت عمر بن قدور الانتباه بمساره المتميز في مجال الصحافة العديد من مدراء الجرائد الصادرة بالجزائر - خاصة تلك الصادرة باللغة الفرنسية- الذين طلبوا خدمات بن قدور في إنشاء أقسام عربية بصحفهم، على غرار ما فعل في جريدة "الأخبار"، لكنه رفضها من أجل تحقيق مشروعه بإنشاء جريدته الخاصة<sup>1</sup>. وهنا يشير مفدي زكريا، بأن بن قدور طلب مساعدة عمر راسم في إنشاء جريدته، إلا أن هذا الأخير انسحب وترك بن قدور يخوض التجربة لوحده على رأس جريدة "الفاروق"<sup>2</sup>. وبالعودة إلى صحيفة "الحق" الصادرة بوهران، فإنه كان هناك اتفاق بين عمر بن قدور وعمر راسم من أجل انشاء وانجاح المشروع بعد تجربتهم الأولى في جريدة "الجزائر" سنة 1908، والتي صدرها منها عدنان فقط، على أن يتولى هذه المرة عمر راسم إدارة "الفاروق" كجريدة إسلامية سياسية علمية، تصدر بمدينة الجزائر. حيث جاء في نص الإعلان المنشور بجريدة "الحق" خلال عددي شهري جويلية وأوت، ما يلي "ستظهر بحق الله في عاصمة الجزائر جريدة عربية باسم "الفاروق" تحت نظر الكاتب البارع ابن منصور الصنهاجي"<sup>3\*</sup>. وكانت الصحيفة تستهدف منفعة جميع طبقات الأمة الجزائرية في ميادين التربية والإرشاد.

كانت قناعة عمر بن قدور في تلك الفترة بأن الساحة الجزائرية تفتقر إلى صحافة وطنية جزائرية حقيقية، قادرة على تحقيق أحلامه واهدافه في التنوير والإصلاح، بالرغم من التجارب الصحفية باللغة العربية التي عرفتها البلاد منذ بداية القرن العشرين، على غرار "كوكب إفريقيا"، "الأخبار"، "الجزائر"، "الإسلام"، والتي كانت -حسبه- غير قادرة على انتهاج التوجه الإصلاحية الذي خطه بن قدور لنفسه، بسبب المضايقات الكثيرة للسلطات الاستعمارية التي كانت ترى في اللغة العربية لغة

<sup>1</sup> lhaddaden, Op.Cit, P 255.

<sup>2</sup> ساحل، المرجع السابق، ص 83.

\* ابن منصور الصنهاجي هو الاسم المستعار لعمر راسم.

<sup>3</sup> جريدة الحق الوهراني، العدد 39، من 06 إلى 13 جويلية 1912. انظر أيضا العدد 44 ، من 17 إلى 28 أوت 1912.

أجنبية، وشكوكها الدائمة بأن هدف الصحافة المعربة تهدد الوجود الفرنسي في الجزائر.

ويتبين هذا الموقف لعمر بن قدير في رفضه المشاركة في تحرير عدد من الصحف الفرنسية التي خصصت أقسام عربية بها مثل جريدة "الإسلام" الصادرة باللغة الفرنسية والعربية، لأنها لا تعبر عن الانشغالات الآنية والمستقبلية لعمر بن قدير، وأنها تتبنى قضايا مخالفة لرؤية بن قدير كسياسة الاندماج والتجنيد الإجباري، التي كان يرى بن قدير أنها تشكل خطراً على هوية الشعب الجزائري. وقد عمدت الصحيفة في كثير من المرات على مهاجمته، واتهامه بالانتماء إلى "تيار الجامعة الإسلامية"<sup>1</sup>.

وقد أكد بن قدير في رده على كتاب الجريدة اعتزازه بأصالته الجزائرية، ومُبرراً تفانيه في خدمة الدين الإسلامي، مع معارضته للمقلدين من العلماء الداعين إلى التكرار للقيم الإسلامية، حتى ينصهر الجزائريون في تيار (التقنين) أو (التفرنس). ثم يرفض أن يُنصب أمثال هؤلاء الاندماجين، ومن أتباع جريدة "الإسلام" أنفسهم، زعماء على الأمة الجزائرية، وممثلين لها في الحقل السياسي، لأن اتجاههم يصب في التيار السياسي لحزب الاستعمار-كما يُسميه- والحاقد على مصالح الجزائريين<sup>2</sup>.

تأكد لعمر بن قدير أن الجرائد الفرنسية لا يمكنها أن تستوعب الأفكار التي كان يدعو لها فأنشأ جريدة "الفاروق"، وظهر العدد الأول منها يوم 28 فيفري 1913، وهي جريدة أسبوعية إخبارية مصورة، تظهر كل يوم جمعة\*.

وقد وضع بن قدير أهداف مشروع جريدته "الفاروق" في افتتاحية العدد الأول، الذي كشف فيها عن نيته في الابتعاد عن السياسة ومآزقها، وتقلباتها، بسبب عدم التناصر والتضامن بين المشتغلين فيها، حيث ذكر حرفياً: "... وبعد، وبعونه تعالى،

<sup>1</sup> جريدة الفاروق، العدد 04، 21 مارس 1913.

<sup>2</sup> جريدة الفاروق، العدد 04، 21 مارس 1913.

\* ابتداء من العدد 51 أصبحت تصدر كل يوم إثنين.

قد تحقق لنا ما كنا نرجوه ونأمله منذ زمان، فأصدرنا "الفاروق" على نحو ما كنا نبغي، جريدة أسبوعية، تسير بنظام تام إن شاء الله، لا تتأخر عن مواعدها... جريدة إسلامية بكل معاني الكلمة، تبحث في شؤون المسلمين مع مراعاة الاعتدال الذي اعتنقته لها، مشرباً لها...<sup>1</sup>.

وأكد في ذات العدد على تعطش الساحة الإعلامية الجزائرية إلى مثل جريدة "الفاروق"، لصحيفة إسلامية في بيئة استعمارية، حول هذه النقطة كتب في نفس العدد "أصدرنا هذه الجريدة سدا لثلمة عدم وجود جريدة إسلامية بكل معاني الكلمة في هذه العاصمة، بل في هذا القطر.."<sup>2</sup>.

وإن كانت جريدة "الفاروق" لها اهتماماتها الاجتماعية، فإن عمر بن قدير كانت له غايات أخرى من وراء تأسيسها، وأولها تنمية البعد الحضاري، وهو ما تؤكد عبارته التالية: "وليست لنا هناك غاية إلا تنوير الأذهان بمعرفة حقائق القومية الإسلامية، ومعرفة ما يحدث في العالم مما يهمها معرفته..."<sup>3</sup>، ومن الأهداف الأساسية الأخرى هو خدمة اللغة العربية، وخدمة تاريخ القومية الإسلامية، كأولويات الأهداف.

وتعد الفاروق أول جريدة جزائرية، ارتقت إلى مصاف الجرائد العربية المرموقة الصادرة في ذلك الوقت، إلى كونها جريدة تهتم بشؤون الناس أيضاً، هي جريدة أدبية وعلمية لأنها تهتم بالعلم والأدب بصورة فعلية، ومواضيعها الاجتماعية تهتم جميع فئات المجتمع...<sup>4</sup>. ومن أهدافها كذلك "تنمية العقول وخدمة اللغة العربية والتعريف بالتاريخ الإسلامي"، حيث أنها "جريدة إصلاحية، بعيدة عن السياسة، لا يهملها إلا الدفاع عن قيم الإسلام وشخصية المسلمين الجزائريين"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> جريدة الفاروق، العدد الأول، يوم 28 فيفري 1913.

<sup>2</sup> نفسه.

<sup>3</sup> نفسه.

<sup>4</sup> . جريدة الفاروق، العدد الأول، يوم 28 فيفري 1913.

<sup>5</sup> نفسه.

## الفصل الثالث: المسار الصحفي لعمر بن قنور وعبد الحميد الزهراوي وتحدد مفاهيم

### النهضة والإصلاح في كتاباتهما

ودلالة الاسم الذي حملته جريدة عمر بن قنور يدل على نزعتها الإسلامية، ف"الفاروق" كان تيمناً بالخليفة الثاني عمر بالخطاب (رضي الله عنه)، الذي كان يلقب بالفاروق، فكانت الجريدة تحمل اسمه، حتى "تكون فارقة بين الحق والباطل، أمة بالمعروف وناهية عن المنكر..."<sup>1</sup>. واختار بن قنور حكماً مأثورة عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) من مثل " لا يعجبكم من الرجل طنطنته، ولكن من أدى الأمانة، وكف عن أعراض الناس هو الرجل"<sup>2</sup>. وكان بن قنور يفتتح جريدته "الفاروق" بأحد الأدعية لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) مثل " اللهم إني أسألك العدل في الغضب والرضا به"، وتعبيراً عن تأثيره بالفاروق عمر نشر في جريدته كتاباً في حلقات لرفيق العظم\* حول شخصية الخليفة عمر بن الخطاب كما تمت الإشارة إليه سابقاً. ويمكن تفسير عدم زج بن قنور بجريدته الناشئة في أتون السياسة من خلال الخط الافتتاحي، إلى الضغوطات الكبيرة التي كانت السلطات الاستعمارية تمارسها على الصحف المهتمة بالحقل السياسي في البلاد. فقد قامت هذه السلطات سنة 1908 بإنشاء مصلحة لمراقبة الصحافة باللغة العربية، تعمل تحت الوصاية المباشرة

<sup>1</sup> جريدة الفاروق، العدد الأول، يوم 28 فيفري 1913.

<sup>2</sup> نفسه.

\* رقيق العظم (1867 - 1925م): عالم وباحث من رجال النهضة الفكرية في سوريا، وُلد في دمشق ونشأ مقبلاً على كتب التاريخ والأدب. زار في صباه مصر ثم استقر فيها عام 1316هـ، 1898م، واشترك في كثير من الأعمال الإصلاحية والسياسية والعلمية. كان رقيق العظم من الداعين إلى الجامعة الإسلامية والمؤمنين بأهمية اتحاد الشعوب الإسلامية والعربية، والحريصين على استقلال وحدة الأراضي العربية. نشر رقيق العظم أهم آرائه من خلال كتابين هما :

- الجامعة العثمانية والعصبة التركية أو التأليف بين الترك والعرب،

- الجامعة الإسلامية في أوروبا.

وله كتاب في أجزاء حول أشهر مشاهير الإسلام في الحروب والسياسة، وفي الجزء الثاني خصصه لعمر بن الخطاب رضي الله عنه.

أنظر أكثر:

- خير الدين الزركلي، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء العرب والمستعربين والمستشرقين،

الجزء الثالث، ط15. بيروت: دار العلم للملايين، 2002.



## الفصل الثالث: المسار الصحفي لعمر بن قنور وعبد الحميد الزهراوي وتحدد مفاهيم

### النهضة والإصلاح في كتاباتهما

للحاكم العام بالجزائر. ولهذا سعى بن قنور منذ البداية إلى تحديد الخطة أو المبادئ التحريرية التي اعتبرها السياق الذي تتمحور حوله جهده التنويري الإصلاحية. مع مراعاة مبدأ الاعتدال من الناحية السياسية (والإصلاحية). غير أن التوجه الاعتدالي سوف يسعى ليكون فارقاً بين الحق والباطل، وأمرًا بالمعروف، وناهياً عن المنكر.

وتكشف افتتاحية العدد الأول عن جانب آخر من شخصية بن قنور الجزائري، وهو إيمانه العقائدي العميق، حيث يحدد دافعاً إيمانياً، مرتبطاً برؤيته الإسلامية العقائدية للإنسان، من وراء تأسيسه للجريدة، حيث يكتب أن دافعه هو "الشعور الحي والوجدان الراقي، والله الحمد من حيث لا نريد من مخلوق أجر إن الله لا يضيع أجر المحسنين"<sup>1</sup>.

وكان بن قنور بعد انطلاق جريدة "الفاروق" بعيد التأكيد على الخط الافتتاحي الذي أختاره لجريدته، بين الحين والآخر، ويبين مفهوم الإصلاح الذي تسعى الجريدة إلى تحقيقه في المجتمع، من خلال عدم حصره في البعد الديني فقط، وإنما يُشير إلى الدور العقلاني التنويري والتغييري، للصحافة القادرة على إحداث قطيعة وتحولات خطيرة، من الناحيتين الاجتماعية والسياسية، وأن الصحافة الإصلاحية ليست صحافة دينية فقط، "إنما هي صحافة تطويرية، تدعو إلى التقدم على مبدأ من المبادئ الحضارية ..، سواء أكان ذلك المبدأ دينياً، أو سياسياً، أو أخلاقياً، أو اقتصادياً"<sup>2</sup>.

وهكذا، شكل قلم بن قنور وجريدته صوتاً آخر لجرائد ومجلات الإصلاح التي بدأت في الانتشار في تلك الفترة في الصحافة العربية والإسلامية، التي كانت ترى وجوب الإصلاح وتتألم شرقاً وغرباً من الوضع السائد في العالم الإسلامي ككل<sup>3</sup>، وقد حدد بن قنور المبادئ الرئيسية لتحقيق المشروع الإصلاحية المتعدد الأبعاد،

<sup>1</sup> جريدة الفاروق، العدد الأول، يوم 28 فيفري 1913.

<sup>2</sup> جريدة الفاروق، العدد 51 بتاريخ 09 مارس 1914.

<sup>3</sup> رفيق بك العظم، الدروس الحكيمة للناشئة الإسلامية، ط2. دمشق: المطبعة الوطنية، دت، ص ص 2، 3

انطلاقاً من افتتاحية الذكرى الأولى لتأسيس الفاروق، وتبعاً لذلك يمكن القول أن المشروع الإصلاحي لبن قذور الذي حرص على ترسيخه من خلال جريدته، يقوم على مجموعة من القيم والمبادئ المترابطة والمتكاملة، والتي يؤدي الالتزام بها إلى تحقق هدف المشاريع الإصلاحية والنهضوية في المجتمعات العربية والإسلامية، وهذه المبادئ التي استخلصناها من افتتاحية عدد الذكرى السنوية الأولى لإصدار جريدة الفاروق،<sup>1</sup> حيث يقوم المشروع على مجموعة من القيم والمبادئ المترابطة والمتكاملة، والتي يؤدي الالتزام بها إلى تحقق المشروع الإصلاحي في المجتمعات العربية والإسلامية، وهذه المبادئ هي:

#### \*مبدأ الإصلاح الديني والاجتماعي:

يقوم هذا المبدأ على عناصر متكاملة من الجهود التربوية، الدينية والاجتماعية، المنبعثة من الروح الإسلامية، وذلك بالدعوة إلى التعاون لإنشاء مؤسسات تهيك هذه الجهود. وبالتالي، فإن الأمر هو تأكيد على مسألة وجود المسلمين بالتعاون بينهم، وأكد من خلال رؤيته بأن المشاريع الإصلاحية، قابلة للنمو والتغير، حسب مقتضيات العصر، فهو يرى أن الذي يعتقد بجمودها وثباتها، فقد (جهل جوهر الإسلام الحقيقي، وروحه العامة). فهذا الموقف الأخير يعكس سيطرة التقاليد الخشنة والبدع والجمود الفكري الذي أصاب المسلمين.

#### \*مبدأ التعاون والتعارف:

كان بن قذور واقعياً في مقارنته الإصلاحية العملية؛ لاعترافه بوجود صعوبات وعراقيل لمن يُباشر وينخرط في هذا الميدان. وتكمن الصعوبة في درجة المقاومة والتحمل، ولهذا، فهو يلح، بكيفية شديدة، على ضرورة تدعيم أواصر التعارف والتعاون، كمرتكز أساسي آخر في العمل الإصلاحي، قصد تجسيد التقاهم بين الناشطين في حقل الإصلاح، وسوف نرى كيف يشن حملات صحافية لتأسيس الجمعيات المختلفة، على المستوى القطري أو خارجه.

<sup>1</sup> عمر بن قذور، "افتتاحية العدد"، جريدة الفاروق، العدد 51، 09 مارس 1914.

**\*مبدأ محاربة البدع الدينية والاجتماعية:**

نظرا لحالة الانحطاط التي كانت تمر بها الأمة الإسلامية عموما، والانتشار الواسع للبدع والخرافات، التي تعتبر من عوامل تأخر المسلمين، وتمكين الاستعمار منهم، فقد قال بن قدير وبصراحة، أنه سيكون أول العاملين على محاربة الضلالات والتقاليد المخالفة لروح الإسلام، وكذلك، وهذا مهم، للحقائق العلمية الصحيحة.

**\*المبدأ السياسي:**

إذا كان بن قدير في افتتاحية العدد الأول، قد أشار صراحة إلى عدم اشتغال الجريدة بالبُعد السياسي، داعيًا الله تعالى إعفاه من السياسة ومازقها، وأضرارها، نظراً لمناخ التقلبات، والسلوكيات المتلونة، السائدة في غمارها، ولغياب التضامن الفعلي ما بين العاملين في ساحتها. غير أنه في افتتاحية العدد (51) من الفاروق، نكتشف موقف عمر بن قدير السياسي من الاستعمار الفرنسي، الذي يعتبره مُسيطرًا على بلده الجزائر. وأن سياسته اتجاه هذا البلد هي سياسة الهيمنة الاستعمارية. ولهذا، فإنه يؤكد مرة أخرى، رغم توضيحه لموقفه هذا، بأن خطته مبنية على الاعتدال. فإذا كان لا ينتقدها، فهو أيضًا، وفي نفس الوقت، يرفض الخضوع لضغوطها في سياسته الإعلامية الإصلاحية، التي تؤكد على الهوية الإسلامية للأمة الجزائرية، المتميزة عن الأمة الفرنسية<sup>1</sup>.

وهكذا يتضح أن بن قدير كان يرفض إدماج الجزائريين بفرنسا، كما رفض نزعة التفرنج، أو البُعد التغريبي الذي كان يدعو إليه بعض الجزائريين. وهو رافض كذلك لسياسة التجنيس بالجنسية الفرنسية التي يراها تتنافى مع العادات والقيم الإسلامية: "لسنا نعني بحاجتنا أن نلتصق بفرنسا، أو نندمج بها كما يرغب بعضهم، أو نترجى حصول نتيجة التمدين التي يعزونها لفضيلة الاستعمار ... إن المصلحة المشتركة بيننا وبين مبدأ الاستعمار غير ناجحة ما لم تتوفر لدينا وسائل الرقي بالأسلوب الذي

<sup>1</sup> جريدة الفاروق، العدد 51 بتاريخ 09 مارس 1914.

تقبله عوائدنا الحقّة الإسلامية، ولا نقول الجنسية المُختَرعة، لأنّ ديننا الصحيح أولى بالاعتناء من نوازعنا المختلفة المعزوة إلى فوضى اختلاط العناصر...<sup>1</sup>

إنّ هذه الأفكار والقيم التحريرية الشاملة، التي حددها بن قذور كانت تحتاج إلى وسيلة اعلامية لنشرها والدفاع عليها، ومن ثمة كان سعيه لتأسيس جريدة تحت مسمى الفاروق وهذه القيم والأفكار، لم تكن لتتجسد على صفحات "الفاروق" بالدرجة الأولى، لولا احترافيته الصحافية، أي إلمامه وتمكنه من مختلف مراحل تصنيع الصحيفة. لقد كان هو نفسه يشتغل بمهن الطباعة حتى قبل تأسيسه لصحيفته، وذلك لدى المطبعة الإيطالية. وهذا يدل على إدراكه للفوائد الاقتصادية لمثل هذه التخصصات المرتبطة بنشاط المؤسسة الصحفية.

من جانب آخر، تمكن بن قذور منذ انطلاق الصحيفة من توفير مطبعة "الفاروق" الخاصة<sup>2</sup>، والتي سوف يسعى إلى تنويع خدماتها عبر طبع جميع ما يتم طلبه. وهذا هو إعلانه "مطبعة الفاروق، الخصوصية، متعددة طبع جميع ما يُطلب منها من دفاتر وصحف وإعلانات وبطاقات الزيارة، وغير ذلك من المطبوعات... فمن أراد أمراً عدنا فليُخاطب إدارة جريدة الفاروق..."<sup>3</sup>

إنّ التفكير الطويل الذي لازم عمر بن قذور قبل إقدامه على إنشاء هذه الصحيفة، جعله يُفكر أيضاً في كيفية تأمين موارد مالية لتسييرها. فهو يعرف آثار السياسة الاستعمارية على المستوى الاجتماعي للوسط الجزائري المسلم، من حيث مستوى التعليم وانتشاره، ومن حيث المستوى المعيشي أيضاً، وتأثيرهما على مدى توزيع الصحيفة. فقد أسسها وأرادها جريدة أسبوعية، تسير بانتظام، وتصدر في موعدها، وقد جعل ثمن اشتراكها كما ذكر: "تافها جدا رفقاً بالقراء والمشاركين..."<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> جريدة الفاروق، العدد 51، بتاريخ 09 مارس 1914.

<sup>2</sup> جريدة الفاروق، العدد الأول، المصدر السابق.

<sup>3</sup> نفسه.

<sup>4</sup> نفسه.

ولكي يجعل منها مؤسسة صحفية حديثة، سعى إلى البحث، وإلى إيجاد وكلاء داخل الجزائر، وحتى خارجها، يكلفون بإيجاد المشتركين وتوزيع الصحيفة. ففي العدد الثالث، نجده ينشر إعلانًا يتصل بهذه النقطة الحيوية بالنسبة لأي صحيفة "إن إدارة الفاروق محتاجة إلى وكلاء لبيع الجريدة في العمالات الثلاث، فمن رام ذلك فليُخاطب مدير جريدة "الفاروق"<sup>1</sup>.

ولقد عرفت "الفاروق" في البداية انتشارًا واسعًا في شمال إفريقيا، بدليل المقالات والقصائد التي تصل إليها من مراكش (المغرب الأقصى) آنذاك، في عامها الثاني، ومع مؤشرات نشوب حرب عالمية، أصبح الكثير من المشتركين لا يدفعون ثمن اشتراكهم، مما أدى إلى دخول الصحيفة في أزمة مالية حادة، الأمر الذي كان يضطره من حين لآخر، إلى تنبيه المشتركين بضرورة دفع الأقساط المالية المستحقة عليهم، وإلى ضرورة الوفاء بالالتزام المادي والمعنوي اتجاه الصحيفة، حيث كتب في العدد 88 تحت عنوان "بلاغ مهم"، جاء فيه: "ننهي إلى السادة الكرام الذين اعتبرناهم مشتركين في جريدتنا بدليل قبولهم للجريدة منذ صدورنا حتى الآن، بما أن الجريدة بحاجة إلى أمانتهم المادية والمعنوية لتتوسع في التحسين والالتقان، ويزيد حجمها على ما هو عليه الآن... وقد جعلنا أجل انتهاء الدفع في غرة شهر يوليو المقبل لمن لم يدفع الاشتراك... واننا نضطر لقطع إرسال الجريدة إليهم بعد أول يوليو المذكور، ولعل حضرات المشتركين الكرام يعرفون ما نبذله من المصاريف والاعتاب في سبيل تمكين الجريدة الإصلاحية، فلا يحوجونا إلى سحب الثقة من مكارم أخلاقهم وقطع الجريدة عنهم"<sup>2</sup>.

وإذا كان بن قنور قد فكر في المطبعة والتوزيع، والوكلاء، فإنه لم يغفل في المقابل جانبًا مهمًا وموردًا إعلاميًا هامًا للمؤسسة الصحفية، ألا وهو المرسلون، ويبدو أنه احتاط للأمر فعلا، فعلى المستوى الوطني، نجد مراسلات صحافية عديدة لنبذة

<sup>1</sup> جريدة الفاروق، العدد الثالث، بتاريخ 14 مارس 1913.

<sup>2</sup> جريدة الفاروق، العدد 88، بتاريخ 20 جوان 1913.

قلمية آنذاك من مختلف مناطق الجزائر. وهو ما يؤكد أن هذه المرحلة التاريخية بدأت تتشكل فيها نخبة مثقفة شكلت بداية الحركة الثقافية في الجزائر بداية القرن العشرين. وما يمكن قوله في نشاط عمر بن قدير الصحفي في بداية صحيفته، هو أن الرجل عمل بجد وتفاني لصناعة صحيفته من جانبي، المحتوى (المضمون) والإخراج (الشكل)، وهو أمر لم يكن بالسهولة بمكان على أي كان من عصره ليس في الجزائر فقط وإنما في كل الأقطار العربية التي كانت تعيش بيئة استعمارية مماثلة، وهو ما شهد به الطيب بن عيسى عن عمر بن قدير مادحا: "... صحفي بأتم معنى الكلمة، لأنه يعرف مهنة الصحافة من أولها إلى آخرها، وكان كاتبًا كبيرًا، طالما راسل صحف الشرق الكبرى بمصر، وسوريا وتركيا وتونس .."<sup>1</sup>. ولم تكن ضغوط البيئة الاستعمارية السياسية والإعلامية، الوحيدة التي أثرت سلبا على "الفاروق" وصاحبها، فحتى البيئة المجتمعية شكلت ضغوط كبيرة عليهما، إلا أن إيمان بن قدير بأن ما يقوم به نضالا ومقاومة ضد السياسة الاستعمارية، ولذلك واجه كل تلك الضغوط من أجل تحقيق أهدافه الإصلاحية.

وقد كتب عمر بن قدير في عدد من المرات بالفاروق عن هذه الصعوبات والمضايقات التي تتعرض لها جريدته دفعت بن قدير لأن يكتب وعلى صفحات الفاروق، وفي العديد من المرات، ففي مقال له مثلا، اتخذ قالبًا حواريا مزج بين النثر والشعر، وبعنوان "محاضرات الفاروق، آية للسائلين"<sup>2</sup>، تحسر فيه على صعوبة الممارسة الصحفية في الجزائر، وذلك بعد إحساسه بتتكر وحسد بعض الجزائريين، سواء كانوا متتورين أو غير متتورين، لجهوده الصحفية والفكرية، وقد آلمته كثيرا، ومن أمثلة تلك المواقف اتهامه بخدمة أبعاد سياسية خفية للمستعمر الفرنسي عبر صفحات جريدته، وهو أمر مردود عليه بالنسبة لبن قدير، موجها أصابع الاتهام إلى خصومه، ومؤكدا في ذات المقال على أنه: "... لطالما فتشت عنها-يقصد عيوب الفاروق- في

<sup>1</sup> الجابري، المرجع السابق، ص164.

<sup>2</sup> جريدة الفاروق، العدد 14، بتاريخ 30 ماي 1913

## الفصل الثالث: المسار الصحفي لعمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي وتحدد مفاهيم

### النهضة والإصلاح في كتاباتهما

إحساسات القراء فلم أجد شيئاً، عدا ما يُسميه المُعرضون باللصوصية" أو "سولوماسك"<sup>1</sup>.

هذه المواقف الواضحة والجريئة عرضت بن قذور إلى انتقادات شديدة ممن كانوا يحسدونه على نبوغه الفكري والصحافي، والذين يربطون هذا التفوق الذهني بالمكانة الاجتماعية، من حيث منزلته، شهرة الأسرة أو ترفها، أو ربطه بحاملي الشهادات التعليمية، أو بالتشدد الخطابي<sup>2</sup>.

ولم يكتف بن قذور بالرد كتابة أو نثراً، بل سجل وبنفس العدد أبياتا شعرية جادة بها قريحته، عبّر من خلالها بقوة عن هذا الألم الذهني والتحسر النفسي، يقول فيها:<sup>3</sup>

|                             |                               |
|-----------------------------|-------------------------------|
| لقد ضبط الأقوام فضل رقيبهم  | تعالى وظنوا أن يكون به القرى  |
| لذا أنكروا أني أحوز مزية    | فني دونها المحروم منها تحسرا  |
| وكم كان يزري المفترون بهمتي | جهازاً وزبي بالصواب قد افتري  |
| أحسب أهل الفن أني غريمهم    | بظلم وبعض الظن إثم بلا مرا    |
| ولو كنت ذا جاه ومال وقوة    | لقالوا فرأت الصدق مني تفجرا   |
| وما عملوا أن الفضيلة للذي   | يصيب بها من يجتبيه من الورى   |
| وأنى بفضل الله وخضت معامعا  | نظمت بها الأفكار دُرا وجوهرا  |
| ولي قلم ينبو الحُسام لقاءه  | ومن نثره كم من لبيب تحيرا     |
| إذا أفزع الجهال يوما بيانه  | يقولون من أدري الجهول بما جرى |

وفي أبيات أخرى، خاطب بن قذور ذاته، داعياً إياها إلى التفطن للغفلة التي تكونت بانتشار الجهل في مجتمعه، ويدعو إلى تهذيب الفكر، والصمود في وجه الصعوبات، رغم إقراره بثقلها على المفكر المصلح، قائلاً:

ولا تبتئس إن نلت مثلى بلاغة  
وأنكرها الحُساد عنك تكبرا

<sup>1</sup> جريدة الفاروق، العدد 14، بتاريخ 30 ماي 1913

<sup>2</sup> نفسه.

<sup>3</sup> نفسه

فإن الليالي سوف تجري قرارها فتهدى رؤوس المف كرين إلى الثرى  
صعيب على قلب الأديب إذا أتى بحق مبين أن يهان ويحقرا  
ولكنها الدنيا تسنت لمغفل فأصبح رب الفكر فيها مصغرا

لقد أدرك بن قنور أن المسلك الإصلاحى والإعلامى، الذى كان يتوخاه، سوف يُصادف ضغوطات ومضايقات كبيرة، ليس فقط من قبل الإدارة الاستعمارية الفرنسية فى الجزائر وأعاونها، وإنما حتى من بعض أبناء جلدته، الذين حملوا لواء الدفاع هويتهم وحقوقهم.

وقد عمل خصوم "الفاروق" على ترصد أعدادها، واصطياد أخطائها، وجعلها ذريعة للانتقاص من بن قنور شخصيا، وكان من تلك الدسائس الإيحاء إلى بعض الكتاب بالقيام باستنساخ مقالات غيرهم ونسبها لنفسهم، ونشرها على صفحات الفاروق، ولما تقطن بن قنور للموضوع، كتب مقالا بعنوان "شؤون وشجون بئس ما يفعل المتظفون"، دافع فيه عن قلمه وصحيفته ومسعاها للإصلاح، مذكرا بمساهماته الإعلامية والفكرية فى الصحافة العربية خارج الجزائر<sup>1</sup>.

لقد اجتهد بن قنور فى تطوير جريدته الفاروق وجعلها يومية<sup>2</sup>، وعمل على تجديد خطها الافتتاحى، بعد الانتشار الواسع الذى عرفته فى الجزائر وشمال إفريقيا، ومن أبرز ملامح هذا التحديث ذلك الذى أشار إليه فى المقالة الافتتاحية للعدد 33 من صحيفته، التى جاءت بعنوان حمل مغزى كبير وهو "نتيجة الثبات"<sup>3</sup>، حيث يرى أن أساس نبوغ الإنسان وتقدمه، يحصل نتيجة ثباته على المبدأ الصحيح.

ومما ذكر فى هذه المقالة الافتتاحية، بأنه جعل "الفاروق" تظهر فى حلة جديدة إلى قرائها؛ وفى حجم كبير، وذلك دليل واضح وقاطع على ضرورة تجسيد التطور والنمو فى جميع مصالح الجزائريين الحيوية، وتحقيق هذا المرمى المرتبط بالثبات، إلى

<sup>1</sup> جريدة الفاروق، العدد 55 بتاريخ 06 أبريل 1914.

<sup>2</sup> فكر بن قنور فى إنشاء جريدة يومية قبل الأمير خالد، صاحب جريدة "الاقدام

<sup>3</sup> جريدة الفاروق، العدد 33، بتاريخ 1913.



جانب ذلك يسعى إلى تجاوز الاختلافات والظروف الآنية الصعبة، لتصبح الجريدة تصدر في نظام آخر، ويُحقق بها نموًا آخر، وتصبح "جريدة يومية تصارع الجرائد اليومية الكبرى"<sup>1</sup>.

ولم يكن تطور محتوى وشكل الجريدة بعيدا عن هدفه الإصلاحية الأول الذي خطه في العدد الأول من "الفاروق"، وظل مسعى الإصلاح مشروعاً أساسياً، بمختلف أبعاده بل هو ركن رصين في مسيرته المهنية، مؤكداً على ذلك في افتتاحيات لاحقة من جريدته، فقد أكد في العدد 58 على: "... إنني لم أقدم على عمل دون أن أثبت فيه في صميم قلبي قوة من الثبات، كل وقت تتوسع دائرتها، وترتفع مراميها، وثباتي على مبدئي الديني والقومي، هو الذي حتم علي أن أكون في واد، وحب صلاحيتي الشخصية في واد آخر. وهو الذي خول لي بنعمة الله أن أرفع "الفاروق" كل حين إلى درجة من التحسين أعلى من التي قبلها، لقد كُنت في المدة الأولى من حياة "الفاروق" أكتب بمفردي، بحيث لم يصدر عدد واحد خال من فصل أو فصول بقلم، وما منعتي التعب والقلق أن أثق بالمستقبل، وقد أفادني ذلك الثبات في مواقف صعبة، وما برحت أن أزرني كتاب متعددون من قراء جريدتي لم يلوا جهداً في مد "الفاروق" بنفقات أقلامهم، وعلى هذا تيقنت أن "الفاروق" لا يفي بالمأمورية الإصلاحية المنوطة به ما دام في حجمه الصغير..."<sup>2</sup>.

ولما أشرنا من قبل سعيه إلى تعزيز صحيفته "الفاروق" بمراسلين، من داخل الجزائر، وخارجها، فإنما ذلك هو مؤشر على مدى إلمامه ومهنيته الإعلامية، وبالتالي احترامه للمشاركين والقراء، قصد تزويدهم وإطلاعهم بالمستحدث من الأخبار التي تشغل بالهم.

ولهذا كان بعض وكلائه داخل البلاد وخارجها، بمثابة مراسلين مكاتبين للصحيفة في آن واحد. إضافة إلى وجود كتاب مراسلين آخرين. من مثل الصحافي

<sup>1</sup> جريدة الفاروق، العدد 33، بتاريخ 1913.

<sup>2</sup> جريدة الفاروق، العدد 58. بتاريخ 1913

المصلح الطيب بن عيسى بتونس، صاحب جريدة "المشير" سابقا، الذي كان وكيلا للاشتراكات والإعلانات، ومُراسلا "للفاروق" بتونس<sup>1</sup>.

ونظرا لما قام به الطيب بن عيسى من ترويج لجريدة الفاروق، أصبحت مكانة هذه الأخيرة قوية وهامة في ساحة المقروئية الصحفية بتونس، خاصة إذا علمنا أن بن عيسى شكل مكتبا إعلاميا ضم نخبة من الأقالام النهضة، التقت حول "الفاروق"، تزودها بالمقالات والمراسلات المختلفة.

وكان للفاروق مراسلا من مصر، لم يصرح باسمه، لكن كتاباته ظهرت في عدد من المقالات والمراسلات الصحفية، وخاصة ما تعلق بالقضية الطرابلسية فكانت ثمة تغطية لأخبار الحرب الدائرة بليبيا. ففي باب "حوادث خارجية" أو تحت عنوان إعلامي سياسي هو "طرابلس للطرابلسيين" كتب: "جاءنا من مراسلنا بمصر ما يأتي، أو بعبارة: "من كاتبنا الفاضل بالقاهرة"<sup>2</sup>

وبعد الانتشار والتوسع الذي عرفته "الفاروق" في شمال إفريقيا، انظم إلى طاقم تحريرها من المغرب الأقصى محمد السعيد الفاسي، تجاوبا مع الدعوة الإصلاحية التي أطلقها عمر بن قنور عبر "الفاروق"، والتي كانت تسعى إلى تأسيس مشروع "جماعة التعارف الإسلامي لشمال إفريقيا"<sup>\*</sup>، ومن أجل تحقيق مبدأ التعارف بين مثقفي وكتاب شمال إفريقيا، دعا أحد الكتاب جميع مراسلي الفاروق إلى الجهر بأسمائهم الحقيقية، تحقيقاً لمبدأ التعارف العام الذي نادى به بن قنور. وهكذا، فإن "حسين الجزائري"، الذي كان يمضي مقالاته باسمه الحقيقي، وكذا أحد الكتاب المرسلين المواظبين الذي

<sup>1</sup> بن قفصية، المرجع السابق، ص 45.

<sup>2</sup> انظر العدين 28 فيفري 1913 و 28 مارس 1913.

\* جماعة التعارف الإسلامي لشمال إفريقيا : نادى عمر بن قنور بتأسيس هذه الرابطة عبر صفحات "الفاروق" في سنة 1914، ووجه بذلك نداء إلى شمال إفريقيا بأقطارها الثلاثة، وقد حظيت هذه الدعوة بدعم كبير من مثقفي الأقطار الثلاث، انظر الفصل الخامس من الرسالة .

كان ينشر صورته الفوتوغرافية، يتجاوبان مع صدى المشروع ويُعلنان نفسيهما عضوين فاعلين ضمن هذا المسعى<sup>1</sup>.

أما على مستوى كتاب الجزائر، والذين ستبرز نخبتهم مع انتشار "الفاروق" واستمراريته، فالمسألة التي تحتاج إلى التوضيح، هي مسألة تعاون وكتابة ذلك المصلح الآخر، ألا وهو عمر راسم. الذي أشرنا آنفاً، وإلى عامل التعاون والتفكير المشترك الذي كان بين هاتين الشخصيتين، حيث سبق وأن مدح بن قدور عمر راسم في مقال له بجريدة التقدم الصادرة في 23 جانفي 1908، تحت عنوان "الأزمة الجزائرية" جاء فيه: "ابتهج جل الجزائريين إن لم نقل كلهم من تلك الرسالة المفتوحة والمنشورة في العدد 20 من التقدم، ونظروا إليها بنظرة ممزوجة بعوامل المسرة من وجود مثل الكاتب الأديب، السياسي اللبيب ابن منصور الصنهاجي" ويضيف "فلا عجب إن لهجت ألسنة الجزائريين بالشكر والثناء لذلك الصنهاجي الذي خط في خدمة الوطن حروفا لا ينساها له التاريخ وأن تعاقبت الدهور وتوالت العصور"<sup>2</sup>، وهو التعاون الذي كان هدفه العمل على إصدار صحيفة "الفاروق"، غير أن عمر راسم انسحب من المشروع<sup>3</sup>. ومع ذلك، ففي العدد الخامس، أعلن عمر بن قدور أن السيد عمر راسم (الصنهاجي)، هذا الكاتب الشهير كما نعته، سيدم الجريدة بمقالات تخص الجزائر<sup>4</sup>.

بعد قرار السلطات الاستعمارية نقل بن قدور إلى الأغواط، وفرض الإقامة الجبرية عليه، توقفت "جريدة الفاروق"، بعد أن صدر منها ستة وتسعون (96) عدداً، ومُضي سنتين من الصدور، وحتى تعمل الإدارة الفرنسية على قتل الروح المعنوية لبن قدور ومحاربه نفسياً، تم نقله من العاصمة إلى الأغواط ثم عين ماضي، مشياً على

<sup>1</sup> أنظر العدد 70 من جريدة الفاروق.

<sup>2</sup> عمر بن قدور، الأزمة الجزائرية، جريدة التقدم، العدد 23، 23 جانفي 1908.

<sup>3</sup> جريدة الحق، العدد 39 بتاريخ 06 جويلية 1912.

<sup>4</sup> جريدة الفاروق، العدد 05.

الأقدام، لمسافة تزيد عن 400 كلم، ومعاملته معاملة سيئة كتعذيب نفسي، إضافة إلى التعذيب الجسدي<sup>1</sup>.

واختلف الباحثون والمؤرخون حول الأسباب التي أدت إلى توقف الجريدة، حيث اعتبر أحمد توفيق المدني في مذكراته أن سبب توقف الجريدة ونكبة صاحبها يعود إلى مقاله المعنون بـ"بين لجج الهواجس" الذي نشره سنة 1914<sup>2</sup>، وحاول زهير إحدادن إعطاء تفسيرات سياسية لما حدث لجريدة "الفاروق" وصاحبها وأرجع النقل القصري لبن قدير، وإخضاعه للإقامة الجبرية بالأغواط سنة 1915، إلى موقفه المتعاطف اتجاه الدولة العثمانية<sup>3</sup>، خاصة وأن العديد من خصومه اتهموه بالنزعة المؤيدة لهذه الدولة، كما يرجع السبب أيضا لموقفه المعارض من قضية التجنيد الإجباري، من الأسباب التي كانت وراء ما حدث<sup>4</sup>.

ويظهر أن كل التفسيرات المقدمة لإيقاف "الفاروق" ونقل مقر إقامة بن قدير حول العامل السياسي، سواء تتمحور حول مواقف الرجل المختلفة في مختلف القضايا الداخلية والخارجية أو لتأثير جريدته على الرأي العام في الجزائر وشمال أفريقيا، حيث عملت الإدارة الفرنسية على الصاق تهمة خطيرة لبن قدير، وهي الانتماء إلى تيار يحضر في الخفاء للتمرد والعصيان على دولة فرنسا الاستعمارية، بمعنى أنه يُمثل تهديداً للسيادة الفرنسية على الأرض الجزائرية، وهذا رغم إعلانه منذ إصدار "الفاروق" استقلاله الفكري والسياسي، عن أي تيار فكري، سمته الاعتدال في التعامل الإعلامي الافتتاحي مع الوجود الاستعماري، وتكرار موقفه الرفض من العمل السياسي المحض، ويذكر أبو القاسم سعد الله أن السجن كان بسبب موقفه من الحرب العالمية الأولى، والذي كان يرفض النزج بالجزائريين في أتون الحرب العالمية الأولى<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الخامس، المرجع السابق، ص 279.

<sup>2</sup> المدني، المرجع السابق، ص 69.

<sup>3</sup> Ihaddadene , Op,Cit , P 71.

<sup>4</sup> Ibid, P 209.

<sup>5</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص 279-280.

ثانيا : المسار الصحفي لعمر بن قدور بعد الحرب العالمية الأولى:

عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى، وما تركته من آثار سلبية على الشعب الجزائري، بفعل الأزمة الاقتصادية التي سببتها ظروف ومعطيات الحرب، وربط الاقتصاد الجزائري بالاقتصاد الحربي الفرنسي، وتأثرها كذلك بالنمط الرأسمالي الصناعي الفرنسي، بدأت مظاهر المجاعة والأمراض والابوئة تنتشر في أوساط الجزائريين. في الحين الذي بقيت فيه البلاد مسيرة بقانون "الأنديجينا" (الأهالي)<sup>1</sup>، الذي كان يُشكل منظومة قمعية استثنائية اتجاههم. وبالرغم من صدور قانون الإصلاحات في 04 فيفري 1919م، من قبل الحكومة الاستعمارية، وهي الإصلاحات التي كانت جد محدودة، ولم تُغير أو تحسن من حقوق الجزائريين على مختلف المستويات<sup>2</sup>، وبالتزامن مع النشاط السياسي المتنامي للأمير خالد، شهدت هذه الفترة صدور صحف جزائرية، كجريدة "الإقدام العربي" (Likdam) في شهر مارس 1919م بالفرنسية، ثم صدر القسم العربي منها مستقلا في سبتمبر 1920م.

كما صدرت بقسنطينة صحيفة "النجاح" باللغة العربية سنة 1919م، وبمدينة الجزائر ظهرت جريدة "المستقبل الجزائري" (L'Avenir algérien) في شهر أفريل سنة 1920 م باللغتين العربية والفرنسية<sup>3</sup>، ومما تجدر الإشارة إليه أن بن قدور وخلال هذه الفترة لم ينقطع عن الكتابة الصحفية كما درجت المصادر والمراجع على ذكره، بل أنه وخلال إقامته الجبرية بالأغواط واصل مراسلة جريدة "الوزير التونسية"، وبتوقيعات مختلفة في العدد الواحد، مثل ؛ "صاحب الإمضاء الأصلع" و"عمر بن قدور صاحب الفاروق"، مستمرا في العدد الثالث من جريدة "الوزير" معبرا عن رغبته للعودة للكتابة

<sup>1</sup> Mahfoud Kaddache, *Histoire du Nationalisme Algérien*, Tome 01. Alger : 111 p p 29-45.

<sup>2</sup> *Ibid*, p 107-108.

<sup>3</sup> محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية، نشأتها، تطورها، أعلامها 1903-1931، المجلد الأول. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1978، ص 42-43.

## الفصل الثالث: المسار الصحفي لعمر بن قدور وعبد الحميد الزهراوي وتحدد مفاهيم

### النهضة والإصلاح في كتاباتهما

الصحفية، وأنه يستأنس بها لما لها من أثر في تحقيق الإصلاح " انسحبنا من المكرومين في صورة المجبورين إلى مضجع السكون، بل إلى ذروة شاهق التأمل والتفكر فما برحنا من تلك الذروة نلقى أشعة البصر والبصيرة على بسائط الحوادث والحقائق الممتدة بين أيدينا... حتى أثبتنا في صفحات الفكر أرقاماً تتضاعف فيها الأرقام وتملأ المجلدات الضخمة لو تظهر في عالم الأوراق والأقلام، وها نحن فضلنا السكون إليها بعد أن وعيناها وارتحنا إلى العمل بها حبذا العمل لو أبديناها والموعود في ذلك ما يستقبلنا في أعداد الوزير والله ولينا جميعاً نعم المولى ونعم النصير"<sup>1</sup>

وفي سياق هذه الظروف السياسية والاجتماعية لما بعد هذه الحرب، وبعد عودة بن قدور الجزائري من إقامته الجبرية بالأغواط، شرع في التحضير لمشروع إعلامي جديد بالتعاون مع أحد التجار المثقفين، وهو "محمد بن باكير"، وهما اللذان كانا قد التقيا في تونس بداية عام 1920م، وقد رتب لقاءهما "إسماعيل علاوة" من مدينة قسنطينة، وانتقيا على إصدار جريدة في الجزائر، وبعد مضي شهرين اجتمعا ثانية واشتريا مطبعة بقيمة خمسين ألف فرنك فرنسي<sup>2</sup>، لطبع جريدتهم الجديدة، التي سميت بـ"الصديق" تيمناً بالخليفة الأول أبو بكر الصديق (رضي الله عنه).

قام الاثنان بإصدار جريدة "الصديق"<sup>3</sup>، وظهر عددها الأول يوم 12 أوت 1920م\*، وذلك تحت شعار ينم عن نغمة سياسية وإصلاحية، ألا وهو "صوت

<sup>1</sup> عمر بن قدور، "الأفكار الخصوصية بعد الساعة الهائلة"، جريدة الوزير التونسية، العدد 3، السنة الأولى، أبريل 1920.

<sup>2</sup> Relation entre Les Nationalistes Algériens et Tunisiens, in A.N.T, MN C/9D2.

<sup>3</sup> ساحل، المرجع السابق، ص 117.

\* يذكر أبو القاسم سعد الله أن بن قدور أعاد إصدار الفاروق في شكل مجلة أولاً ثم أوقفها، نتيجة العجز المادي، وأنظم إلى هيئة تحرير جريدة "الصديق"، لكن الحقيقة عكس ذلك؛ حيث أن بن قدور تولى رئاسة تحرير الصديق أولاً ثم أنشأ الطبعة الثانية من "الفاروق". أنظر أكثر:

- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الخامس، المرجع السابق، ص 280.

## الفصل الثالث: المسار الصحفي لعمر بن قدور وعبد الحميد الزهراوي وتحدد مفاهيم

### النهضة والإصلاح في كتاباتهما

الإسلام بإفريقيا الشمالية" وتصدر الجريدة مرتين في الأسبوع، وأوكلت إدارتها ورئاسة تحريرها إلى عمر بن قدور، أما بن باكير فقد كان وكيلها ومتصرفها الإداري<sup>1</sup>. ومنذ البداية وضع بن قدور أهداف جريدته الجديدة، في عددها الافتتاحي الأول، وهي؛ "الدعوة إلى التعارف، إقامة النصوص الدينية، تهذيب الأخلاق، نشر المعارف والعلوم العربية، وتأسيس المشاريع العلمية والاقتصادية"<sup>2</sup>، وفي ديباجتها حافظ عمر بن قدور على بيته الشعري المشهور:

#### قلمي لسان ثلاث بفؤادي ديني ووجداني وحب بلادي

وبقي بن قدور يُصدر الصحيفة، ويكتب بها إلى غاية صدور العدد السادس يوم 02 سبتمبر 1920، وابتداء من العدد السابع، توقف عمر بن قدور عن الكتابة بها ورئاسة تحريرها، وخلفه بعد ذلك الصحفي المولود بن محمد الزريبي\*، وقد اختفت الكثير من الشعارات والأشعار التي كانت متضمنة بها وأصبحت تصدر كل أسبوع، إلى غاية توقفها سنة 1922.

ويبدو جليا أن عودة بن قدور إلى الساحة الإعلامية الإصلاحية، أضفى عليها أثرا إيجابيا وأملا متجدداً بعد أهوال الحرب العالمية وآثارها المختلفة داخليا بالنسبة

<sup>1</sup> زهير احداون، بليوغرافيا الصحافة الجزائرية (الصحافة الإسلامية الجزائرية من بدايتها إلى غاية 1930). الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب 1986، ص 35.

<sup>2</sup> عمر بن قدور، "المقال الافتتاحي"، جريدة الصديق، العدد 01، 16 أوت 1920.

\* المولود بن محمد الزريبي (1897 - 1925 م): هو العلامة الأديب الفقيه الشاعر النحوي المولود بن محمد بن عمر الزريبي نسبة إلى "زريبة الوادي"، وهي تقع بالقرب من مدينة بسكرة، درس على حامد العبيدي في بلده ثم التحق بالجامع الأزهر فأكمل دراسته على نخبة من العلماء، فحصل على شهادة العالمية، كما تعرف على كبار العلماء، ثم عاد للجزائر فاشتغل بالتدريس والوعظ والإرشاد والإصلاح = = الاجتماعي في مسقط رأسه "زريبة الوادي" ثم في منطقة الأوراس، فدرّس في قرية الحجاج في ولاية باتنة، ثم في مدينة باتنة نفسها، بعدها انتقل إلى الجزائر العاصمة فتولى تحرير جريدة "الصديق" سنة 1920م، كما كتب عدة مقالات في جريدة «كوكب إفريقيا»، تولى التدريس في الجامع الأعظم بالعاصمة، وبعد الشيخ من أبرز رجالات الحركة الوطنية الإصلاحية في العشرينيات. من آثاره كتاب بعنوان "دور الأفهام أو شمس الأحلام على عقائد الحير الهمام"، الذي طبع بتونس سنة 1924م، كما له العديد من القصائد الشعرية التي نشرت في جرائد تلك المرحلة. أنظر أكثر:

- سعد الله، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق. ص 280.

للجزائر أو خارجها، وانطلاقاً من تطور الأحداث وتغير الظروف، رأى بن قذور أنه من واجبات كل فرد أن يعمل على إيقاظ الهمم والدعوة إلى الإصلاح، بالنظر إلى التحديات الداخلية للبلاد الجزائرية، ويتعدد ثقل مهمة التنوير والإصلاح بالدرجة الأولى لدى المفكرين، وهذه نقطة مهمة جداً، وهي تشكل أحد المرتكزات الفكرية لرؤيته الإصلاحية التي قدمها في العبارات التالية: " ... فما تسنى لمفكر صحيح المبدأ، أن يقلع عن تفكيرهن وما وسعه الخنوع لجبروت الأغراض والأهواء وتهديداتها العاتية"<sup>1</sup> ومن هنا يرى بأن حالة المفكر المصلح لا يمكن أن تستقر، ولا تهدأ مع وجود "تيار جاهلي" -كما يُسميه-، يسود البلاد، ويُشتت الشعب الجزائري المسلم، ويعمل على تلاشي هويته أو قوميته. ويرى أن هذا التيار يعكس حالة عقائدية واجتماعية، واقتصادية متردية. هنا نلمس بأن الحالة الاقتصادية وربما بتأثير من مُعينه محمد بن باكير، تأخذ اهتماماً ومكانة في المشروع الإصلاحي، خاصة في هذه الصحيفة.

غادر عمر بن قذور جريدة "الصديق" في عددها السادس (06)، مفضلاً إعادة إصدار "الفاروق" مرة أخرى، وتولى رئاسة تحريرها "المولود بن محمد الزريبي"، الذي استمر بها إلى غاية توقفها نهائياً في العدد 54 بتاريخ 27 مارس 1922م، بسبب مضايقات السلطات الاستعمارية<sup>2</sup>.

بأشر عمر بن قذور في إعادة إصدار جريدة "الفاروق" في 08 أكتوبر من سنة 1920م، وقد هلت الصحف العربية بهذه العودة لجريدة لطالما استقطبت قراء من مختلف البلاد العربية، وقد اعلنت بعض الجرائد والمجلات هذه العودة بكثير من الإطراء والتبجيل، وعلى سبيل المثال لا الحصر، كتبت مثلاً جريدة "الوزير التونسية" عن الفاروق في نسختها الجديدة، حيث ذكر محرر الإعلان، قائلاً "عادت أرقى صحيفة قديمة بعاصمة الجزائر لأشهر صحافي قديم، أعني جريدة الفاروق لصاحبها

<sup>1</sup> سعد الله، المرجع السابق، ص 281.

<sup>2</sup> احدادن، بيبليوغرافيا...، المرجع السابق، ص 35.



## الفصل الثالث: المسار الصحفي لعمر بن قدور وعبد الحميد الزهراوي وتحدد مفاهيم

### النهضة والإصلاح في كتاباتهما

ومديرها ومحررها السيد عمر بن قدور وناهيك بها من نشرة معروفة، وناهيك به كاتباً بليغاً وشاعراً مجيداً، نعم ظهرت بعد أن احتجبت في غالب مدة الحرب، بثوب جميل وأسلوب حكيم وتنظيم حديث، تحت إدارة صاحبها ومؤسسها الأول، فكانت مزدانة بالإتقان المطبعي... مما يحقق الأمل في تقدم اللسان العربي والصحافة العربية علينا أن نهناً زميلنا وأن ندعو لنشرته بالرواج والإقدام العظيم ليتصافح الوزير مع الفاروق ويتحدا على خدمة مبدأ الإصلاح القويم<sup>1</sup>.

ولم تعمر جريدة الفاروق كثيراً إذ لم يصدر منها سوى 15 عدداً، وأعلن عن توقفها في 26 مارس 1921م<sup>2</sup>، بسبب المضايقات التي تعرضت لها من طرف السلطات الاستعمارية، ورغم إعلان بن قدور عدم الخوض في ميدان الصحافة مرة أخرى، إلا أن غيرته الوطنية، وعدم رضاه عن الأوضاع المتعفنة، جعلته لا يكف عن مراسلة جريدة "الوزير" التونسية، والمساهمة بكتاباته في بعض الجرائد العربية بالجزائر، التي استمر في نشر مقالاته بها إلى غاية 1927م<sup>3</sup>.

ومن بين الجرائد التي واصل بها عمر بن قدور نشاطه الصحفي، جريدة "الإقدام"<sup>\*</sup> التي نشر على صفحاتها مقالا في شهر فيفري من سنة 1923م، داعياً فيه

<sup>1</sup> محرر الوزير، "جريدة الفاروق"، جريدة الوزير التونسية، العدد 36، السنة الأولى، 18 أكتوبر 1920.

<sup>2</sup> إحدادن، المرجع السابق، ص 31.

<sup>3</sup> توقف بن قدور عن الكتابة في هذه السنة بسبب اشتراط الإدارة الاستعمارية قبوله كـ "حزّاب" في مسجد السفير بالعاصمة توقفه عن ممارسة كل نشاط سياسي أو إعلامي يضر بمصلحة فرنسا في الجزائر. أنظر أكثر:

- Remplacement de quatre Houddours a' Alge, A.N.A, IBA/CUL-018, N° 0881.

<sup>\*</sup> جريدة الإقدام: ظهرت هذه الجريدة أول الأمر باللغة الفرنسية عقب صدور قانون "كليمنصو" سنة 1919م، من طرف ثلاث أشخاص هم الأمير خالد والصادق دندان؛ صاحب جريدة الإسلام، والحاج عمار، وتعتبر الجريدة لسان حال حركة الشبان الجزائريين، وأطلق عليها هذا الاسم بسوء بجرية الإقدام التركية التي كانت تصدر بإسطنبول، ومنذ 1920 خصص لها أصحابها صفحتين باللغة العربية يشرف عليهما الأمير خالد. مرت جريدة الإقدام منذ ظهورها أول مرة بثلاثة مراحل، وفي كل مرة كانت تختفي لمدة قصيرة ثم تعود للظهور بفكر وشعار جديدين، كما تناسبت كل مرحلة من هذه المراحل مع التطورات التي عرفتتها حركة الشبان الجزائريين عبر نشاطهم السياسي ومواقفهم من مختلف القضايا للمزيد انظر :

## الفصل الثالث: المسار الصحفي لعمر بن قدور وعبد الحميد الزهراوي وتحدد مفاهيم

### النهضة والإصلاح في كتاباتهما

إلى ضرورة التكاتف للنهضة بالتعليم<sup>1</sup>؛ وكذلك جريدة "واد ميزاب"<sup>\*</sup>، التي نشر فيها مقالا في حلقتين تحت عنوان "العبرة والعبر"، بين من خلاله دور وأهمية التعليم في نهضة الشعوب، وداعيا من خلاله إلى الاقتداء بتعاليم الرسول محمد (ﷺ)<sup>2</sup>.

لقد أدرك عمر بن قدور أهمية الصحافة في نهضة الأمم والشعوب، وخاصة تلك التي تحت ثن الاستعمار، وعمل خلال مساره الصحفي على تحقيق هدفه في تنشئة مجتمع قادر على إدراك حقيقة التحديات التي تواجهه في التربية والتعليم، إلا أنه تبين في الأخير أن الصحافة وحدها غير كافية لتحقيق مشروع نهضوي كامل وشامل.

### المبحث الثاني: المسار الصحفي لعبد الحميد الزهراوي وتجليات مفاهيم النهضة والإصلاح:

شهدت سورية نهضة علمية وأدبية كبيرة في منتصف القرن التاسع عشر، وكان من مسبباتها فتح أبواب التجارة ومسارة الأجانب بالحضور إلى سوريا والتفاعل فيها، وانتشار مطبوعات بولاق ومطابع الآداب الشرقية، وكذا الدور الذي لعبه رجالات الدولة العثمانية الذين نهلوا من حضارة أوروبا وحاولوا نشرها في مختلف أرجاء السلطنة العثمانية، فكان لهذه العوامل مجتمعة الأثر الإيجابي في النفوس للبدء بمسيرة البحث عن صحافة سورية خالصة تختص فقط بالشأن السوري، ومن هنا انتشرت فكرة الصحافة المغلفة بالطابع المحلي والمرتبطة بشكل عضوي بالجمعيات الدينية، ومن أوائل الصحف والمجلات الصادرة في سورية، مجلة "أعمال الجمعية

<sup>1</sup> ناصر، المرجع السابق، ص32.

<sup>\*</sup> جريدة واد ميزاب: صاحبها "أبو اليقضان" صدرت في الفاتح أكتوبر سنة 1926م، بالجزائر العاصمة، وتمثل أهل الجنوب في العاصمة، والجريدة ذات إتجاه تربيوي، إسلامي، وطني تطبع في تونس، ولم يصدر منها إلا 119 عدد حيث توقفت في 09 فيفري 1929م، أين قامت السلطات الإستعمارية بتعطيلها بسبب موقفها الوطني الرفض للسياسات الاستعمارية. أنظر أكثر:

- محمد ناصر، صحف أبي اليقضان. الجزائر: منشورات وزارة الثقافة، 2008، ص ص 19-23.

<sup>2</sup> عمر بن قدور، "العبرة والعبر"، جريدة واد ميزاب، العديدين 39 و 40، 08 و 15 جويلية 1927.

## الفصل الثالث: المسار الصحفي لعمر بن قدور وعبد الحميد الزهراوي وتحدد مفاهيم

### النهضة والإصلاح في كتاباتهما

السورية" والتي أصدرها في بيروت الشيخ ناصيف اليازجي عام 1852 والتابعة للجمعية السورية، وكان هدفها نشر العلوم والفنون بين العرب عامة والشاميين خاصة<sup>1</sup>.

ظهرت في الأستانة الصحافة الشامية على أيدي صحفيين سوريين موجودين فيها، وكانت أول صحيفة عربية أسست في استنبول عاصمة الإمبراطورية العثمانية، هي صحيفة "مرآة الأحوال" لصاحبها "رزق الله حسون" الحلبي المنشأ، وذلك في العام 1855م، ولاقت هذه الصحيفة رواجاً سريعاً وكبيراً في الأوساط السورية، وكانت تختص بنشر الأخبار الرسمية والمحلية مع الأخبار الاقتصادية والمتنوعة<sup>2</sup>.

ثم تتالت الصحف السورية التي تصدر باللغة العربية في قلب العاصمة العثمانية، فكانت صحيفة "السلطنة" لصاحبها السوري "إسكندر شلهوب"، وكان ذلك في العام 1858م، أما أول صحيفة صدرت في سورية بتصريح رسمي من السلطات العثمانية، هي صحيفة "حديقة الأخبار" التي كانت تصدر في بيروت خلال سنة 1858<sup>3</sup>. وخلال هذه الفترة كذلك صدرت عدة صحف سورية أخرى في استنبول وباريس ومنها: صحيفة عطار، وصحيفة برجيس باريس، صحيفة الجوائب....

ومع تخوف الولاة العثمانيون في أواخر العهد العثماني في سوريا، من الانفتاح الكبير للصحافة، وأن تتضمن بين طياتها ما يقلق الإمبراطورية العثمانية ويحرض عليها، بدأ الولاة باستخدام أساليب الرقابة واستمالة الصحف إلى جانب السلطنة، وتعطيل الصحف الجريئة ذات النزعة القومية، وفي هذا المناخ نشأت أول وأقدم صحيفة في دمشق، وهي صحيفة "سورية"، والتي ظهرت بدمشق في 19 نوفمبر عام 1865، وكانت تصدر وتطبع باللغتين العربية والتركية، وفي أربع صفحات فقط،

<sup>1</sup> فيلب دي طرازي، تاريخ الصحافة العربية، الجزء الأول. بيروت: المطبعة الأدبية، 1945، ص 15.

<sup>2</sup> جوزيف إلياس، تطور الصحافة السورية في مائة عام (1865-1965)، ط1. بيروت: دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع، 1982. ص 31.

<sup>3</sup> وذلك حسب الصورة التي نقلها جوزيف إلياس عنها، نفسه، ص 32.

## الفصل الثالث: المسار الصحفي لعمر بن قنور وعبد الحميد الزهراوي وتحدد مفاهيم

### النهضة والإصلاح في كتاباتهما

ومن بين الذين كانوا يحررون القسم العربي فيها، الصحفي أديب نظمي والصحفي محمد كرد علي، وقد تخصصت هذه الصحيفة بنشر الأوامر الحكومية، وتسجيل الحوادث الرسمية فيها، من عزل وتنصيب الولاة، بالإضافة إلى إعلانات دوائر الدولة، وظلت هذه الصحيفة مستمرة في صدورها حتى انحسار سيطرة الدولة العثمانية عن الأقطار العربية عام 1918 وبذلك بلغت في عمرها حوالي الخمسين عاماً<sup>1</sup>.

وصدرت ثاني الصحف الرسمية بمدينة حلب عام 1867، وكانت تحت اسم صحيفة "غدير الفرات" وهي الصحيفة الرسمية الأولى لولاية حلب، وهي شديدة الشبه بصحيفة "سورية" من حيث الشكل والمضمون، إلا أنها كانت تختلف عنها بصدور أعداد كبيرة منها باللغة الأرمنية بالإضافة إلى اللغتين العربية والتركية<sup>2</sup>.

أما في الصحافة الخاصة، فكانت صحيفة "دمشق" التي أصدرها أحمد عزت باشا العابد\* عام 1878، وكانت تصدر بشكل منقطع، وذات تنوع شامل في مضمونها. أما المجلة المهمة (النصف شهرية) التي ظهرت في جانفي 1886 لصاحبها سليم ورزا عنحوري، فهي "مرآة الأخلاق"، وكان عدد صفحاتها 24

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 35.

<sup>2</sup> دي طرازي، المرجع السابق، ص 25.

\* أحمد عزت باشا: هو أحمد عزت باشا بن هولو باشا العابد المشرفي (1855م - 15 أكتوبر 1924) سياسي سوري، في عهد السلطان عبد الحميد الثاني. كان أغنى رجل عربي في السلطنة العثمانية، ومن أهم رجال العرب فيها، إلى أن حدث الانقلاب وخلع عبدالحميد، فلجأ إلى مصر وحاول تكوين دولة عربية في المشرق لكن ذلك لم يتم بدخول اتفاقية سايكس بيكو. وبعد أن أنهى تعليمه عين كاتباً في جهاز المخابرات العثمانية بسوريا، وتدرج في مناصبه حتى تولى منصب رئاسة قلم المخابرات سنة 1873م، ثم عهدت إليه الحكومة بتحرير القسمين العربي والتركي في جريدة "سوريا" الرسمية لبراعته في فن الكتابة والإنشاء، لكن ذلك لم يشبع طموحه، فسعى في سنة 1879م لإصدار جريدة "دمشق" بتشجيع من والي سوريا "أحمد جودت باشا"، وهو من أعظم الرجال في الدولة العثمانية، ومن كبار مصلحيها، وفوق ذلك كان مؤرخاً كبيراً. وعلى صفحات هذه الجريدة نشر أحمد عزت العابد فصولاً كثيرة أشار فيها إلى مآثر العرب وعلومهم وفضائلهم، كما دافع عن الدولة العثمانية التي تتعرض لحملات من التشهير المنظمة، غير أن كثرة الأعمال الموكلة إليه شغلته عن مواصلة الإشراف على الجريدة والكتابة فيها؛ الأمر الذي جعلها تتعثر في صدورها حتى توقفت تماماً سنة 1887م. أنظر أكثر:

- إلياس، المرجع السابق، ص 71.

## الفصل الثالث: المسار الصحفي لعمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي وتحدد مفاهيم

### النهضة والإصلاح في كتاباتهما

صفحة ، وصدورها كان من دون رخصة من الحكومة، وكانت تتألف من قسمين الأول عبارة عن روايات وآداب، والثاني منوعات، وعلى إثر صدور العدد الأول منها، حجت عليها الحكومة نتيجة وشاية بأن صاحبها يتحدى القرآن الكريم في مقالاته غير أن صاحبها بريئ من التهمة، ولكن شدة المراقبة حالت دون استئناف إصدار المجلة<sup>1</sup>.

وكانت جريدة "الشهباء" التي أسسها العلامة والأديب الكبير عبد الرحمن الكواكبي سنة 1877 في ولاية حلب، من أول الصحف التي انتقدت وبشكل مباشر المظالم الواقعة على السوريين من طرف السلطات العثمانية ، وانتقدت الوالي نفسه، وطالبت بمحاربة الاستبداد، فكانت من الصحف التي أخافت الدولة العثمانية، وكان صاحبها الكواكبي من الصحفيين الذين ازعجوا كثيرا بكتاباتهم ومواقفهم السلطان عبد الحميد الثاني، خاصة وانهم يطالبون وعلى رأسهم الكواكبي باستقلال الشعوب العربية عن السلطة العثمانية ، وقد أغلقت هذه الصحيفة بعد صدور خمسة عشر عدداً منها<sup>2</sup>.

وبدأت الصحافة السورية في هذه المرحلة تهتم بالشأن الداخلي السوري، وتروج بمعظمها لفكر القومية العربية، باستثناء القلة القليلة منها ، والتي كانت مؤيدة بشكل كبير للدولة العثمانية وسياساتها، ومن الصحف والمجلات التي انتشرت في تلك الحقبة: صحيفة الشام 1896، وصحيفة الاعتدال 1879 وغيرها من الصحف السورية<sup>3</sup>.

واستمر التشدد والرقابة على الصحافة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، حتى العام 1908م، حيث تم إعلان الدستور، وتقويض أركان الحكومة المطلقة، ما ولد لدى جميع الولايات السورية كما في سائر الولايات العربية، موجة عارمة من

<sup>1</sup> دي طرازي، المرجع السابق، ص 199.

<sup>2</sup> جورج زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، الجزء 4. مصر: دار مكتبة الحياة، 1983، ص 313.

<sup>3</sup> خليل صابات، تاريخ الطباعة في الشرق العربي. القاهرة: دار المعارف ، 1966 ، ص 58.

## الفصل الثالث: المسار الصحفي لعمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي وتحدد مفاهيم

### النهضة والإصلاح في كتاباتهما

المسرات والابتهاج والسرور، وفي هذا الصدد، يقول السياسي المرموق "فخري البارودي" \* بحسب ما جاء في كتاب جوزيف إلياس ما يلي؛ "بإعلان الدستور، فتح باب الصحافة على مصراعيه، فصدرت في دمشق أول جريدة يومية متزنة ووطنية هي جريدة (المقتبس) للأستاذ محمد كرد علي، والتي كتب بها عمر بن قذور حسب صالح خرفي ، والتي كانت إدارتها مجعماً للعلماء والأدباء والمفكرين من العرب على اختلاف أفكارهم....."<sup>1</sup>

كل هذه الامتيازات التي تمتعت بها الصحافة السورية في العهد الدستوري الجديد، جعلها تنعم بحرية لم تكن تتوقعها منذ سنوات طويلة، وقد بلغ مجموع ما صدر من الصحف في كل من دمشق وحلب وحمص وحماة واللاذقية ودير الزور من العام 1908، وحتى إعلان الحرب العالمية الأولى عام 1914، أكثر من مائة جريدة ومجلة، منها صحيفة القبس 1913، والمقتبس 1907، وصحيفة هلال عثمانى، وصحيفة حمص 1909م، ودمشق 1909م، وظهرك بالك 1909م، وموارد الحكمة 1909م، والراوي 1909م وحمارة بلدنا 1910م. وغيرها الكثير من الصحف والمجلات<sup>2</sup>.

والجدير بالذكر، أن العديد من هذه الصحف والمجلات كانت تتعرض باستمرار للتعطيل من قبل الحكومة الاتحادية، إلا أنها كانت تصر على الظهور ولو بأسماء

---

\* محمد فخري بن محمود البارودي (30 مارس 1887 - 2 ماي 1966): سياسي، عسكري، صحافي وشاعر عربي سوري. نشط في النضال لتحرير سوريا من الانتداب الفرنسي وشغل لاحقاً منصب نائب في البرلمان السوري لسنوات عديدة. قصيدته بلاد العرب أوطاني التي لحنها محمد فليفل تعد إحدى أشهر الأناشيد القومية العربية. أنظر أكثر:

- دعد الحكيم، أوراق ومذكرات فخري البارودي 1887 - 1966. دمشق: منشورات وزارة الثقافة السورية، 1999.

<sup>1</sup> إلياس، المرجع السابق، ص 54.

<sup>2</sup> صابات، المرجع السابق، ص 25.

## الفصل الثالث: المسار الصحفي لعمر بن قدير وعبد الحميد الزهراوي وتحدد مفاهيم

### النهضة والإصلاح في كتاباتهما

مختلفة، وشكلت نهضة صحفية وسياسية كبيرة في الأوساط السورية حتى ظن البعض أنها صحوة لن تخرج منها أبد الحياة.

وفي ظل هذه الأحوال بدأ الزهراوي مسيرته الصحفية بإصداره صحيفة "المنير" التي كان يطبعها بنفسه، ويوزعها مجاناً باليد وعبر البريد، وكان ينشر في كل عدد منها مقالات في "الإمامة وشروطها"؛ رأى فيها أن على الحاكم أن يحقق اثنتان وعشرون (22) شرطاً، لكي تكون دعواه شرعية بالخلافة. وأختتم إحدى مقالاته الموجهة نحو السلطان عبد الحميد الثاني بالقول "بما أن السلطان عبد الحميد لا يلي أي شرط من هذه الشروط، لذا ينبغي خلعه"<sup>1</sup>، كما سجل أحمد نبهان الحمصي في ترجمته للزهراوي أن الأخير كتب منتقداً أعمال الحكومة العثمانية، منبهاً لها بسوء العاقبة إن دام هذا الجور والفساد<sup>2</sup>. وقد كانت صحيفة المنير تمثل وجهة نظر "جماعة الاتحاد والترقي"، والتي كان الزهراوي أحد أعضائها البارزين، وقد عرفت السلطات العثمانية بأمرها، فقامت بإغلاقها وهي في المهد<sup>3</sup>.

لم يستقر الزهراوي بعد مصادرة صحيفته في حمص وعاد إلى الاستانة، - كما سبق وأن أشرنا إليه-، وفيها بدأ في التحرير بجريدة "المعلومات" في قسمها العربي، وكانت مجلة "معلومات" مهتمة بأحوال الولايات العربية، فعينت الوكلاء في بعضها مثل مصر وتونس ومنعت في الجزائر من قبل السلطات الاستعمارية الفرنسية، لأنها تسعى لترويج أفكار إسلامية على نحو لا ترضى به سلطات الاحتلال في ذلك الوقت.

<sup>1</sup> عبد الحميد الزهراوي، أجوبة عن المسائل الشرعية في الخلافة، الأعمال الكاملة...، الجزء الثاني، المصدر السابق، ص 446.

<sup>2</sup> أحمد نبهان الحمصي، "ترجمة السيد عبد الحميد ابن السيد محمد بن شاعر ابن السيد إبراهيم الزهراوي" مجلة المنار، المجلد 21، الجزء الرابع، ص 207.

<sup>3</sup> علوش، المرجع السابق، ص 14.

اولا: موقف الزهراوي من السلطة العثمانية من خلال الصحافة :

وقد أبان الزهراوي جرأة كبيرة في نقد تصرفات واجراءات الحكومة ورجالها، والحث على ضرورة إصلاح الوضع في البلاد. وقد أعاد رشيد رضا صاحب المنار نشر ما كتبه الزهراوي والتعليق عليها، بالرغم من أنها كانت غير موقعة باسمه، إنما بحروف اسمه الأولى (ع. ز) أو حرف السين (س) أحيانا، وقد أثارت عليه هذه المقالات السلطات العثمانية، فشدت عليه الرقابة أول الأمر، قبل أن تنقله إلى دمشق "مأمور إقامة" أي إقامة جبرية عام 1899، بعد أربع سنوات قضاها في الأستانة<sup>1</sup>.

وبالرغم من فرض الإقامة الجبرية عليه في دمشق وظروف تلك الإقامة ، لم يركن الزهراوي للراحة وواصل خوض غمار الكتابة ، حيث كتب في هذه الفترة رسائله في الفقه والتصوف، والتي نشرتها "المنار"، إضافة إلى مقالة بعنوان "أجوبة عن مسائل الشرعية في الخلافة، وأخرى عبارة عن رسائل في "النحو والمنطق" وثالثة هي، "رسائل في الطلاق"، هذه الأخيرة التي أثارت جدلا كبيرا - كما أسلفنا الذكر -

هذ الجرأة عرضت الزهراوي مرة أخرى إلى التهميش من جديد خاصة مقالاته في "الفقه والتصوف"، التي دحض فيها حجج مناوئيه بالدليل والبرهان كما يعتقد ، إلا أن الوالي قرر إعادته إلى الأستانة، ومنها إلى حمص التي كتب فيها "أجوبة عن المسائل الشرعية في الخلافة" ليفر بعدها إلى مصر سنة 1902م، بعد أن ضاق ذرعا بالإقامة الجبرية<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> علوش، المرجع السابق، ص 16.

<sup>2</sup> الجامع، المرجع السابق، ص 50.



## الفصل الثالث: المسار الصحفي لعمر بن قنور وعبد الحميد الزهراوي وتحدد مفاهيم

### النهضة والإصلاح في كتاباتهما

عمل الزهراوي في مصر محرراً بجريدة "المؤيد" \* لصاحبها الشيخ علي يوسف \*\* ، وكانت جريدة مفتوحة لدعاة التجديد والإصلاح والقومية العربية، من أمثال رفيق العظم ومحب الدين الخطيب، وقد توافق خط افتتاح جريدة "المؤيد" مع مطامح الزهراوي في تعبئة قومه واستنهاضهم وكما كان وصفه الباحث فهمي جدعان "وينير طريقهم بتنبية الغافلين وتعليم الجاهلين"<sup>1</sup>، وفي الوقت الذي كان يعمل في "المؤيد" نشر الزهراوي العديد من المقالات الإصلاحية، كما نشر في جريدة "المقطم"، رسالة "أجوبة عن المسائل الشرعية في الخلافة" و"الفقه والتصوف"<sup>2</sup>.

انصهر الزهراوي في الحركة الثقافية والسياسية في مصر، وأصبح أكثر قدرة على التعمق في القضايا الفكرية والإصلاحية واتجاهاتها المختلفة، التي كانت تأوي روادها، مكرساً وقته وجهده منذ سفره إلى الأستانة وعمله كمحرر بجريدة "المعلومات" وإلى غاية عودته لسوريا سنة 1908 للكتابة في الصحف والمشاركة في تحريرها، ومخالطة رجال الفكر والإصلاح، أمثال محمد عبده ومحمد رشيد رضا ، وكان أبرز ما كتبه الزهراوي، خلال هذه المرحلة رسالته التي سماها "نظام الحب والبغض" ، التي نشرها في جريدة "المنار" وقد جاءت في إحدى عشرة حلقة وذلك سنة 1904م، واعتبرها "رسالة في علم النفس، وفلسفة الأخلاق"<sup>3</sup>.

\* عمل الزهراوي محرر بجريدة المؤيد من سنة 1902م إلى غاية 1906م، أنظر أكثر:

- علوش، المرجع السابق، ص 21.

\*\* علي يوسف: ولد عام 1863م في بلفورة، بمصر، وتلقى تعليمه في الأزهر، وعمل في الصحافة، أصدر مجلة الآداب عام 1885م، ثم المؤيد عام 1889م. عُرف بأسلوبه النقي البليغ المرن، ترك الصحافة عام 1913م، حيث عُيّن شيخاً للسادة الوقائية، وتوفي في 17 فيفري 1916م، أنظر أكثر:

\_ فهمي جدعان، أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، ط3. عمان: دار الشروق، 1988، ص 173.

<sup>1</sup> علوش. المرجع السابق، ص 20.

<sup>2</sup> الزهراوي، الفقه والتصوف، المصدر السابق. أنظر أيضا الملحق رقم 26.

<sup>3</sup> عبد الحميد الزهراوي، "نظام الحب والبغض، رسالة في علم النفس والأخلاق"، مجلة المنار، المجلد 06، الجزء 07، بتاريخ 27 جوان 1903.

## الفصل الثالث: المسار الصحفي لعمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي وتحدد مفاهيم

### النهضة والإصلاح في كتاباتهما

وتعتبر المرحلة التي تمتد من بدء مشاركته في تحرير صحيفة "معلومات" عام 1898م في الأستانة، وسفره إلى مصر، مرحلة خصبة في حياة الزهراوي، فهي مرحلة التأسيس وتكوين الجانب النظري لديه، حيث عمل على تثقيف نفسه، واكتساب المعرفة والعلم، وبناء علاقات واسعة مع نخبة من رجال العلم والفكر والسياسة، وقد كان عمله بالصحف عملاً تنويراً حقيقياً. وقد اعتبره رشيد رضا "رجلاً مصلحاً جامعاً بين العلوم الشرعية ومعرفة السياسة والإدارة"<sup>1</sup>

#### ثانياً: الزهراوي بين ممارسة السياسة ومهنة الصحافة :

بعد عودة الحياة الدستورية في الامبراطورية العثمانية، وانتخابه في مجلس المبعوثان، أصدر الزهراوي مجلة "الحضارة" بالأستانة، وهي المجلة التي عاشت ثلاث سنوات، ولم يكن الأمر بالصعب على رجل تفرس في صناعة الصحافة والتحرير بها، حيث كانت تصدر كل أسبوع في اثنتي عشرة صفحة، ويحمل كل عدد افتتاحية يكتبها بنفسه في معظم الأحيان، يليه ثم مقال للكاتب "رفيق رزق سلوم" \*، ثم ملخص

<sup>1</sup> عبد الحميد الزهراوي، "تربيتنا السياسية"، جريدة الحضارة، العدد 59، 25/03/1911

\* رفيف رزق سلوم: (1891-1916): ولد في ماس سنة 1891م، في مدينة حمص في عائلة أرثوذكسية متميزة في إيمانها القويم، وكان والده ممارس لمسار العبادة والطقوس الكنسية. وفي الخامسة من عمره أدخله والده في المدرسة الروسية الابتدائية، التي كانت تعمل بإشراف مطرانية حمص الأرثوذكسية، وهي من مدارس "الجمعية الإمبراطورية الفلسطينية الأرثوذكسية الروسية"، ولما انبأها، درس العلوم اللاهوتية إضافة إلى العربية... طيلة السنوات الأربع، ونال شهادة المدرسة متفوقاً على جميع أقرانه، ثم عاد إلى حمص، وأقام في دار المطرانية الأرثوذكسية، سافر إلى استانبول ودخل جامعة الحقوق عملاً بنصيحة عبد الحميد الزهراوي وكان له من العمر 17 سنة فأنكب على الدراسة حتى أصبح موضع إعجاب الجميع، وجعل يديج المقالات البديعة وينشرها في المقتطف والمهذب والمقتبس والمفيد وحمص ودليل حمص ومجلة لسان العرب التي أصدرها النادي الأدبي في الأستانة ويحرر جريدة الحضارة التي أصدرها عبد الحميد الزهراوي، ومن مؤلفاته "حياة البلاد في علم الاقتصاد" وقد طبع وكتاب "حقوق الدول"، حكم عليه بالإعدام حكم قضى شهيداً في 23 أبريل سنة 1916م مع عبد الحميد الزهراوي. أنظر أكثر:

- محرر المنار، "رفيق رزق سلوم المحامي"، مجلة المنار، المجلد 19، الجزء الثالث، ص 186-187.

محاضر مجلس المبعوثان، حين تكون هناك جلسات، وتخصص الصفحات الأخرى إلى الأخبار والتعليقات والمراسلات، كما كانت تنشر بعض القصائد الشعرية<sup>1</sup>.

وكانت خطة الصحيفة كما يقول الزهراوي نفسه: "قول ما تعتقده الحق، وتظنه الأصلاح من الآراء، والأصدق والأصح من الأنباء"، وأن الصحيفة لم ينشئها حزب من الأحزاب، "بل أنشئها صاحبها، بسوق من الهام الله تعالى، وترغيب منه بخدمة قومه، من طريق الصحافة، وتيسير من عنايته سبحانه"، وأن الصحيفة "كانت كل عمرها تابعة للاعتدال الذي حاز قبولاً من ذوي العلية من قرائها"<sup>2</sup>.

وبرأي الزهراوي فإن يقع على عاتق الصحفي مهمة جلية، ولذلك قال، "أوصي نفسي وسائر إخواني الصحفيين بشيء من الإخلاص مع المهارة، لنضع نصرنا وخذلاننا في مواضعهما، مما هو أنفع للأمة، بعد أن نبذل الوسع بالاستطلاع والتفحص، لا على حسب ما يبدر لأحدنا. ولهذا أود لنفسي وإخواني الأناة والروية، واكره العجلة والبادرة"<sup>3</sup>.

لقد عملت جريدة الحضارة على أن تقدم لقرائها دروساً في السياسة والتربية الرزينة، وتناقش المفاهيم الأساسية كالاتحاد والتعدد والروح العمومية والانتخابات والزعامة والصحافة والاختلافات وعلاجها<sup>4</sup>، وغيرها من المفاهيم التي يثار الجدل بشأنها في ذلك الوقت، كما كانت تعمل على التعريف بمؤسسات الحكم والإدارة والسلطنة، كمجلس المبعوثان، ومجلس الأعيان، والنظارة (الوزارة)، والولاية، في محاولة لتنوير الرأي العام بوظائف تلك المؤسسات، وكيفية الحفاظ على الدستور<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> علوش، المرجع السابق، ص 26.

<sup>2</sup> الزهراوي، "الى قراننا الأعزاء"، المصدر السابق، ص 277-278.

<sup>3</sup> نفسه.

<sup>4</sup> جودة الركابي، "مقالات الحضارة"... الاعمال الكاملة القسم الثالث، المصدر السابق، من الصفحة 01 الى الصفحة 511.

<sup>5</sup> علوش، المرجع السابق، ص 27.

وبالرغم من أن "الحضارة" كانت في سياقها العام مجلة نقدية للسلطة بعيدا عن الإثارة، إلا أن الزهراوي كان يرى "بأن حق المراقبة على الحكومة، وهو من أكبر ما ينتظر من فوائد المجالس النيابية، لا يتم إلا بوجود حزب مبتعد، جهد أمكنه، عن منافذ التملق للحكومة"<sup>1</sup>، وأن الصحافة يجب ان تلعب دورها في هذه المراقبة، ولذلك حرص على أن تكون صحيفته نقدية ، وكان ينشر بها نقدا بعيدا عن الإثارة ، ولكنه واضح ورزين في كل ثنايا أوراقها<sup>2</sup>.

وكانت الصحيفة تشدد في مقالاتها على المبادئ والقضايا المبدئية مثل الدفاع عن حقوق الأمة، والمساواة بين جميع الأمم في الدولة العثمانية<sup>3</sup>. وضرورة احترام الدستور، والدفاع عن الحياة الدستورية، بطريقة متزنة تخرج في بعض الأحيان عن الاتزان، وخاصة عندما تتقل محاضر اجتماع المبعوثان<sup>4</sup>، وقد تناولت "الحضارة" أغلب القضايا التي كانت تشغل الساحة العربية، في ذلك الوقت، مثل فلسطين وما يتعلق بالصهيونية، واليمن، وأوضاع الجزائر، وغيرها من الأقطار العربية.

ولم تستمر مجلة الحضارة في الصدور بعد خروج الزهراوي من مجلس المبعوثان، وفقدانه للحصانة البرلمانية، حيث كان آخر عدد لها أواخر سنة 1912م<sup>5</sup>. وكانت السلطة العثمانية الجديدة ، تزداد تسلطا في مواجهة مخالفيها، وبذلك خسرت المنطقة العربية منبرا إعلاميا، لطالما كان صوت العرب في الامبراطورية العثمانية وأداة تنوير وتعبئة في مواجهة التسلط والقمع<sup>6</sup>.

وبالرغم من حالة التضيق والمتابعة، لم يستسلم الزهراوي لضغوطات ومضايقات السلطات العثمانية للصحافة، فقام بإصدار جريدة "المدنية"، التي تم

<sup>1</sup> علوش، المرجع السابق. ص 27.

<sup>2</sup> الركابي، المصدر السابق، ص 278.

<sup>3</sup> عبد الحميد الزهراوي، "الحق والقوة" ، جريدة الحضارة، العدد السادس، السنة الأولى، 19 مارس 1910.

<sup>4</sup> عبد الحميد الزهراوي "المبعوثان" جريدة الحضارة، الاعمال الكاملة القسم الثالث ص ص 82 - 87.

<sup>5</sup> صدر العدد الأخير من مجلة الحضارة في 24 أكتوبر 1912.

<sup>6</sup> جدعان، المرجع السابق، ص 55.

تعطيلها كذلك، ولم يمنعه التعطيل عن الكتابة، فقام بإصدار مجلة "الإدارة" فعملت هي الأخرى، لكنه لم يتوقف عن الكتابة في الجرائد الأخرى مثل "المنار"، و"الإنسانية"، و"الزهور"<sup>1</sup>، و"ثمرات الفنون"<sup>\*</sup> وغير من الصحف الصادرة في المنطقة العربية.

### خلاصة الفصل:

ما يمكن استنتاجه من هذا الفصل، هو أن البيئة السياسية والاجتماعية التي مارس في إطارها الرجلان عملهما، كانت تشكل ضغط كبيراً على محتوى ومقصد كتاباتهما، وفي نفس الوقت كانت ذات البيئة حافزاً إضافياً في تحدي هذه الظروف واستمرارهما في تحقيق مشروعهما الإعلامي والإصلاحي، ونظراً للاختلاف الذي طبع البيئة القانونية والسياسية، لكل من سوريا والجزائر كان الاختلاف في الأولويات التي وضعها كل واحد منهما في تحقيق الهدف الإصلاحي، فقد تميزت البيئة الاستعمارية للجزائر بإخضاع الجزائريين لقوانين معاملة استثنائية، ولنمط تسيير عسكري وإداري اتسم بالقمع والتعسف، خاصة " قانون الأنديجينا" أو قانون الأهالي المفروض منذ سنة 1874م وهذه السياسة الاستعمارية ألحقت أضراراً بأموال وأوقاف الجزائريين وانعكس هذا على حالتهم الاجتماعية البائسة. فظهرت المجاعات، حيث أثرت عليهم وأدت إلى تنامي تيار الهجرة ومغادرة البلاد فكان لهذه الأحداث والقوانين النصيب الأكبر من اهتمام عمر بن قدير وخاصة في مرحلة ما قبل الحرب العالمية الأولى، حيث طغى على كتاباته البعد السياسي.

أما المرحلة الثانية فقد تميزت كتابات عمر بن قدير بالبعد الأخلاقي الديني والثقافي لمواجهة ما كان يراه الرجل غزواً لهدم القيم والثقافة الجزائرية، والذي تمثل في

<sup>1</sup> مجلة الزهور لصاحبها أنطوان جميل، وهو أحد أعلام الصحافة العربية في مصر. أنظر للملحق رقم 20.  
<sup>\*</sup> ثمرات الفنون: صدرت عام 1885م، واستمرت إلى عام 1908م، لصاحبها عبد القادر القباني، ويحررها أحمد حسن طبارة في بيروت.

## الفصل الثالث: المسار الصحفي لعمر بن قدور وعبد الحميد الزهراوي وتحدد مفاهيم

### النهضة والإصلاح في كتاباتهما

تهديم البنى التعليمية الأصيلة والتضييق على التعليم الجزائري الحرّ، وفي المقابل عملت الإدارة الاستعمارية على تشجيع فتح مدارس التنصير الديني من قبل الحكومة الاستعمارية.

أما عبد الحميد الزهراوي، وبالرغم من التضييق الذي حاصر مشروعه الإعلامي والإصلاحي، إلا أنه استطاع أن يستفيد من الحركة التنويرية التي عرفها المشرق العربي، ويجد في مساره وخلال العديد من المحطات من يسنده في مواجهة الصعوبات والتحديات التي اعترضته، وذلك منذ صحيفته الأولى "المنير"، ومن بين الجماعات التي كانت تشكل رافداً لأفكاره "جمعية الاتحاد والترقي"، لما كانت في المعارضة، حيث عرفت كتاباته خلال هذه المرحلة بالانتقاد لأداء الحكومة وحثها على ضرورة الإصلاح، وبقي على هذا المنهج، ولم يمنعه الاعتقال والاقامة الجبرية من مواصلة الكتابة والنشر والتأليف في القضايا المهمة، والتي اثارت الجدل و منها رسائل في الطلاق ومقالات في "الفقه والتصوف".

إن انتشار أفكار الزهراوي وذيوعها في مختلف البلاد العربية، سهلت له عملية النشر في أغلب الجرائد والمجلات الإصلاحية في ذلك الوقت، ولم تكن تفرض عليه القيود التي كانت على عمر بن قدور، ما مكنه من الانصهار في الحركة الثقافية والفكرية الإصلاحية العربية، كما مكنه قربه من مصدر صناعة القرار في الأستانة بعد انتخابه في مجلس المبعوثان من التعرف أكثر على داء الانحطاط والتخلف، فجاءت مقالاته في جريدة الحضارة لتقدم الدواء لكل علل الدولة، كما يراها، وهو ما زاد من متابعه على غرار عمر بن قدور.

والملاحظ من خلال المسار الصحفي لعمر بن قدور وعبد الحميد الزهراوي هو التقائهم في عدد من الجرائد والمجلات مثل "الحضارة"، و"المنار" و"المؤيد"، ليشكلا من خلال كتاباتهما الإصلاحية منارة لحركة الإصلاح في مشرق البلاد العربية ومغربها، وكانت تجربتهما التي زوجت بين العمل الميداني (السياسي والاجتماعي)

## الفصل الثالث: المسار الصحفي لعمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي وتحدد مفاهيم

### النهضة والإصلاح في كتاباتهما

---

والعمل الفكري عنصر قوة لمجمل الأفكار الإصلاحية التي نادوا بها، والتي ملخصها أن المجتمع الصالح يجب أن يبنى على أسس عادلة.

كما أن كلا الرجلين تعرض للتضييق من السلطة السياسية الحاكمة ومن الشيوخ التقليديين، ما كلفهما النفي والابعاد وتوقيف مجلاتهما، نظرا لما كانت تمثله من خطر على السلطات الحاكمة في ايقاظ الشعوب من سباتها، وتربية الناشئة على قيم ومبادئ تهدد وجودها السياسي وسلطتها الاجتماعية وتحرر العرب من أشكال السلطة المستبدة والأمراض الاجتماعية.

أدرك الرجلان منذ البداية أهمية الصحافة والاعلام في تحقيق هذه الأهداف ولذلك حرصا خلال مسارهما على توجيه جيل من الصحافيين للموضوعات المهمة التي يجب أن تحظى بالبحث والمعالجة.

وما يمكن أن نستنتجه من مسار الرجلين، في هذا المضمار هو أن طريق الإصلاح محفوفة بالمخاطر، لكن إيمانها بالمشروع الاصلاحى الذي كرسا حياتهما لأجله، حوّل تلك الأخطار والصعاب إلى حوافز لإصلاح ما خربته السلطة السياسية والتقاليد والبدع.

## الفصل الرابع:

### رؤية عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي

### للإصلاح والتجديد ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

المبحث الأول: أهمية التعليم في مسار النهضة والإصلاح عند عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي

1- أهمية التعليم عند عمر بن قذور

2- أهمية التعليم عند عبد الحميد الزهراوي

المبحث الثاني: مسألة التجنيد عند عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي

1- مسألة التجنيد الاجباري عند عمر بن قذور

2- مسألة التجنيد عند عبد الحميد الزهراوي

المبحث الثالث: التجديد الديني عند عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي

أولاً: التجديد والإصلاح الديني عند عمر بن قذور

1- محاربة البدع والخرافات

2- الدعوة إلى الاجتهاد

3- موقفه من التصوف

ثانياً: التجديد والإصلاح الديني عند عبد الحميد الزهراوي

1- الدعوة إلى الإجهاد

2- موقفه من المتصوفة

خلاصة الفصل:



## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

إهتم كل من عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي ببعض القضايا التي كانت تمر بها المنطقة، وكان هدفهما الإصلاح والنهضة لشعبيهما، وقد شكل التعليم والتجديد الاجباري، بالإضافة إلى الإصلاح الديني، القاعدة الرئيسية لمنظورهما الفكري والإصلاحي في تلك المرحلة.

وقد سبق وأن أشرت إلى أن المشروع النهضوي في البلاد العربية والإسلامية، لم يتبلور إلى حد ما إلا بعد الحملة النابليونية (نابوليون بوناپرت) على مصر، التي حملت معها شعار الحداثة الأوروبية، التي قامت أصلا على ثلاثة دعائم هي: القوة، المنافسة، المعرفة. وهي الدعائم التي مثلت بالنسبة للعرب والمسلمين خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين؛ التوسع الاستعماري والتنافس الأوروبي والفكر التحديتي، ومن هذا المنظور شكلت الحداثة الأوروبية لديهم، مشروعاً للهيمنة والتقدم في آن واحد. فقد كشفت الأحداث، أن تلك الدول التي بشرت بالحرية والتقدم والسلام والرخاء لأوروبا والعالم بأسره، كانت تخفي وراء كل ذلك شيئاً آخر هو الاستعمار والسيطرة التي ضربت من خلاله بجميع القيم الإنسانية، بالحديد والنار، مناطقاً وشعوباً لتصبح تحت سطوتها وسلطتها، وقامت بسلب ونهب مقدراتها الاقتصادية والبشرية والثقافية، ونقلتها إلى أوطانها.

لقد كانت مواقف الرجلين من مختلف القضايا التي عايشاها في ذلك الوقت، بالاستناد إلى نصوص كتاباتهما وآرائهما في مختلف الصحف التي كانوا ينشطون بها، معبرة عن مدى نضجهم ووعيهم بالمخاطر المحدقة بالأمم العربية والإسلامية، ومن ثمة البحث عن حلول جذرية لحالة التراجع والانحيار الذي كانت تمر بها، والوقوف في وجه القوى الاستعمارية التي كانت تخطط لتشتيت العرب والمسلمين، وإيجاد الفرقة بينهم، والعمل لاحقاً على تجهيلهم وتفقيرهم حتى لا تقوم لهم قائمة.

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

المبحث الأول: أهمية التعليم في مسار النهضة والإصلاح عند عمر بن قذور  
وعبد الحميد الزهراوي.

### 1- أهمية التعليم عند عمر بن قذور

إن الوضعية المزرية التي كان عليها حال التعليم في الجزائر عقب الاحتلال الفرنسي، جعل بن قذور يولي اهتماما كبيرا له عبر مختلف نشاطاته التربوية والصحفية، وكان لا يرى معنى أو فائدة لأي مشروع نهضوي دون البدء في إصلاح التعليم، وربط تحقيق هذه الضرورة بوجود مدارس تعليمية حرة، مستقلة عن الإدارة التعليمية الاستعمارية الفرنسية، حيث كان مدركاً لواقع التعليم الفرنسي وأهدافه، نستشف ذلك من المقالة التي كتبها بجريدة "الهلال"، سنة 1907، التي أشار فيها إلى المسؤولية الملقاة على عاتق الأغنياء الجزائريين في العمل الإصلاحية. معتبرا تأليف أو تأسيس الجمعيات بمختلف توجهاتها، خاصة الثقافية والتربوية أولى الأولويات، مع الدعوة إلى تشييد لمدارس تعليمية لتحقيق التقدم لدى الشبيبة الجزائرية. مؤكدا على أن هذه المبادرات تعد من أرقى معالم الوطنية الحقة<sup>1</sup>.

وتأتي دعوة بن قذور المبكرة في سياق النزعة الوطنية الجزائرية، ومما ورد حرفيا في ذلك المقال ما يلي: "... أغلب سراة قطرنا الجزائري لا يرون للمال سبيلا سوى في الولائم والأفراح ومجالس اللهو على حين أنّ الله تعالى خصّصه لإغاثة الملهوف، وإقامة معالم الوطنية من تأليف الجمعيات والشركات ونشر الجرائد التي هي لسان الأمة وبناء المدارس لبث روح التقدم بين الناشئة..."<sup>2</sup>. وحث بن قذور هؤلاء الأغنياء على عدم تبذير الأموال فيما لا ينفع، والانفاق بسخاء في نشر العلم بين الجزائريين، مذكرا بأنه: " لا تكونوا معشر الخواص خواصا بالشعب، ذلك المجموع العظيم الذي بعلمه ومعرفته تتكون المجموعة الحيوية، وبجهله يقع الفشل العام وتندثر

<sup>1</sup> جريدة الهلال، العدد 11، 22 فيفري 1907.

<sup>2</sup> نفسه.

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

مرافق الحياة... اجتمعوا لتدبير الأموال المبلغة إلى غاية بث العلم في أذهان الأطفال المشوهين المغبونين تحت نير الجهل...<sup>1</sup>.

ويؤمن بن قذور حقا بأهمية نشر العلم بين أوساط الأفراد، لأن أكبر تحدٍ للإنسان عموما هو الجهل. ولهذا كان دائم التأكيد على أن: "نتيجة العلم هي الشعور بالجهل المطبق، أي الوعي الناضج القصور وتقصي سلوكيات أخلاقية واجتماعية، كّلها تقضي بنا إلى توصيف الحالة بانتشار الجهل"<sup>2</sup>. فالتعليم عنده هو حياة الشعب.. فبه يكون شعبا سعيدا وبدونه يكون شعبا شقيا"<sup>3</sup>، وهو إلى جانب ذلك وبالموازاة معه: "الدواء الناجح لإحياء موات القلوب وإنهاض الأمة من رقبتها"<sup>4</sup>، وقد شبه العلم في تنبيه الإنسان وتحريك حواسه ومداركه بالتيار الكهربائي المحرك لمختلف الآلات، وفي هذا التشبيه قال: "...فكذلك عوامل العلوم مع اختلاف طبائع البشر تنبه وتدير وتحرك مداركهم الروحية فتلهب منهم مشاعر اليقظة..<sup>5</sup>

وكان بن قذور يتحسّر أيضا على حالة أطفال الشعب الجزائري المسلم، التي تتسم بعقول سخيطة وأخلاق فاسدة وعدم التمكن من الصناعات، فتساءل عن المستقبل الذي ينتظرهم وهم في هذه الحالة.<sup>6</sup> وكانت رؤيته وقناعته تشمل تعليم البنات والبنين من الجزائريين، وهي الدعوة التي قال بها على صفحات الفاروق سنة 1913، فبرأيه أنه "بجهل المرأة المسلمة وأخلاقها الفاسدة نال الشعب من كوارث البدع ما ناله"<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> عمر بن قذور، "ساعدوا على التعليم"، جريدة الفاروق، العدد 21، 11 جويلية 1913م.

<sup>2</sup> عمر بن قذور، "نتيجة العلم (هي) الشعور بالجهل المطبق"، جريدة الأخبار، بتاريخ 26 ماي 1912.

<sup>3</sup> نفسه.

<sup>4</sup> عمر بن قذور، "التعليم والاقتصاد"، جريدة الصديق، العدد 02، 15 أوت 1920م.

<sup>5</sup> عمر بن قذور، الاسترشاد بالعلم والاستقلال"، جريدة واد ميزاب، العدد 39، 15 أوت 1927م.

<sup>6</sup> عمر بن قذور، "أبناء الشعب أمام المستقبل"، جريدة الأخبار، بتاريخ 21 ديسمبر 1913.

<sup>7</sup> جريدة الفاروق، 28 نوفمبر 1913.

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قدير وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

إنّ هذه الرؤية الإصلاحية الواعية بدور التعليم هي التي دفعت به سنة 1908 إلى انتقاد صديقه، الصحفي المصلح عمر راسم، وتأسّف تأسّفًا شديدًا لأنّه سعى مع مجموعة من النبهاء في مدينة الجزائر إلى تأسيس جمعية مسرحية تمثيلية، مسمّاة بـ "المنارة الجزائرية"<sup>\*</sup> وكان البديل الأوّل بالنسبة لعمر بن قدير آنذاك، هو حاجة الشعب الجزائري إلى جمعيات ذات بعد ثقافي تنويري بالدرجة الأولى، ومتابعة لهذه القضية كتب قائلاً " .. أفيقوا من غفلتكم يا إخواني وانزعوا عنكم هذا الغرور والخبول واسعوا في تسيير الشبيبة الجزائرية على طريق الناموس الطبيعي القاضي بأنّ الضروريات قبل الكماليات. فهل اعتقدتم بأنّ الشعب الجزائري بلغ مبلغ الكمال، فأردتم ختم عقل كماله بجوهر التمثيل..."<sup>1</sup>، ولم يكتف بنقد الخطوة بل حاول تقديم البديل وهو ما يتضح في قوله: "إنّ الناموس الطبيعي في ترقية الأمم وتطويرها، يكمن في وسيلة قوية النفوذ على حسبه، وهي وسيلة التعليم، المتأتية بعد " تأسيس جمعية إسلامية تعليمية تنشر بصيص العلم في البلاد وتجلب لها أساتذة أدباء عارفين بالتعليم العصري عالمين بالآداب الإسلامية فيقومون بتربية أبناء وطننا..."<sup>2</sup>.

ويقر بن قدير بأهمية التعليم في نهضة الأمم والشعوب، ويرجع سبب سيادة الأوروبين وتقدمهم يكمن في اهتمامهم بالعلوم، أما سبب تأخر المسلمين فيكمن على وجه الخصوص في جهلهم ، ولتوصيف هؤلاء وأولئك ، كتب مقالة في جريدة الفاروق بعنوان "نحن وهم"، ومما جاء فيها: "... هم دائما يتقدمون بعلومهم، ونحن نتأخر في كل وقت بجهلنا... هم أسياد في أوطانهم ونحن عبيد في أوطاننا، هم يؤسسون المدارس ويفتحون الكليات ونحن لا نفتح إلا المقاهي والحمامات ... فهم يتمتعون بلذة العلم ويطلبون زيادتها ونحن نستلذ مرارة الجهل ولا نشعر بها..."<sup>3</sup>

\* التي قد تكون أول محاولة جزائرية، لتأسيس فرقة مسرحية.

<sup>1</sup> جريدة الأخبار، بتاريخ 07 جوان 1908.

<sup>2</sup> نفسه،

<sup>3</sup> عمر بن قدير، " نحن وهم"، جريدة الفاروق، العدد 03، 23 أكتوبر 1920م.

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قدير وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

وانطلاقاً من هذه القنوات عارض بن قدير صراحة سياسة السلطات الاستعمارية في مجال التعليم من خلال كتاباته وحواراته المختلفة، ومنها معارضته الشديدة للمؤتمر الذي عقده "الكولون" شهر مارس من سنة 1908م، وكتب في جريدة التقدم، ينتقد رؤية المستوطنين في تعليم الجزائريين، والذين خرجوا من هذا المؤتمر بقرار ينص على ضرورة إلغاء قانون إجبارية التعليم الابتدائي، كونه - في نظرهم - يشكل خطراً كبيراً على مستقبلهم في الجزائر، فاستنكر بن قدير ذلك، وحث الجزائريين على ضرورة التصدي لمثل هذه القرارات الخطيرة، كاشفاً اللثام على أن هدف الكولون هو إبقاء الجزائريين على جهلهم حتى يتسنى لهم استغلالهم واستغلال خيراتهم، وأشاد في هذا السياق بموقف الصحفي الفرنسي "فيكتور باروكاند" (**Barrucand Victor**)\* الذي وقف ضد قرارات المؤتمر، وضد اليهود الذين كان لهم اليد الطولى فيه وفي قراره<sup>1</sup>.

لقد اتهم عمر بن قدير المستوطنين ومن ورائهم الإدارة الفرنسية بالعمل على تجهيل الجزائريين، وإخماد أي مشروع تعليمي لأهل الجزائر، ف "... من العجب أنه في الاجتماع الثالث لهذا المؤتمر... قام عمدة الكلام المسيو "إيمي" فندد على المسيو "البان روزي"، وفند مقاله المختص بصرف المائة والسبعين مليون في سبيل تعليم مسلمي الجزائر، وتكلم كلاماً يدور محوره على قوله "إن إصلاحنا للمسلمين وتعليمنا إياهم يكون خطراً عظيماً، يعود شره علينا"<sup>2</sup>.

---

\* فيكتور باروكاند (**Barrucand Victor**): أديب وصحفي فرنسي عرف بنزعه الإنسانية، ولد في 07 أكتوبر 1864م، وتوفي في 13 مارس 1934م بالأبيار (الجزائر العاصمة)، سخر قلمه وأدبه لخدمة قضايا الجزائريين العادلة، أطلق عليه الاستعمار صفة (محب العرب)، الأرابوفيلي (**Arabophile**). أنظر أكثر:  
- Jean-Michel Gouin, "Victor Barrucand, voyageur libertaire", **La Nouvelle République**, 14 août 2013.

<sup>1</sup> عمر بن قدير، "الجزائر لحضرة مراسلنا"، جريدة التقدم، العدد 29، 05 مارس 1908م.

<sup>2</sup> عمر بن قدير، "منتهى الشطط: بين جدران مؤتمر المعمرين"، جريدة التقدم، العدد 35، 30 أبريل 1908.

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

ويتساءل بن قذور في مقالته عن سر هذا التصرف الغريب من المستوطنين الذين يشعرون بأن حياتهم في خطر بالجزائر، مؤكداً على أن: "المقصود منه هو ذر الرماد في الأعين وتغيير القلوب وتوسيع هوة الافتراق والاختلاف بين مسلمي الجزائر والنزلاء (المعمرين)"<sup>1</sup>.

وكان بن قذور قد قدم مطالب إلى الحاكم العام "جونار"، ، آنذاك، منها، ضرورة إدراج ما سماه بـ "التعليم الإسلامي" تارة و"بالتعليم الديني" تارة أخرى في سياق سياسة فرنسا التعليمية المفرقة ما بين الحكومة والدين، وهذا ضمن البرامج التعليمية. ونقل في هذا السياق خطاباً للسيد عمار بوضرية، المستشار البلدي بمدينة الجزائر مؤرخاً في 24 فيفري 1911م، حث فيه الحكومة الفرنسية والحاكم العام على ضرورة انشاء المدارس وتهيئة المتعلمين المقتدرين من الوطنيين والأوروبيين، مع ضمان ت مدرس أكبر قدر من أبناء المسلمين، وليس المرفهين فقط،" نطالب بحماية الملكية الوطنية من المرابين وزجر جامعي الضرائب التي صرنا ضحاياها"<sup>2</sup>

وجدد بن قذور في هذه الأثناء دعوته إلى الأغنياء من المسلمين الجزائريين بضرورة الاجتماع والاتحاد لتأسيس "جمعية إسلامية مستقلة... ويؤسسون مدرسة أو مدرستين على التأسيس الموجود في مصر وتونس من التعليم الديني والعصري..."<sup>3</sup>، ويكون بذلك عمر بن قذور سابق لـ"مصطفى حافظ"، ولذلك اعتبر المؤرخ أحمد توفيق المدني بن قذور أول من فكر في تكوين هذا النوع من التعليم القرآني المنظم أو من المدارس القرآنية الحرة بالجزائر.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> عمر بن قذور، "منتهى الشطط: بين جدران مؤتمر المعمرين"، المصدر السابق.

<sup>2</sup> خطاب السيد عمر بوضرية، المستشار البلدي في عاصمة الجزائر، نقله عمر بن قذور وعلق عليه في جريدة المشير، العدد 20، 21 مارس 1911.

<sup>3</sup> عمر بن قذور، "صوت العلم"، جريدة الأخبار، بتاريخ 31 ماي 1908.

<sup>4</sup> ساحل، المرجع السابق، ص 134.

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

وظل بن قذور يحث العلماء والمفكرين على الاهتمام بالتعليم والتهديب أولاً، دون إضاعة الوقت في المشاريع السياسية التي لا تجدي نفعا وتقود -حسبه- "إلى مستقبل غامض"<sup>1</sup>، فقد حرص بعد إصداره لجريدة "الفاروق" على مواصلة دعوته لإنشاء مدارس التعليم، وحولها إلى حملة إعلامية مكثفة من أجل إحداث التغيير الاجتماعي والثقافي بالجزائر. وهكذا وفي مقال بعنوان " نحو المستقبل"، ذكر ما يلي: "... ابعثوا في الشعب نذيراً يحث القوم على إعانتكم وتأليف جماعة عرفانية تهيب وسائل تربية أبناء الشعب وبناته، فلعل المستقبل ينقلب إلى رحمة وعافية وسلام، وما ذلك عليكم لو تفقهون بعزیز"<sup>2</sup>. إنه يتحسر مرة أخرى على حالة أبناء الشعب الجزائري لذي استسلم لمصير البؤس وداء الجهل، وبذلك بات المستقبل مظلماً للبنين والبنات معاً. إن النهضة العلمية الإسلامية الإصلاحية، كما كان يسميها، تساعد على تجميع وتعزيز القومية والروح الجديدة في الحياة. لكن يبقى أحد شروطها " التقدم نحو المستقبل بأطفال مهذبين وشبيبة متعلمة" ولهذا يتساءل حاثاً الجزائريين " هل من نهضة إلى التقدم نحو مستقبل بمدارس هي ثكنات الصبيان يتدربون فيها على محاربة أهوال الغد..."<sup>3</sup>

وبناء على ما سبق، يعتبر بن قذور تربية الأطفال وتعليمهم مطلباً أساسياً، وحتى سياسياً، حفاظاً على الهوية الإسلامية الجزائرية، ولهذا دعا في مقال تحت عنوان "طور جديد للجزائر وللجزائريين" إلى سياسة إصلاحات تشمل النظام القضائي والمنظومة التعليمية، وداعياً في سياق ذلك إلى ضرورة فتح مدارس حرّة ذات أبعاد دينية وأخلاقية، وأن: "... حاجتنا إليها (أي فرنسا) أن تحترم قوميتنا ومثلتنا وأخلاقنا... وتسمح لنا بفتح المدارس لتهديب أبنائنا على وفق مقتضيات مصلحتنا ثم

<sup>1</sup> عمر بن قذور، "خطواتنا إلى المستقبل"، جريدة الفاروق، العدد 06، 06 نوفمبر 1920.

<sup>2</sup> عمر بن قذور، "نحو المستقبل"، جريدة الفاروق، العدد 40، 12 ديسمبر 1913.

<sup>3</sup> عمر بن قذور، "نحو المستقبل: هل من نهضة إلى التقدم بالتعليم"، جريدة الفاروق، بتاريخ 19 ديسمبر 1913.

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

مصلحتها... وذلك بالتعليم الديني، والأخلاقي على حسابنا والتعليم العمراني والعملي على حسابها...<sup>1</sup>.

فكان يرى أن تعليم الأطفال بمثابة السلاح الذي يمكن الأجيال من معرفة حقوقهم وواجباتهم، وبذلك يستطيعون مواجهة الظلم الاستعماري، وهو ما نستدل عليه ببعض ما ورد في مقاله التي نشرها في الفاروق في العدد التاسع عشر "... أعطوا اولادكم سلاحاً قاطعاً بواسطة تستطيعون مواجهة اللاعدالة وتضمنوا وجودهم وسعادتهم...<sup>2</sup>. واعتبر الأطفال الذين يتركون بدون تعليم "مصيبية على الشعب وحملات ثقيل على المجتمع البشري"<sup>3</sup>، لذلك كان يجزم بأن الشعب الذي لا يهتم بتعليم أبنائه ولا يأبه لمستقبلهم، شعب غبي وجامد، بل وصفه بغير المسلم، وفي هذا الصدد قال "... إن المسلم يلد ولكن شقي يلد شقياً وجاهل يلد جاهلاً، وما جعل الله المسلم شقياً وجاهلاً إلا لما كان غير مسلم عملاً وقولاً بل اتخذ غير الإسلام ديناً، وأخرج مولده فظاً غليظاً...<sup>4</sup>.

واصفا من جهة أخرى، المجتمع العازف عن التعليم بالمجتمع الميت، "فأحياءهم يمشون ويتحركون، لكنهم كالأنعام، فلو كانت الحياة متمكنة من قلوبهم لكانت أفواج أطفالهم تتزاحم على موارد المعارف بكرة وأصيلا، تجيء مزخرفة الصدر بوشاح العلم ومتمنقة بمنطقة الأدب تعرف الله عن توحيد خالص وإيمان راسخ .. وتعمل في ميدان الحياة بقوة تامة وعزيمة...<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> عمر بن قذور، "طور جديد للجزائر وللجزائريين"، جريدة الفاروق، العدد 49، 20 فيفري 1914.

<sup>2</sup> عمر بن قذور "دان النهوض ولم يدن"، جريدة الفاروق، العدد 19، 04 جويلية 1913م.

<sup>3</sup> عمر بن قذور، نحو المستقبل "جريدة الفاروق"، العدد 40، 12 ديسمبر 1913.

<sup>4</sup> نفسه.

<sup>5</sup> عمر بن قذور، " لينهض من القوم الأحياء"، جريدة الفاروق، العدد 46، 30 جانفي 1914م.



## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

وما نلمسه من خلال كتابات بن قذور، أنه لا يحمل مسؤولية التجهيل على السلطات الاستعمارية أو المستوطنين فقط، وإنما يحمل المسؤولية أكثر على علماء الجزائر خاصة الرسميين منهم وفي اعتقاده أن الانتشار الكبير للأمية والجهل وسط الجزائريين يعود بالدرجة الأولى إلى العلماء المتحجرين، وعديمي الضمير المهني والأخلاقي، حيث لا يهم هؤلاء إلا جمع المال والحصول على المناصب والنياشين، وفي نظره أيضا، أنه لا يمكن الاستفادة من علمهم مهما بلغت درجاتهم العلمية، وهذا ما ترجمته قصيدته المعنونة بـ "الضمير والأصداع"، التي نشرها أول مرة بـ "مجلة المشير"<sup>1</sup>. والتي عبر فيها عن تصوره لدور العلماء والمربين؛ الذين يجب أن يهتموا بصالح الأمة ويفكروا في حالها، لأن عملهم وإخلاصهم سيبعث فيها الأمل بالنهوض ومسايرة الأمم الأخرى، وكثيرا ما كان ينوه برجال الإصلاح والتربية المخلصين من أمثال؛ "المجاوي" و "بن زكري"، و"أطفيش"، ومن الرجال المخلصين الذين ذكر فضلهم على الوطن والدين، ووصفه بأنه "رجل الجزائر العظيم، بل بطل شمال إفريقيا" وهو "الأمير عبد القادر"<sup>2</sup>؛ وكان هدف بن قذور من وراء التنويه بأعمال هؤلاء الرجال والعلماء، هو استنهاض همم العلماء للسير على نهج الرواد، الذين كان هدفهم الأسمى النهوض بالمجتمع الجزائري رغم الصعوبات والعراقيل التي كانوا يواجهونها.

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وبمجرد إصداره مع التاجر محمد بن بكير لجريدة "الصدّيق" كما سلف ذكره، في شهر أوت سنة 1920، دعا مرة أخرى إلى ضرورة تجسيد مشروعه الإصلاحية من خلال التأكيد على مرتكز التعليم، لكن هذه المرة بفرض إجبارية التعليم، باللغتين العربية والفرنسية، وهو ما أشار إليه في افتتاحية العدد الأول من تلك الجريدة: "... إنهاض الشعب إلى العمل والاجتهاد والكّد لاسيما في سبيل بث المعارف بين كافة الطبقات خصوصا طبقة الشبيبة الصغيرة النابتة وأن

<sup>1</sup> عمر بن قذور "الضمير والأصداع"، مجلة المشير، العدد 39، 06 أوت 1911م.

<sup>2</sup> ساحل، المرجع السابق، ص ص 125، 126.

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قدير وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

يكون التعليم إجبارياً محرراً على الحظ الوافر من اللغتين لغة الدين وهي العربية العزيرة ولغة الجنس الحاكم أي الفرنسية التي تجعل المصالح المشتركة سهلة المآخذ...<sup>1</sup>.

فقد جعل بن قدير من التعليم شرطاً أساسياً للنهوض بالمجتمع الجزائري، و في هذا الإطار يذكر صالح خرفي بأن بن قدير كان أول من نادى صراحة بإجبارية التعليم الابتدائي سنة 1920م<sup>2</sup>. كما دعا على إكمال المراحل التعليمية ليس في مدارس الجزائر فقط، وإنما في مختلف مدارس العالم، وهذا ما يمكن لمسه في قوله "... ولعل النتيجة بعد التعليم الابتدائي تكون بتوصيل الهيئة العلمية إلى بعث إرساليات طلبة العلم نحو عناصره وموطنه، ومساعدتهم على التغذي بلبان المعارف في مدارس العاصمة ومدارس ما وراء البحار.."<sup>3</sup>.

ونستنتج مما سبق، أن عمر بن قدير كان مدركاً لأهمية التعليم، وعبر عن خطته الفكرية لتجسيد ذلك عبر مختلف المنابر التي أسسها أو كتب فيها، ونلمس ذلك بوضوح خاصة في سلسلة مقالاته في مجلة الفاروق في طبعها الثانية، التي نوها فيها بكل الجهود الإصلاحية المتنامية في الساحة الجزائرية، خاصة تلك التي لها علاقة بالنهضة التربوية العلمية والاقتصادية. فحينما دعا الأمير خالد الزعيم السياسي الجزائري إلى اجتماع بالمجلس البلدي لمدينة الجزائر في شهر أكتوبر من سنة 1920م، والذي تمحور حول ضرورة تأسيس جمعية للنهوض بالتعليم الحر للأطفال جزائريين، عبّر عمر بن قدير عن مساندته لهذه القضية الهامة وخصّص لها مقالا تنويهاً<sup>4</sup>. اعتبر فيه سعي الأمير خالد لتنفيذ مبدأ التعليم الابتدائي الإجباري، وفتح المدارس بالعاصمة وغيرها يحقّق النهوض المعوّل عليه من أجل تحقيق الحياة والبقاء

<sup>1</sup> عمر بن قدير، إفتتاحية العدد، جريدة الفاروق، العدد الأول، 12 أوت 1920.

<sup>2</sup> خرفي، المرجع السابق، ص 10.

<sup>3</sup> عمر بن قدير، "نحو النهوض"، جريدة الفاروق، العدد 04، 29 أكتوبر 1920م.

<sup>4</sup> جريدة الفاروق، العدد 02، بتاريخ 15 أكتوبر 1920.

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

برغم الاستعمار الجاثم على تراب الجزائر منذ ما يقرب من قرن، -أي لغاية زمن كتابته لهذا المقال-، وذكر بدوره الشخصي في التتويه لهذه المسألة قبل بداية الحرب العالمية الأولى قائلاً " هذا شعور شريف طالما حولنا الأنظار نحوه وبسطنا المقالات الضافية في "الفاروق" القديم لإقامته بين أنصار المترفين مَنّا مقام الاعتبار والاهتمام..."<sup>1</sup>، وحسبه فإن المشروع التعليمي لا يمكن أن يتحقق إلا إذا تكاثفت الجهود بين كل شرائح المجتمع<sup>2</sup>.

وكان قبل ذلك بفترة وجيزة قد أورد في مراسلته لـ "مجلة الوزير" التونسية مطالب النواب الجزائريين حول اللغة العربية والتعليم موقعة من طرف الأمير خالد، والتي تم تدارسها في الجلسة المنعقدة في 02 جوان 1920، والتي جاء فيها: "... إن تقدم شعب لا يكون إلا بلغته وخصوصاً إذا كانت هذه اللغة فسيحة ومنتشرة في العالم أجمع...ومن واجب الحكومة أن لا تهمل هذه اللغة التي هي لغة الملايين من رعاياها المسلمين، نود أن تُبدل هيئة التعليم العقيمة الجاري العمل بها الآن في أندية العلوم بالجزائر بهيئة أحسن منها، مؤسسة على القواعد العصرية... وأن تخصص المكاتب التي يتردد عليها تلاميذ المسلمين وقتاً كافياً لدرس العلوم الدينية... وأن تأذن الحكومة في التعليم الحر... وأن تطبق (الحكومة) بغاية الصرامة القانون الذي يجعل التعليم إجبارياً في الجزائر"<sup>3</sup>.

وكان من ثمرات دعوته الإصلاحية، أن تأسست جمعية علمية بجامع المرحوم مصطفى الأكل بمدينة الجزائر، في شهر أكتوبر سنة 1920. فاعتبرها من سمات النهضة العلمية والثقافية بالجزائر، ولم تمض إلا سنة واحدة حتى تأسست "جمعية الشبيبة الإسلامية" في شهر ديسمبر 1921، وكان من المنادين بها وأحد أعضائها.

<sup>1</sup> عمر بن قذور، "تحو النهوض" جريدة الفاروق، العدد 03، بتاريخ 22 أكتوبر 1920.

<sup>2</sup> نفسه

<sup>3</sup> عمر بن قذور، "مراسلة أحوال الجزائر" مجلة الوزير التونسية، العدد 13، 05 جويلية 1920.

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

وفي شهر أكتوبر من سنة 1923 حصلت "جمعية الشبيبة الإسلامية لتَهذيب الهياة الاجتماعية" على التأسيس الرسمي لمدرستها بصدور الرخصة القانونية. وقد تمّ تشكيلها حسب عمر بن قذور من قبل طائفة من مفكري العاصمة<sup>1</sup>.

وكان أول رئيس لهذه الجمعية سنة 1922م، هو السيد رشيد بطحوش<sup>2</sup>. تم لاحقا تجديد مجلس إدارة "جمعية الشبيبة الإسلامية الجزائرية" في شهر أبريل من سنة 1924، وكانت هذه المرة تحت رئاسة السيد يوسف قرطوبي\*. وقد عملت الجمعية على تأسيس مدرستها بمدينة الجزائر، وافتتاحها رسميا في 11 ديسمبر 1923، مع تعيين عمر بن قذور الجزائري كأول مدير لها. ولقد أشارت جريدة "التقدم" إليه حينما ألقى محاضرة حول "التعليم"، بصفة "الصحافي القديم الشهير الأستاذ الشيخ عمر بن قذور الجزائري..."<sup>3</sup> الذي لم يتولّ إدارة مدرسة جمعية الشبيبة الإسلامية فقط، بل كان أستاذها الأول أيضا، وواضع برنامجها التعليمي، الغريب حقا من الناحية التاريخية أن يتمّ تناسي أو إهمال مسؤوليته ودوره ونشاطه التعليمي في هذه المدرسة العصرية.

وقد أكد عمر بن قذور بأن جمعية الشبيبة الإسلامية الجزائرية ليست هي باكورة الجمعيات الإسلامية في البلاد، بل سبقتها جمعيات كثيرة لكنها ذهبت وتلاشت، بسبب فساد المقاصد والأهداف، وفي محاضراته لدى افتتاح المدرسة، المذكورة سابقا، عبر عن التصميم والعزم الراسخ لأعضائها ي سبيل الغرض السامي الذي تأسست لأجله، أي تهذيب الهياة الاجتماعية وتعليم أطفال الفقراء وتربيتهم،

<sup>1</sup> جريدة التقدم، بتاريخ 01 ديسمبر 1923

<sup>2</sup> جريدة الصديق، بتاريخ 27 فيفري 1922.

\* أعضاء مجلس الإدارة هم: آيت جاود، دامرجي محمد علي، بليلي محمد السيد بو الأصنام، دامرجي يوسف، مرعوبي يحي، بطحوش الرشيد المستشارون: زيتوني علي، الجزائري علي، مصطفى بن إسماعيل.

<sup>3</sup> جريدة التقدم، بتاريخ 15 ديسمبر 1923.

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قدير وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

بعدما عجز النظام التعليمي الاستعماري في استيعاب أبناء الشعب الجزائري والتكفل بهم<sup>1</sup>. وهي الحقيقة التي سوف يقرها في نفس السنة، ومن باريس الزعيم السياسي الأمير خالد، من خلال عرضه لحصيلة الأرقام، حول الحالة التعليمية للجزائريين حيث ذكر أن عدد المدارس الأوروبية بالجزائر يضم 110.000 تلميذ لتعداد سكاني (أوروبي) يبلغ 700.000، وأن عدد المدارس الأهلية يضم 38000 تلميذا لتعدادي سكاني (للجزائريين) يبلغ 5 ملايين، وأن هذا العدد مبالغ فيه كذلك<sup>2</sup>.

وتظهر هذه الأرقام التي كان يذكر بها بن قدير، سر اهتمامه بالتعليم الحر، وحثه لجميع أفراد الشعب لمؤازرة ومساعدة الجمعية القائمة بهذه المدرسة. مؤكداً على أن "... عمل جمعية الشبيبة الإسلامية عمل صغير في ذاته كبير في معناه، لأنه بالمثابرة والمواظبة يحدث لها مستقبلاً زاهراً بالعمل، بتأييد ثقة العامة فيها وفي مشروعها. وروح عملها - هذا الصغير - الصدق والإخلاص...."<sup>3</sup>.

وكانت المدرسة الابتدائية للشبيبة، تعمل على تدريس وتلقين مبادئ اللغة العربية وكتابتها وحفظ أجزاء أو ما تيسر من القرآن الكريم، وتعليم أحكام تجويد وترتيل القرآن الكريم، ومبادئ تلاوته، وتدريس مبادئ النحو، وتقديم دروس في التربية الدينية في سياق الشعائر والأخلاق الإسلامية، وبعد ستة (06) أشهر من افتتاحها، كان هناك أربعون صبياً وصبية قد التحقوا بها وأصبحوا يقرؤون العربية ويكتبونها، فلم تستهدف هذه المدرسة الأولاد الذكور فقط وإنما أيضاً البنات، ومن ثمة يظهر أنها كانت رائدة في التأكيد على ضرورة أن يشمل التعليم الإناث بالنسبة لتلك الفترة<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> جريدة التقدم، بتاريخ 15 جانفي 1924.

<sup>2</sup> Mahfoud Kaddache, *L'Emir Khaled : Documents et témoignages pour servir à l'étude du Nationalisme Algérien*. Alger : OPU- Alger – 2009, P 161.

<sup>3</sup> جريدة التقدم، بتاريخ 15 جانفي 1924.

<sup>4</sup> نفسه.

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

وهذا الفضاء جعل عمر بن قذور يواصل نشاطه التعليمي مع إدارته للمدرسة وعضويته لمجلس إدارة الجمعية الجديد، حينما تم إعادة انتخابه في شهر جوان من سنة 1926م\*، وهذا لانغماسه في العملية التعليمية الأمر الذي لم يمنعه مواصلة نشاطه في الكتابة لصحيفة "التقدم"، وقد غلب على مقالاته في هذه الأثناء مسألة التعليم، وضرورة مواصلة تأسيس المدارس<sup>1</sup>.

### 2- أهمية التعليم عند عبد الحميد الزهراوي:

بعد إعلان الإصلاحات الدستورية في الدولة العثمانية\*\*، عملت السلطات على تأسيس المدارس السلطانية، وفق قانون التعليم العثماني الصادر سنة 1869م، والخاص بإصلاح التعليم في جميع مراحلها، بموجب هذا النظام توسعت عملية إنشاء المدارس في بلاد الشام، وأصبح لها نظام تعليمي رسمي، يشمل جميع المراحل من الابتدائية إلى الجامعة، يقوم على تدريس اللغة التركية، ويعمل على نشرها وتعميمها،

\* تم تعيين محمد علي دامرجي رئيسًا للجمعية.

<sup>1</sup> عمر بن قذور، "حي على التعليم" جريدة التقدم، بتاريخ 25 جانفي 1925.

\*\* الإصلاحات الدستورية: هي إصلاحات تستوحي التجربة الأوروبية إلى حد بعيد، وهدفها تغيير نظام الإمبراطورية العسكري والإداري، وإرساء هذه الإمبراطورية على أسس فكرية وقانونية جديدة. أو هي إصلاح المجتمع وفق أنظمة سياسية تستوحي التجربة الأوروبية القائمة على الحرية والعدالة والمساواة، متجسدة في مجالس نيابية منتخبة، وكانت تهدف هذه الإصلاحات إلى تنظيم أمور الدولة وفق النموذج الأوروبي، وإعادة اللحمة إلى المجتمع العثماني، على أسس اجتماعية واقتصادية وسياسية جديدة تحت شعار ما عرف بالعثمنة، وإلغاء التناقض بين جميع طوائف السلطنة = وقومياتها، وربط الولايات جميعها بالمركز والقضاء على كل أشكال الاستقلال الأسري، ونفوذ العصبية المحلية الموروثة في السلطنة، وقد تمت التنظيمات في مرحلتين:

المرحلة الأولى: التنظيمات الخيرية، وبدأت من سنة 1839م إلى سنة 1876م، وتشمل عصري السلطان عبد المجيد الأول والسلطان عبد العزيز الأول.

المرحلة الثانية: تعرف بالمشروطة وتشمل عصر عبد الحميد الثاني، من عام 1876 إلى 1908. أنظر أكثر:

- وجيه كوثراني، السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ ولاية العثمانية في بلاد الشام، ط1. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1988، ص82.

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

وهذه المراحل الدراسية هي؛ المرحلة الابتدائية والمرحلة الرشدية والمرحلة الإعدادية والمرحلة الجامعية<sup>1</sup>.

أما فيما يخص المنشآت التعليمية، فقد نشطت إدارة المعارف بولاية الشام في بناء المدارس وذلك بفضل إيرادات صندوق المعارف المتنوعة، كالمخصصات الأميرية والإعانة السنوية التي تُحصل من الأهالي، ومخصصات الأوقاف والإعانات المنقرقة والرسوم التي تُحصل من طلبة المدارس السلطانية، وتحت الحاح النواب العرب في مجلس المبعوثان- ومنهم عبد الحميد الزهراوي- فقد تم فتح بعض المدارس التي تدرس اللغة العربية<sup>2</sup>.

ورغم الإصلاحات التي قامت بها السلطنة في مجال التعليم، ظل مستوى المدارس السلطانية دون المستوى مقارنة بنظيراتها التي أسستها البعثات التبشيرية في سوريا ولبنان، ولم تستقطب إلا عددا قليلا من الطلاب الطامحين للحصول على وظيفة في إدارات الإمبراطورية بالأستانة أو إحدى ولاياتها، واحتلال مكانة في "الجهاز البيروقراطي" المتنفذ في ذلك الوقت، وقد استقادت المدارس التبشيرية في ظل نظام الامتيازات الأوروبية بحرية في التعليم لم تتمتع بها المدارس الحكومية ذاتها، حيث عمل المدرسون الأجانب على استمالة تلاميذ المنطقة إلى بلادهم، ومن أمثلة هذه المدارس في بلاد الشام نذكر؛ مدرسة "العاشرين" للذكور، ومدرسة "الروم الأرثوذكس"، والمدرسة "الانجيلية"، والمدرسة "البطركية الكاثوليكية السريانية"، ومدرسة "الأرمن اليعقوبين" والمدرسة "الإنجليزية اليهودية"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، ط1. القاهرة: دار الشروق، 1982م، ص ص 218،

<sup>2</sup> عبد العزيز محمد عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا 1864-1914. مصر: دار المعارف، ص 289.  
<sup>3</sup> Stephen Hemsley Longrigg, *Syria and lebanon under french mandate*. London : Oxford University Press, 1958, p 43.

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

وكان لعدم امتداد يد الإصلاح إلى المؤسسات التعليمية التقليدية في بلاد الشام، وانفصال المدارس الحكومية رسمياً عن إشراف العلماء، ووضعها تحت إدارة وزارة المعارف ذات الصبغة العلمانية، أن أتاح للمسيحيين وبفضل مؤسساتهم التعليمية (المدارس التبشيرية) تحقيق قفزات واسعة في النواحي التعليمية والثقافية على حساب المسلمين<sup>1</sup>. وأدى أيضاً إلى اتساع وتعميق الهوة بين التعليم الديني والتعليم العلماني، الذي أدى بدوره إلى ازدواجية ثقافية في المجتمع الشامي، وولاءات ثقافية-سياسية للطوائف المسيحية بالدول الأجنبية والارتباط بها.

وقد أشار "سليم أفندي سلام"، مبعوث بيروت بمجلس المبعوثان في خطبة له بتاريخ 14 جويلية 1914، إلى هذه الوضعية التي صار إليها التعليم، وبواقع المدارس الحكومية المزرى، قائلاً: "تكتفى وزارة المعارف، بأن تقول عندي مدارس سلطانية كذا ومدارس إعدادية كذا، لكنها لا تفكر في هذه المدارس...إنها تعين لتدريس اللغة العربية الشريفة أناسا ليست معارفهم بها أكثر من معارف العوام، وهي تعين مديرين تبرا الإدارة من الله منهم...كل هذه الأسباب جعلت مدارسنا الرسمية في الانحطاط الذي تعرفونه.."<sup>2</sup>.

وأمام حالة تدهور الأوضاع التعليمية في بلاد الشام، ووفقاً لقانون التعليم الجديد افتتحت المدارس الأهلية في كل من دمشق وحلب وبعض المدن السورية الأخرى، تحت إشراف جمعيات خيرية، ورغم تزايد المدارس إلا أن التعليم في بلاد الشام ظل في مستويات متدنية، وهو ما أكد عليه الزهراوي في مقالة له في "مجلة المنار": "... إن التعليم فيما أعلمه من البلاد الإسلامية، كله رديء، وأعلم منها حق العلم حال أكثر بلاد الشام وعامة البلاد المصرية وعاصمة بلاد الترك وأعلم بعض العلم شيئاً من

<sup>1</sup> عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ص 219، 220.

<sup>2</sup> الحلاق، المرجع السابق، ص 54.



## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

حال التعليم في العراق وفارس والأفغان والهند وتونس ... أقول كله رديء بحيث لا يصح أن يقال إنه في بلد خير منه في بلد أخرى..<sup>1</sup>

وكان الزهراوي في خضم هذا الصراع، يريد لأبناء وطنه أن يتزودوا بكل علم نافع، أيا كان مصدره. وكان لا يخفى توجسه من المطامع الأوروبية في البلاد، فكان يحث دوما الشباب على طلب العلم، وخاصة الفتيات، وقد حرص في كل مناسبة على الحث على تعليم البنات "فالأم هي المربية الأولى"<sup>2</sup>. لأنه كان يدرك دور المرأة في التربية والتنشئة الاجتماعية والسياسية للأجيال.

ونظرا لأهمية دور المرأة في المجتمع، كان يرى أن هذه الأخيرة يجب أن تأخذ قسطا من التعليم خاصة في بعض النواحي، وأن ذلك تكملة لتعلمه شؤون البيت "فيجب أن يتعلمن (البنات) تدبير المنزل وأمور بيتهن، ولست أدري لماذا لا يتعلمن (البنات) اللغة العربية أيضا وتاريخنا المجيد، والسيرة النبوية كما يجب وكما ينبغي" ويتابع ردا على انتشار المدارس التبشيرية "أما تعليمهن لغات الأجنبي فلا أجد له معنى، وهذا الموضوع بذاته يستحق كلاما كثيرا"<sup>3</sup>.

ولعل الزهراوي كان يقصد من خلال عبارة "كلاما كثيرا"، في الأساس التعبير عن تخوفاته من تسرب عادات الأجنبي وأنماط سلوكهم وقيمهم عبر لغتهم إلى عقول ونفوس نساء سوريا، على اعتبار أن اللغة حاملة لوعاء الفكر والقيم، فينخدعن بالقشور عن اللباب وبالتوافه عن الأمور الأخطر والأجدر"<sup>4</sup>

<sup>1</sup> عبد الحميد الزهراوي، "كيف يكون النقد؟ كلام في كتاب التعليم والإرشاد ومسائل شتى"، مجلة المنار، المجلد السادس. المصدر السابق.

<sup>2</sup> عبد الحميد الزهراوي، "الأفراد والجماعات"، في مجلة الإنسانية. السنة الأولى. الجزء الثامن 19/11/1910  
انظر: لأعمال الكاملة، الجزء الثاني، المصدر السابق، ص 428.

<sup>3</sup> نفسه.

<sup>4</sup> عبد الحميد الزهراوي، "الأفراد والجماعات"، المصدر السابق،

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قنور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

وعمل الزهراوي على أن تتبوأ المرأة المكانة التي تستحقها عن طريق التعليم، وهو حين ألف كتابه الشهير "خديجة أم المؤمنين"، أراد من خلاله تقديم صورة واضحة على أهمية التربية والتعليم في تكوين المرأة، وعن مدى ما يمكن أن تبلغه من سمو، ويجري على يديها من النفع، ويقنع الناس برد حقوقها المشروعة، والعناية بتعليمها وترقيتها، وقد كان هذا من أهم أهدافه..<sup>1</sup>.

شكل إصلاح التعليم مطلباً نهضوياً أساسياً لدى عبد الحميد الزهراوي، بناء على تشخيصه لأزمة الانحطاط الذي تعرفه الدولة العثمانية والولايات العربية، ورأى أن الدواء أولاً في تنوير الأفكار بالتعليم، "فالإسلام الذي غرس في نفوسنا حب الحقائق، وقوى عزائمنا على قول الحق... وهو الذي عرفنا قيمة العقل، وهدانا إلى نقد النقل"<sup>2</sup>.

ويرجع الزهراوي ضعف التعليم في البلاد العربية، إلى غياب روح النقد والاستسلام المفرط لآراء السلف، وأخذ أقوالهم على أنها مسلمات، دون تمحيص أو تدقيق، من طرف بعض الشيوخ والمعلمين، مما أدى إلى العطالة الفكرية التي انتجت بدورها عطالة في مختلف الميادين، وأدت إلى تخلف الأمة وضعفها. ولذلك يتهم بسخرية لاذعة على أولئك الذين أهملوا عقولهم، وهو ما تدل عليه عباراته التالية: "استحسان كل المعقولات فمن أهل الفكر نتيجة نظر وتأمل، ومن أهل التقليد نتيجة ثقة بالمقلدين، والأولى أن لا يعد استحسان هؤلاء استحساناً لأننا إذا أدخلناهم في صف من لا فكر لهم من المخلوقات لم يكن عملنا غير الصواب لأنه هو المطابق لروح الواقع"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> نجاح العطار، "الزهراوي في كتابه خديجة أم المؤمنين"، في كتاب مهرجان الفكر والعقيدة لتكريم نكري عبد الحميد الزهراوي. دمشق: المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، 1963. ص 44.

<sup>2</sup> عبد الحميد الزهراوي، "الفقه والتصوف"، الأعمال الكاملة، الجزء الأول، المصدر السابق، ص 26.

<sup>3</sup> عبد الحميد الزهراوي، "نظام الحب والبغض"، مجلة المنار، المجلد السادس، الجزء التاسع، 26 جويلية 1903، ص ص 340-345.

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قنور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

كما أن المقلدين لا يقدمون للطلاب سوى محاربة الاجتهاد، وإغفال العقل، وتقديس آراء السلف، وفي هذا الصدد يقول الزهراوي: "أصبحنا نحن بين ثلاث: إمّا شهادة أن لا عقول إلا عقول الأقدمين، ولا فضل إلا فضلهم، وإمّا السكوت أمام الذين يقولون ونحن صاغرون. وإمّا الجدل وقول الحق في ما نعلم"<sup>1</sup>.

وأمام هذا الوضع الذي يعاني من التردّي والانحطاط، خاصة في الناحية التعليمية والمعرفية، سعى الزهراوي إلى تبيان الدور الرئيسي للعلم والتعليم في رقي الأمة، كما تنبه إلى أن المدارس الحكومية بمناهجها التقليدية و"التلقينية" تخرج نسخاً مشوهة وممسوخة، وأن طلاب العلم لا يطلبون إلا لما يرجونه من منافع شخصية.

فالعقل كما يذهب إليه الزهراوي، هو الميزة الأساسية التي تميز الإنسان عن غيره من المخلوقات والتي صار من خلالها إنساناً ف: "نحن نعلم أن الإنسان من حيث طبيعته في الوجود ليس إلا حيواناً يتغذى كما يتغذى ويتناسل كما يتناسل، وإنما يمتاز الإنسان بزيادة الإدراك وميله للتكامل... إن وجود العقل لدى الإنسان هو أساس التكليف "تالله ما خلقنا سدى"، والله حين وهب العقل للإنسان فمن أجل أن يستفيد منه، وأن يستخدمه "الإنسانية تلك القوى التي أوتيتها الإنسان وقيل له أن الشكر على هذه القوى أعمالها وكفرانها إهمالها"<sup>2</sup>، وإعمال العقل مثلما يراه الزهراوي يدل على فهم طبيعة الأشياء وسنة الوجود، ومن ثمة "حاشا لأمرئ أوتي ذرة من فهم الحكم في الوجود أن يسمح بإهمال استعداد العقل لم يمنحه الله للعباد سدى"<sup>3</sup>.

ولأن العلم ليس غاية في حد ذاته، بل وسيلة أساسية وأكيدة للرفي الفكري والحضاري للبلاد والعباد، فقد دعا الزهراوي إلى ضرورة الربط بين نيات طلاب العلوم وبين مطالب البلاد، وإلى أن تتوخى العملية التعليمية المصلحة العامة لا المصالح

<sup>1</sup> عبد الحميد الزهراوي، "الفقه والتصوف"، المصدر السابق . ص 23.

<sup>2</sup> نفسه، ص 52.

<sup>3</sup> نفسه، ص 14.

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

الشخصية، وأن يتوافر لدى الأمة الاستقلال الفكري ونبذ التقليد، وإن يتمسك الشباب بعقولهم، وأن يرد كل واحد منهم العقل المستعار لأربابه وأن لا يكتفى بالعقل الغريزي؛ أي بمعنى استعداده الطبيعي للتعلم والتفقه الذي يقوى عادة في سن الشباب، وإنما يحرص على الاستعانة أيضا بـ "العقل المستفاد"؛ أي الاستعانة بتجارب والحوادث الحياتية والتفكير والتأمل في المشاهدات الطبيعية".<sup>1</sup>

وما يمكن أن نستنتجه من رأي عبد الحميد الزهراوي في مسألة التعليم، هو أن الرجل كان مفكرا تقدما بكل ما تعنيه الكلمة من أبعاد، حيث وجه كل اهتمامه للمستقبل وما يجب تقديمه لأبناء الشام من المعرفة والعلم للخروج من حالة التخلف واللاحق بركب الأمم المتطورة، رافضا رفضا مطلقا طرق التدريس والتلقين التي كانت سائد في ذلك العصر، وحذر عبر مقالاته العديد من خطر المقلدين على الناشئة، ودعا إلى التحرر من كل أشكال القهر والتسلط وتهيئة الأذهان والنفوس لتقبل الأفكار والمبادئ المتحررة من سلطة التقليد، وقد تمثلت ملامح التجديد عنده، فيما يلي: الإيمان بالعقل الإنساني وقدراته، الرفض المطلق لمقولة هذا ما جاء عن السلف، ورفض العادات الموروثة عندما تصبح غير مناسبة للعصر وعباً عليه، وضرورة الاستفادة من إنجازات الأمم الأخرى.

<sup>1</sup> عبد الحميد الزهراوي، "إلى شباننا" الاعمال الكاملة. المصدر السابق. ص173

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

المبحث الثاني: مسألة التجنيد عند عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي.

### 1- مسألة التجنيد الإجباري عند عمر بن قذور

عارضت النخب الفكرية الجزائرية التجنيد منذ أن كان مجرد مشروع في أروقة البرلمان الفرنسي وأجندات وزراء الحربية، وشنت حملة ضده في صحفها ونواديها، بل حُرّضت الجزائريين على عدم الامتثال لأوامر الإدارة الاستعمارية والفرار من منازلهم.

وكان بن قذور من بين هؤلاء الصحفيين والمفكرين الذين عارضوا تجنيد الجزائريين، واحتلت المسألة مساحات واسعة من انشغالهم بمعارضتها والتصدي لها واعتبارها من المسائل التي لا تقبل التردد أو الغموض في الموقف، بل يجب الجهر بكل وضوح بمعارضتها من على كل المنابر وال ميادين وخاصة الاعلامية منها، لذا سجل مواقفه الجريئة في مختلف الجرائد والمجلات التي كان يرأسها ومنها على وجه الخصوص الصادرة بالبلاد العربية وعاصمة الدولة العثمانية والجزائرية في المقام الأخير.

وتعد مسألة تجنيد الأهالي، من القضايا التي اهتم بها عموم الجزائريين، وشغلت بالهم و أفكارهم وأشعلت في قلوبهم نار اليأس والقنوط، حتى أنهم لو وجدوا الفرار سبيلا لما بقي في أرض الجزائر إلا المستضعفين من الرجال والنساء، وكان الاهتمام الفرنسي بتجنيد الجزائريين منذ بدايات الاحتلال، حيث زجت سلطات الاستعمارية ببعض أبنائهم في مواجهة المقاومين لها، وقد كان الكونت "دي بورمون"، أول من لجأ لها كجزء من السياسة الاستعمارية للسيطرة على الشعوب<sup>1</sup>.

وبعد تعيين الجنرال "كلوزيل" على رأس جيش الاحتلال خلفا للكونت "دي بورمون"، وجد الأول نفسه مضطرا إلى التعامل مع الشعب الجزائري من دون واسطة،

<sup>1</sup> محمد الصالح بجاوي، متعاونون ومجنودون جزائريون في الجيش الفرنسي 1830-1918، ط1. الجزائر: دار القصبية للنشر، 2009، ص 31.

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قدير وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

مستفيدا من الخطوات التي قطعها سلفه مع بعض "القبائل الزواوية"، التي تم تجنيدها في صفوف جيش الاحتلال وفق الاتفاق المبرم معها في 25 أوت 1830، والتي بلغ تعدادها في عهد الكونت "دي بورمون" 500 فارس<sup>1</sup>،

واصل الجنرال "كلوزيل" إدارة حملته العسكرية بالجزائر على نمط سابقه، واتخذ قرارا يقضي بتخفيض عناصر جيش الاحتلال إلى الثلث، وكتب من أجل ذلك لوزير الحربية الفرنسية بتاريخ 06 سبتمبر 1830 يعلمه بإمكانية سحب ثلثي الجيش الفرنسي من الجزائر. لأن بقاء 10000 جندي في هذه المستعمرة حسبه "كفيل بقدرة الحكومة على المحافظة على احتلال مدينة الجزائر، وكذا مواصلة احتلال مدينتي وهران وعنابة"<sup>2</sup>.

قام الجنرال كوزيل بإنشاء فيلقين من المجندين الجزائريين بتاريخ 01 أكتوبر 1830، وقد دعم هذا القرار فيما بعد بالأمرية الملكية بتاريخ 21 مارس 1831م، وأطلق على هذين الفيلقين تسمية الزواويين (les Zouaves) الذين كانوا معروفين قبل مجيء الفرنسيين بخدماتهم العسكرية في عهد الدايات<sup>3</sup>، وقد اعطي اسم الزواويين لهذه الكتائب التي استقبلت في صفوفها بعض أبناء الجزائريين من دون تفرقة في الأعراق والمذاهب أو بين سكان المدن والأرياف. ثم إن وجود الضباط الفرنسيين الذين لا يفهمون لغة أهل البلد، جعلهم يشعرون بالخوف والوحشة وسط هؤلاء الغرباء عنهم، ولذلك كان من الضروري تجنيد فرنسيين أو أروبيين متطوعين أيضا وسط هؤلاء الفصائل الزواوية<sup>4</sup>، والذين يتقنون الحديث بلغة المجندين.

<sup>1</sup> بجاوي، متعاونون ومجنودون جزائريون... المرجع السابق، ص 33.

<sup>2</sup> G.G.A: Correspondances du Général Rovigo, T.1, par Esquer Gabriel, Ed: Typographie Adolphe Jourdan, imprimeur de l'université, Alger 1914, p 06 .

<sup>3</sup> عاشور شرفي، معلمة الجزائر: القاموس الموسوعي، تاريخ، ثقافة، أحداث، معالم وأعلام، ط1. الجزائر: دار القصبية للنشر، 2008، ص 778.

<sup>4</sup> بجاوي، المرجع السابق، ص 20.

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قدير وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

ولم يكتف الفرنسيون باستغلال المجندين الزواويين وقبائل المخزن في معاركهم الطاحنة التي كانوا يخوضونها ضد المقاومين الجزائريين، بل عمدوا كلما اقتضت الحاجة إلى تجنيد الأهالي، وكان من بين الفرق التي تعاملت مع الجيش الفرنسي؛ فرقة "القومية" بزعامة الأغا "مصطفى بن إسماعيل" التي ساهمت في تحطيم مقاومة الأمير عبد القادر بالقطاع الوهراني، وفي الشرق كان "القومية" من أتباع "ابن قانة" شيخ العرب البسكري على اتفاق مع الجنرال غالبوا، الذي قدم الأموال والهدايا لزعيمهم مكافأة له على عمله الجبار في مقاومة أتباع الأمير عبد القادر<sup>1</sup>.

وواصلت القوات الفرنسية في تجنيد الأهالي المتعاونين معها في صفوفها، بطريقة غير نظامية، ولا تكلف الخزينة الفرنسية أية مصاريف إضافية، لكنهم يشكلون بالنسبة لها دعماً لوجيستياً في مواجهة انتفاضات الجزائريين، إلى غاية صدور قانون التجنيد الإجباري سنة 1912.

وقد كان "قانون الأنديجينا" التعسفي في حق الأهالي الجزائريين يمثل أحد الصور القمعية للإدارة الاستعمارية، بما حوى من قوانين استثنائية يُعامل بها الجزائريون، والتي كان بسببها يتعرضون للنفى والتهجير. بالإضافة إلى عملية اغتصاب الأراضي وانتزاع ملكيتها من أصحابها، ثم تسلّم للمستوطنين الفرنسيين والأوروبيين معاً<sup>2</sup>.

كان موقف غالبية الجزائريين معارضاً لهذا المشروع، إلا أن هناك قلة من تيار "الشبيبة الجزائرية" المؤيد لسياسة التجنيس أيضاً أعلنت موافقتها حوله، وعن موقف

<sup>1</sup> بجاوي، المجندون الجزائريون.. المرجع السابق، ص 67.

<sup>2</sup> Gilbert Meynier, "L'Algérie et les Algériens sous le système colonial. Approche historico historiographique", **insaniyat (Revue Algérienne d'anthropologie et de science sociales)**. sur internet:

-<https://journals.openedition.org/insaniyat/14758?lang=ar>.

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قدور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

هؤلاء يسجل عمر راسم الملاحظة التالية: "لكن لسوء حضنا قامت جماعة ممن تخلقوا بمفاسد التمدن الحديث وشُرور الحضارة الجديدة، وانتصروا للمشروع السيئ، وأظهروا حُبهم له طنا منهم أن سبب انحطاطنا هو الدين وأن الخدمة العسكرية تخبرنا على مخالطة إخواننا الفرنسيين وأبناء الأجانب فتتخلق بأخلاقهم وتذهب من عقولنا تلك الأوهام الدينية والخرافات الإسلامية خلاف لما يظهره من دعاهم إلى قبولها والرضا بما هو الطمع في بعض امتيازات ينالها المسلمون بعد خدمتهم العسكرية"<sup>1</sup>. كما أن معظم علماء الجزائر استنكروا هذا الموقف، وعملوا على تبيان مخاطر التجنيد على هوية الشباب المسلم وفي مقدمتهم الشيخ عبد الحليم بن سماية، وهو من الذين أظهروا موقفاً معارضاً للتجنيد الإجباري بشكل واضح وصريح<sup>2</sup>.

وكان موقف عمر بن قدور الجزائري لا يختلف عن موقف شيخه الإمام بن سماية الذي عبر عنه هذا الأخير في جلسة يوم 25 جويلية 1911، بقاعة المجلس البلدي بالعاصمة متحدثاً باسم الوفد الجزائري، ونقل بن قدور ما حدث في تلك الجلسة في تقريره الصحافي الذي نشره بصحيفة "الحضارة" في شهر أوت من سنة 1911م، تحت عنوان "هفوات الأوروبيين: مسألة تجنيد مسلمي الجزائر"، وأعاد نشره في "مجلة المشير" توضيح بشكل دقيق لموقفه وموقف الرأي العام الجزائري كما سنرى في الاسطر اللاحقة.

وقبل التوسع في هذه النقطة، سنحاول استعراض المواقف السابقة لعمر بن قدور من مسألة التجنيد\*، قبل أن يصبح قانوناً، حيث تناوله الرجل بداية من سنة 1908م، وتعرض له منذ أن كان مجرد مشروع من اقتراح السيد "ميسيبي" (Messymi)؛ مستشار وزارة الحربية الفرنسية، ففي مراسلة له لصحيفة "التقدم" التونسية، وجريدة

<sup>1</sup> عمر راسم، "مسألة تجنيد الأهالي"، جريدة الحق، العدد 40، من 13 إلى 20 جويلية 1912.

<sup>2</sup> Millet, Op.Cit, P 175

\* من خلال جرد مقالات عمر بن قدور وجدنا أن أقدم مقال كتبه حول التجنيد كان بجريدة التقدم التونسية، وذلك في العدد 32، بتاريخ 02 أبريل 1908، بعنوان "منتهى الشطط بين جدران مؤتمر المعمرين".



## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

الحضارة العثمانية<sup>1</sup>، عرض فيها المواقف المتباينة للجزائريين والمستوطنين الأوروبيين إزاء هذا المشروع، وأن رأيه الشخصي يتماشى مع موقف الرأي العام الجزائري الذي أبى الرضوخ لهذا المشروع المتنافي مع الهوية الإسلامية للشعب الجزائري.

وفي هذا السياق نشر بن قذور مقالة له بمجلة الحضارة في عددها 69 مما جاء فيها: "...الفكر الغالب عند المسلمين عندنا هو عدم الرضوخ لأداء الخدمة العسكرية، وغاية المقاومة أنهم يهاجرون الأوطان ويقصدون الشرق بدلا من أن يُجهزّون في البعوث والتجنيد ولا غروا فإنهم يرون في ذلك سقوطا عظيما في الدين الإسلامي حينذاك وهذا ممّا يجدر بالحكومة الفرنسية أن تفكر فيه وتسرح نظرها في ما يعود بالنفع على الدين..."<sup>2</sup>.

وما نلاحظه من مقالات بن قذور خلال هذه الفترة، أنه لم يتخذ موقفا واضحا من هذا المشروع القاضي بإجبارية تجنيد الجزائريين، في البداية بينما

اكتفى بنقل موقف اليهود والكولون، الراض للتجنيد، واعتباره تهديدا صارخا لمصالحهم في الجزائر<sup>3</sup>، وبابا لمطالبة الجزائريين بحقوقهم السياسية، وهو ما توقف عنده في جريدة التقدم، فقد سجل من جهة، وعلى لسان "مسيو إيمي"، استنكار المستوطنين لمشروع التجنيد، في الكلمة التي القاها بمؤتمرهم المنعقد في 20 مارس 1908 والذي قال فيها بالحرف الواحد: "إننا لأن ساكنين بين نيران الأعداء، وعائشين بين الأفاعي، فقلما يأمن الأوروبي على نفسه وماله، في هذا الوقت وكثيرا من الأوروبيين هاجروا من قطر الجزائر فرارا من الخطر الأهلي، يصح لنا البقاء حينما تنفذ خطة "مسيمي"، وكيف يستقر في الفكر صلاح هذه الخطة التي لا ريب

<sup>1</sup> عمر بن قذور، "هفوات الأوروبيين: مسألة تجنيد مسلمي الجزائر"، مجلة الحضارة، العدد 69، 01 أكتوبر سبتمبر 1911م.

<sup>2</sup> عمر بن قذور، "مسألة تجنيد المسلمين (الجزائر)" جريدة التقدم، العدد 22، 9 جانفي 1908م.

<sup>3</sup> نفسه.

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

في فسادها، وقد نفرض أنها نفذت أليست جديرة بأن لا نعتبرها خطرا عظيما يهددنا معشر الأوروبيين حيث أنها تقلد أعداءنا المتعصبين السلاح فينادوننا تعالوا إلى الحرب"<sup>1</sup>.

كما سجل من جهة ثانية، أن التجنيد لم يرفض فقط من طرف المستوطنين وحدهم، بل أن بعض الأعضاء المسلمين في المجلس البلدي الجزائري، وعلى رأسهم النائب "يوسف بن رضوان"، قدموا بدورهم مذكرة إلى الحكومة، رفضوا فيها الخدمة العسكرية، رفضا باتاً، وقد عضدهم (ساندهم) في ذلك حزب المستوطنين، وفي ذلك لعبرة لقوم يعقلون"<sup>2</sup>. كما رفض أعضاء المجلس البلدي للجزائر في مناقشتهم لائحة الحكومة المقدمة بخصوص قانون التجنيد للمناقشة والإثراء، "فأجاب عميد النواب الستة مصطفى بن الحاج موسى، بأن خطر هذا المشروع عظيم وأن الأهالي لا يقبلونه أبدا ما داموا في الهيئة المنحطة يتخبطون"، واعتذر مصطفى بن الحاج موسى عن تقديم رأي الأعضاء المسلمين حول المسألة، "والتمس منه بأن يرجع إلى أعيان العاصمة والسماع منهم الرأي في القبول أو الرفض"<sup>3</sup>.

وقد اجتمع أعيان مدينة الجزائر يوم الثلاثاء 25 جويلية 1911، بقاعة المفاوضات البلدية، تحت رئاسة رئيس المجلس البلدي "المسيو دوغلا"، الذي افتتح الجلسة قائلاً: "إن الحكومة الفرنسية رأت أن تحشر أبناء المسلمين المراهقين تحت لوائها الحربي، تنفيذاً لمشروع "مسيو ميسيمي" وزير الحربية الحالي، وأنها قد وجهت للوالي العام في هذا الشأن أمراً تحثه فيه على استشارة المجالس البلدية في الأقطار

<sup>1</sup> عمر بن قذور، "منتهى الشطط: بين جدران مؤتمر المعمرين"، جريدة التقدم، العدد 32، 02 أفريل 1908م.

<sup>2</sup> عمر بن قذور، "مسألة تجنيد المسلمين (الجزائر)" جريدة التقدم، العدد 22، 9 جانفي 1908م.

<sup>3</sup> عمر بن قذور، "الرفض الأخير لمشروع التجنيد الجزائري"، جريدة المشير، العدد 31، 10 سبتمبر 1911م.

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

الجزائرية (هكذا جاء في النص) في شأن تنفيذ هذا المشروع، وجس نبض الرأي العام الإسلامي فيه لتكون الحكومة على بصيرة في أمرها<sup>1</sup>.

وكان الرد المباشر على رئيس المجلس من طرف الشيخ العلامة عبد الحليم بن سماية، - أستاذ وشيخ بن قذور - بأن " المسلمين إذا أدوا الخدمة العسكرية للدولة الفرنسية لن يكونون مسلمين بجميع معاني الكلمة، ولو نالوا من الحرية ما يخول نبغائهم التربع على دست رياسة الجمهورية ... إن الحرية والحقوق السياسية إذا منحت للمسلمين مقابل تجنيدهم تكون هناك الضربة القاضية على القومية الدينية والجنسية إذ يقع اندماجهم بالأمة الفرنسية نهائيا"<sup>2</sup>، وقد وافق المفتي الحنفي الشيخ " محمد بوقندورة" على كلام الشيخ بن سماية، وانتهت المفاوضات بقرار رفض التجنيد سواءا بنيل الحقوق السياسية أم لا. وبذلك يكون بن سماية أول عالم دين جزائري أفتى بحرمة التجنيد الإجباري في الجزائر وتبعه في ذلك جل المسلمين، ولم يخاصمه إلا بعض "المتفرجين" من دعاة الاندماج.

وتحت عنوان "هفوات الأوروبيين: مسألة تجنيد مسلمي الجزائر"، كتب عمر بن قذور مقالا سياسياً نشره في جريدة "الحضارة" والذي أعادت نشره صحيفة "المشير" التونسية على حلقتين؛ في 27 أوت و03 سبتمبر 1911، و يكشف فيه بأن هدف التجنيد هو تقوية فرنسا عسكرياً بأبناء العرب الأشداء: "الذين ما فتئوا يبدلون أرواحهم في المواطن المتعددة أمام جنودها، فافتنتت بشجاعتهم وصلابتهم وصبرهم على الشدائد..."<sup>3</sup> كما شرح في ذات المقال، موقف الجزائريين الراض للتجنيد ومقاومته بالهجرة، بحيث يتحدث عن استعداد عائلات كبيرة في العاصمة الجزائرية لمغادرة البلاد، ويقدم أيضا موقف الطرف القابل للمشروع ولكن بشروط سياسية، هي احترام

<sup>1</sup> عمر بن قذور، "الرفض الأخير لمشروع التجنيد الجزائري"، المصدر السابق.

<sup>2</sup> نفسه.

<sup>3</sup> عمر بن قذور، "هفوات الأوروبيين: مسألة تجنيد مسلمي الجزائر"، مجلة الحضارة، العدد 69، 01 أكتوبر سبتمبر 1911م.

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

الهوية الإسلامية للجزائريين والمساواة التامة في الحقوق السياسية والمدنية. وهذا ما كان يخشاه ويتوجس منه خوفا المستوطنين الأجانب الذين استوطنوا البلاد أيضا<sup>1</sup>.

وفي هذا المقال قدّم عمر بن قذور نقده السياسي للدستور الفرنسي على الخصوص: والذي احتوى على أخطاء أضرت بحرمة قومية وهوية الأقطار الإسلامية المستعمرة، وبالمكانة الاقتصادية والإسلامية لشعوبها باسم الإنسانية، وفي سياق التعريف بالمخاطر والاهداف المعلنة والخفية من فرض التجنيد افتقد لسياسة التجنيد الاستعمارية الغربية ، "بفضل قوة فرنسا وفضل سذاجة أخلاق بعضهم نجحت في تقديم الألوف من العرب إلى ميادين الوغى.. يقاتلون إخوانهم في الدين والجنسية خدمة لشرف فرنسا... بل ها هي ذي الآن تحاول حشر كل مراهق من غلمان الأهالي تحت لوائها بلا استثناء وبلا تغيير في مركزهم الاقتصادي والسياسي وبلا احترام للشعائر الدينية وهذا كله حاصل بتأثير الأغلاط المبنوثة في الدستور الفرنسي خاصة والدستور الأوروبي عامة..."<sup>2</sup>

ثمّ كتب معبراً عن الموقف السياسي له حينئذ، والمتماهي مع موقف الجزائريين، والمرتبطة اساسا بمطالب الحريات السياسية والمدنية، "... إن مسلمي الجزائر لا يخضعون أبداً لأمر فرنسا في تجنيد أبنائهم وتجهيزهم في البعوث، وشنّ الغارات دون أن تنزع تلك الأغلاط والهفوات من دستورها وتمنحهم الحرية التامة، فينتخبون ويُنتجون ويصرخون ويتكلمون. ولحقوقهم التي اختلست منهم في دور أمس يسترجعون ... أمّا إذا أبت إلا تنفيذ مشروعها دون اكرتات بمطالب رعيّتها فإنّ خراب الجزائر يحين وقته، لأن المسلمين لا يبرحون لقاء ذلك التنفيذ أن يغادروا أوطانهم

<sup>1</sup> نفسه.

<sup>2</sup> عمر بن قذور، "هفوات الأوروبيين، المصدر السابق.

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قدير وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

ويقصدوا الأقطار الإسلامية الأخرى ... وقد علمت الآن أن بعض العائلات المشهورة في العاصمة بالرفاهية والجاه هي على وشك مغادرة الثغر...<sup>1</sup>.

وطالب عمر بن قدير سلطات الاحتلال في حال الإصرار على تنفيذ المشروع، عدم إجبار أبناء الجزائريين في محاربة إخوانهم في الدين. وقد وصل تغطيته ونضاله في وضوح ضد مشروع التجنيد الإجباري، الذي يريد فرضه وزير الحربية آنذاك (ميسيمي)، من خلال مقالين سياسيين متتابعين تحت عنوان ذي دلالة سياسية قوية: "الرفض الأخير لمشروع التجنيد الجزائري" نشرهما في جريدة "الحضارة" وأعدت المشير نشرهما في نفس الشهر من سنة 1911م. فاعرب في مقاله عن مسانדתه للرفض المتكرر للجزائريين الذين - كما قال - محقون في رفضهم لهذا المشروع... ولم يروا بعد ما بذل فريق منهم جهده في خدمة فرنسا بكافة المواطن الحربية...<sup>2</sup>، ومقال آخر في جريدة الحضارة كذلك بعنوان: "سنحمل السلاح ونحن صاغرون"<sup>3</sup>

وبعد تقديم مشروع التجنيد للمصادقة عليه من طرف البرلمان الفرنسي، وتأكد بن قدير أنه سيصبح ساري المفعول، لما لصاحبه من نفوذ في الحكومة الفرنسية، عمد إلى مقاومته، وتنبيه المسلمين بمخاطره، وتوعيتهم بالنتائج الوخيمة المترتبة عنه، ففي مقال طويل نشره في أجزاء بجريدة "الحضارة"، وأعاد نشره في جريدة "المشير" التونسية عبر عن موقفه الراض لفكرة تجنيد الجزائريين، وبرر موقفه وموقف أغلب الجزائريين، بأن فرنسا لا يمكن أن تلزم الجزائريين بالتجنيد - لأنهم - في نظره - "أشد الناس حرصا على الدين، ولو بغير معرفه لأسراره"<sup>4</sup>، وأنهم ظلوا متمسكين به، وظل يرن في قلوبهم طيلة الاحتلال الفرنسي للجزائر. وأوضح بن قدير في مقالته هذه، بأن

<sup>1</sup> نفسه.

<sup>2</sup> عمر بن قدير، "الرفض الأخير لمشروع التجنيد"، مجلة المشير، 10 سبتمبر 1911م.

<sup>3</sup> عمر بن قدير "سنحمل السلاح ونحن صاغرون"، المصدر السابق،

<sup>4</sup> عمر بن قدير، "هفوات الأوروبيين"، جريدة المشير، العدد 32، 17 سبتمبر 1911م.

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

الجزائريين لا يفرون من الخدمة العسكرية كونهم يخشون الموت، " كلا بل طننا بذلك الإسم الذي ظل يرن في قلوبهم، وخوفا عليه من عواصف الظلال التي تهب في أركان وجدران الثكنات ومواطن الوغى.."<sup>1</sup>.

وكان بن قذور يعتقد أن فرنسا العلمانية، التي "طلقت الدين بثلاث"-حسب تعبيره-، لا يمكن أن تجبر المجندين الجزائريين المسلمين على تأدية فرائض الدين، ويمكن كذلك أن تدفعهم إلى محاربة إخوانهم في الملة، وتساءل قائلاً: "هل يعقل أن لا تدفعهم إلى محاربة إخوانهم في الدين كالمراكشيين؟ ما أظن هذا من وظائف دولة طلقت الدين بثلاث"<sup>2</sup>.

وكان موقف بن قذور ضد موقف النخبة "المفرنسة"، التي كانت تطالب بمقايضة الحقوق السياسية في مقابل التجنيد، لأنه لا يرى فائدة لهذه الحقوق، بعد أن يفقد الانسان دينه وأخلاقه، والمصيبة تكون أضعافاً "لأن الشباب الذين يؤدون الخدمة العسكرية تتطبع في أعماق قلوبهم طباع أجنبية فاسدة، وأخلاق خبيثة، فيخرجون وهم يزدرون بعقائد آبائهم ويسخرون من طبائعهم ... لا سيما إذا منحت لأولئك الأطفال العسكريين حقوقاً تجعلهم في أعلى عليين ومنعت آباءهم فأبقتهم في أسفل السافلين، ولعل هذا هو غرض فرنسا.."<sup>3</sup>

هكذا أوضح بن قذور وبجلاء فكرته السياسية الراضية للمشروع، وربطها برؤيته لمكونات الهوية الجزائرية الإسلامية، التي جعل لها حدوداً تتمثل في القومية والدين على الخصوص، معتبراً رفضه قضية التجنيد الإجباري، مسألة دينية لا نقاش فيها، ومما اشار له في ذلك، هو أن المسألة (التجنيد الإجباري) مسألة دين وقومية من جميع وجوهها، "ومن ذا الذي يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر ويقا تل في سبيل

<sup>1</sup> نفسه.

<sup>2</sup> عمر بن قذور، "هفوات الأوروبيين"، جريدة المشير، العدد 32، 17 سبتمبر 1911م

<sup>3</sup> نفسه.

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

الطاغوت، والله تعالى يقول "وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين " ... أفلا تتفكر فرنسا في المسألة جيداً ؟ ... تالله لئن تفكرت تفكير المنصفين لتجدن نفسها مخطئة جدا وأنها قد جنت على الإسلام جنابة لا تغفر لأنها لم تحترمه ولم توقره ... إنا معشر المسلمين لسنا بأغبياء مغفلين حتى نتطلي على عقولنا زينة الكلمات الذهبية والدهر أبو العجائب يغذينا بعبيره ومواعظه وحوادثه العظيمة أفلا تتفكر فرنسا أننا لسنا بأغبياء ؟ ..."<sup>1</sup>.

وأضاف شارحا، لرؤيته من تجنيد الشباب المسلم ، والمخاوف التي يحملها على هؤلاء: " إنا قوم لنا قومية عروتها متينة، وملة قيمتها ثمينة، وإن أصيب أعضاؤها بخدر انتجته الحوادث، فالأمل أنه خدر قصير المدة وسينقطع وتتحرك أعضاؤها بنشاط تام فمالنا من رغبة في الاندماج بفرنسا ولا بغيرها من الأجناس وما لنا رغبة في نيل حقوق تجر علينا الويل والدمار"<sup>2</sup>.

وفي ذات السياق انتقد بن قذور الداعيين إلى التجنيد بدعوى المدنية، قائلا: " إن لا نريد من فرنسا أن تمن علينا بتمدنها وعدلها لأن لنا تمدنا وعدلا ذقناهما فصار كل شيء عندنا بعدهما مرأ، وهل بعد ذوق العسل نذوق الحنظل؟...ولا تغترن فرنسا بإفك الأفاكين الذين طالما زينوا لها حمل المسلمين على ما تهوى سياستها، وإن ذلك الحمل لا يضر بدينهم ولا يمس منه شيئا... وما هم إلا أجلاف القوم وأدنيائهم الذين لا أخلاق لهم، وهذا هو الحق والحق يقال بكل صراحة في المنصفين"<sup>3</sup>.

ويبدو أن بن قذور كان يدرك أن فرنسا تتجه نحو فرض قانون التجنيد الاجباري، لأنها في حاجة ماسة "للتقوية بأسها الحربي بأبناء العرب الأشداء"<sup>4</sup>،

1. عمر بن قذور، "هفوات الأوروبيين"، جريدة المشير، العدد 32، 17 سبتمبر 1911م

2. عمر بن قذور، "هفوات الأوروبيين المصدر السابق.

3. نفسه

4. نفسه

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

يضاف إلى ذلك النفوذ الذي كان يتمتع به صاحب المشروع (ميسيمي)، الذي أصبح وزيراً للحربية، والذي قال عنه بن قذور: "... والذي يعرف "المسيو ميسيمي" صاحب مشروعها لما كان مستشاراً بالوزارة الحربية الفرنسية لا يتعجب من نشرها اليوم وصاحب المشروع أصبح الآن وزير الحربية للدولة الجمهورية، والناس لم ينتبهوا لما بعد، ولكنني علمت من مصدر موثوق أن نواب المسلمين بالعاصمة اتصلوا بلائحة من الحكومة تتضمن استشارتهم بأي وسيلة تتمكن بها الحكومة من إعلان المسلمين بأن أوان التجنيد قد حان دون أن يفزعوا من هذا الإعلان..."<sup>1</sup>.

لقد حاول بن قذور استغلال سعي فرنسا إلى تنفيذ قانون التجنيد الإلزامي، ومطالبة سلطة الاحتلال بالعمل على تحسين أحوال المسلمين، وتوسيع من دائرة تمثيلهم النيابي، فقال: "... وإذا أردت أن تجند أبناء المسلمين، فلتفصل بينهم وبين أسوأ ما هم عليه بسياج من حديد، ولا تقا تل بهم إخوانهم في الدين... وتمنحهم الحرية التامة فينتخبون ويُنْتخبون..."<sup>2</sup>.

لم يصمد بن قذور على موقفه المعادي للتجنيد، حيث سرعان ما إنقلب على موقفه وأصبح ومن خلال كتاباته من المؤيدين لفكرة التجنيد، حيث دعا للوقوف إلى جانب فرنسا في حربها ضد الألمان (الحرب العالمية الأولى)، ودعا الجزائريين إلى قبول الأمر الواقع، وأن يواجهوا تداعيات التجنيد من خلال ترسيخ التربية الدينية في قلوب أولادهم ليحصنوا أنفسهم من ارتكاب المعاصي أثناء وجودهم في الخدمة: "... إن فرنسا تطلب الجندية ، وإنها لتسعد بنا في ميدان الحرب، فلنعطيها أطفالنا، ولكن بعد أن نملاً أوعية قلوبهم إيماناً، وعواطفهم إحساناً .. وأخلاقهم حسناً وجمالاً، حتى تزداد ثقنتها بنا..."<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> عمر بن قذور، "هفوات الأوروبيين المصدر السابق

2 نفسه.

3 نفسه.



## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

وبقى بن قذور حريصا على نشر إعلانات فرنسا من أجل تجنيد الجزائريين، مثال ذلك بلاغ الوالي العام "شارل لوتو" المؤرخ في 03 سبتمبر 1914م<sup>1</sup>، والداعي إلى ضرورة مساندة مسلمي الجزائر لإخوانهم الفرنسيين. وفي تقديره فإن مشاركة الجزائريين في هذه الحرب، سيفتح للجزائريين أفقا جديدة، يبرهن من خلالها الشعب المسلم سماحته وإخلاصه، وردة للجميل لفرنسا "ربة الحرية والشهامة"<sup>2</sup>. وتم قراءة هذا الموقف بأنه انتكاسة في مواقف بن قذور السابقة حول ملف التجنيد الاجباري، وكل سياسات فرنسا في الجزائر، وربما سعى من خلال "سياسة اللين" التي انتهجها، خوفا من المآلات اللاحقة في حالة رفض المسلمين لقانون فرنسا.

ومن خلال تتبع كتابات بن قذور خلال هذه الفترة، وهي الفترة التي شهدت تراجعاً وتغييراً في مواقفه في العديد من القضايا ومن أبرزها قضية التجنيد الاجباري ولعل مرد هذا التراجع عن المواقف السابقة والتغيير فيها، هو خوفه على نفسه من السجن، وعلى جريدته من التعطيل، خاصة وأن الحكومة الفرنسية كانت تراقب عن قرب كل ما يكتب وينشر في مستعمراتها، خوفاً من الدعاية التي تقوم بها ألمانيا بواسطة حلفائها.

كما أن بن قذور كان يمني نفسه بأنه سياسة فرنسا في تعاملها مع الجزائريين سوف تتغير إذا وقفوا إلى جانبها، وهو ما دفعه إلى أن يباشر في كتاباته تحرير مطالب الجزائريين متوجهاً بها للحكومة الفرنسية، ومنها تحقيق المساواة في دفع الضرائب بين الأهالي والكولون، توسيع دائرة تمثيل الجزائريين في جميع المجالس وإعادة النظر في قانون الأهالي. كما كان يثني على الاجراءات التي كان يعتقد أنها ايجابية تجاه الجزائريين، ومن بين تلك القرارات التي لقيت استحسان وإشادة من طرف بن قذور، القرار المؤرخ في 09 فيفري 1914م، الذي قال فيه "... إنه ليليق

<sup>1</sup> نص الإعلان في جريدة الفاروق، العدد 73، 10 أوت 1914م.

<sup>2</sup> عمر بن قذور، " إلى الشعب الإسلامي"، جريدة الفاروق، العدد 73، 10 أوت 1914م.

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

بالجزائريين أن يمجّدوا يوم 09 فبراير، لأنه اليوم الذي نفضوا فيه غبار الضغط على رؤوسهم، مرتاحين إلى دور جديد أقبل بحسناته على ديارهم...<sup>1</sup>.

وما يمكن أن نستنتجه، هو أن عمر بن قذور، كان من الأوائل الذين رفضوا قانون التجنيد حتى قبل صدوره، ودافع عن موقفه، مستندا في ذلك إلى العقيدة الإسلامية، وخوفا من تشوه أخلاق المجندين عند مخالطتهم غير المسلمين، وغير ذلك من الحجج الدينية، إلا أنه تراجع عن هذا الموقف لما شعر أن فرنسا ماضية في تطبيق القانون بعد صدوره، خاصة مع اندلاع الحرب العالمية الأولى، وحاول تبرير ذلك بالوعود التي قطعتها السلطات الاستعمارية لإصلاح الوضع، لكن المبرر الحقيقي، كما نعتقد، يكمن في خوفه من بطش المستعمر به وبجريدته.

### 2- مسألة التجنيد عند عبد الحميد الزهراوي

تمثل الوضع المتردي الذي مرت به الدولة العثمانية خلال القرن الثامن عشر بعدم استتباب الوضع الداخلي وذلك بزيادة تمرد الانكشاريين والولاء على الحكومات المركزية، وسوء الأحوال الاقتصادية، والانكسارات العثمانية أمام القوى الخارجية، الأمر الذي دفع بالسلطين العثمانيين إلى الإسراع في عملية الإصلاح. ورغم الحماس الفياض الذي أبداه السلطين العثمانيون وفي مقدمتهم "سليم الثالث" و"محمود الثاني" للسير قدما بسياسة الإصلاح، في محاولة منهم لترويض الإمبراطورية لمدة تزيد عن ثلاثة قرون، إلا أن ظروف الدولة العثمانية كانت أقوى، فليس من السهل القضاء على جوهر العقلية القديمة التي ظلت ممسكة بزمام أمور الدولة ولعهود طويلة، والدول الأوروبية تتربص بها للانقضاض عليها .

بدأت السلطة في الدولة العثمانية، في نهاية القرن الثامن عشر، بإصدار سلسلة من التنظيمات تهدف إلى إصلاح أوضاعها المتردية، وبدأت هذه التنظيمات بإصلاح

<sup>1</sup> عمر بن قذور، "عهد جديد"، جريدة الفاروق، العدد 49، 20 فيفري 1914م.

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قنور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

الجيش، والقضاء على الجنود الانكشارية، وإنشاء فرق عسكرية جديدة، وفرض التجنيد الإلجباري على جميع السكان من المسلمين والمسيحيين واليهود، بعد أن كان التجنيد مقصوراً على المسلمين فقط<sup>1</sup>. وتتابع التنظيمات بإصدار "خط شريف كلخانة"<sup>2</sup> سنة 1839م، وإصدار التنظيمات الخيرية سنة 1856، وقانون الولايات العثمانية الجديد سنة 1864<sup>3</sup>.

بقى أبناء سوريا في العهد العثماني الأول في منأى عن الأمور العسكرية، كما حالت الدولة بينهم وبين الانخراط في السلك العسكري، لذا ركن هؤلاء إلى الحياة المدنية الرتيبة، وسلموا زمام أمورهم لعناصر عسكرية غريبة ومغامرة، ولم يفكر السلاطين العثمانيون قبل عهد سليم الثالث (1789-1807) بإدخال أبناء البلاد في الجيش العثماني، لكن السلطنة ما لبثت وانتهجت سياسة جديدة في تجنيد السكان وحملهم بالقوة على الانخراط في السلك العسكري، وكان ذلك بعد قضاء السلطان محمود الثاني على الانكشارية عام 1826، وشروعه في ارساء نظام عسكري جديد وفقاً لأساليب الجيوش الأوروبية، فكان محمود الثاني أول من أمر بجمع العساكر النظامية لإنشاء النظام الجديد<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> عوض، المرجع السابق، ص 15.

<sup>2</sup> تضمن خط شريف كلخانة منح الرعية (السكان) أماناً على أرواحهم، وأعراضهم، وأموالهم، ووعداً بإصلاح نظام القضاء، وتنظيم جباية الأموال، وإلغاء الالتزام وتنظيم الخدمة العسكرية والتجنيد الإلجباري والقضاء على الرشوة. أنظر أكثر:

- عوض، المرجع السابق، ص 34-38.

<sup>3</sup> تم بموجبه تقسيم الدولة العثمانية إلى عدد من الولايات، وتقسيم كل ولاية إلى عدد من الألوية والأقضية والنواحي، إلى جانب إنشاء المجالس الإدارية في مراكز الولايات والألوية والأقضية والنواحي ومجالس اختيارية القرى، على أن تتكون هذه المجالس من أعضاء يتم اختيارهم بالانتخاب، والباقي بالتعيين، أنظر أكثر:

- بثينة عباس الجنابي، "نظم الحكم والإدارة العثمانية في الوطن العربي"، مجلة كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، المجلد 17، العدد 71، 2011، ص 149-164.

<sup>4</sup> أحمد محمود عمو السامرائي، محمد حمزة حسين الدليمي، "الانكشارية ودورهم في الدولة العثمانية حتى سنة 1826"، مجلة التربية والتعليم العراقية، العدد 02، 2010م، ص 74.

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

وعندما عادت الدولة العثمانية إلى سوريا علم 1840م عقب خروج محمد علي باشا منها، قامت بتطبيق نظام التجنيد الاجباري على أبنائها والذي كانت قد أعلنته "خطة كلخانة" سنة 1839م، والذي جاء فيه " أن الجندي فريضة على الأهالي، وأن إعطاء العساكر لأجل المحافظة على الوطن هو من فرائض ذمة الأهالي"<sup>1</sup>.

وقد اتبعت الدولة في التجنيد أسلوب "القرعة الشرعية"، فكان السلطان يبعث بفرمان القرعة كل عام إلى مدينة دمشق حيث تجري مراسيم خاصة عند قراءته، ويكون ذلك بحضور الوالي ومشير الجيش والقاضي والمفتي والأعيان والعلماء والوجهاء، وبعد تلاوة "الفرمان" يتلو المفتي والحاضرين دعاء خاص بالسلطان. ثم يعقد مجلس القرعة ويحضر الأفراد المكلفون الذين بلغوا سن الخدمة العسكرية إلى المجلس، وبعد ذلك تجرى القرعة.

وبعد اتمام القرعة كتب الوالي للصدر الأعظم بأن الشرعية قد أجريت على اكمل وجه، بل تطوع بعض الأفراد زيادة على النصاب المقرر<sup>2</sup>، ثم يوزع هؤلاء الأفراد على الألوية التي عينت لكل منهم، كي يدربوا في معسكرات الجيش، كما كان مشير الجيش الخامس يبعث بأخبار تدريبهم إلى العاصمة وبعد انتهاء التدريب اليومي، كان الجنود يتوجهون بالدعاء لحضرة السلطان<sup>3</sup>.

وبما أن مشير الجيش الخامس كان يشرف على الأمور العسكرية في عدة ولايات، فقد كان يخبر الأستانة حول إجراءات القرعة العسكرية في الألوية الأخرى مثل لواء "مرعش" و"نابلس" و"القدس"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> محمد رشيد رضا، مجلة الحضارة ، 28 سبتمبر 1839.

<sup>2</sup> عوض، المرجع السابق، ص 146.

<sup>3</sup> عوض، المرجع السابق، ص 148.

<sup>4</sup> نفس المرجع، ص 149.

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قدير وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

ويبدو أن اهتمام ولايات سوريا بمسألة المتطوعين في الجيش على قتلهم، كان الهدف منه التقرب للسلطان والإيحاء له بأن أوامره تنفذ على أحسن وجه، وأن هناك رضى للرعية على سياسته وتديبره، وكان الأهالي يتذمرون من الانخراط في الجندية أما الذين كانوا يتطوعون- على قتلهم- فقد يكون الدافع لتطوعهم، إما الفقر أو محاولة إسقاط التكليف العسكري عنهم، لأن القرعة قد تصيبهم في السنوات القادمة، فخير لهم أن يسرعوا في التطوع حتى يخططوا لحياتهم القادمة<sup>1</sup>.

وقد وجدت السلطنة في أحداث 1860م، التي شهدتها بلاد الشام، فرصة ذهبية من أجل تجنيد عدد أكبر من الشباب، وساق فؤاد باشا ألفي (2000) شخص من أبناء الشام قسراً إلى العسكرية، وكان لذلك وقع سيء على مجموع الشباب الشامي، لدرجة لم تستطع الدولة إجراء القرعة في العام التالي<sup>2</sup> خوفاً من خروج الوضع عن السيطرة، وثورة أهل الشام عليها.

ولم يكن عبد الحميد الزهراوي يرفض التجنيد الاجباري، الذي كانت تفرضه الدولة العثمانية، بل على العكس من ذلك كان يدعو لضرورة الالتفاف حول السلطة والالتزام بكل الأوامر التي تصدرها، حيث كان يرى بأن الدولة العثمانية لا تنهض إلا بوحدة العرب والترك، ولا ينفع أياً من الطرفين تهميش الآخر أو اقصائه، ولذلك يجب قيام تعاون بينهما على أسس جديدة، تسمح لكل طرف المساهمة في إدارة شؤون البلاد سواء في المناصب المدنية او العسكرية<sup>3</sup>.

فالوطن العثماني - حسبه- هو وطن سياسي للعثمانيين مسلمين وغير مسلمين، وهو وطن ديني للمسلمين، عثمانيين وغير عثمانيين. حيث ذكر: "أما حرمان أبناء وطننا غير المسلمين من خدمة العسكرية مع أن لهم حقاً بالشرف الذي يحصل من

<sup>1</sup> السامرائي، الدليمي، المرجع السابق، ص 77.

<sup>2</sup> عوض، المرجع السابق، ص 146.

<sup>3</sup> السامرائي، الدليمي، المرجع السابق، ص 87.

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

خدمة الأوطان فكان خطأ من حكومتنا لا يعفى عنه، وكان من دواعي انكسار خاطر هؤلاء الشركاء في الوطن ، والأغرب من ذلك حرمان أهل هذه العاصمة من هذا الشرف أيضًا. فمن موجبات الشكر أن أول شيء تفكرت فيه حكومتنا بعد التغيير الجديد السعيد في الوطن هو الإسراع لدفع هذا الخطأ المنافي للقانون الأساسي. هذا هو تاريخنا العسكري ومنذ الآن سينال أبناء وطننا من غير المسلمين نصيبهم من شرف الدفاع عن حياض الوطن، ويقفون مع زملائهم المسلمين صفاً واحداً أمام كل عدو معرضين حياتهم للمقاومة في سبيل مقصد واحد، هو إعلاء شأن الرابطة الوحيد التي تضم قلوب جميع العثمانيين حول وطنهم العزيز"<sup>1</sup>.

وقد انصب جهد عبد الحميد الزهراوي فيما يتعلق بمسألة التجديد ، على الدفاع عن الحقوق المهمة للعرب في إطار السلطنة، وبذل الجهد من أجل دفع العرب إلى وعي حقوقهم وواجباتهم بما يجعلهم قوة تتمتع بالحضور والمشاركة بالفعل في شؤون البلاد، فالدولة العثمانية يجب أن تكون " لكل العثمانيين دون تفریق الأجناس والأديان، والاتحاد يكون باحترام جنسياتهم"<sup>2</sup>.

### المبحث الثالث: التجديد الديني عند عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي

حظي موضوع الإصلاح والتجديد الديني، باهتمام رواد النهضة والإصلاح في البلاد العربية، حيث اعتبر الأوائل منهم بأنه لن يتحقق للأمة نهضتها ما لم تعد إلى دينها، وتنقيته من كل الشوائب التي لصقت به، وقد أقام محمد عبده فلسفته الإصلاحية على هذا المبدأ، مؤكداً على: " إن الإصلاح ينبغي أن يبدأ من الدين بتنقيته من

<sup>1</sup> عبد الحميد الزهراوي، "ملخص اجتماع مجلس المبعوثان"، مجلة الحضارة ، 15 سبتمبر 1910.

<sup>2</sup> عبد الحميد الزهراوي، نظام الحب والبغض، الأعمال الكاملة ، المصدر السابق، ص 315.

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

الخرافات والبدع التي طمست عقول المسلمين وكانت سببا في تأخرهم حتى أصبحوا سخرية الأمم الأجنبية..<sup>1</sup>.

وقد كان عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي من المتأثرين بالفلسفة "العبداوية" في الإصلاح، فكان لهما سجل طويل مع أهل البدع والخرافات في الدين، وصل إلى حد إتهامهما من طرف الخصوم بالزندقة والخروج عن الدين، لكن ذلك لم يثنيهما في مواصلة مسيرة الإصلاح بالتجديد الديني الذي هو أساس الإصلاح التربوي والاجتماعي. ففيما تتجلى مظاهر الإصلاح والتجديد الذي تبناها عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي؟.

### أولا: التجديد والإصلاح الديني عند عمر بن قذور

عرف بن قذور عن بقية معاصريه من رجال الإصلاح بإنتقاده الشديد للسياسة الدينية التي تنتهجها الحكومة الفرنسية في الجزائر، وشن حملة انتقاد واسعة لها عبر الجرائد والمجلات المصرية والتونسية باسم مستعار، حتى يتجنب المساءلة القانونية.

كما حاول من خلال كتاباته إحداث التغيير وإرساء معالم نهضة حقيقية، للخروج من بيئة التأثر والانحطاط الذي أصاب الجزائر وبقية العالم العربي والإسلامي، وهو الذي رأى أن قومية المسلمين كانت تضمحل وتتلاشى بقدر ما كانوا يوالون الخطوات في الابتعاد عن روح القرآن<sup>2</sup>، ويمكن إبراز المجالات التي حاول بن قذور تحقيق الإصلاح والتجديد الديني من خلالها في النقاط التالية:

<sup>1</sup> محمد ناصر، "رائد الدعوة إلى التضامن الإسلامي عمر بن قذور الجزائري"، مجلة الأصالة، العدد 57-58، جوان-جويلية 1978. ص 81.

<sup>2</sup> عمر بن قذور، "مأمورية الإسلام في تخلص البشر"، جريدة الفاروق، 25 ماي 1914.

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

### 1- محاربة البدع والخرافات:

أكد عمر بن قذور في مجمل ما كتب في مجال الإصلاح الديني، بأن الإطار المرجعي الذي يسترشد به لتحقيق الإصلاح في الأمة الإسلامية هما "الكتاب والسنة"، وعلى أساسهما بنى فلسفته الإصلاحية التي تهدف إلى محاربة البدع والخرافات، والعودة إلى تعاليم المنبع الأول. فكان يعتقد بأن لا نهضة للأمة "ما لم ترجع إلى ما ساد بها السلف"<sup>1</sup>، وكل مشروع نهضوي عنده لا بد أن ينطلق من التصحيح العقائدي والتهذيب الديني للمجتمع الذي وصفه بـ "أعرج الرجلين المصاب القدمين بعاهات مزمنة"<sup>2</sup>.

وقد اجتهد بن قذور خلال مساره في العمل الإصلاحية على رصد ونقد السلوكيات والممارسات المبتدعة، لإحداث الوعي المجتمعي، وحث العلماء على إصلاح أحواله الدينية قبل أن "يتشوقوا إلى مستقبل غامض يتصورونه ولا يكيّفونه، فإذا تحسنت الحالة الأخلاقية التي لا بد أن تكون بأدوية الدين وترياقه، تتمكن البصيرة العامة من فهم الخطى والمسيرة ثم بعد استتارة السبيل بنور الدين تشوق الفكرة العامة إلى السعي وتفتح الأبصار إلى النظر نحو المستقبل.."<sup>3</sup>.

ويعتقد بن قذور أن فساد الدين، هو نتيجة حتمية لفساد القائمين عليه، "أولئك المرأئين الذين هم أكثر الناس تهافتا على الأرزاق والأعراض والأنفس والأموال"<sup>4</sup>، وبذلك يعتبر أن البدع لم تظهر في المجتمع إلا عندما أصبح رجال الدين فاعلين أساسيين في السياسة الدينية للسلطة الاستعمارية، "يجورون مع الجائرين، ويحكمون مع الحاكمين، ويلعبون مع اللاعبين، ويمكرون مع الماكرين، ويغدرّون مع الغادرين،

<sup>1</sup> عمر بن قذور، "إلى الأمة الإسلامية"، جريدة الفاروق، العدد 5، 28 مارس 1913.

<sup>2</sup> عمر بن قذور، "خطواتنا إلى المستقبل"، جريدة الفاروق، العدد 6، جويلية 1920.

<sup>3</sup> نفسه.

<sup>4</sup> عمر بن قذور "منبر العبر"، جريدة الأخبار، العدد 13658، 27 نوفمبر 1910.



## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قدير وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

ويدوسون ذلك العلم وذلك الدين وتلك المعارف التي حملوها وما حملوها (كمثل الحمار يحمل أسفارا)<sup>1</sup>، فههدفهم الأسمى هو الحصول على المناصب والمال، " سواء كان ذلك العمل موافقا للأوامر والأنفس والأموال"<sup>2</sup>.

ولم يستثن بن قدير عامة الناس من مسؤولية ما انتشر بينهم من البدع والخرافات، بسبب انغماسهم في اللهو واللعب، وعزوفهم عن مجالس العلم، سبب الفوضى التي حلت بالدين الإسلامي، " .. فمادام المرء جاهلا بوظائفه في دنياه غافلا عن العواقب التي يؤول إليها في آخرته، ومساجدنا مهجورة والمقاهي والحانات معمورة ومجالس العلم مخوفة، ومواقع اللعب واللهو مألوفة ... فمن أين لنا إلى درجة غايتها نيل المنى، ونذكر لنا نتيجة نهايتها الراحة والهناء..."<sup>3</sup>.

ويبحث بن قدير في مقالاته في إصلاح الدين الناس على التخلص من البدع والخرافات المسيطرة على أذهانهم، ويوصيهم بعدم طاعة "الكهنة وعبدة الجن"<sup>4</sup> - حسب تعبيره- فالمسلم الحقيقي في نظره هو "الذي تنحصر عقيدته في مادتين؛ الأولى، عبادة الله وحده (إياك نعبد) وأهم معانيها العزيمة وسمو الأمة، إن اعتقاد المرء في وحدانية الله بهذا النمط الأصلي في التوحيد يجعله ثابت الجأش حر الضمير عزيز النفس قوي الإرادة شديد العزيمة"<sup>5</sup>، و كان يرى بأن الانسان ليس بحاجة إلى وسيط لمعرفة الله والتقرب إليه، "فالإيمان الصافي لا بد أن ينطلق من التوحيد الخالص لله والابتعاد عن كل مظاهر الشرك"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> عمر بن قدير، " منبر العبر"، جريدة الأخبار، العدد 13657، 20 نوفمبر 1910.

<sup>2</sup> نفسه.

<sup>3</sup> عمر بن قدير، جريدة الفاروق، العدد 15، 26 مارس 1913.

<sup>4</sup> عمر بن قدير، "خطر الأحداث والبدع على القومية والدين"، جريدة الفاروق، العدد 63، 01 جوان 1913.

<sup>5</sup> نفسه.

<sup>6</sup> نفسه.

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

### 2- الدعوة إلى الاجتهاد:

ذهب بن قذور إلى أن التخلف الذي تعيشه الأمة الإسلامية في ذلك الوقت، مرده إلى غياب الاجتهاد في الدين وانتشار الخرافات والبدع، وسبب انحراف المسلمين عن إسلامهم الصحيح هو انشغالهم بكتب المتأخرين عن النظر في القرآن الكريم والسنة النبوية، وكان ذلك راجعا إلى اعتقاد الناس استحالة وصولهم إلى مرتبة الاجتهاد، فالعلاقة بين الاجتهاد والتحديث علاقة مترابطة، إذ كان يراد بالتحديث التجديد، والتطوير والتقدم في مختلف مجالات الحياة، فالاجتهاد -في اعتقاده- هو المدخل إلى الانتقال من طور إلى آخر، يحقق فيه الانسان أماله وأشواقه، في حياة أكثر رقيا، وأوفر أمنا وسلاما، تصان فيه حقوق الفرد والمجتمع، ويسود فيه الحق والعدل والمساواة<sup>1</sup>.

فالاجتهاد يقوم على المواءمة بين النصوص الشرعية القطعية الثبوت، وبين متطلبات الأزمنة والأمكنة التي تطبق فيها شريعة الإسلام، ولن يكون ذلك إلا بالعقل، الذي يحظى عند بن قذور بمكانة كبيرة، ويعتبره سلاح المصلح إذا أراد الإصلاح في الدين والدنيا، فبه تظهر كل الضلالات والخرافات والبدع التي عطلت باب الاجتهاد، وهو النور الذي يوصل الانسان إلى الهدف الأسمى، وفي ذلك انشد مخاطبا العقل، وموضحا أهميته<sup>2</sup>:

أيها العقل الجليل أنت لي نعم الخليل  
منك نيلت المبتغى من سلوكي في السبيل  
أنت أظهرت المعاني ونزحت المستحيل  
أنت مفتاح الأمانى الذي رام الدخول

<sup>1</sup> عمر بن قذور، "ساعدوا على التفاهم" جريدة الفاروق، العدد 21، 18 جويلية 1913.

<sup>2</sup> نفسه.

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

### أنت نهج مستقيم لمن أراد الوصول

وكان الإسلام قد دعا إلى حرية الفكر، وضرورة البحث والتأمل في حقائق الأشياء، وأصول الكائنات، وعليه فإن بن قذور يرى أن العقل ينمو ويصبح تفكيره سديدا إذا وظف واستعمل، ويضمحل إذا ترك وعطل، وفي هذا المضمار ذكر وذكر بما يلي: "... أجل خلق الله الإنسان في تفكيره حراً، وجعل حريته قابلة للزيادة والاضمحلال، ووهب له عقلا لا حدود له إذا أنتشر في الوجود، وعمر يبه من زوايا الكون الفارغة... وما أراد به إلا أمرا واحدا وهو باختصار أن يكون منتقعا من ذلك العقل... وأنه من الهين تقييد تلك الحرية التي خلق الله بها الإنسان وصيره لأجلها أفضل العالمين.."<sup>1</sup>.

كما شاد بن قذور في كتاباته حول الاجتهاد، ودعوته لاستعمال العقل، والقراءة للفلاسفة والمفكرين اليونانيين، وما قدموه من أفكار أحدثت ثورات وانقلابات اجتماعية وسياسية، وكان يذكر دائما بمفكري عصر النهضة في أوروبا، الذين نقلوا مجتمعاتهم من عصر الظلمات إلى عصر الأنوار، وتحرر الأفكار.<sup>2</sup>

### 3- موقفه من التصوف:

مر بن قذور في مراحل حياته بالعديد من المواقف والأحداث، التي اثرت على نسق تفكيره، وخاصة بعد المضايقات التي تعرض لها من طرف السلطات الاستعمارية ونفيه إلى منطقة الأغواط، أين أعلن منها اعتزاله للسياسة، واختيار حياة الزهد والتصوف، وأعلن انضمامه إلى "الطريقة التيجانية"<sup>\*</sup>، وأصبح من أشد المدافعين

<sup>1</sup> عمر بن قذور، "نحن والأكوان" جريدة الفاروق، العدد 23، 01 أوت 1913.

<sup>2</sup> نفسه.

<sup>\*</sup> الطريقة التيجانية: هي إحدى الطرق الصوفية السنية، تنتسب إلى مؤسسها أبو العباس أحمد التيجاني واسمه الكامل أحمد بن محمد بن المختار بن سالم التيجاني (1737-1815م)، وقد بدأت هذه الطريقة في بلدة بوسمغون من مدينة البيض، وغير بعيد عن مسقط رأس مؤسسها عين ماضي بولاية الأغواط التي أجبر على مغادرتها بعد

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قنطرة وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

عن الصوفية وألد أعداء المنتقدين لها، بعدما كان قبل ذلك يحسب على التيار السلفي المناوئ للطرقية. وأسست مرحلة النفي إبان الحرب العالمية الأولى (1914-1918) لمرحلة مختلفة في مساره العلمي ومسيرته الفكرية؛ فقد تميزت المرحلة الأولى بإصلاحية واضحة، ووطنية مناضلة تجاه الأتقال الاستعمارية، فيما تأسست المرحلة الثانية بعد النفي وقربه من الشيخ محمد بن التاوتي، مقدم الطريقة التيجانية، فرأى أن التغيير المنشود للأمة لا بد و أن يعبر قنطرة إصلاح النفوس أولاً، وسبيل ذلك هو التصوف<sup>1</sup>.

وأثيرت العديد من القراءات وراء هذا التحول في منهج عمر بن قنطرة، حيث يرى أبو القاسم سعد الله أن تصوفه ما هو إلا "تقية"، لحماية نفسه من مضايقات السلطات الاستعمارية، وأن "من لا شيخ له لا حماية له من سوط الإرهاب الاستعماري"<sup>2</sup>، فيما يرى صالح خرفي أن تصوف بن قنطرة يعود إلى أجواء المنفى "بعين ماضي" عاصمة الطريقة التيجانية، أين "تروض النفوس الأبية التي استعصت على الاستعمار"<sup>3</sup>. فيما نعتقد أن تصوفه كان نتيجة معاناته في عين ماضي، وحالته النفسية والمادية أثناء وجوده بالمنفى، حيث لم يجد من ينفق على أولاده، فاتخذ من التصوف سبيلاً يخفف عنه معاناته.

---

مداومتها من قبل قوات "الباي عثمان"، باي وهران سنة 1787م وصار لها أتباع في شمال أفريقيا، مصر، فلسطين، الشام، السودان (دارفور)، موريتانيا، السنغال ونيجيريا.  
أنظر أكثر :

. - علي حرازم بن العربي برادة، جواهر المعاني وبلوغ الأمان في فيض سيدي أبي العباس التجاني. بيروت: دار الكتب العلمية، 1997. ص 131-134.

<sup>1</sup> محمد عبد الحليم بيشي، مقدمة تحقيق كتاب الإبداء والإعادة في مسلك سائق السعادة، المصدر السابق، ص 09.

<sup>2</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء 5، المرجع السابق، ص 281.

<sup>3</sup> خرفي، عمر بن قنطرة رائد الصحافة الوطنية، المرجع السابق، ص 41.

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

وبرر عمر بن قذور جنوحه إلى التصوف في كتابه "الإبداء والإعادة في مسلك طريق السعادة" بتأثره الكبير بمقدم الطريقة التيجانية "الحاج محمد بن التاوتي"، لما كان عليه هذا الرجل الأخير من نبل وحسن السلوك والاستقامة، و قد سجل حوله مايلي: "... ومن حسن حظي أن الله تعالى أضافني إلى سميذع\* جليل وعارف نبيل ورب إلى ربه متبتل، وهو حضرة والدي الروحاني ومربي شعوري الإيمان، سيدي ومولاي الحاج محمد بن التاوتي، حفظه الله لنا دخرا. وأجزل له الجزاء دنيا وأخرى. فقد وجدته على بينة من صدق القصد إلى الله تعالى مقيما لميزان الشريعة، سالكا سبيل الحقيقة، فاستنطقت على يده موارد الإنابة، وتناولت بواسطته كأس ذوق جديد صرت به أفهم معاني الآيات القرآنية بصورة لا تكيف...وتحققت باليقين الصدقي أن طريق القوم لا سيما طريق القطب المكتوم هي أرقى ما يكون من معارج هداية القرآن والسنة النبوية وأن ما عداها فهشيم تذروه الرياح... باشرت السلوك بالورد المحمدي الأحمدي التيجاني المتميز عن غيره.."<sup>1</sup>.

ويقر بن قذور أن اعتناق التصوف لم يأت إلا بعد بحث في التاريخ وعلوم البشر والآراء والفنون الطبيعية والمذاهب الاجتماعية والاعتقادية، فوجد أن لب الدين الحقيقي عن "السادة الصوفية الحقيقيين"<sup>2</sup>. ويعلل بن قذور إختياره للطريقة التيجانية دون غيرها من الطرق الصوفية إلى أنها طريقة مستقيمة، وأن شيوخ هذه الطريقة، وفي مقدمتهم مؤسسها "أحمد التيجاني" الذي ألزم أتباعه من مريدي الطريقة التيجانية بصيانة "أعمالهم الدينية من الخل والنقص والإجحاف، وإزالة كل خدش يمس بجوهر العبادات"<sup>3</sup>.

\* سميذع: وجمعها سَمادعُ، ومعناه السيد الكريم السخي والشجاع.

<sup>1</sup> عمر بن قذور، الإبداء والإعادة..، المصدر السابق، ص 27.

<sup>2</sup> نفسه، ص ص 26، 28.

<sup>3</sup> عمر بن قذور، "بعد الساعة الهائلة"، جريدة الوزير التونسية، العدد 03، 19 أبريل 1920.

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

بل أكثر من ذلك أعتبر الطريقة التيجانية هي الـ"الفرقة الناجية"؛ "لأن عمل الرسول ﷺ وعمل أصحابه هو شعار هذه الفرقة ودليلها"<sup>1</sup>. كما يعتقد أن أنكار الطريقة التيجانية موافقة للكتاب والسنة، وليس فيها أدنى بدعة يجب شرعا منعها، ويستدل في ذلك على "أن أعوان حكومة نجد بالحجاز المكلفين بمحاربة البدع والضلالات اقتحموا الزاوية التيجانية بباب السلام مساء يوم الجمعة والإخوان التيجانيون يذكرون الوظيفة جماعة جلوسا بكل سكينه ووقار وأدب، فجلسوا أمامهم يراقبون أعمالهم حتى أتموها وشرعوا في الهيلة إلى أن أكملوها، فقالوا لهم ليس في ذركم بدعة نمنعكم منها فلازموا عملكم فأنتم الذاكرون حقا"<sup>2</sup>.

وبرر عمر بن قذور للصوفية مهادنتها للسلطة الاستعمارية، حيث ذكر بأن التصوف ليس بمذهب سياسي، ولا أريد به السياسة، " وأقوى دليل على ذلك كون مشايخه ومن تبعهم بصدق من الصغار يحذرون أتباعهم من التزلف للحكام والأمراء ومخالطتهم، ينفرون بإلحاح من الرئاسة الداعية لما ذكر من التمدد السياسي، لأن مقصود التصوف آخروي لا تعلق له بزخرف الدنيا وشؤون أهلها"<sup>3</sup>. ويلقي بذلك باللوم على الحكومات الساعية دوماً وراء مصالحها، وتستخدم الفرق والمذاهب في نشر حكمها، ومنها السلطات الاستعمارية التي استغلت هذه الفرق الصوفية في تسخير نفوذهم لترسيخ نفوذها، وكان من مصلحة الشيوخ أن يداروها ويصدعوا بأمرها "حفظاً لمراكزهم الابتداعية...حالة ترجع تبعاتها على شخصيات أربابها... لا على التصوف وطرقه ولا على مشايخه الكمل العارفين رضوان الله عليهم أجمعين"<sup>4</sup>.

وقد خاض بن قذور سجالات حول الصوفية والتصوف مع رشيد رضا صاحب مجلة المنار، واتهمه بالافتراء على التيجانية ومؤسسها دون علم بهذه الطريقة، حيث

<sup>1</sup> نفسه.

<sup>2</sup> عمر بن قذور، الإبداء والإعادة...، المصدر السابق، ص 216.

<sup>3</sup> عمر بن قذور، الإبداء والإعادة...، المصدر السابق، ص 254.

<sup>4</sup> نفسه، ص 255.

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

كتب يقول "فهذه الشعلة النارية التي اتقدت بـ"المنار" وصيرته بعد أن كان منار أمن وهدى و إرشاد بركانا يقذف شواظا وسعيرا من النكر والعناد لم تكن صادرة إلا عن عنصرين؛ عنصر جهل بحقائق الأمور، وعنصر الحكم عليها قبل الإحاطة"<sup>1</sup>، وردا على رشيد رضا في سجاله معه، قال بن قذور موجهها كلامه لصاحب المنار: " فلقد تجاسرت يا رشيد حتى قلت: "التيجاني دجال مبتدع وناسخ لشرعة الله بشرعته"، فهل هذه الصفات الثلاث التي ألصقتها بأبي العباس أحمد التيجاني (رضي الله عنه) تبينت تلك بمكاشفة عن مباشرة لروحه؛ لأن بينك وبينه أكثر من مائة عام، أم تبينتها من أقواله الصحيحة التي هي أساس طريقته قد تقدمت معنا في فصلها، لأنك لو أطلعت عليها لما قلت ما قلت..."<sup>2</sup>.

ولم يستهدف بن قذور في دفاعه عن التيجانية رشيد رضا وحده، بل كل الذين أنكر على الطريقة منهجها، حيث أن السجال حولها كان ولازال مستمر بين رجال الدين والمصلحين في العالم الإسلامي، وأن السجال بين الرجلين ميزته أنه بداية الصراع بين الفكرتين الإصلاحية والطرقية المستمر إلى اليوم. محاولا في كتابه الدفاع عن طريقته بالرجوع إلى أساطين التصوف، متجاوزا ما لحق بالطريقة من بدع وخرافات.

وما يمكن أن نقوله أو نستنتجه من دفاع بن قذور عن التصوف والطريقة التيجانية تحديدا، بطريقة مختلفة زواج فيها بين رؤيته الإصلاحية، ومبادئ التصوف القائم على إصلاح الذات، مميزا في ذلك بين التصوف النظري والتصوف العملي التاريخي الذي أمتزج بأشكال عديدة من البدع والخرافات والفلكلور.

<sup>1</sup> نفسه، ص 310.

<sup>2</sup> الإبداء والاعادة، مصر سابق، ص 318.

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قنور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

### ثانياً: التجديد والإصلاح الديني عند عبد الحميد الزهراوي:

تزود الزهراوي بثقافة دينية واسعة، حصلها أثناء دراسته على يد كبار العلماء في عصره، وأثناء أسفاره وتفرغه للقراءة في مكنتبات الأستانة، ولقاءاته مع رجال العلم والدين والسياسة في الأستانة والقاهرة، وصداقته مع الشخصيات الدينية والإصلاحية المرموقة مثل محمد عبده، ورشيد رضا وجمال الدين القاسمي\*، كما أن انتماء الزهراوي إلى طبقة الأشراف قد زوده بحافز معنوي لتحصيل المعرفة الواسعة، العامة منها والدينية، فكان فقيهاً يصدر الفتوى متى سئل في مسألة من المسائل<sup>1</sup>.

كان للثقافة الدينية الواسعة لعبد الحميد الزهراوي، وإطلاعاه على كتابات مفكري عصره، الدافع لتميز الزهراوي بنموذجه الخاص في الكتابة في الفكر الديني، حيث لم يعتمد فقط على النص الديني في القرآن والسنة، وإنما يستجمع ثقافته الواسعة كلها ويضعها في خدمة النص للنفاز إلى ما وراء المعنى الشرعي له، واستكشاف مدلولاته الاجتماعية والأخلاقية أيضاً، وهو في كل هذا لم يكن ليفكر خارج الشروط

---

\* جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي 1866 - 1914م: هو أحد رواد النهضة العلمية الدينية الحديثة ببلاد الشام في العصر الحديث، وأحد رجال العلم الكبار من المسلمين، وصاحب المؤلفات القيمة الكثيرة التي انتفع بها العلماء وطلاب العلم من المسلمين. قام العلامة جمال الدين القاسمي بنشر بحوث كثيرة في المجالات والصحف، وله مصنفات كثيرة تناول بها جوانب الدين كلها، من العقيدة والحديث والتفسير والفقه والتاريخ = والفرق والأخلاق، تجاوز عدد مصنفاته المئة وعشرة مصنفات، ومنها؛ دلائل التوحيد، ديوان خطب، الفتوى في الإسلام، تنبيه الطالب إلى معرفة الفرض والواجب، إصلاح المساجد من البدع والعيوادم، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث. أنظر أكثر:

- محمد رياض المالح، "العلامة جمال الدين القاسمي: حياته وآثاره"، مجلة أفاق الثقافة والتراث (الإمارات)،

العدد 02، 1994. ص 04-28.

<sup>1</sup> الجامع، المرجع السابق، 52.



## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قنور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

الاقتصادية - الاجتماعية السائدة آنذاك- ودائما ما كانت قراءة الزهراوي للنص الديني لا تتم بمعزل عن فهم الشروط التي ظهر فيها<sup>1</sup>.

وقد تعرض الزهراوي منذ كتاباته الأولى إلى حملة تضيق وتشويه لأفكاره في بعض المسائل الدينية، التي عبر عنها في عدد من الرسائل كتبها في جرائد ذلك الوقت، منها؛ مقالة بعنوان " ثلاث رسائل في الفقه والتصوف"، والتي قسمها إلى ثلاث أقسام هي: أ- لائحة الفقه الإسلامي.ب- الحقيقة والفقه الإسلامي. ج- التصوف والمتصوفة. فيها نقد لبعض المسائل المتعلقة بالفقه والتصوف كما هاجم الصوفية وبين خطرها على الدين والوطن، هذه الرسائل نشرها في مجلة "المنار". التي راسلها في فترة إقامته الجبرية بدمشق، كما كتب أيضا مقالة بعنوان "أجوبة عن المسائل الشرعية في الخلافة" نشرت في "المقطم" بين فيها رأيه في الخلافة وشروطها، وبعض المسائل المتعلقة بها، ورسائل أخرى في النحو والمنطق والطلاق<sup>2</sup>.

وقد أثارت مقالات الزهراوي التي كانت تتميز -كعاداته دائما- بالجرأة والصراحة وتغليب العقل والمنطق (خاصة رسالة الطلاق) غضب العلماء المحافظين، الذين أتهموه بتحريف الدين، وحرصوا عليه العامة من الناس من على منابر المساجد، وأرسلوا ضده ببرقيات للباب العالي مستنكرين ما يكتبه الزهراوي واتهموه بالزندقة والارتداد والمروق من الدين<sup>3</sup>.

ومما كان يقول به الزهراوي في رؤيته التجديدية للدين الإسلامي، أن: "دين الرسل كلهم واحد في الحقيقة، وإنما تختلف أشكال نشأة الأديان، وفروع تعلمها،...

<sup>1</sup> فهمي جدعان، أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، ط 3. عمان: دار الشروق، 1988، ص 310.

<sup>2</sup> الحلاق، المرجع السابق، ص 70.

<sup>3</sup> أنظر الفصل الثاني من الرسالة.

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قدير وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

ومنهاج إقامتها بإختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص<sup>1</sup>، وأن علة التخلف لا تلتبس في التدين بالإسلام، بل في المسلمين النائمين المتنازلين عن حقوقهم، وفي الفقهاء المتحجرين، وفي الحكومات التي سخرت الدين لخدمة لخدمة مصالحها<sup>2</sup>.

ومن أبرز صفات عبد الحميد الزهراوي، أنه يضع آماله أمامه، ويرى النموذج الذي يسعى إلى تحقيقه في الغد، الذي كان يرجو أن يكون أكثر إشراقاً، فلم يكن يعود إلى الوراء ليستمد من ثمة الشرعية لما يدعو إليه ويبشر به، فقد كان يحارب التقليد ويعادي المقلدين من أبناء عصره، وكان خطابه دائم التهكم والسخرية من مقولة "العودة إلى الماضي المجيد"، والقصد منه في ذلك تحطيم وانتزاع القداسة التي يحاول البعض إصاقها بتلك الأزمنة "... ولوع الناس بالتقديم ونسبة البركة والتقدیس إلى الأقدم فالأقدم هذه المسألة التي أضلت الأمة وانزلتها عن معارج الإرتقاء. ولو لا هذه المسألة لما كان علينا من سبيل إذا قلنا الحق في شيء يظهر فيه كذب بعض وخطأ بعض من الذين خلوا قبلنا"<sup>3</sup>، وفي ذلك كان الزهراوي يدعو إلى قراءة جديدة للنص الديني ليس على نفس ما فسر به الأولون ذلك.

### 1- الدعوة إلى الإجتهد:

ظل الزهراوي في مختلف كتاباته يلح على ضرورة إعادة قراءة جديدة للنص الديني، لفهم واستيعاب الواقع الاجتماعي والاقتصادي للدولة العثمانية، وتجاوز كل النصوص الفقهية التي أجتهد أصحابها في استخراجها، لكنها لزم غير الزمن الذي كان يعيش فيه، حيث كان الزهراوي يرى أن الفقهاء القدامى أجادوا "بحسب أزمنتهم

<sup>1</sup> مخزوم، المرجع السابق، ص 12.

<sup>2</sup> نفسه، ص 12.

<sup>3</sup> عبد الحميد الزهراوي، الفقه والتصوف، الأعمال الكاملة، المرجع السابق، ج2 ص 250.

انظر: (الفصل الثاني من هذه الرسالة).

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قدير وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

وأمكنهم<sup>1</sup>، وان لا قداسة لما كتبوه - حتى ولو كان موضوع كتاباتهم المقدس - نافيا صلاحية تلك الكتابات لكل زمان ومكان، كما أنكر على القدماء ادعاءهم بأنهم اعتمدوا على الدين فقط في كتاباتهم، بل إن ما كتبوه كان " سلاحا بيد القضاة والمفتين ومن في حكمهم يعبثون به كما شاءوا"<sup>2</sup>.

حاول الزهراوي من خلال كتاباته أن يهيء الأذهان والنفوس لتقبل الأفكار والأحداث، والمبادئ المتحررة التي كان مع غيره من متتوري عصره يعملون على غرسها، ويمكن القول أن مقالة "رسالة في الفقه والتصوف" كانت تحمل التجديد في الفكر الديني الإسلامي، أراد من خلالها الزهراوي زعزعة العادات والأعراف والتقاليد غير السوية وغير المنطقية وغير مستندة إلى أساس من العقل أو الدين السليم والصحيح. والمبدأ العام الذي يحكم التفكير الديني للزهراوي هو أن "القرآن هو المنطلق لفهم قضايا الكون والحياة"<sup>3</sup>، وأن ما يكتب -في الدين - إنما يفهم على ضوء اقترابه أو ابتعاده عن جوهر النص القرآني.

فالنص الديني لدى الزهراوي لا ينفصل عن الواقع الذي كان يعيشه، فقد أصبح المسلمون يقدسون كتابات الفقهاء "التي اقتضتها عصورهم وطابقت عقول معاصريهم من الحكومات والرعايا كيف كان الحال"<sup>4</sup> وابتعدوا بالتالي عن القرآن، وانه إذا كان الإسلام واحداً، وتعاليمه واحدة، فإن المسلمين ليسوا كذلك، بل هم " بما تحيزوا للدول صاروا شيعاً في الآراء السياسية، ثم بما تحيزوا للرؤساء صاروا شيعاً في الآراء العلمية والمذاهب الدينية، ثم بما تحيزوا للجنس صاروا شيعاً في المشارب

<sup>1</sup> نفسه، ص 258.

<sup>2</sup> عبد الحميد الزهراوي، الفقه والتصوف، الأعمال الكاملة، المرجع السابق، ص 258.

<sup>3</sup> ناجي علوش، المرجع السابق، ص 63.

<sup>4</sup> عبد الحميد الزهراوي، الفقه والتصوف، المرجع السابق، ص 263.

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قنور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

والمعاش<sup>1</sup>، ومع أن المسلمين مختلفين، فإنهم متفقون على تقديس كتابات الفقهاء. والفقهاء -حسبه- وصل إلى درجة كبيرة من الانحطاط في عصره<sup>2</sup>.

توصل الزهراوي من خلال نقده للفقهاء والمقلدين للأسلاف إلى نتيجة هامة، وهي أن الفقه يجب أن يعتمد على القرآن، الذي "لا يختص بفهمه أهل عصر ولا أهل مصر (بلاد)"، فالقرآن للجميع، وليس لأحد الادعاء باحتكاره، وما جاء به القرآن قواعد كلية، وأما الفقه فهو نص نسبي يستمد مشروعيته من اعتماده على القرآن، ومن قدرته على الاستجابة لحاجات الناس التي تتغير في الزمان والمكان<sup>3</sup>.

وحاول الزهراوي حل إشكالية العلاقة بين المطلق والنسبي، بالإبقاء على المطلق كقواعد عامة ومبادئ كلية، ووبريط النسبي بتلك القواعد -نظرياً- وبمصالح البشر المختلفة -عملياً-، والمدخل في كل هذا كله هو الإجتهد الذي يخلص الشرع من الجمود، وهو "من أنفع المباحث في الإصلاح الديني، .. هذا العلم الذي حقيقته نظام للأمة"<sup>4</sup>.

ويعتقد الزهراوي بأن الإصلاح الديني، شرط أساسي للإصلاح السياسي، ولا يتحقق الثاني إلا باستقامة الأول، لكنه تحسر على المآل الذي وصل إليه الإجتهد الديني " فقد شوهدت وجهه الأيام ولم يبق منه مع الزمان إلا حروفه في الكتب، وبقية في المحاكم الشرعية"<sup>5</sup>، وهذا أيضاً بسبب تقديس الماضي، وتشجيع السلطة على ذلك خدمة لمصالحها، والأمة اليوم بحاجة إلى من يجتهد معتمداً على القرآن والسنة والعقل، بعيداً عن تقديس الأقدمين، وإدعاء البعض أن المعرفة تنحصر بهم، وبعيداً

<sup>1</sup> نفسه، ص 264.

<sup>2</sup> نفسه، ص 265.

<sup>3</sup> عبد الحميد الزهراوي، "كلامي في الفقه الإسلامي" مجلة المنار، العدد 11، السنة 04، 1901، ص ص 417-453.

<sup>4</sup> علوش، المرجع السابق، ص 27.

<sup>5</sup> عبد الحميد الزهراوي، الفقه والتصوف، المصدر السابق، ص 286.

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قنور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

عن الخوف من الحكام الذين سدوا باب الاجتهاد، فالإجتهاد " ما قطعه إلا الحاكمون، وما أضلَّ إلا المسيطرون،... ولا خلق من غير المتأخرون"<sup>1</sup>، وهو إدراك للزهراوي لجدلية السلطة والدين في المجتمعات الإسلامية.

لقد بنى الزهراوي رؤيته للإصلاح الديني على فكرة أن أمور الشريعة "مرتبطة بالمنفعة العامة، دافعة الحياة إلى التطور والرقى، وبأصحابها إلى القوة والتألف"<sup>2</sup>، وإن كان الزهراوي يؤسس تفكيره على النص الديني، فإنه كان في مجادلاته وبراهينه يستند إلى ما حصل عليه من ثقافة ثرائية عصرية في ذلك الوقت.

### 2-موقفه من المتصوفة:

اعتبر الزهراوي أن السلطة تسعى من أجل حماية مصالحها، إلى غلق باب الإجهاد الديني، وذلك بتشجيع الطرق الصوفية ودعمها ماديا وسياسيا، لدفع أبناء المجتمع بعيدا عن المشاركة في الشأن العام، أو الإهتمام بمصالح البلاد، واستخدام الطرق الصوفية في محاربة كل فكر لا ينسجم مع توجهاتها.

وكان السلطان عبدالحميد قد استهدف الطرق الصوفية في كسب ولائها للدولة العثمانية، والدعوة الى فكرة الجامعة الاسلامية، واستطاع أن يكون رابطة بين مقر الخلافة -استانبول- وبين تكايا ومراكز تجمع الطرق الصوفية في كل أنحاء العالم الاسلامي، واتخذ من حركة التصوف في العالم الاسلامي، وسيلة للدعاية للجامعة الاسلامية، وأنشأ من أجل ذلك لجنة مركزية، مكونة من العلماء وشيوخ الطرق الصوفية، حيث عملوا مستشارين للسلطان في شؤون الجامعة الإسلامية، ومنهم

<sup>1</sup> الفقه والتصوف، مصدر سابق، ص 287.

<sup>2</sup> نبهان، مقدمة الأعمال الكاملة، الأعمال الكاملة، الجزء الأول، المصدر السابق، ص 28

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

الشيخ أحمد أسعد، وكيل الفراشة الشريفة في الحجاز، والشيخ أبو الهدى الصيادي،  
شيخ الطريقة الرفاعية، والشيخ محمد ظافر الطرابلسي، شيخ الطريقة المدنية<sup>1</sup>.

ومن أبرز الأسباب التي دفعت بالسلطان عبد الحميد الثاني إلى الاعتماد على  
الطرق الصوفية<sup>2</sup>:

1- أن الدولة العثمانية كانت تعتمد على بعض الشيوخ الصوفية في تمتين علاقتها  
مع المسلمين، وخصوصا في الأماكن التي كان يراد فتحها، حيث كانوا يؤدون دورا  
اعلاميا دعائيا للسلطنة

2- كانت السلطنة تتعرف على الراي العام الاسلامي من خلال شيوخ هذه الطرق  
في مختلف انحاء العالم الاسلامي من بلاد تركستان حتى شمال افريقيا .  
3- اتخذ السلطان عبد الحميد الثاني من هؤلاء المتصوفة متطوعين لخدمة  
سياسته.

4- كان السلطان عبد الحميد الثاني، قد تأثر شخصيا بالتصوف وبالتحديد  
بالطريقة الشاذلية، حيث كان لشيخها محمود أبو الشامات مكانة خاصة لديه،  
تمسك بها حتى وفاته. ولا شك أن نزعتة التصوفية وميله للمشايخ وفضوليته للتنبؤ  
بالمستقبل وتعلقه بالعرافين ساعده في استقطاب عدد منهم.

ومن بين شيوخ الصوفية الذي كان لهم حظوة لدى الباب العالي، وقرب من  
السلطان عبد الحميد الثاني، الشيخ "أبو الهدى الصيادي"، شيخ الطريقة الرفاعية، فقد  
كرّس أبو الهدى جهدا عظيما في محاولته لنشر طريقته ولقي مساعدة كبيرة من  
الأوساط الحكومية. فأسس زوايا تابعة للطريقة الرفاعية في مدن متعددة في المنطقة  
العربية، ولاسيما في سوريا. وعيّن في كل منها مندوبا "خليفة" وكان يمنح مكافأة

<sup>1</sup> م حمد حرب سلطان، عبد الحميد الثاني آخر سلاطين العثمانيين الكبار، ط1. دمشق : دار القلم، ، 1990،  
ص 190.

<sup>2</sup> نفسه، ص 195

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قنور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

شهرية له ومصاريق للزاوية. وكانت هذه المكافآت تدفع من الدولة أو من خزينة الولاية أو من موارد الأوقاف<sup>1</sup>.

وعبر الزهراوي عن موقفه من المتصوفة صراحة، حيث يرى بأنهم لم يقتدوا في مخترعاتهم بالنبي محمد ﷺ، فالصادقون منهم يعيشون على فضلات أرزاق الآخرين، أما الكاذبون " فإن أعطوا طلبوا المزيد، وإن حرموا صاحوا وبغوا واعتدوا ومزقوا الأعراس"<sup>2</sup>، فهم في ذلك يتشبهون بالحيوانات، بل أن الحيوانات أفضل منهم لأنها "أعمل في وظائفها الطبيعية من هؤلاء الأدميين"<sup>3</sup>.

معتقدا أن المتصوفة إذا أدعوا حب السلامة، واخترعوا أساليب عيشهم، فهم يفعلون ذلك ليفوزوا بأعظم وأطيب المطاعم والمناجح، معاكسين سنن الوجود الإنساني. وبحسبه هذه دواعي وأسباب بأن لا يغتر الناس "بكل من أدعى التصوف، وتظاهر بالصالح"<sup>4</sup>.

إن انتقاد الزهراوي للمتصوفة، كان يعني بالضرورة للسلطة الحاكمة، التي رعتهم واستغلّتهم في مواجهة خصومها، وإضفاء الشرعية والمصادقية لتسلطها واستبدادها، وبناتقاده للطرقية في بلاد الشام فهو يوجه رسالة إلى كافة الناس الذين هم أكثر من يعاني من هذا الاستخدام الأيديولوجي للدين، بين السلطة والمتصوفة وكان حريصا في مسعاه إلى الفصل بين الدين المطلق إطلاقا، وبين السياسة التي لا يمكن إلا أن تكون نسبية إطلاقا.

<sup>1</sup> سلطان، المرجع السابق، ص 197.

<sup>2</sup> سلطان، المرجع السابق، ص 298.

<sup>3</sup> نفسه، ص 298.

<sup>4</sup> سلطان، المرجع السابق، ص 304.

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

### خلاصة الفصل:

مثلت القضايا الوطنية أولوية الأولويات لكل من عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي، التي كرسا حياتهما من أجلها، ونظرا لاختلاف السياسية والاجتماعية بين الجزائر وسوريا، فقد كان تركيزه الأول على القضايا الوطنية أكثر من الثاني الذي شغلته قضايا الأمة والدولة العثمانية أكثر من قضايا سوريا المحلية في مرحلة طويلة من حياته الصحفية ونشاطه الإصلاحي.

ولم تشكل الصعوبات والعراقيل التي واجهها عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي إلا حافزا للتمعن في الإشكالات والقضايا والتحديات، التي كانت تعيشها الجزائر وسوريا وكذا الأمة العربية والإسلامية في ذلك العصر، وقد حاولنا في هذا الفصل تسليط الضوء على بعض القضايا المشتركة التي خاض فيها الرجلان منطلقان من واقع البيئة والمحيط السياسي والاجتماعي، والمتمثلة في التعليم والتجديد الإجباري والتجديد الديني.

ففي مسألة التعليم، أولى لها كل من بن قذور والزهراوي أهمية كبيرة مع اختلاف طبيعة المطالب التي رفعها كل واحد منهما للسلطات التي تدير البلاد، فقد كرس بن قذور قلمه الصحفي في الكثير من منشوراته للتعليم سواء بالدعوة إلى إنشاء مدارس حرة بعيدة عن هيمنة الإدارة الاستعمارية أو من خلال الدعوة إلى تعليم أبناء الجزائر، لما كان يدركه من المخاطر الناجمة عن سياسة التجهيل التي مارستها سلطات الاحتلال منذ 1830م، معتبرا أن التعليم هو حياة الشعب، حيث رأي بأن تفوق الأوروبيين وهيمنتهم على الدول العربية والإسلامية كان بسبب امتلاكهم لخاصية العلم والمعرفة. وفي نفس الوقت عارض السياسة التعليمية التي انتهجتها السلطات الاستعمارية بداية القرن العشرين، في الجزائر، وكشف عن مضمونها الساعي إلى سلخ هوية المجتمع عن العربية والإسلام. وكان من الأوائل الذين طالبوا بالتعليم المستقل عن الاحتلال لغرس القيم والمبادئ الإسلامية، فالتعليم بالنسبة له بمثابة



## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

السلاح الذي يمكن الأجيال من معرفة حقوقهم وواجباتهم، ومواجهة الظلم الاستعماري.

أما عبد الحميد الزهراوي فقد كان يدعو إلى تجديد طرق ومناهج التعليم التي كانت سائدة في عهد المدارس السلطانية، والتي كانت بعيدة عن روح العصر، لغياب روح النقد والاستسلام المفرط لآراء السلف دون تدبير وتمحيص، فخرج من هذه المدارس الحكومية جيل مشوه وممسوخ، لأن الطلاب لا يطلبون العلم ولا يرجونه بقدر ما يسعون للمناصب التي يتنبؤونها بعد التخرج. وهو في ذلك لا يعارض المدارس التبشيرية للدول الأوروبية التي انتشرت في ذلك الوقت، بل يدعو الناس إلى تدريس أبنائهم بها، رغم الاخطار التي تشكلها على هوية المجتمع.

وفيما تعلق بالتجنيد الاجباري نسجل تعارض الموقف والرؤية بين عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي، ففي الوقت الذي ناصب الأول العداء لمشروع التجنيد الاجباري في المرحلة الأولى، حث الثاني على ضرورة الانخراط في جيش الدولة العثمانية، ودافع من أجل أن ينال العرب شرف الانتماء إليه، والسبب في ذلك واضح، وهو اختلاف هدف التجنيد في كلا البلدين، وإن كان الاثنان أبديا تخوفهما من فساد أخلاق الشباب بعد اختلاطهم بغيرهم من جنسيات وقوميات مختلفة.

الاتفاق والتباين لم يتوقف عند قضية التجنيد بل أمتد الى قضية شغلت ومازالت، بال مسلمين، وهي قضية التجديد الديني، فقد اتفق الرجلان على ضرورة إعمال العقل، وأكدوا بأن التخلف الذي تعيشه الأمة الإسلامية في ذلك الوقت، مرده إلى غياب الاجتهاد في الدين وانتشار الخرافات والبدع، وهو سبب انحراف المسلمين عن إسلامهم الصحيح وانشغالهم بكتب المتأخرين عن النظر في القرآن الكريم والسنة النبوية، وهذا مرده إلى اعتقاد الناس استحالة وصولهم إلى مرتبة الاجتهاد، فالعلاقة بين الاجتهاد والتحديث علاقة مترابطة في رأي بن قذور والزهراوي، فالاجتهاد -في اعتقادهما- هو المدخل إلى التحديث وتطوير المجتمع،

## الفصل الرابع: رؤية عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي للإصلاح والتجديد، ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة

---

هذا فيما يخص نقاط التوافق في مضمار التجديد الديني، أما اختلاف موقفهما فكان من التصوف والمتصوفة، ففي الوقت الذي دافع بن قذور عن التصوف، ولم يجد أي تعارض بين رؤيته الإصلاحية ومبادئ التصوف القائم على إصلاح الذات، بل أكثر من ذلك أعتبر التصوف مدخلا أساسيا لتحقيق الإصلاح، وهذا راجع للأولوية التي أعطاها بن قذور لإصلاح المجتمع الذي ينطلق -حسبه بإصلاح الفرد-، وإن كان يستثني في ذلك بعض الطرق الصوفية التي مزجت تصوفها بالبدع والخرافات، وهو بذلك يستثني الطريقة التيجانية التي انتمى إليها في منفاه بالأغواط. إلا أن الزهراوي أخذ موقف المعارض للصوفية والمتصوفين، وذلك من باب معارضته للسلطة العثمانية، وسعيه لنزع أحد الأسلحة الإيديولوجية التي تستخدمها لمواجهة خصومها، وتبرير شرعيتها وسلطتها الاستبدادية، وبذلك يعارض الصوفية ليس في مبادئها وإنما باعتبارها أحد أذرع الاستبداد في بلاد الشام.

## الفصل الخامس:

### المشروع النهضوي والإصلاحي عند عمر بن قذور وعبد الحميد

#### الزهرائي - التوافق والاختلاف -

المبحث الأول: المشروع النهضوي والإصلاحي لعمر بن قذور

1- دور الجامعة الاسلامية في النهضة والإصلاح

2- جماعة التعارف الاسلامي لشمال افريقيا

3- عمر بن قذور والاصلاح السياسي

المبحث الثاني: المشروع النهضوي والإصلاحي لعبد الحميد الزهرائي

1- عبد الحميد الزهرائي والجامعة الاسلامية

2- عبد الحميد الزهرائي والعمل القومي العربي

3- عبد الحميد الزهرائي والإصلاح السياسي

أ- أهمية العمل السياسي في نهضة الفرد والمجتمع

ب- النظام السياسي وأسسه

خلاصة الفصل:

تجلت ملامح المشروع الإصلاحي والنهضوي لكل من عمر بن قدور وعبد الحميد الزهرابي والأسس التي قام عليها مشروع كل واحد منهما، في الأفكار التي كانا يطرحانها على اجندة الصحافة او في الملتقيات والمؤتمرات التي عنت بشؤون العرب والمسلمين خاصة مع مطلع القرن العشرين، وقد انخرط بذلك الاثنان في النقاش الفكري والسياسي الذي شغل المفكرين والمصلحين في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وقد أثرت كتابات الرجلين عبر الصحف والمجلات هذا النقاش الذي لازال مستمر إلى غاية اليوم.

عموما يمكن القول، أن مشروع عمر بن قدور في هذا الخصوص قد استند على فكرة الجامعة الإسلامية لجمال الدين الأفغاني ومحمد رشيد رضا. ورأي فيها الخلاص من كل المشاكل والهموم التي تعاني منها الأمة العربية الإسلامية، واعتبارها فكرة موحدة، وبها تكون المواجهة لأطماع الدول الأوروبية في الدولة العثمانية، من خلال مشروع جماعة التعارف الإسلامي لأهالي شمال إفريقيا، الذي دعا إليه بن قدور ، كخطوة نحو تحقيق فكرة الجامعة الإسلامية ، وبالرغم من محاولة بن قدور، النأي عن الخوض في الإصلاح السياسي، الا اننا وجدناه منخرطاً بشكل او باخر ، مقدماً رؤيته لكيفية تحقيق ذلك.

أما رؤية عبد الحميد الزهرابي حول الإصلاح والنهضة، وكذا وموقفه من الجامعة الإسلامية التي ناصبها العداة وسعى من أجل إجهاضها كمشروع، دون أن يكون ذلك على حساب الدولة العثمانية، فقد كانت تعتمد أساساً على إصلاح الوضع فيها إصلاح الوضع فيها، وقد تبنى منذ المؤتمر العربي الأول بباريس مشروع القومية العربية، والتي فهمت على أساس أنها جاءت لمواجهة سياسة التتريك التي انتهجها الاتحاديون في ذلك الوقت، لكن الزهرابي كان يرى أن فكرة القومية العربية لا تعادي وجود الدولة العثمانية، بل على العكس، تعد رافد مهم من أجل إصلاحها ولفت انتباه سلطات الباب العالي لما تعانيه مختلف القوميات التي تعيش في ظل الدولة العثمانية، أما في الشق المتعلق بالإصلاح السياسي فقد عدها الزهرابي أولوية

الأولويات لأي إصلاح في المجتمع الإسلامي، بل أعتبر الإصلاح السياسي هو أساس أي إصلاح.

### المبحث الأول: المشروع النهضوي والإصلاحي لعمر بن قدير

انخرط عمر بن قدير منذ بدايات كتاباته الصحفية في النقاش العام حول القضايا الفكرية والسياسية المرتبطة بواقع الجزائر والعالم الإسلامي، وتُظهر مقالاته عبر مختلف الجرائد والمجلات التي كتب فيها حرصه الشديد على جمع جهود المفكرين والمنتقنين حول القضايا الإصلاحية والتويرية بالجزائر، وفي كل أقطار الأمة الإسلامية، مع الأخذ بعين الاعتبار الخصوصيات المجتمعية والثقافية لكل قطر من أقطار هذه الأمة.

وقد انطلق بن قدير في التأسيس لمشروعه الإصلاحي والنهضوي من فكرة الوحدة الإسلامية، وظل يرافع من أجلها في كتاباته ونشاطاته الفكرية والمجتمعية، حتى كادت أن تكون فكرة لصيقة به<sup>1</sup>، وتجلّى ذلك أكثر من خلال جعل الوحدة الإسلامية مبدأ من المبادئ التي قامت عليها جريدته "الفاروق"، واعتبرها الحل لجل المشاكل التي يعاني منها العالم الإسلامي مشرقا ومغربا، حيث جاء في افتتاحية السنة الثانية للجريدة، ما يلي: "...هي المبدأ الخامس من مبادئ الجريدة، وأعني بها قضية الوحدة الإسلامية أي وحدة الإحساسات الروحية التي تربط ثلاثمائة مليون نسمة يتمسكون بمبدأ القومية ويتوجهون إلى قبلة واحدة في صلاتهم..."<sup>2</sup>.

ويؤمن بن قدير بأن الإتحاد هو السبيل للنهوض بالمسلمين ومواجهة السياسات الاستعمارية في مختلف مناطق العالم الإسلامي، وحول هذه النقطة ذكر في إحدى مقالاته: "... إن نتيجة الإتحاد خاصة وعامة، فأما الخاصة منها منفعة عظمى وسعادة فضلى توصل إلى نيل المبتغى مهما كان صعبا عسيرا. وأما النتيجة العامة

<sup>1</sup> اتهمته جريدة الإسلام بأنه متعصبا ومن أشياع الجامعة الإسلامية في الجزائر، وكان رد بأن قدير بأنه ليس متعصبا لأي فكرة، وأن هدف إصلاحي، ولا ينتمي في نشاطه لأي حزب أو تيار. أنظر أكثر:

- عمر بن قدير "نحن والأفاكون"، جريدة الفاروق، العدد 13، 13 ماي 1913.

<sup>2</sup> عمر بن قدير، "الفاروق بعد حول" جريدة الفاروق، العدد 51، 16 مارس 1914م.

فأقل خواصها أن يكون كل فرد من الشعب آخذ بيد صاحبه ومعاوناً له على مطاردة العدو فكأن الشعب بنيان مرصوص، وبهذا وذلك يسهل على الأمة التي تتصف بالإتحاد الوصول إلى ميدان السعادة في حين يضل عنها غيرها...<sup>1</sup>.

وبذلك فقد كانت كتاباته مُشبعة بالنزعة الوحدوية الإسلامية، وقد زاد من إصراره على فكرته، ما كانت تقوم السلطات الاستعمارية من سياسات لتثويهِ الإسلام والمسلمين والسعي نحو مسخ هويتهم الأصيلة، لذلك حرص بن قذور على إبراز الهوية الإسلامية للمجتمع الجزائري، وارتباطه الوثيق بالعالم الإسلامي، مهتماً بكل ما يحدث فيه أخبار، ناقلاً في الوقت ذاته أخبار الجزائر وأحوالها للقارئ في العالم العربي والإسلامي، فكانت المقالات والأخبار التي تخدم رؤيته السياسية من هذا الجانب، تتوزع عبر مختلف أعداد الصحف التي كان يكتب لها، ومن القضايا التي كتب حولها؛ "مستقبل تركيا، مشروع تقسيم آسيا العثمانية"، و"خبايا فضائع الاحتلال الإيطالي بطرابلس الغرب"، و"أخبار الثورة اليمنية"، و"الإسلام في السودان"، و"أحوال العراق ونجد"، و"بلاد عمان"، و"الساعة الهائلة في مراكش"، و"بركان البلكان"، و"الألمان والصهيونيون وكيف يكيدون لتركيا..."<sup>2</sup>.

ولم يكتف بن قذور بنشر أخبار الأقطار العربية والإسلامية أو كتابة مقالات تحليلية لأوضاعها، بل كان يقوم بنشر وإعادة نشر مقالات مفكرين تدعم فكرة الجامعة الإسلامية، كانت قد نشرت في صحف عربية وإسلامية، إذ كانت جريدة الفاروق تعيد نشر مقالات لكتاب عرب ومسلمين بالعناوين التالية: "حقيقة الاتحاد الإسلامي" و"إلى علماء الإسلام الأعلام" و"الإسلام والمسلمون وحقائق الجامعة الإسلامية"، و"آيات الوطنية وشهامة العثمانيين" و"الجامعة الإسلامية والوطنية" و"كيف تكونت الأمة التركية" و"حالة الصحفي المسلم في البلاد الإسلامية" و"سياسة التبشير

<sup>1</sup> عمر بن قذور، "الشعور الإسلامي في الجزائر"، جريدة اللواء المصرية، العدد 1954، 06 فيفري 1906م.

<sup>2</sup> هذه المقالات موجودة في الصحف التي كان يتعامل معها، ومنها الحضارة، الوزير وغيرها من الجرائد والمجلات العربية.

المسيحية في العالم الإسلامي" و"رأي مصلح من مصلحي الهند، في نهضة العرب والإسلام"<sup>1</sup>.

أما من الناحية السياسية، فقد احتلت مسائل معينة اهتمامًا لافتًا وحضورًا متكررًا، مثل قضية انهيار الدولة العثمانية، وأثر الأطماع الأوربية التوسعية عليها، مسألة الاحتلال الإيطالي آنذاك لبلاد طرابلس "أي ليبيا" واحتلال المغرب الأقصى.

### 1- دور الجامعة الإسلامية في النهضة والإصلاح:

نشطت الدعوة إلى فكرة الجامعة الإسلامية بشكل كبير وسط مفكري وعلماء المشرق العربي خلال النصف الثاني من القرن العشرين، والتي كانت ترتكز - كما هو معروف- على العقيدة الإسلامية كأساس لإتحاد المسلمين مهما اختلفت أجناسهم وتنوعت ألسنتهم وتباعدت أوطانهم.

وكانت جريدة العروة الوثقى لصاحبها جمال الدين الأفغاني، ممن تبنت الفكرة ودعت إليها، ونشرت بهذا الخصوص عدة مقالات، وكان مما جاء في إحدى مقالاتها "وازع المسلمين في الحقيقة دينهم وشريعتهم المقدسة الإلهية التي لا تميز بين جنس وجنس، فقد قال (صلى الله عليه وسلم) "ليس منا من مات على عصبية، وليس منا من دعا على عصبية وليس منا من قاتل على عصبية، وهذا ما أرشدتنا إليه سير المسلمين من يوم نشأة دينهم إلى الآن، لا يعتدون برابطة الشعوب والجنسيات وعصبياتها، الفارسي يقبل سيادة العربي والهندي يدعن لرياسة الأفغاني"<sup>2</sup>. ويقول جمال الدين الأفغاني في ذات العدد "لاجنسية للمسلمين إلا في دينهم، فتعدد الملكة عليهم كتعدد الرؤساء على القبيلة"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> مقالات متفرقة في أعداد جريدة الفاروق.

<sup>2</sup> ألما وتلن، عبد الحميد ظل الله على الأرض، (ترجمة: راسم رشدي). مصر: دار النيل للطباعة، 1950، ص 175.

<sup>3</sup> نفسه، ص 276.

وممن دعوا بحماس لهذه الفكرة وتأثر بهم بن قدور ، هو الزعيم المصري "مصطفى كامل" ، الذي كان يرى أن من واجب العثمانيين والمسلمين جميعا أمام عداوة أوروبا للدولة العثمانية، هو الاجتماع حول راية السلطنة العثمانية، وقد نقل عنه قوله: "فواجب العثمانيين أن يجتمعوا جميعا حول راية السلطنة السنية، وأن يدافعوا عن ملك بلادهم بكل قواهم، ولو تفانى الكثيرون منهم في هذا الغرض الشريف حتى يعيشوا أبد الدهر سادة لا عبيدا، وواجب المسلمين جميعا أن يلتقوا حول راية الخلافة الإسلامية المقدسة، وأن يعززوها بالأموال والأرواح، ففي حفظها حفظ كرامتهم وشرفهم، وفي بقاء مجدها رفعتهم ورفعة عقيدتهم الإسلامية"<sup>1</sup>.

وقد كان عمر بن قدور ممن تأثروا بفكرة الجامعة الإسلامية في بلاد المغرب، زأصبح من المناديين إليها واستند في رؤيته الفكرية للوحدة الإسلامية إلى ماضي هذه الأمة التي أقامت حضارة إنسانية بفضل عزائم أبنائها، ومحاربتهم للفوضى الأخلاقية، لكن استحضاره لهذه المسألة لم يجعله يتغاضى عن النموذج الحضاري الغربي المعاصر له، دعيا إلى فهم أسباب تقدم أوروبا وما حققته من نمو وإنجازات. وعبر عن قناعته بأن نهضة الأمة الإسلامية لا تحصل إلا بالاتصاف والإلتزام بقيم الاجتماع والتعاون والتفاهم، مع محاربة الأمية والجهل بقوة العلم. وكان دائم التأكيد على ضرورة توظيف وتدريس التاريخ لما له من فائدة في تنوير المجتمع، وتنشئة الشباب المسلم على قيم الحضارة الإسلامية، وتعريفهم بماضيها المجيد، الذين عليهم الآن مسؤولية النهوض بها. وأكد بصورة واضحة على أن تاريخ الأمة الإسلامية وحقايقها، له الأثر الكبير في تأصيل وصيانة الهوية الإسلامية للمجتمع الجزائري، من الناحية الروحية"<sup>2</sup>.

كما ادرك بن قدور أهمية الاعتزاز بعناصر الهوية الإسلامية للشعب الجزائري والعمل على ترسيخها كألية مواجهة للسياسات الاستعمارية، وهو ماتبينه عباراته التالية: "كانت أمتنا المحمدية بنت أساس الصروح العالية الآن، وسهلت على أمة الغرب

<sup>1</sup> مصطفى كامل، المسألة الشرقية، مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2013 ص 30.

<sup>2</sup> عمر بن قدور، افتتاحية العدد، جريدة الفاروق، بتاريخ 28 فيفري 1913.



طريق الحضارة المتربصين بها الآن، ونسجت البداية للعلوم الراقية في محاسنها لشعوب أوروبا اليوم، والمحكنين من القوم يعرفون هذا تمام المعرفة ويصرحون به في المحافل العلمية. ولما كنا معشر المسلمين غير آمين آثار أسلافنا الذين سبقوا بأحسن المآثر وفازوا بالسطور البيضاء في بطون التاريخ فارقت محبة الوطن أفئدتنا....<sup>1</sup>

وقد شكلت الإشادة بمجد الأمة الإسلامية عند بن قنور منبرا تنويرياً لتعزيز الثقة في النفس وبناء هم المتطلعين إلى الإصلاح والنهوض بالأمة الإسلامية، فكتب محفزاً هذه الفئات الفاعلة والموعول عليها في بناء مستقبل هذه الأمة، وهم الشباب تحديداً، "أبناءنا اجتهدنا وجاهدنا وجمعنا الجيوش والعساكر وجهزنا الأساطيل وربطنا في الثغور وطاردنا كل عدو غادر، حتى فتحنا الشرق والغرب ووطدنا أقدام المدنية الإسلامية في كافة أنحاء المعمورة واستعمرنا بلاداً شاسعة وأقطاراً واسعة لكي تكون مهدياً لكم يوم توجدون ولا تكونوا عالة على الأمم..."<sup>2</sup>.

ويستشهد عمر بن قنور على أهمية الإتحاد بالرجوع إلى التاريخ الإسلامي، أين كان بأس المسلمين شديداً، وهو ما كان يغيض خصومهم، فعملت القوى الاستعمارية على النيل من وحدتهم لما جهل المسلمون بأهمية وحدتهم، ويشرح هذه الوضعية في مقال بعنوان: "بعد حول"، والذي نشره في جريدة الأخبار: "... الذين شتتهم الجهل قبل أن تمتد السياسة فيه لتزيده تمزيقاً. فلما جاءت السياسة الغربية أيدت هذا الحكم، واستعملته أداة لنيل أغراضها، فانبث الشقاق بين الأقسام الإسلامية..."<sup>3</sup>، وأضاف كيفية الخروج من هذه الحال قائلاً: "وما من سبيل لخروج العالم الإسلامي من الإنحطاط حسبه إلا "بتوحيد إحساساتهم ومناسباتهم الدينية"<sup>4</sup>.

كما أبرز بن قنور أهمية وضروة الوحدة الإسلامية في سياق ما يحدث في العالم، حيث ذكر أن: "وجود الوحدة الإسلامية كوجود الوحدة المسيحية، مضمونها

<sup>1</sup> صحيفة الهلال، بتاريخ 01 فيفري 1907.

<sup>2</sup> جريدة الأخبار، بتاريخ 23 أكتوبر 1910.

<sup>3</sup> عمر بن قنور، "بعد حول"، جريدة الأخبار، المصدر السابق.

<sup>4</sup> نفسه.

تضامن الإحساسات الملية والقومية، وليس في تبادل هذه الإحساسات خطر على المدنية العصرية كما يتوهم رجال الغرب... ولبلوغ هذه الغاية سيعتني "الفاروق" بكل ما يمس بالشعوب الإسلامية وينشره تحت هذا العنوان "العالم الإسلامي"<sup>1</sup>.

ولم يكن النهوض الإسلامي الذي يعمل من أجله بن قذور، قصد تحقيق التقدم والرقي الاجتماعي والأخلاقي فقط، إنما كان يبحث ويسعى أيضا، في هذا السياق إلى مجابهة العالم الإسلامي للمطامع الدولية الغربية ومشاريع اقتسامه بين القوى الاستعمارية، وإلى الخروج بالشعوب الإسلامية من الانحطاط والسقوط السياسي والحفاظ على الكيان الحضاري الإسلامي من خلال دعوته لإحياء وتنشيط مفهوم الرابطة الإسلامية. فيرى أن العالم الإسلامي على حافة السقوط والاضمحلال والسبب في ذلك هو: "التهاون في حفظ ما خلف الحمى وأمامه، وما للجوار من المناسبات الأكيد حفظها لاسيما الرابطة القومية والدينية منها سواء في ذلك الأفراد والأمم. ولو لا خيانة الإنسان في هذا الباب، وإهماله لهذا الواجب الاجتماعي والديني، لما كان لسيئاته الأخرى شيء يذكر في جانب هذه الحسنات العظمى، حسنة التضامن والائتلاف..."<sup>2</sup>

واعتبر أصل هذه الرابطة الداعية إلى "التضامن وفضلها مثبت في التعاليم الإسلامية، وكذلك عبر عنها المفكرون والفلاسفة والنبغاء في كل عصر ومصر (قطر). لكن إتباع المنافع الذاتية أنسى المنافع العمومية وتم إهمالها فكان داء اللاتضامن القومي والديني أو الملي قد استشرى دأؤه في وسط الشعوب الإسلامية"<sup>3</sup>، التي أصبحت من الشعوب المستضعفة في العالم في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وهدفا للمشاريع الاستعمارية وللتعصب الديني المسيحي. وبرأي بن

<sup>1</sup> عمر بن قذور، "بعد حول"، جريدة الأخبار، المصدر السابق.

<sup>2</sup> عمر بن قذور، "ما أكل الثور الأحمر إلا لما أكل الثور الأبيض"، جريدة الفاروق، بتاريخ 16 مارس 1914.

<sup>3</sup> نفسه.

قدور فإن فكرة ومضامين الوحدة الإسلامية "تفزع أوروبا وتعتبرها تشوفات عدوانية ضدها"<sup>1</sup>، لذلك أعتبرها تطلع أساسي للتمدن والعمران.

وهكذا أدرك بن قذور أن الإدارة الاستعمارية كانت تنظر إلى "الجامعة الإسلامية" بأنها توجه سياسي يهدد أمنها ويحرض ضدها، لذلك نجده يتحاشى الإستخدام المكثف لمصطلح "الجامعة الإسلامية" ويعبر عنها بمفاهيم ومصطلحات أخرى تحمل نفس الدلالة والمعنى، من مثل "الوحدة الإسلامية"، و"القومية الإسلامية"، أو "الرابطة الإسلامية".

وتعتبر القومية الإسلامية هي الرابطة التي تربط جميع المسلمين دون أي اعتبار جنسي أو لغوي أو عرقي بحسب بن قذور - وهو ذات المفهوم الذي عبر عنه جمال الدين الأفغاني-، فهي رابطة تربط المسلم بأخيه المسلم " وإن كان أحدهما بأقصى الشرق و الآخر بأقصى الغرب"<sup>2</sup>.

ونظرا لما تكتسيه فكرة الجامعة الإسلامية من أهمية سعى بن قذور إلى التاصيل إلى هذه الدعوة والبحث عن المبررات الشرعية لها وانها، تحث على الوحدة والتعاون والتآخي "قبل أن تحث على الصلاة والصوم"<sup>3</sup>، ولذلك ونظرا للواقع المخزي للمسلمين الذي يتميز بالإنحطاط وسيطرة الأجنبي نتيجة انقسام العالم الإسلامي إلى دويلات أو "عصبيات عرقية وجنسية"<sup>4</sup>، فهي فريضة وضرورة، أما تصوره للقومية الإسلامية، فهو نفس تصور "الأفغاني" للجامعة الإسلامية.

ويعتقد بن قذور أن مسلمي اليوم- يقصد تلك المرحلة- لم يتمكنوا من فهم هذه "الرابطة الجليلة"، كما فهم السلف الصالح منهم الخلفاء الراشدون، والتي يصفها بقوله

<sup>1</sup> عمر بن قذور، "بعد حول"، المصدر السابق.

<sup>2</sup> عمر بن قذور، "دان النهوض ولم يدن"، جريدة الفاروق، العدد 15، 06 جوان 1913.

<sup>3</sup> نفسه.

<sup>4</sup> عمر بن قذور، "دان النهوض ولم يدن"، جريدة الفاروق، العدد 16، 12 جوان 1913.

"... لو علمنا نبذة منها أو عملنا بها، لما وصلنا للحضيض الذي فيه نقوم ونقعده، كما الذي يتخبطه الشيطان من المس.."<sup>1</sup>.

ويذهب بن قنور بعيدا في إيعاز ما تعانيه الأمة الإسلامية من انقسام وتشتت إلى علة "اللاتزامن" بين المسلمين، فصار العالم الإسلامي "أجزاء مفتتة، ولولا رجال قدروا التضامن قدره لأودت بها تلك العلة دفعة واحدة، حيث لا يبقى للإسلام ذكر بين الآخرين"<sup>2</sup>.

لهذا دعا إلى إحياء روح "القومية الإسلامية" من جديد، لأنها تعيد للمسلمين أمجادهم الغابرة، وبواسطتها يستطيعون حماية حيزهم القومي الذي يكاد يتلاشى بالمرّة تحت حكم الحوادث"<sup>3</sup>، فلا يصح للمسلمين أن يظلوا في تلك "العصبيات الممقوتة، وهذا ليس لأن الدين يمقتها، ولكن لأننا "لا قينا منها المحن الشديدة"<sup>4</sup>.

وكان أحد المفكرين السياسيين العرب وهو "رفيق العظم"، قد عبر عن وهم وخطر "الجامعة الإسلامية" لدى أوروبا، التي تستخدم جرائدها للترويج لخطرها، واعتبارها مهدداً للمدنية، مع أن الواقع السياسي والحضاري لا يعكس هذا، حيث يقول، "إن السياسيين من أهل أوروبا لا يخجلون من الحق ولا يستحيون من جميع العالم الإنساني الشاهد عليهم بالكذب والبهتان حيث ينادون بخطر الجامعة الإسلامية واتحاد الإسلام، مع أن المسلمين في كل ناحية من الأرض صاروا أسرى الدول الأوروبية وأصبحوا لا حول ولا قوة إلا تلك العاطفة الدينية المنبعثة عن الشعور دون العقل الفعال"<sup>5</sup>. وللتدليل على هذا التوجه الأوروبي الذي يحرص على ضرورة بقاء الهيمنة الاستعمارية على الشعوب الإسلامية، سجل ما كتبه أحد المثقفين الفرنسيين

<sup>1</sup> عمر بن قنور، "دان النهوض ولم يدن"، جريدة الفاروق. المصدر السابق

<sup>2</sup> عمر بن قنور، "ما أكل الثور الأحمر إلا لما أكل الثور الأبيض"، جريدة الفاروق، العدد 53، 23 مارس 1913.

<sup>3</sup> عمر بن قنور، "دان النهوض ولم يدن"، جريدة الفاروق، العدد 16، 12 جوان 1913.

<sup>4</sup> نفسه.

<sup>5</sup> رفيق العظم، الجامعة الإسلامية وأوروبا. القاهرة: مطبعة هندية، 1907 م، ص 34.

وهو فيليب ملات (Philippe Millet) حول وجود تيار "الجامعة الإسلامية" في الجزائر وأن ذلك يتجلى ليس فقط في معارضة التجنيد الإجباري للجزائريين في الجيش الفرنسي باسم "القومية الإسلامية"، وإنما أيضا من خلال وجود تضامن للجزائريين وتقديمهم مساعدة أو إعانة للهلال الأحمر جراء الاحتلال الإيطالي لليبيا والحرب الدائرة هناك خلال سنة 1913<sup>1</sup>.

وتم تحويل وتصوير حركية النهضة الإسلامية، من خلال "الجامعة الإسلامية" كقوة مرعبة في ذلك العصر. حتى أن أحد المستشرقين المعاصرين يرى بأنها "كانت كل ظاهرة مناهضة للإمبريالية، حتى ولو كان مبعثها مشاعر محلية خالصة، تعزى إلى تلك الحركة الإسلامية". وكانت الكلمة نفسها توحى بالتطلع الإسلامي للسيطرة وبأيديولوجية عدوانية وبمؤامرة على نطاق عالمي ... والواقع أنها -حسب رأيه- تتألف من حركات واتجاهات مختلفة ومتشعبة، وجرى تضخيمها<sup>2</sup>.

وكان التيار التغريبي في الجزائر الموالي للتوجهات السياسية والثقافية للإدارة الاستعمارية، قد انخرط هو الآخر في معاداة ومناهضة النخبة الجزائرية المناضلة من أجل هوية الأمة الجزائرية العربية الإسلامية، وخصوصيتها وانتماءها الحضاري لفضاء العالم الإسلامي، وفي خضم هذا الصراع، قامت صحيفة "الإسلام" الاندماجية الناطقة باسم التيار المتفرنس والتغريبي في الجزائر، باتهام عمر بن قدير بالانتماء لتيار الجامعة الإسلامية، واعتبرت بأنه من خلال الخط الافتتاحي والإعلامي لصحيفته "الفاروق"، يعتبر من الذين كانوا يحضرون في الخفاء للتمرد والعصيان على دولة فرنسا.

<sup>1</sup> Philippe Millet, " Les Jeunes Algériens", *La revue de Paris*, Novembre – décembre, 1913, P 17.

<sup>2</sup> شاخت وبوزورث، تراث الإسلام، سلسلة عالم المعرفة، ط2. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1988، ص 86.

وقد رد بن قدير على هؤلاء الاندماجين بكل قوة واعتزاز، من خلال مقال نشره في العدد الرابع من " الفاروق "، مبينا اعتزازه بأصالته الجزائرية وتقانيه في خدمة الدين الإسلامي، رافضا أن يقدم هؤلاء التغريبيين عبر صحيفتهم "الإسلام"، التي نعتها بـ "الإلحاد" كممثلين أو كزعماء سياسيين للأمة الجزائرية، لأنها " كانت تخدع العقول الساذجة بمعنى اسم الإسلام الساطع وتدس لها السم بما تحته من الإفك والبهتان"<sup>1</sup>.

ولم يكتف أصحاب هذا التيار، وعبر صحيفتهم "الإسلام" بتلك التهم الموجهة لعمر بن قدير، وإنما اعتبروا بممارسته تلك، قد دخل في العمل السياسي، وهو الذي أعلن مجانيته له، فكان رد بن قدير أنه ليس من الحزب الديني المذكور، وعبر عن استقلالته الفكرية وابتعاده عن سياسة النفاق، فقال بضمير المتكلم: "لقد قالوا عنا أننا من حزب الدين، وأنا تحامينا السياسة فما لبثنا أن سقطنا فيها ... هذا إدعاء غريب وتهافت مبين ... إننا متدينون حقيقة، ولكننا مستقلون، و شخصنا شخص إصلاح، وخطتنا خطة اعتدال..."<sup>2</sup>

مؤكدًا من جهة أخرى أنه يمقت العمل الحزبي ولا يرى فيه أي جدوى، "إننا جزائريو الأصل والمولد والمنشأ، وكل من عرفنا منذ نشأتنا يتحقق أننا لسنا من الذين يتوغلون في المضايق السياسية والأحزاب، بل إن فكرتنا يعرفها كل من اطلع على كتابتنا سواء في جريدة "الأخبار" أو في الجرائد التونسية أو في الجرائد المصرية أو جريدة "الحضارة" بالأستانة، وهي تحتوي على معنى واحد، وهو خدمة الدين الإسلامي، والعمل على إصلاحه، وتهيئة أهله لفهم حقيقته، لأن المسلمين لا تفيدهم السياسة المجردة من الدين بشيء أبداً ... وعلى هذا المحور كنا ولازلنا نكره ونحارب الجامدين، أي متبعي القديم من قومنا والمغالين في التفرنج واتباع الجديد منهم، إلى درجة الإلحاد ومبغضي المسلمين من حزب الاستعمار، ونتبرأ من كل شيء يمس بشرف الإسلام..."<sup>3</sup>

<sup>1</sup> جريدة الفاروق، بتاريخ 21 مارس 1913.

<sup>2</sup> نفسه.

<sup>3</sup> جريدة الفاروق، 21 مارس 1913.

وعموماً عبر بن قدور من خلال كتاباته عن توجهه السياسي من خلال مبدأ الوحدة الإسلامية، منطلقاً من التجاوب الوجداني والروحي للشعوب الإسلامية فيما بينها، في سياق التناول الإعلامي لمسائل العالم الإسلامي السياسية منها على الخصوص، كما بيناه آنفاً، فإن جهوده الفكرية والعملية، كالدعوة التي اطلقها سنة 1911 والهادفة إلى تأسيس هيئة تحت اسم "جامعة الصحافة الإسلامية"، ثم مساهمته في إثراء النقاش الذي جرى حول تجديد أو تحديث "الكتابة العربية" من خلال تقديم مشروع توحيدها عبر كل الجرائد الإسلامية المستعملة للحروف العربية تحت إشراف الحكومات الإسلامية رافضاً تبديلها بالحروف اللاتينية<sup>1</sup>.

ودعم عمر بن قدور مشاريع التنوير الهامة في الوطن العربي، حيث كتب سنة 1911م، يثمن دور "دار العلم والإرشاد" في مصر لصديقه محمد رشيد رضا متعهداً ومنوهاً بدورها معتبراً بأنها الخطوة العملية، والسبيل الوحيد لنشر الدعوة الإصلاحية وللخروج بالأمة الإسلامية من داء التقهقر والسقوط ونهوضها فكتب يقول، "علم المصلحون اليوم أن السبيل الرشيد هو تأسيس جامعة إسلامية، يخرط في سلكها المسلم الصيني، كما يدخل فيها المسلم المراكشي، ويكون فيها المسلم الإنكليزي أخصاً للمسلم السوداني، جامعة تفتح أبواب كليتها (دار العلم والإرشاد) لكل راغب من أتقياء المسلمين ليتلقى فيها ما زكت منفعتة ... وليكون رسولاً مبشراً بالحق في الأقطار وناشراً للدين الحنيف في كافة الأمصار ناهياً عن المنكر والبيغي ..."<sup>2</sup>.

إن التصور الفكري الذي وضعه بن قدور في مقارنته لمبدأ الرابطة الإسلامية، يعكس عبر نتاجاته الصحفية استحضار المرجعية العقائدية والتاريخية للأمة الإسلامية، فرابطة المسلمين الحقيقية عنده دامت في دولة الإسلام فقط خلال مرحلة الخلفاء الراشدين، ثم زالت بعد ذلك وحصل الانقسام في صفوف المسلمين، الذي كان نتاجه وبالأخص عظيمًا على الشعوب الإسلامية من بعدها. والرابطة هذه قوة روحية، ميزت رجال السلف لبناء الإسلام وحضارته، إنها الرابطة القومية الأساسية لمختلف

<sup>1</sup> جريدة الأخبار، بتاريخ 08 جانفي 1911

<sup>2</sup> جريدة الأخبار، بتاريخ 16 أفريل 1911.

تلك الشعوب. وهنا كتب قائلاً، " تلك الرابطة هي قوة روحية إذا تم كانت من ضمير المرء تجعله يحن إلى أخيه حنوا لا يرى به عند أخيه عيبا ينكره عليه ولا شذوذاً يخذله، رابطة حث عليها الإسلام قبل أن يحث على الصلاة والصيام فأصبح بها أهلها المعتنون بتنميتها متضافرين وقلوبهم صخور مرصومة إلى بعضها فتألف منها سور ضخم لا تهزه زوابع الشقاق ولا تمسه أمواج التخاذل ..."<sup>1</sup>

ثم يتساءل مستنكراً، حول ما إذا كنا نعلم نحن قيمة تلك الرابطة؟. ويجب في نفس المقال بالنفي، نظراً للمركز المتخلف الذي تتخبط فيه الأمة الإسلامية فيما بين الأمم. ورأى أن الواقع لا يقول بوجود مسلمين حقيقة، إنما بوجود عناصر تركية أو عربية أو بربرية، أو القول بوجود مغربي أو جزائري أو تونسي أو سوري أو مصري أو حجازي أو عراقي أو فارسي أو هندي أو أفغاني أو جاوي بحسب الأوطان، من جانب حيثية التنافر الموجود فيما بينها كلها بسبب انحلال الرابطة الإسلامية التي كانت تربط كل مسلم بأخيه وإن كان أحدهما. بأقصى الشرق والآخر بأقصى الغرب..."<sup>2</sup>.

وفي إطار هذه المقاربة الفكرية، قدم نسا صحافيا فكريا آخر، وتحليلاً تاريخياً، يشرح فيه السبب الذي أدى إلى هذا التنافر والتباعد فيما بين مكونات الأمة الإسلامية، خصوصاً ظهور العصبية العرقية بين أجناسها وتضارب المصالح الذي أدى إلى التنارع والانهيار، مصداقاً لقوله تعالى المعبر عن مبدأ السنن الكونية، "ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم". ويرى أن الدين ينبذ إثارة العصبية، ولا عصبية أقوى من عصبية التقوى التي هي روح الرابطة القومية، خاصة في الوقت الراهن آنذاك: "إننا الآن في وقت لا يصح لنا فيه أن نفرع إلى تلك العصبية الجنسية "أي العرقية" الممقوتة لا لأن الدين ينبذها فقط بل ولأننا منها لاقينا المحن الشديدة ولأننا الآن في حيز ضيق... فنتنافس عليها بتلك العصبية، بل العلى اليوم لمن علم فعمل. وعصبية التقوى هي القوة الكبرى وهي الرابطة التي نفتش عن جرثومتها في قلوب

<sup>1</sup> جريدة الفاروق، بتاريخ 06 جوان 1913.

<sup>2</sup> نفسه.



المسلمين ونرجو لها النمو، نم تتلاشى معه جميع العصبية جنسية كانت أو مذهبية والاختلافات اجتهادية كانت أو صوفية...<sup>1</sup>.

إن السياق السياسي والحضاري يحتم على المسلمين أينما كانوا، البحث عن الوسائل وعن الأسباب لإيجاد تلك الرابطة الحقيقية النابعة من روح الإسلام، التي وبحسبه فككتها العصبية المذكورة آنف، ثم انتقد حكام تركيا لتلك الفترة قبل قيام الحرب العالمية بسنة، خاصة في توجهاتهم السياسية الجديدة، فقال: "أن روابط الأمم هي الفاعلة حقا، هي المسيطرة على كل قوة، وذكر مثال نجاح رابطة البلقانيين ونجاح رابطة أوروبا بالرغم من التنافس السياسي والحربي"<sup>2</sup>.

ويرى بن قدور، أن الحفاظ على المجال القومي المتبقي للمسلمين لن يكون إلا عبر إحياء الأمل في الحركة الإصلاحية التنويرية، وهو الفعل الذي يقع على عاتق النخبة المؤثرة في المجتمعات الإسلامية من مفكرين ومشايخ الطرق الصوفية ورجال السياسة وغيرهم، حيث قال: "نحن ليس لنا إلا أمل واحد في تنبيه سلك الأعصاب المتخدرة يمكن لنا أن نعلق عليه إيجاد تلك الرابطة القومية الإسلامية وهو منوط بهم العلماء والأغنياء والمفكرين وذوي النفوذ من رؤساء الطرق الصوفية وأيضا رجال اليوم الذين يدعون الزعامة على شعوبهم وأيضا رجال الغد من هم في المدارس يهيئون مستقبلهم..."<sup>3</sup>.

وبذلك، ركز بن قدور في دعوته لإعادة إحياء فكرة الوحدة الإسلامية على مجموعة من المفكرين والعلماء، الذين -حسبه- من واجبهم إيجاد المبررات العلمية التي تقود إلى الوحدة الإسلامية، حيث يجب عليهم تقديم النصح للأمة، وتنبيه الغافلين من العامة إلى أهمية التعاون والتضامن، وكذلك الأغنياء الذين يجب عليهم مساعدة العلماء، والمساهمة بأموالهم في إقامة المشاريع الخيرية، التي تعود بالفائدة على الأمة الإسلامية، وتدفعها إلى إعادة إحياء "الرابطة الإسلامية، وفي ذلك يقول

<sup>1</sup> جريدة الفاروق، بتاريخ 13 جوان 1913.

<sup>2</sup> جريدة الفاروق، بتاريخ 13 جوان 1913.

<sup>3</sup> نفسه.

"... إن النجاة يا معشر المفكرين لا تتالوها ما دتم في تخاذلكم المعروف، ما دتم لا تحترمون أفكار بعضكم، ما دتم تسفهون أحلام من يتجرأ على النبوغ منكم، ما دتم خاملين جامدين لا تجدون من أفكاركم المتتورة جرثومة عاملة متحركة حركة محسومة... أنتم معشر الأغنياء لا تؤتيكم مثقال ذرة من السعادة ما دتم تبخلون على المشاريع العمومية بما أفاد الله عليكم، وما زلتم تسخرون من دعوة المفكرين إذا دعوكم إلى إعانتهم. إن الأمة مفتقرة في جميع شؤونها الحيوية إلى شيمكم، فإذا تقاعستم عن إجابة دعوتها فقد سجلتم عارا على أنفسكم لا تمحيه الدهور، ولا تبيده الأوقات إلى يوم النشور.... أنتم معشر العلماء إنكم لا تتالون درجة العلم الحقيقية إلا إذا بذلتم مجهوداتكم في تربية من هم في مسؤولياتكم لجهلة والأغنياء... بهذه الطوائف الثلاث نخط الأمل في ترقية الأمة الإسلامية، فلو يهيب الله منها حركة علمية عملية تهذيبية لتكون الرابطة الإسلامية، وقد تكون لتلك الحركة أعمال عظيمة يتحرك بها جموع العالم الإسلامي.."<sup>1</sup>.

## 2- جماعة التعارف الإسلامي لأهالي شمال إفريقيا

ان اقتناع بن قنور بفكرة الجامعة الإسلامية ، ودفاعه المستميت من أجل تحقيق مشروعها، لما تعود به من خير للأمة العربية والإسلامية -حسبه-، حاول استنساخ تجربة محمد رشيد رضا، من خلال تأسيس "جماعة التعارف الإسلامي لأهالي شمال إفريقيا" سنة 1913م، كمشروع إصلاحي تنويري لأهالي شمال إفريقيا الذين يعانون من سطوة الإستعمار الفرنسي.

ويظهر من خلال هذا المشروع الجديد، والمتماشي مع فكرة الجامعة الإسلامية مدى إدراك بن قنور لأهمية وحدة بلاد المغرب، ويعبر في هذا الإطار عن مدى سعة أفقه الفكري التنويري وأنه بمثابة السياسي والمدرك لراهن العالم الإسلامي آنذاك، وتعبير عن نزعتة العقائدية والانتمائية لفضاء الرابطة الإسلامية، التي تتضمن بالنسبة إليه مرتكزات الوحدة الإسلامية والتضامن الإسلامي، في عصر كانت تجابه فيه

<sup>1</sup> عمر بن قنور، "دان النهوض ولم يدن"، جريدة الفاروق، العدد 17، 20 جوان 1913م.

## الفصل الخامس: المشروع النهضوي والاصلاحي عند بن قذور والزهراوي - التوافق والاختلاف-

الشعوب الإسلامية أخطار ومطامع السياسة الدولية الغربية، ولتحقيق هذه الغاية (الوحدة)، باشر اتصالاته، محاولاً مد الجسور بين الشباب التونسي والجزائري منذ سنة 1911م، لتشمل شبان المغرب فيما بعد، وذلك بهدف تكوين مؤتمر إسلامي كبير لشمال إفريقيا، تؤسس من خلاله " أمة شمال إفريقيا"<sup>1</sup>.

وقد اعتبر بن قذور أن مفهوم الوحدة الإسلامية مرتبط أساساً بمفهوم تضامن المشاعر والإحساسات الدينية والقومية، ووجود حركة فكرية وثقافية حقيقية بين أقطار بلدان المغرب، تسعى إلى النهوض بأهالي هذه المنطقة الذين عانوا الكثير من ويلات الإستعمار والجهل، لذلك أراد أن تتوج هذه الحركة برابطة تجمع بين علماء ومفكري شمال إفريقيا، وعبر عن آماله وطموحاته في تحقيق هذا المسعى بالقول: "لقد شعرنا بإحساس شريف يسري بين المفكرين من هذه الأمة الإسلامية، في غضون ما تنفته صدورهم وتخطه أقلامهم وتبديه آرائهم، لذلك رأينا أن نهذف هذا الإحساس ونزيده طموحاً وتشبثاً بالنمو بنصب هذا المشروع العظيم، أمام أعين إخواننا المفكرين ليجعلوه قبلة آمالهم... ووجهة أغراضهم في أعمالهم، ومحط غاياتهم ومقاصدهم، فليبدلوا إذا كل نفيس لإعلاء والتنمية شأن التعارف بينهم... وإنا ننتظر جواب كل فرد منهم على السؤال المرسوم أعلاه، ليتسنى له أن نسجله في دفتر التعارف، متوسلين إلى الأيام بالثبات لكي نحرز على الغاية القصوى من إمتطاء صهوة التعارف..."<sup>2</sup>.

ورأى أن الأمة الإسلامية لم تكن تواجه المطامع الدولية الأوروبية الاستعمارية فقط، بل إضافة إلى ذلك التعصب الديني المسيحي، الذي امتد لنخبة المثقفين الغربيين المتأثرين بالمصالح السياسية لدولهم، أو الجاحدين للحقائق الإنسانية النابذين للتسامح، وهنا سجل يقول أن "أكثرهم زل عمداً إما طاعة لهواه أو لتعصبه. ومن

<sup>1</sup> عمر بن قذور، "دان النهوض ولم يدن"، المصدر السابق.

<sup>2</sup> عمر بن قذور، "مشروع عظيم"، جريدة الفاروق، العدد 66، 23 جوان 1914م.

هؤلاء "هانوتو" \* المشهور بكتابه في الإسلام و"اللورد كرومر" صاحب "مصر الحديثة" وغيرهما من كتبة الغرب ...<sup>1</sup>.

واعتبر أن الإئتلاف والتعارف حتمية لتجاوز حالة الجهل والإنحطاط والتخاذل، وكذلك لمواجهة السياسة الاستعمارية التي تكاد تقضي على الشخصية الإسلامية في هذه الأقطار، وهو ما أشار إليه بوضوح في مقولته التالية: "... يبدأ التشوق نحو العمل... والعمل يكون بالتعارف قبل كل شيء، وهذا ليؤلفوا قوة أخلاقية إصلاحية ترفع الأمة وتنفخ فيها روح الحياة، وتبث فيها جراثيم النهوض والنمو..."<sup>2</sup>.

كان لدعوة بن قدير منذ الإعلان عنها صدى كبيرا بين المثقفين المغاربة وخاصة التونسيين، حيث بادر الصحفي "حسين الجزيري" إلى تبني الفكرة، ونشر في الفاروق مقالا بعنوان: "التفرق داء والالتئام دواء"، بين فيه أهمية التعارف والإتحاد، كما ذكر العوامل التي أدت إلى تلاشي فكرة "الجامعة الإسلامية"، ومن بينها إعراض المفكرين عنها، بالقول: "... قام اليوم غيور الإسلام صاحب الفاروق يدعو إلى تكوين جماعة التعارف الإسلامي الجزائرية التونسية المغربية، فهل نرى لدعوته من تأثير على الأفكار وتحريك العقول؟ ... وهو مشروع لو يبرز من حيز القول إلى الفعل لكنت أنا الضمين بسعي السعادة لمسلمي شمال إفريقيا والتحاقهم فيمن أدركوا كيف يكون تركيب الدواء..."<sup>3</sup>، وتمنى الجزيري أن تلقى دعوة بن قدير آذانا صاغية من طرف جميع مفكري شمال إفريقيا<sup>4</sup>.

وكان الجزيري قد سارع إلى إعلان إنضمامه لقائمة المفكرين المؤيدين لمشروع جماعة التعارف الإسلامي الذي دعا إليه بن قدير، وقدم صورته إلى الفاروق لتنتشرها

\* ألبرت أوغست غابرييل هانوتو (Gabriel Hanotaux): (19 نوفمبر 1853 - 11 أبريل 1944)

مستشرق ووزير خارجية فرنسي.

<sup>1</sup> جريدة الأخبار، بتاريخ 19 فيفري 1911.

<sup>2</sup> عمر بن قدير، "مشروع عظيم"، جريدة الفاروق، العدد 69، 12 جويلية 1914م.

<sup>3</sup> حسين الجزيري، التفرق داء والالتئام دواء، جريدة الفاروق، العدد 69، 12 جويلية 1914م.

<sup>4</sup> نفسه.

على صفحاتها وأردفها بتعليق جاء فيه قائلا: " ها أنا أقدم لكم يدي أصادقكم على خدمة الملة والوطن، وأعمل لصالح الإسلام والمسلمين حتى آخر نسمة من الحياة"<sup>1</sup>.

أما من بين المثقفين الجزائريين الذين ساندوا المشروع، ودعوا إلى الإلتفاف حوله نجد المصلح " أبو اليقظان"، الذي راسل الفاروق من تونس ونشر بها مقالا بعنوان "حول المشروع العظيم"، أثنى فيه على عمر بن قدور الذي جاء بدواء من "حيز العدم إلى حيز الوجود" ومما جاء حرفيا في ذلك المقال: "... وبه يذهب زمن التنافر والتباغض والتحاسد والتناكر ... وبه ترتبط القلوب المتباعدة بالأسلاك الإدارية المتينة التي باشر بناء أعمدها بحزم وعزم ذلك الرجل صاحب الفاروق..."<sup>2</sup>.

كما حث "ابن اليقظان" العلماء والمفكرين مساندة المشروع الوجدوي لعمر بن قدور، قائلا، " المأمول من أرياب الهمم العالية والمدارك السامية تأييد هذا المشروع العظيم، ومقارنة حسن القول، بحسن الفعل والمثابرة لإنجاز كل ما تتداوله تلك الكلمة الجامعة، والعنوان الشامل لسعادة الدارين..."<sup>3</sup>.

رغم الترحيب الواسع الذي حظى به مشروع التعارف الإسلامي لأهالي شمال إفريقيا، وخاصة من طرف المثقفين التونسيين، إلا أن البعض لم يستوعب الفكرة، وناصبها الجفاء والعداء، وهو ما أدركه عمر بن قدور، وأيقن بأن صعوبات كثيرة ستواجه مشروعه، ومن بينها قلة المفكرين العاملين من أجل نهضة الأمة، لذلك حاول أن يبدأ لبنته الأولى بالمثقفين الجزائريين أولا، فلا يتعداه "إلى التخوم الشرقية أو الغربية"<sup>4</sup>، واستند بن قدور في رأيه إلى أحد ممن يثق في رأيهم - كما وصفه في

<sup>1</sup> الجزيري، جريدة الفاروق، المصدر السابق.

<sup>2</sup> إبراهيم حاج عيس القراري (أبو اليقظان)، "حول المشروع العظيم"، جريدة الفاروق، العدد 74، 21 أوت 1914م.

<sup>3</sup> نفسه.

<sup>4</sup> عمر بن قدور، "مشروع عظيم"، المصدر السابق.

نص المقال، ورأي هذا المثقف (يقصد ابن اليقظان) يستند إلى المحيط السياسي، وإلى أوضاع كل قطر من أقطار شمال إفريقيا.<sup>1</sup>

وبذلك، لم يمانع بن قذور في تعديل مشروعه، وتحقيق مبدأ التعارف بين أبناء القطر الواحد، كمرحلة تأسيسية أولية للتعارف المغاربي، وفي ذلك قال بالحرف الواحد، " وقد لا تتناقض هذه المأمورية نزوع كل قطر من هذه الأقطار الثلاثة إلى الاستقلال في تشكيل جماعة التعارف الإسلامي، كل فريق يعمل في حيزه المخصوص به بما يتوافق وحالته العلمية والاقتصادية والسياسية..<sup>2</sup> ". والهدف من هذه المرحلية هو تحقيق الهدف الأعلى؛ وهو الجامعة الإسلامية.

ولا يمكن اعتبار هذه المرحلية في تأسيس جماعة التعارف للأهالي شمال إفريقيا تراجعا عن المبدأ والهدف الأول الأسمى وهو الجامعة الإسلامية، بل ظل عمر بن قذور مؤمنا بالفكرة، لكنه كان يرى بأن الأمة الإسلامية بحاجة ماسة إلى مراجعة واقعها، والسعي إلى انتشالها من حالة التخلف الذي تعيشه، وأمام هذه الوضعية، عبر بن قذور في أحد نصوصه عن هذا الهم والانشغال الوجداني والتضامني مع واقع الأمة الإسلامية المخيف، دعيا إلى ضرورة العمل لانتشال قوميتها وكيانها من وهدة الاضمحلال، وإلى النظر إلى أمة أوروبا ذات الهوية الظاهرة، والعاملة دوماً في سبيل النمو والارتقاء فيقول متحسراً، "وتلكم أمة الإسلام التي ما زالت تسمى بالأمة الحنيفية، وواسطة عقد الأمم أصبحت قانعة بمركزها الحالي وراضية بأن تتسحب عنه إلى المراكز الأخرى، التي تبصرها من تحتها في الدرك الأسفل ... هي الكوارث ولا حاجة لتبيانها فقد كادت أن تلمس باليد قد أذرت المسلمين ... وقد آن لهم أن يبحثوا عن الوسيلة التي يتسنى لهم بها انتشال قوميتهم من وهدة الاضمحلال أففيهم رجل رشيد يسمع ما نقول ويتلقاه بقلب سليم ..."<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> عمر بن قذور، "مشروع عظيم"، المصدر السابق.

<sup>2</sup> نفسه.

<sup>3</sup> جريدة الفاروق، بتاريخ 30 ماي 1913.

ورغم الصعوبات التي تواجه أي عمل وحدوي تضامني في ذلك الوقت، إلا أن بن قدور لم يتنازل عن دعوته، وأعتبر أن رسالة الفاروق هي تحقيق هذا المشروع على أرض الواقع، وأن له قراء من تونس ومراكش ما يعادل قراءه في الجزائر، "وأنه مهما اختلفت الأميال لا يمكن للفاروق أن تتراجع عن مبادئها، التي على مدار شيوعها وانتشارها وثباتها في خدمة أمة شمال إفريقيا الإسلامية"<sup>1</sup>.

غير أن ظروف الحرب العالمية الأولى أثرت سلبا على شخص بن قدور ومشروعه الوحدوي الإسلامي أو الشمال الإفريقي، خاصة بعد أن عطلت سلطات الاستعمار جريدته، وتم نفيه إلى الأغواط، لكن ما يمكن أن نلمسه أن مشروعه كان أرضية خصبة لكل التجارب الوحدوية في مسار الحركة الوطنية الجزائرية خصوصا والمغربية عموما، والتي سعت جميعها إلى تأسيس وحدة مغربية، لكن يبدو أن ذات الأسباب التي عطلت مشروع عمر بن قدور، لا تزال قائمة إلى حد الآن، رغم المحاولات الفكرية والتنظيمية التي أسس لها مفكرون وسياسيون في المراحل اللاحقة.

### 3- عمر بن قدور والإصلاح السياسي:

حاول عمر بن قدور خلال مسيرته المهنية والإصلاحية الابتعاد عن تناول المسائل المتعلقة بالسياسية سواء من الناحية الفكرية أو الممارساتية، الأمر الذي أكد عليه هو بنفسه في العديد من المقالات المنشورة في جريدة الفاروق في طبعتها الأولى أو الثانية، لكن القراءة المتأنية في كتاباته وممارساته، تؤكد على عكس ما أراد أن يلصقه بنفسه ومنهجه، خاصة ما تعلق بالأفكار والممارسة السياسية.

إن تتبع المسار الصحفي والعمل الإصلاحي لعمر بن قدور من خلال الصحف والجرائد التي كان يرأسها في كل من تونس، مصر والدولة العثمانية، وكذا كتاباته في جريدته الفاروق، وعمله الجمعي، يظهر لنا البعد السياسي واضحا في كل الموضوعات التي تناولها تقريبا، وخاصة المرحلة التي سبقت الحرب العالمية الأولى، ومنها تلك المواضيع التي تتناول البعد الاجتماعي مثل التعليم، التجنيد، الهجرة... الخ.

<sup>1</sup> جريدة الفاروق، العدد 69، 12 جويلية 1914م.

وقد كانت الرسالة المفتوحة التي وجهه إلى الحاكم العام للجزائر حينها السيد "جونار" المقالة التي وضع لها عنوان "خطاب مفتوح إلى جانب المسيو جونار، الوالي العام".<sup>1</sup> أحد أهم مقالاته التي حاولت التعبير عن الحالة المزرية للشعب الجزائري في ذلك الوقت، التي تحدث فيها باسم الشبيبة الجزائرية العصرية المتنورة، التي تبحث عن التغيير في سبيل تقدم الوطن. وخاطب فيها الوالي العام للفت انتباهه للممارسات التي لا تقر بحقوق الشعب الجزائري، واستبداد طبقة المستوطنين واستيلائهم على خيرات البلاد، ومما جاء في نص الرسالة؛ "حقوق الشعب الجزائري مهضومة ومصالحه مفقودة... بناء على جميع ما تقدم نرجوكم باسم الجمهورية والانسانية أن تمنعوا النظر في الإصلاح وتتفضلوا بالإصغاء إلى ما ندرجه في جريدتنا من تلك الأصوات التي تنادي "حقوقنا" من الحياة"<sup>2</sup>.

ولم ينأ بن قدير عن مواجهة الصعوبات والضغوطات التي كان يواجهها المثقفون المتنورون من طرف سلطة الإحتلال، " إذا كان الحق قائما بإرشادات الهداة يكون القسط قائما، أما إذا كانت الحكومة ضاغطة على المرشدين والمفيدة، وأخذة في سبيل الاستبداد، تجد الأمر مختلا والفساد شاملا..<sup>3</sup>"

وكان عمر بن قدير مدركا للدور الذي يجب أن يقوم به الصحفي لخدمة مصلحة شعبه، والذي يواجه أيضا ضغوطا من بعض بني جلدته، زيادة على الممارسات الاستعمارية التي تعمل على خنق صوته، وتوصيفا لهذه الوقائع، كتب في جريدة الحقيقة ما يلي: "موقف الصحافي الوطني، موقف حرج، محوط بالأخطار والمهالك... لا يقف إلا وهو متجدد بدروع حسية ومعنوية يدعو وينادي والأهوال تهدده والمصائب تحف..<sup>4</sup>"

<sup>1</sup> عمر بن قدير، "خطاب مفتوح إلى جانب المسيو جونار، الوالي العام"، جريدة الأخبار، 26 أبريل 1908.

<sup>2</sup> نفسه.

<sup>3</sup> عمر بن قدير، جريدة الحقيقة، ماي 1907.

<sup>4</sup> عمر بن قدير، "كيف يقف الصحافي المرشد بين الجزائريين"، جريدة الحقيقة، 12 جويلية 1908.



ورغم انغماس بن قدير في دواليب العمل السياسي الإصلاحي - رغم تنكره لذلك، إلا أنه كان لا يقول ذلك بشكل مباشر، ويعمل على الدوام من أجل إخفاء ذلك احتياطاً لتجنب الوقوع في مصائد سلطات الاحتلال، وحتى يكون عمله الصحفي يتمشى والشعار الذي خطته افتتاحية جريدته الفاروق في ظاهره، أكد أن هذه الأخيرة يجب أن تكون بعيدة عن عالم السياسة وأجواءها، قائلاً: "...ويل للضعفاء منها ومن تلونها وتقلباتها لقد عنت عليهم عنواً كبيراً، ومألت قلوبهم رعباً، فما كان بعضهم لبعض ظهيراً..."<sup>1</sup>.

والدليل على ما نذهب إليه على أن بن قدير كان منغمساً في العمل السياسي نستخلصه من اهتمامه عمر بمتغيرات العمل السياسي وفواعله، فهو الذي كتب مقالا نشره في جريدة الأخبار المصرية استغرب فيه عزوف الجزائريين عن الاهتمام بالسياسة وأحوالها، وأرجع سبب ذلك لجهلهم بمصالحهم وحقوقهم، "كل من يتأمل في العالم السياسي التأمل اللائق به إلا ويجد للجزائريين الإعراض التام عن تتبع الأحوال السياسية، التي تجري في بلادهم وإن كانت تمسهم كثيراً..."<sup>2</sup>، كما له في ذات الجريدة مقال آخر، تعجب فيه من عدم إهتمام قراء الصحف بالأحداث السياسية الدولية، ومنها التحولات أو الثورات التاريخية التي تحدث في العالم، إدراكاً منه للوعي السياسي الناتج عن هذه المتابعة<sup>3</sup>.

أما المرحلة الثانية من المسار الصحفي والإصلاحي لعمر بن قدير، والتي يؤرخ لها بعودة جريدة الفاروق للصدور في طبعتها الثانية، فقد كان فيها أكثر حذراً من المرحلة السابقة، حيث لم يعد يلامس في مقالاته السبب الحقيقي للبؤس الذي يعيشه الجزائريون في تلك المرحلة، وبدأ أكثر قبولا للواقع العام بالبلاد، وكان جل إهتمامه ينصب على البعد الديني، وقد أعلن عن ذلك صراحة أكثر من مرة في كتاباته بالفاروق، ومن ذلك مثلاً ما افتتح به إحدى أعداد جريدة الفاروق، حيث قال: "أما

<sup>1</sup> عمر بن قدير، "إفتتاحية العدد"، جريدة الفاروق، 28 فيفري 1913.

<sup>2</sup> عمر بن قدير، "أخبار الجزائر"، جريدة الأخبار، 23 أكتوبر 1910.

<sup>3</sup> عمر بن قدير، "الأحداث الكبرى"، جريدة الأخبار، 16 أكتوبر 1910.

مبدأ الفاروق في المسلك السياسي الذي يتوخاه لقاء سياسة فرنسا الاستعمارية المسيطرة على هذه البلاد، فهو مبدأ الاعتدال، بحيث لا يرضخ لضغط ولا يتصدى لغش الدولة. وهذا شأنه منذ بروزه، وهو مستقل في ذلك تمام الإستقلال عن كل حزب أو ذي نزعة سياسية سواءً كان حزب الحكومة المسمى "بني وي وي"، أو حزبي الشبيبة الجزائرية والمتعممين القدماء، بل هو يعرب عن رأيه الإصلاحي الخاص به بكل حرية<sup>1</sup>.

ووفقا لذلك يمكن الجزم بأن بن قدير لم يعلن صراحة إنخراطه في العمل السياسي، ولم ينتمي إلى حزب سياسي، إلا أن أفكاره السياسية التي حاول تغليفها بالبعد الإجتماعي والديني، كانت تصب في مسعى واحد، وهو ضرورة تحقيق الإصلاحي السياسي، وتنشئة المجتمع على ما يضمن حقوقهم ومصالحهم، حيث لا تخلو مقالة له من الدعوة إلى إصلاح الوضع العام للبلاد، ومخاطبة سلطات الاستعمار بالكف عن سياسة الظلم والاستبداد التي تنتهجها، ومقالاته عن التجنيد الإجباري والتعليم خير مثال على ذلك، وفي الوقت ذاته كان يستنهض عموم الشعب الجزائري إلى التكاثر والتضامن فيما بينهم، للدفاع عن حقوقهم، وإنشاء أطر قانونية وفكرية للتفكير والتشاور في مختلف القضايا التي تعنيهم.

ولعل الدعوة التي ناضل من أجلها لتحقيق مشروع الجامعة الإسلامية، كهدف أسمى للإرتقاء بالمجتمعات العربية والإسلامية في شتى المجالات، وكذا مشروعه لإنشاء جماعة التعارف الإسلامي لأهالي شمال إفريقيا، كلها تعبر عن وجود تصور متكامل لعمر بن قدير للإصلاح السياسي، وإن لم يعلن عن ذلك صراحة.

لكن ما يعاب على أفكاره السياسية الإصلاحية التي حملها بن قدير، ودعا إليها فكانت مثالية، ولم تكن البيئة السياسية الجزائرية أو الإسلامية قادرة على استيعابه، كما كان بن قدير يفتقر إلى التجربة السياسية الميدانية، التي تمكن من تحويل الفكرة إلى واقع، عبر أليات محلية وممارسات ميدانية يتفاعل معها وحولها

<sup>1</sup> عمر بن قدير افتتاحية الفاروق، جريدة الفاروق، 09 مارس 1914.

المفكررون وعموم المجتمع حتى تصبح أمرا واقعا، وبذلك ظل مشروعه للإصلاح السياسي المستتر، حبيس مقالاته، ولم يتفاعل معه إلا قلة من الذين يؤمنون بنفس أفكاره في الجزائر أو في المنطقة المغاربية.

## المبحث الثاني: المشروع النهضوي والاصلاحي لعبد الحميد الزهاوي

### 1- عبد الحميد الزهاوي والجامعة الإسلامية:

بالرغم من كثرة المؤيدين لفكرة الجامعة الإسلامية وسط مفكري النهضة والاصلاح في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، في المشرق والمغرب العربيين، إلا أن ذلك لم يخلو من النقاش والجدل بين المفكرين العرب حول قضية الجامعة الإسلامية. وانقسموا بين مدافع عنها، محاججا بضرورتها، وبين رافض للفكرة ومعارض لها.

وكان الزهاوي، من بين الذين عارضوا فكرة الجامعة الإسلامية، ورأى بأنها فكرة طوبوية، ليس لها ما يحققها على أرض الواقع، ولتبرير موقفه ساق معطيات واحداث تاريخية منذ زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) تؤكد -بحسبه- عدم إمكانية تحقيق فكرة الجامعة الإسلامية، لأن الدين عند الزهاوي ليس دافعا أو عاملا للوحدة والإتحاد السياسي، أين ذكر بالحرف الواحد: "لا نستطيع خرق السنة الكونية منذ عهد الفاروق إلى عهدنا هذا"<sup>1</sup>. وقد دفع بنقده لتلك الفكرة إلى نهاياتها القصوى، فجردها من كل أساس ديني في رسالته "أجوبة عن المسائل الشرعية في الخلافة" التي نشرها عام 1901م<sup>2</sup>

كما يعتبر عبد الحميد الزهاوي إجتماع المسلمين وإتحادهم قد تفرق بعد عهد الخليفة الثاني الفاروق عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، ذلك أنه: "... منذ إختلف المسلمين ثملت جامعتهم، ولم يتفقوا إتفاقا سياسيا بعد عهد عمر، ولا إتفاقا دينيا بعد

<sup>1</sup> عبد الحميد الزهاوي، الفقه والتصوف...، المصدر السابق، ص 26.

<sup>2</sup> عبد الحميد الزهاوي، أجوبة عن المسائل الشرعية في الخلافة، الأعمال الكاملة، المصدر السابق، ص 443-447.

علي<sup>1</sup>. ويرى أن الخلافة عند المسلمين هي الوظيفة التي قام بها أبو بكر الصديق (رضي الله عنه)، بعد النبي محمد (ﷺ)، وهدفها " إقامة شعائر الدين وإعلاء كلمة الموحدين"<sup>2</sup>.

ويبرر الزهرابي على عدم واقعية الجامعة الإسلامية في التوحيد، بأن المسلمين مازالوا مختلفين منذ ثلاثة قرون، وأنهم عجزوا في أوج قوتهم عن صد الهجمات الخارجية التي تعرضت لهم بلادهم في مراكز حضارتهم؛ كالتتار في بغداد والصلبيين في بلاد الشام، ولتوضيح موقفه هذا كتب مقالا عنونه ب: اللغظ في الجامعة الإسلامية" نشرته جريدة المنار، ومما جاء فيه: "... ما هي جامعة قوم مختلفين منذ ثلاثة عشر قرناً؟ اختلافاً سياسياً واختلافاً دينياً، يقتل بعضهم بعضاً ، ويستعين بعضهم علي بعض بأهل الملل المخالفة من الأساس. ما هي جامعة قوم لم يخل يوم من أيامهم من قتال فئة منهم فئة أخرى ، منذ مقتل خليفتهم الثاني إلى يومنا هذا ؟ ما هي جامعة قوم يُسرُّ ملوكهم المختلفون بذهاب ممالك ملوك آخرين منهم ؟ ما هي جامعة قوم حدثنا التاريخ من حديثهم أن أجنبياً شرقياً ( هولانكو ) اكتسح بلادهم وهم في عزهم ، فلم تتضام أيديهم علي مقاتلته ، وكانت لا تزال قويه على قتال بعضها بعضاً. وحدثنا التاريخ من حديثهم أن أجنبياً غربياً (الصلبيين ) هاجم بلادهم ، فلم يجتمعوا كلهم على طرده، حتى حركت الهمة طائفة منهم قويت وحدها على صده"<sup>3</sup>.

ويرى الزهرابي أنه ما أن انتهى القرن الأول على المسلمين حتى كانوا قد كفروا بعضهم بعضا وتحاربوا، أي كانوا أحزابا متفرقة وتحاربوا، " إنه لم يمض الثلث الثالث من القرن الأول على المسلمين حتى كفر بعضهم بعضاً، فتحاربوا وتحاربوا وتخاذلوا إلى أن إنقسموا إلى ثلاث فئات، ولم يمض على الثلث الثاني حتى إنقلبت دعوتهم إلى الدين وتهذيب النفوس إلى دعوة الملك والاستئثار، وتوسيع أبهة الملك

<sup>1</sup> الزهرابي، أجوبة عن المسائل الشرعية في الخلافة"، المصدر السابق، ص 28.

<sup>2</sup> نفسه، ص 44.

<sup>3</sup> عبد الحميد الزهرابي، "اللغظ في الجامعة الإسلامية"، جريدة المنار، المجلد 10، 08 أكتوبر 1907، ص

وجعله منحصرا في أسرة يحدث أفرادها ما شاءوا أن يحدثوا، ولم تمض الثلث الثالث حتى تكاملت أصول الشيع وتلاحقت فروعها وأينعت ثمراتها وأحدث في الدين من أحدث وأخترع من أخترع... دع عنك زمن الخليفين وقل لي متى كان الإجماع"<sup>1</sup>.

لقد كان الزهاوي ناقدا لاذعا لفكرة الجامعة الإسلامية ومن يروج لها، فقد صرح -مثلا- عادة إنعقاد المؤتمر العربي الأول بباريس عام 1913م، قائلاً "إن الرابطة الدينية عجزت دائما عن إيجاد الوحدة السياسية، وإن العاطفة الإسلامية لم تقدر مرة من المرات أن تحمل أميرا مسلما على التنازل عن حقوقه لأمر آخر من المتدينين بدينه حتى ولو كان خليفة"<sup>2</sup>.

كما وجه انتقادات للخطابات القائلة بفكرة الجامعة الإسلامية، سواء من الجانب الأوروبي أو المسلم على حد سواء، فهو يدعو الدول والشعوب الأوروبية لتجنب خطاب التهديد للإسلام والمسلمين؛ لأن مثل هذا التهديد يساعد على استنفار طاقة المسلمين للدعوة إلى الجامعة الإسلامية، كما يوجه في الوقت ذاته خطابه للمسلمين بأن الجامعة الإسلامية فكرة تقليدية لا تنفع لحاضرهم الآن، الذي هو عصر العلم وعصر القوميات: "لو تدبر الأوروبيون لعلموا أن السخط العام الحقيقي الذي يرونه ويسمعون به ليس ناشئا من الجامعة الإسلامية، بل هو ناشئ من سوء الإدارة، وهو يجر إلى هياج الشعوب نفسها باسم الخلاص من الظلم، لا باسم الدين، ويشهد التاريخ أن شعوبا كثيرة هاجت على حكوماتها نفسها باسم الخلاص من الظلم، لا باسم الدين، فإذا لم ينتظر الأوروبيون من المسلمين الذين تحت حكمهم هياجاً إلا باسم الدين، فإنهم سوف يتعبون من سوء نتائج هذا الخطأ على تمادي الأيام... ولو تدبر المسلمون لعرفوا أن هذه الجامعة لا تنفع حتى يقوم العلم الصحيح عندهم مقام التقليد، وتكون يومئذ جامعة قومية"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> الزهاوي، الفقه والتصوف، المصدر السابق، ص 15-16.

<sup>2</sup> الزهاوي، "المؤتمر العربي الأول"، الأعمال الكاملة، المصدر السابق، ص 20.

<sup>3</sup> الزهاوي، "الخط في الجامعة الإسلامية"، المصدر السابق، ص 576.

إن آراء الزهاوي وموقفه من الجامعة الإسلامية، يمكن تبريرها بتخوفه من البلدان الأوروبية التي كانت تسعى في ذلك الوقت إلى الاستيلاء على مناطق تحت الوصاية العثمانية، ولذلك حذر من المبالغة في فكرة الجامعة الإسلامية وما يمكن أن تحققه من وحدة المسلمين على إختلاف أعراقهم ولغاتهم ومناطقهم، وفي هذا الشأن قال: "... يظهر من الفصول والمقالات الكثيرة التي قرأناها للكتاب الأوربيين أن في أوربا كلمة واحدة عامة بوجود هذه الجامعة، وأن فيها خطراً على المستعمرات الأوروبية، أو قد تكون عائقاً عظيماً يوماً ما عن بلوغ أوربا أمانها من ابتلاع كل بلاد المسلمين ابتلاعاً تاماً. ويؤذن هذا بأن من يقول غير هذه الكلمة منهم هو من الشاذين. والكتاب المسلمون يميل أكثرهم إلى تصديق هذا الحدس الأوربي، وتتغنى أقلامهم بأن المسلمين كثيرون، وكلهم في الدين إخوان، وأن مستقبلهم حسن بواسطة كثرتهم وجامعتهم الدينية"<sup>1</sup>.

وتوضيحا وشرحا لهذه الفكرة قدم الزهاوي مجموعة من المبررات التي تدعو إلى عدم الخوض في فكرة الجامعة الإسلامية: "... فالأوربي يقول يجب محو هذا الظل لئلا يصير شبعا حقيقياً هائلاً، ويذهبون في محوه مذاهب كما يبين في كتاباتهم المتنوعة المختلفة. والمسلم يقول يجب جعل هذا الظل شبعاً حقيقياً يكون بهيبته حامياً حقوقنا أجمعين ولهذا عظم تشبث المسلمين هذه السنين بمسألة هذه الجامعة الإسلامية للدلالة على التضامن والترابط ولكن لا يصنع هذا شيئاً ما دام الاختلاف الديني والسياسي قاضيين أن يدوم تقتيل المسلمين بعضهم بعضاً ويقعد بعضهم عن نصره الآخر"<sup>2</sup>.

ان تخوف عبد الحميد الزهاوي من فكرة الجامعة الإسلامية يتناقض وآرائه حول العلاقة بين الحاكم والأمة، والذي يقول فيه بوجود إرتباط الدين بالسياسة، كما أنه يناقض رأيه لما يتعلق الأمر بالجامعة الإسلامية إذ يستطيع الدين أن يكون عاملاً للوحدة السياسية، ويبدو أنه أراد برأيه الأول أنه لابد لحكومات شعوب العالم الإسلامي

<sup>1</sup> المصدر السابق ، ص 578.

<sup>2</sup> الزهاوي، "اللغظ في الجامعة الإسلامية"، المصدر السابق ، ص 580.

أن تحكم بالإسلام، وتكون الشريعة الإسلامية هي مصدر هذا الحكم، لكن هذا الرأي وتلك القناعة لا يعنيان عن الزهاوي قدرة الجامعة الإسلامية على توحيد هذه الحكومات وشعوبها في وحدة سياسية واحدة في ظل دولة واحدة، حيث لكل شعب وحكومة قوميتها الخاصة بها، وهذه القناعة هي التي جعلت الزهاوي ينادي بالوحدة الوطنية في نطاق الدولة العثمانية وليس الوحدة الدينية.

وينفي الزهاوي الطابع الديني للحروب التي وقعت بين أوروبا والعالم الإسلامي، سواء التي وقعت في الماضي- الحروب الصليبية - أو الإستعمار الأوروبي الحديث، وإنما دافعها الأساس هو المصلحة الاقتصادية، فهي ليست حروب دينية، وإن كان الظاهر هو إدعاء أوروبا بأن الهدف من حروبها هو تخليص مسيحيي الشرق من ظلم المسلمين، وفي هذا المضمار يقول "فكلما كانت حماية مسيحيي الشرق هي الوسيلة التي اتخذها الصليبيون الأولون في حروبهم تلك، أصبحت هي الوسيلة التي يتوسل بها أوربيو أزمئتنا إلى تنفيذ بعض المآرب عند وقوع ما يشبه التعصب الذميم،.... والدافع لهذه الحروب جاء بسائق مناهج رومانية ورثوها مع ما ورثوا من الرومان، ومعلوم أن قصد تلك المناهج الرومانية التغلب على الأمم لإستثمار تعبها وتسخيرها للأهواء. فمتى يقوم شرقنا المبارك من أبناء وطننا المسيحيين من يردون دعوى هذه الحماية في وجوه الأوروبيين"<sup>1</sup>.

وإنطلاقاً من هذا المفهوم لم يكن إحتلال إيطاليا لطرابلس عام 1911م، بحسبه بدافع الدين أو أنها كانت حرباً دينية، ولتوضيح ذلك قال حرفياً: "...ما أسبق الناس كلما حدثت حادثة من هذا القبيل إلى تحريك سلاسل الدين،... ويعمدون إلى إدعاء أن عدوهم لم يتهجم عليهم إلا لأنهم مخالفوه في الدين.... وأنه ليس من الحكمة ولا من اللياقة الفرع إلى النعرة الدينية مع معرفتنا بإختلاف النعرات كلما عصفت عاصفة أوروبية"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> عبد الحميد الزهاوي، "اليوم وبعد اليوم" و"يقظة بعد نوم" مجلة الحضارة، المجلد 2، العدد 85،

1911/11/23 م ص ص 228 - 229

<sup>2</sup> عبد الحميد الزهاوي، "اليوم وبعد اليوم"، مجلة الحضارة، المجلد 2، العدد 80، 1911/10/19م، ص 184.

ويقترض عبد الحميد الزهرابي جدلا، بأن طبيعة الحرب بين أوروبا والعالم الإسلامي كانت فعلا دينية، وكان للجامعة الإسلامية دورا و أثر فيها، فإنه مع هذا الإفتراض لا يرى أن حال العالم الإسلامي مؤهلة ومستعدة كي تقف في هذه المرحلة - في تلك المرحلة- في وجه الأخطار الأوروبية: " فالقوة إنما تكون بالكثرة ومساعدة المحيط الجغرافي ووجود الروابط القوية الجامعة وكل هذا متوسط لدينا، وذلك أن المسلمين الذين يؤمل أن يكونوا عوننا بالفعل لدولة الخلافة لا يبلغون في الحقيقة أكثر من خمسين مليون، وأما سائر المسلمين المتعلقين بالخلافة وإنما يعدون مع العثمانيين بالإحساسات فقط،..... وبالنسبة للمحيط الجغرافي فإنه بالرغم من الإتصال الشديد بين أطرافه فإنه لا يساعد على تقوية القوة إلى الحد المطلوب حيث يوجد فواصل طبيعية هي هذه المفارز الكبيرة، التي لا يقطع الرجل واحد منها حتى يجد نفسه في إقليم آخر"<sup>1</sup>

إن موقف الزهرابي من الجامعة الإسلامية، ورأيه في طبيعة الحرب بين العالم الإسلامي والأوروبي، لا يعني تنكره لتاريخ الإسلام والمسلمين بإيجابياته وسلبياته، وأن نفي العلاقات المتوترة حيننا والمستقرة حين آخر بين المسلمين وغير المسلمين، فهو هنا يحاولوفقا لقناعاته وقراءاته للوقائع والأحداث ونصوص الشريعة الإسلامية من مختلف مصادرها أن يبين موقف الإسلام من حرية الأديان "فالشئ الذي ينكره المسلم كل الإنكار هو أن يكون المسلمون قد استعملوا السيف للإكراه على قبول الإسلام، والشئ الذي لا ينكره هو إستعمال السيف لإقامة حكومة، وإقامة الحكومة شئ ونشر الدين بالسيف شئ آخر"<sup>2</sup>.

أما سيف الإسلام كما يراه الزهرابي، إنما جاء ليدفع الظلم عن البشرية ويقيم فيها الحق والعدل، لقد " جاء سيف الإسلام ليدفع السيف الذي سله الرومانيون

<sup>1</sup> عبد الحميد الزهرابي "اليوم وبعد اليوم" الدين يمرضهم التمويه تشفيهم الحقائق، مجلة الحضارة، المجلد 2، العدد 82، 1911/11/03م، ص201

<sup>2</sup> عبد الحميد الزهرابي "اليوم وبعد اليوم يقظة بعد نوم في: مجلة الحضارة، المجلد 2، العدد 84، 1911/11/17م.ص221



المسيحيون على المصريين المسيحيين والسوريين المسيحيين، وقد اتخذوهم بذلك السيف عبداً وخولاً، ولم يتخذوهم أخوة..... ولم يرفع الإسلام سيفاً ليجعل المغلوب مسلماً أو عبداً للمسلمين بل ليوحد حكومة من رضى بها وتوطن بلادها كان- له ما للمسلمين وعليه ما عليهم-....فماذا عن سيف لم يسئل إلا ليؤيد حرية الأديان التي كانت مفقودة قبله<sup>1</sup>.

لقد أدرك الزهاوي، أن الجامعة الإسلامية سلاحاً سياسياً ذا بعد ديني تريد السلطة العثمانية استعماله ضد خصومها، ولذلك طالب بتحييد الدين -كعقيدة- من الاستخدام السياسي مما يتيح له إقامة تقابل بين المدنية الإسلامية والمدنية الأوروبية قدر الإمكان. ومع أن رسالته في الخلافة قد أثارت عليه نقمة السلطة، وتعرض فيها للأذى من قبل العلماء المحافظين المرتبطين بها. ولم يكن الزهاوي بذلك متتكرراً أو مجافياً للإسلام وقيمه، أو ممتنعاً عن الدفاع عنها، وإنما كان ينسج مواقفه بناء على وعيه بأهمية أن يبقى الدين الإسلامي خارج التداول السياسي، والاستغلال السلطوي له، هذا الاستغلال الذي مكن السلطة العثمانية من أن تسيطر على الناس، مع أنها كانت تعمل ضد مصالحهم، ولم تكن قادرة على حماية نفسها، فضلاً عن حماية الإسلام.

## 2- عبد الحميد الزهاوي والعمل القومي العربي.

كان لتعثر محاولات الإصلاح في الدولة العثمانية، تزايد في نمو اليقظة الفكرية العربية بالإضافة إلى الضغط الإستعماري الأوروبي، الذي كان يشكل بحد ذاته عاملاً تحدياً مستمرّاً للأمة العربية، في الوقت الذي ظهرت فيه الدولة العثمانية عاجزة عن صد هذا الإستعمار، بدأت صيغة العمل القومي العربي في الظهور مع نهايات القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، تزامناً مع تنامي التيار القومي العالمي، كصيغة عملية للنهوض بالواقع العربي وإصلاحه.

<sup>1</sup> عبد الحميد الزهاوي " اليوم وبعد اليوم "مجلة الحضارة، المجلد 2، العدد 84، 1911/11/17م. ص ص

بدأت الأمة العربية في منتصف القرن التاسع عشر تتجه نحو الوعي القومي العربي والشعور بالكيان الذاتي، بعد أن كثرت مدارسها وتعددت مطابعها، وانتشرت الكتب والصحف في أيدي أبنائها، ففتحت في الأذهان ووعي الأفراد تاريخ أمتهم، فكان ذلك مقدمة لحركة سياسية تحمل شيئاً من الطابع القومي، تخمر ببطء، ثم بدأ بوضوح شيئاً فشيئاً حتى تحددت معالمه في أوائل القرن العشرين<sup>1</sup>.

شعر المثقفون العرب وتحديدًا المسيحيين منهم، بأنهم إذا أرادوا بلوغ هدفهم يجب عليهم التعاون مع نظرائهم من المسلمين العرب، حتى يكونوا لهم سندا وعوناً، ويظهروا أمام الأتراك جبهة واحدة في الدفاع عن قضية مشتركة، ولم يكن من قاسم مشترك بينهم سوى العروبة<sup>2</sup>. وقد وجد مثل هذا التوجه صدى لدى المفكرين العرب المسلمين بالمناداة بالعمل على أساس المحور القومي، ومن بينهم عبد الحميد الزهرابي، الذي دعا إلى ذلك بصراحة وهو ما نستشفه في مقولته التالية: "أنتم يا رفقاءنا في الوطن أهل الأنجيل الشريف أخاطبكم بما خاطبت به قومي، أهل القرآن المجيد، فإن القرآن والأنجيل بيانان شافيان إلى الصدق والأمانة داعيان، وعن الزور والخيانة ناهيان"<sup>3</sup>.

وقد واجه انتشار الفكر القومي الناشئ في المنطقة العربية عاملين إثنين؛ الأول هو إرتباط العرب برابطة الإسلام مع الأتراك، والثاني، هو أملهم في نجاح المساعي المشتركة مع أحرار الترك في إقامة قواعد حكومية دستورية، يجد العرب والأتراك فيها أمناً من الظلم وضماناً لحقوقهم المشتركة فيها، وقبل ذلك كان العرب والأتراك وسائر

<sup>1</sup> توفيق برو، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908-1914. القاهرة: دار النهار للطباعة والنشر، 1960، ص 28.

<sup>2</sup> زين الدين نور الدين زين، نشوء القومية العربية، ط4. بيروت: دار النهار للنشر 1986، ص 61.

<sup>3</sup> عبد الحميد الزهرابي، "انقوا الله في اوطانكم"، مجلة الحضارة، المجلد الثالث العدد 123. 15 اوت 1912، ص 353.

القوميات الأخرى يلتقون عند الإسلام الذي يوحد بينهم ويسوي بين أفرادهم، ولما صاح الترك مفاخرين بطورانيتهن استيقظ في العرب حسهم القومي<sup>1</sup>.

كان موقف الزهاوي من القومية العربية يرتبط في البدء بمعاناته الشخصية المباشرة من تعسف وجور السلطة العثمانية، وقد مر وعيه القومي بمراحل متعددة، بدأت بشعوره بالتمايز والإختلاف الذي ظهر في كتاباته في مراحل الأولى، وأنتهت إلى أن أصبحت وعياً بالهوية القومية العربية، وخاصة في السنوات التي أعقبت المؤتمر العربي الأول بباريس سنة 1913م المشار إليه سابقاً.

إذا كان الزهاوي في بداياته لم يصل إلى مستوى الوعي بهويته القومية العربية، فإن ذلك يعود إلى تأثره بالمشروع الإصلاحي الذي كانت تقوده جمعية الإتحاد والترقي. إلا أنه أصبح أكثر وعياً بهويته وبالأخر بعد إنخراطه في العمل السياسي، فكانت ممارسة السلطة العثمانية التسلطية تزيده وعياً بذاته.

وما يميز كتابات الزهاوي في موضوع القومية، هو عدم تنكره للتاريخ العربي قبل الإسلام، على الرغم من أنه رجل دين، معتقداً أن القومية العربية تمتد في جذورها إلى ما قبل الإسلام، وأن هذا الأخير جاء ووحد الأمة العربية وجعلها تحمل رسالته، فعوامل القومية -حسبه- كانت متوفرة لدى العرب قبل مجيء الإسلام، " إن العرب كانوا معروفين ومما عرفوا واشتهروا به الحرص على وحدتهم القومية، فكانوا أمام الغريب أمة واحدة، لها وحدة اللغة والنسب واتصال الديار والعصبية عند التناصر، فإذا رجعوا إلى ما بينهم كانوا قبائل شتى تنتمي كل قبيلة إلى أب لها، ثم يجمع قبائل كثيرة منهم أب واحد وهكذا... وقد كان الرجل من العرب إذا عظم أمره، أو كثر ماله انفرد بأهله وانتمت إليه الذرية، ووضعوا لأنفسهم نسبة جديدة، من غير أن يضيعوا حظهم من الارتباط بالنسبة الأولى، لأن لهم عند التناصر حظاً منها عظيماً"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، الجزء الثاني، ط7. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1984م، ص 99.

<sup>2</sup> الزهاوي، "خديجة أم المؤمنين، الأعمال الكاملة"، القسم الأول، المصدر السابق، ص 91.

وكان الزهاوي من خلال قوله بأصل القومية العربية قبل الإسلام، إنما هدف إلى تبين موقفه من مقولات الطورانيين الأتراك الذين كانوا يدعون أصالة قوميتهم وقدمها تاريخياً، ويسخرون من القوميات الأخرى في الدولة العثمانية-القومية العربية من ضمنها- كما أن موقفه هذا يعبر عن وعي عميق بالتمايز والإختلاف للعرب كقومية في مقابل الأتراك كقومية أيضاً.

وبالرغم من الأختلاف حول نشأة القومية العربية بين المفكرين، إلا أن الثابت بينهم هو أنها ظهرت بإطار الداعي إلى العمل من أجل الوحدة العربية في النصف الثاني من القرن العشرين، وكان لسياسة التتريك الدافع الأكبر لها، وخاصة ما كان يقوم به الاتحاديون من تسلط وهيمنة على مفاصل الدولة، وضرورة الإعتماد على العنصر التركي وحده في الدفاع عن دولتهم وتأييدها، ولم تكن هذه سياستهم أول الأمر، فبعد قيام ثورة 1908م الإتحادية، كانت تنادي العدل والمساواة بين جميع رعايا الدولة العثمانية، دون تمييز لا في العرق أو الدين، إلا أن هذه الوعود الجميلة لم تحقق إطلاقاً، الأمر الذي أحدث انشقاقاً بين العرب والترك<sup>1</sup>. وحتى بين الأتراك ذاتهم في رؤيتهم للعرب شركاءهم في الوطن العثماني العام وجمعية الإتحاد والترقي.

كان الزهاوي أول من تفضن إلى وجود الإختلاف في الرأي بين أقطاب الجمعية بشأن القضية العربية، حيث أكد في حديث صحفي أن بين الإتحاديين خلافاً حول المطالب العربية، فبعضهم يرى قبولها وتنفيذها، ويرى آخرون غير ذلك<sup>2</sup>. وقبل ذلك كان قد دخله معترك السياسة مع انتخابه عام 1908م، عضواً في مجلس المبعوثان، ورحب بوصول الإتحاديين إلى السلطة، لما أعطوه من الوعود، وطرحوه من أفكار حول المساواة والحرية والمشاركة في السلطة، لكنه بعد أن أكتشف حقيقتهم شنّ عليهم حملة واسعة لفضح ممارساتهم، وتنوير الناس بحقيقة السلطة التي أتت لتخلص البلاد من الظلم والإستبداد، فإذا هم -الاتحاديون- مدرسة في الاستبداد.

<sup>1</sup> نورالدين زين، المرجع السابق، ص 81.

<sup>2</sup> أمين سعيد، الثورة العربية الكبرى، تاريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن، المجلد الأول. القاهرة:

مكتبة مدبولي، د ت ن، ص 51.

هؤلاء الذين: "... كانوا يعلمون عبد الحميد(السلطان) دروس الاستبداد، والذين كانوا يعملون بأمره كل شيء، مما جاز ولم يجز، والذين كانوا من عبيده الصغار، ومن عبيد عبيده.. كل هؤلاء رأيناهم يتسلمون مقامات عالية متنوعة في هذا العهد ايضا"<sup>1</sup>.

وقد عمد الإتحاديون بكل قوة إلى أسلوب الحكم المركزي المستبد، الذي يجعل زمام الحكم في أيديهم، واستغلوا ذلك في جلب المغنم إلى أفراد حزبهم، ومثال ذلك قانون انتخاب مجلس المبعوثان، الذي يعبر بوضوح عن الاستبداد السياسي والتسلط العنصري لدى الإتحاديين، حيث أجاز القانون لكل صاحب حق ترشيح، أن يرشح نفسه في المنطقة التي يريدتها من مناطق الإنتخاب في الدولة، وهو ما مكن جماعة الإتحاد والترقي يستغلون سلطتهم في الحكومة، فيبعثون إلى الولايات العربية مرشحين أتراك لا يعرفون أصلا اللغة العربية، وقد أثارت مثل هذه السياسة المنافسة بين المرشح العربي والمرشح التركي<sup>2</sup>.

وقد زادت هذه الممارسات من طرف الإتحاديين في عملية شد الحبل بين العرب والترك، يستتصر فيها كل عنصر لقوميته، لأن هذه السياسة لا تحترم إرادة الأمة في إنتخاب ممثليها بحرية ونزاهة، بعيدا عن ضغوط وتوجيهات الباب العالي، وكان الزهاوي قد حذر من مخاطر هذا التوجه الإستبدادي الجديد المستتر خلف الدستور، وقد عدد أخطاء الإتحاديين على النحو التالي: "أعظم هذه الأغلاط عدم المبالاة بميول الأمة، وعدم الالتفات إلى حقوقها في الإنتخاب، ووقد انطوى تحت هذه الغلط الذي هو أصل عدة فروع كل واحد منها في غاية الخطر"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> عبد الحميد الزهاوي، "حروبنا الداخلية"، مجلة الحضارة، المجلد الثالث، العدد 118، 11 جوان 1912، ص 316.

<sup>2</sup> مصطفى الشهابي، محاضرات عن القومية العربية (تاريخها، قوامها ومراميها)، ط2. القاهرة: مطبعة الرسالة، د ت ن، ص 64.

<sup>3</sup> عبد الحميد الزهاوي، " طائفة صغيرة من الخطيئات " التي لا تحصى في اقل من سنة "، مجلة الحضارة، المجلد الثالث، العدد 129 /09 /26 1912، ص 382.

وكانت السياسة الاستبدادية لدى الاتحاديين قد ظهرت منذ البدايات الأولى لسيطرتهم على مؤسسات الدولة ، بمعنى منذ الانقلاب الدستوري عام 1908م، والذي جاء على إثره مجلس النواب، وقد أصر الاتحاديون على إنتخاب مرشحهم "أحمد رضا" لرئاسة المجلس بالرغم من معارضة أغلب النواب في المجلس، نظرا لعدم كفاءته. وكان الزهرابي -عضو المجلس- من بين المعارضين له، وأعتبر هذا العمل من الإتحاديين أول أخطائهم وأول توجههم للإستبدادي<sup>1</sup>.

لقد كان سعي الإتحاديين إخراج العنصر العربي وإخراجه من مراكز صنع القرار، حتى ولو كان منصب بسيط، وإزاء هذه الممارسات، كانت ردت فعل العرب عموما تتمحور في العمل على ضرورة الالتفاف حول العروبة والعمل لصالح العرب والنهوض بالقومية العربية للحفاظ على حقوقهم.

وحول هذه القضية أوضح الزهرابي موقفه مؤكدا باسمه وباسم عموم العرب على أنه " لنا الحق أن نقول إننا جماعة من الجماعات؛ لنا إشتراك فيما بيننا في مصالح عامة، من مقتضايتها أن نتخذ تدابير لصونها وتميبتها بقدر ما يتيسر، وعلى هذا الأساس، يكون من حقنا أن تكون لنا تربية سياسية"<sup>2</sup>، لقد انطلق الزهرابي من إيمانه هذا، حتى يجري مراجعة تصحيحية شاملة للعلاقة السياسية بين العرب والترك في الدولة العثمانية، والقائمة على التبعية والاستغلال، ليستبدلها بعلاقة قائمة على الشراكة التامة، وقد أدرك مدى خطورة السياسات التتركية الهادفة إلى طمس الهوية العربية.

كما أن اللغة العربية بوجهة نظره، هي العامل الأكثر حضورا في وعيه للقومية العربي، فالعرب هم: "أهل هذه اللغة التي عرفت حياتها وارتقاؤها منذ عرف التاريخ"<sup>3</sup>،

<sup>1</sup> عبد الحميد الزهرابي، " طائفة صغيرة من الخطيئات، المصدر السابق، ص 377

<sup>2</sup> عبد الحميد الزهرابي، "تربيتنا السياسية: خطاب رئيس المؤتمر السيد عبد الحميد الزهرابي في المؤتمر العربي الأول بباريس"، الأعمال الكاملة، المصدر السابق، ص 409.

<sup>3</sup> عبد الحميد الزهرابي، " من هم العرب"، مجلة الحضارة، المجلد 02، العدد 60، 01 جوان 1911م، الأعمال الكاملة، القسم الثالث، المصدر السابق، ص 63.

ويضيف الزهاوي إلى عامل اللغة عامل الأرض، لأن العرب يعتبرون: " أهل هذه الأوطان الجميلة المتاخمة لأوقيانوس ولبحر الهند وللبحر المتوسط"<sup>1</sup>، وإلى جانب ذلك هناك عامل التاريخ المشترك والوعي بهذا التاريخ، فيكون العرب أيضا "أهل هذه العقول الذكية التي توارثوها أكثر من سبعة آلاف سنة من أسلاف عرفوا بإقامة الحضارات وإحياء العمران"<sup>2</sup>.

وبذلك، فالعرب عند الزهاوي، هم الذين يشتركون في اللغة والجغرافيا والتاريخ، والإرادة المشتركة (العصبية عند التناصر)، وبذلك يمكن القول أنه كان مطلعا على معظم النظريات الأوروبية في تكون القوميات، وحاول أن يتمثلها في إطار وعي " التمايز والاختلاف" عن الآخر العثماني أو التركي أو الأوروبي، أما بالنسبة لجغرافية الوطن العربي فقد حددها بحدود اللغة، بمعنى أن العرب هم جميع الناطقين بالضاد، والذين في مجموعهم " سكان البوادي بين الشام والعراق وجميع الولايات الشامية والعراقية والإفريقية"<sup>3</sup>، إنهم جميع العرب في "الحجاز واليمن والعراق وسوريا وإفريقيا"<sup>4</sup>، وبذلك يكون عبد الحميد الزهاوي من الأوئل الذين وضعوا خارطة الوطن العربي بحدوده الحالية.

لكن العرب على تنوعهم في الجغرافية، والدين والسياسة، متفقون على التنبه بعد هجوم طويل، وعلى المعارف والعلوم، وعلى الحرص أن يكونوا مجموعا محترما، وإن كانوا لا يعرفون، "ماضيهم كما يجب ولا يعرفون حاضرهم كما ينبغي، وليس ذلك إلا الإهمال وقلة التذكير والتذاكر"<sup>5</sup>. وعلى العرب أن يعرفوا-اليوم- أن لهم "جامعة عظيمة من لغة يشرفها الدين والإجتماع، ويتكلم بها خمسون إلى ستين مليونا من البشر تتصل دورهم وبلادهم ببعضها، لا يفصل بينها من المياه إلا ترعة السويس"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> عبد الحميد الزهاوي، " من هم العرب"،المصدر السابق، ص 63.

<sup>2</sup> نفسه، ص 64.

<sup>3</sup> الزهاوي،" تربيئنا السياسية- 6-"، الأعمال الكاملة، الجزء الثالث، المصدر السابق، ص 38.

<sup>4</sup> الحميد الزهاوي، " من هم العرب"، المصدر السابق، ص 59.

<sup>5</sup> نفسه، ص 61.

<sup>6</sup> نفسه، ص 63.

لقد حاول الزهرابي من خلال سرد تاريخ العرب إلى تذكير أبناء جلدته بمقدوراتهم، ومعالجة جهلهم بما هو أصلح لأمتهم، ولضمان الحد الأدنى من القبول لما يلزم من الأفكار والآراء الإصلاحية، وتذكيرهم بمعاني العزة والكرامة وإحترام الذات والإفتخار بمآثر الآباء والأجداد وإنجازاتهم المختلفة عبر حقب التاريخ، ولا يعد هذا التذكير: " سرداً لقصص ورويات تاريخية، وإنما محاولة جادة لإيقاظ الحس القومي والكشف عن مقومات الوحدة العربية ومدى أصالة الأمة، فضلاً عن كونه تأكيداً للذات العربية"<sup>1</sup>، ويقول في ذلك الزهرابي " فحب السلف والإفتخار بآثاره والحرص على الصلة به، سجية إنسانية مؤاخية لمحبة الذات أو هي شعبة منها، لا يتصور انفكاك الإنسان منها إلا إذا انسلخ من مقومات ذاته، وانفصل عن حقيقة إنسانية واتصل بنوع آخر من أنواع الموجودات"<sup>2</sup>.

إن وعي الزهرابي بقوميته، لا ينفصل عن تمثله لهذا الوعي في ممارسته للسياسة، وسعيه إلى الإرتقاء بواقع العرب في السلطنة، وتطوير وعيهم السياسي، والدفاع عن مصالحهم في إطار الدولة العثمانية، فوعيه بهويته، وعمله من أجل العرب في السلطنة العثمانية، لمساواتهم في الحقوق والواجبات مع الترك والمشاركة في السلطة.

ولأن الزهرابي كان مدركاً للمطامع الأوروبية بتقسيم الدولة العثمانية، وجعلها أجزاء ضعيفة، يمكن الاستفراد بها والسيطرة عليها، فقد كان في البداية ضد فكرة انفصال العرب عن الدولة العثمانية، معتقداً أن قوتهم جميعاً في الوحدة، معترفاً بأن هذه الدولة تشكل النظام المرجعي للمجتمع كون وجودها حقيقة قائمة لا يمكن أن تزول، حيث كان يرى ضرورة تكثيف الجهود لتجديد حيوية الدولة في مواجهة أوروبا لا إلى تدميرها، لكن هذا الأمر لم يدم طويلاً، حيث غير من رأيه في السنتين الأخيرتين من عمره، وناضل من أجل الاستقلال عن الدولة العثمانية، وخير دليل

<sup>1</sup> الجامع، المرجع السابق، ص 147.

<sup>2</sup> عبد الحميد الزهرابي، " شعور الأمم بماضيها وجمعية التتار في الأستانة"، مجلة الحضارة، المجلد 02، العدد 55، 27 أبريل 1911، في الأعمال الكاملة، الجزء الثالث، المصدر السابق، ص 402-403.



على ذلك ما قاله وعلى منصة الإعدام، " إن العناية ترعى وطننا الحبيب وإننا سوف نصل إلى الحصول على إستقلالنا كاملا بعد أن ننتقم من الخونة الأتراك"<sup>1</sup>.

لقد حمل الزهرابي، هم إصلاح الأمة العربية من خلال وحدة العرب، وجاءت آراؤه وجهوده في نشر الوعي العربي وتأسيس الإيديولوجية العربية، لتؤكد على الهوية القومية لهذا الإنسان، ولتنبهه إلى أنه جزء من أمة واحدة مترامية الأطراف ذات خصائص جامعة الأبعاد، ولها خصائصها القومية الجامعة، وسمات قومية وأسس تاريخية، وموضوعية موحدة.

### 3- عبد الحميد الزهرابي والإصلاح السياسي:

أخذ الإصلاح السياسي مجالا واسعا من تفكير عبد الحميد الزهرابي، وذلك لما تمثله السياسة من أهمية بالغة في حياة الإنسان، حيث يقول الزهرابي، " نظرنا نظرة في ماضي بني آدم وأحطت به من أطرافه وجدوده منذ كانوا قليلين عراة في الغيران ورهن الأجام وحول الغدران إلى أن أصبحوا بهذا العدد، وعثروا في عهدنا على أسرار الكهرباء، وصنعوا منها العجائب، فرأيت هذا الفرق العظيم لم يتم بمحض إدراكهم الخواص، التي أودعها الباري في الأشياء. بل تم ذلك بمجموع فوائد إجتماعهم فوجدت أن السياسة كانت من أعظم ما أحتاج إليها هؤلاء البشر في أدوار أطوارهم وأطوار أدوارهم، فإننا كما نرى للتآلف أسباب وآثارا طبيعية، نرى للتنافر أسباب وآثارا طبيعية أيضا، فالإنسان مضطر بين هذه وتلك إلى مدافعة أسباب أسباب التنافر وآثاره بين المتآلفين والآخذ بأسباب التآلف بين المتنافرين، وهذا هو أصل السياسة"<sup>2</sup>. ويعرفها أيضا بأنها "مما يهدي الفاطر النوع الانساني إليه من الوسائل التي تأخذ بيده بين مخالبا الاختلافات"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> عبد الله حنا، "السيد عبد الحميد الزهرابي، 1871-1916 (حياته، نشاطه السياسي ورسائل الفقه والتصوف)"

مجلة النهج، خريف 1994، ص 272.

<sup>2</sup> عبد الحميد الزهرابي، "تربيتنا السياسية"، مجلة الحضارة، المجلد 2، العدد 63، 22 جوان 1911م. في الأعمال الكاملة... المصدر السابق، ص 52.

<sup>3</sup> نفسه. ص 53.

وبذلك يكون الزهرابي على خلاف بعض مفكري عصره، الذين يمتقنون السياسة، فهو يرى "أن النوع الإنساني لم يتيسر له قطع المراحل في التكامل إلا على يد السياسة، وإن المبتلين بعشق الإصلاح لا بد لهم من مددها"<sup>1</sup>

#### أ - أهمية العمل السياسي في نهضة الفرد والمجتمع:

يكتسب مصطلح السياسة عند الزهرابي دلالات ومعاني متعددة، (إدارة وتنظيم وتديبر وفن ونظام حكم)، وتعود هذه الدلالات والمعاني المتعددة إلى تنوع النظر في رؤيته لوظائف السياسة وتباين مواقع رؤيته لها، ومع ذلك نجد أن تناوله لموضوع السياسة يعبر عن معنيين رئيسيين:

المعنى الأول؛ السياسة بوصفها العملية التي تتجلى فيها إدارة وتنظيم التفاعلات لجلب خير ودفع شر. وهي تعد هنا متطلبا أساسيا من متطلبات الإجتماع البشري التي توجد من أجل إدارة أسباب التآلف والتتافر في المجتمعات الانسانية. فالسياسة عنده هنا بهذا المعنى لا تقل أهمية عن حاجة الإجتماع في جميع المستويات ابتداء من العائلة الصغيرة إلى الأمة الكبيرة، المؤلفة من جماعات متعددة. فالوالد في الأسرة، والزعيم الذي يقود جماعة أو أمة، سيفتقرون ، إذا لم تتوفر لديهم هذه المهارة، إلى ميزة التصرف والقدرة على إدارة المواقف والحصول على النتائج المرجوة "لينفع بها الأولياء ويصدم بها هجمات المتخاصمين"<sup>2</sup>.

فقد كان الزهرابي رجلا مسكونا بالسياسة، وإن كان على حساب عمله الفكري والاجتماعي والفلسفي، ويدفع دائما كل مواطن إلى دواليب العمل السياسي. فالسياسة كما فهمها هي وعي ونضال، وثبات على المبدأ، واستعداد دائم للتضحية، وبحث عن الروابط والوسائل التي تؤدي إلى تلاحم أفراد المجتمع، وليس تلاعبا بالألفاظ، ورفعاً

<sup>1</sup> عبد الحميد الزهرابي، "تربيتنا السياسية-9- مجلة الحضارة، المجلد 2، العدد 63، 22 جوان 1911، الأعمال الكاملة..، المصدر السابق، ص 51.

<sup>2</sup> عبد الحميد الزهرابي، "تربيتنا السياسية-7-، مجلة الحضارة، المجلد 2، العدد 59، 25 ماي 1911، الأعمال الكاملة..، المصدر السابق، ص 44.

للشعارات، واللهفة على المناصب، فالسياسي عنده: "هو الباحث عن كل روابط الاجتماع، لا استكثر منه أن يحمل أوزار الوعى إن أستطاع في رد كيد المستبدين، الذين وضعوا أعمالهم في كفة السيئة من حب التميز، وبئس ما أكتسبوا لأنفسهم من البغضاء وللمُدعِنون لهم شر مكانا، وأضل في سبيل الحياة النوعية، وأقرب إلى الهوان من الأنعام وفي هذا بلاغ لعلمهم يتذكرون"<sup>1</sup>

ولا يقتصر مجال السياسة عند الزهاوي على جوانب محددة من حياة المجتمعات الإنسانية، "وإنما هي تدخل في كل شيء"<sup>2</sup>، فإذا كانت السياسة فناً لإدارة شؤون المجتمع، وحاجة ضرورية من حاجات أفرادها، فإنه يتعين عليها العناية بأسباب التعاون ووسائله، والتعاون للكشف عن مكامن القوة، وتجاوز مواطن الضعف، وكيفية الانتفاع بالروابط العامة. وهذا الدور الرائد التي تتكفل به السياسة لا يقصد به إصلاح الأوضاع الراهنة فحسب، وإنما تشكيل صور الفرد والمجتمع المقبلة.

ويلاحظ من خلال كتابات الزهاوي وخاصة في سلسلة مقالاته بجريدة الحضارة والتي عنونها بـ "تربيتنا السياسية"، كان على اختلاف مع رواد حركة التجديد الديني والإصلاح التي كان يقودها محمد عبده، الذي كان ينظر نظرة احتقار للسياسة، ويعوذ بالله منها، كما أورده في إحدى كتاباته: "إن شئت أن تقول إن السياسة تضطهد الفكر والدين أو العلم، فأنا معك من الشاهدين، ويعوذ بالله من السياسة ولنظ السياسة ومن كل أرض تذكر فيها السياسة، ومن كل شخص يتكلم أو يتعلم أو يجن أو يعقل في السياسة"<sup>3</sup>.

ويرجع الزهاوي الفكرة السلبية التي كان يرددها العديد من مفكري الإصلاح والنهضة في ذلك الوقت، إلى عدم التمييز بين السياسة بوصفها حاجة إجتماعية، وبين المشتغلين بالسياسة. وأن أكثرهم ينظرون إلى السياسة من ظاهرها. ويتساءل

<sup>1</sup> الزهاوي، "نظام الحب والبغض" المصدر السابق، ص 320.

<sup>2</sup> عبد الحميد الزهاوي، "إلى شبابنا"، جريدة الجريدة، 1907/07/22، في الأعمال الكاملة...، المصدر السابق، ص 139.

<sup>3</sup> محمد عبده، الإسلام بين العلم والمدنية. القاهرة: كتاب الهلال، 1960، ص 165.

الزهرابي، " كيف تنقش يا ترى في المضروبين والمعذبين صورة السياسة؟"<sup>1</sup>، ويدرك الزهرابي من خلال هذا السؤال أيضا أن السياسة قابلة من حيث هي نشاط أن تتحرف عن الطريق الصحيح، مما يؤدي إلى ظهور حالات من الاستبداد والاستغلال والتسلط، مشددا على حقيقة مهمة، وهي؛ أن العزوف عن المشاركة السياسية تنتشر بين الجماهير التي تشعر بالإحباط، حيث تصبح لا مبالية أو متمردة، لأنه عندما يدرك شعب ما بأنه لا يصنع التاريخ، فإنه يدير ظهره للسياسة ويصبح لا مبالياً.

أما المعنى الثاني للسياسة عند الزهرابي؛ فيتعلق بتدبير وممارسة النظر في الشؤون العامة وشؤون الحكم. وقد حددها في إحدى مقالاته على النحو التالي: "كما يتخذ الإنسان التدابير عند وقوع الطبيعة كهبوب الرياح مثلا، كذلك يستطيع بقدر الطاقة البشرية أن يتخذ تدابير بناء على الحوادث البشرية"، وبهذا المعنى تكون السياسة هي "ممارسة النظر في الحوادث ليكون التصرف حسبها"<sup>2</sup>.

فمعنى السياسة عند الزهرابي هي التدبير وممارسة النظر، مؤكداً من خلاله على مدى الارتباط الوثيق بين السياسة والحياة العامة في المجتمع، وكيف أن السياسة عملية تتعامل الجماعة بمقتضاها مع قضاياها ومشاكلها بغية الوصول إلى أهدافها وغاياتها. وما دمت هذه هي وظيفة السياسة في المجتمعات الإنسانية فإنه من المهم أن يتجرد الفرد والجماعة من الإعتقاد الذي يفيد بأن ممارسة السياسة تقتصر على فرد أو جماعة محدودة من الناس أو على فئة من فئات المجتمع أو على رجال الحكومة الذين يدعون انحصار الممارسة فيهم وحدهم، والمطلوب هنا تخليص الأفراد " من شعورهم بأنهم مجرد رعايا لا دخل لهم بالعمل السياسي، وأن يشعروا ويدركوا بأنهم مواطنون لهم حقوق لا يجوز التنازل عنها"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> عبد الحميد الزهرابي، "تاريخنا في سنة"، مجلة الحضارة، 1911/01/12، في الأعمال الكاملة.. القسم الثالث، المصدر السابق، ص 193.

<sup>2</sup> الزهرابي، "نظام الحب والبغض"، المصدر السابق، ص 407.

<sup>3</sup> الحلاق، المرجع السابق، ص 124.

ويرفض الزهاوي أن تكون السياسة شأن الحكام دون المحكومين، وأن يتم الربط بين السياسة والسلطة الحاكمة ربطاً عضوياً إلى حد التطابق، لأن ذلك من شأنه أن يؤدي إلى تقليص مجال التفاعلات التي يتعين إدخالها في دائرة ما هو سياسي. وهو لا يقصد بتوسيع نطاق ومجال أن يجعل كل أفراد الأمة يشتغلون في السياسة، لأن ذلك مضاد لحاجة المجتمع ومناف لمصلحته، وإنما يقصد به توعية الفرد والجماعة بأن لهما دوراً في ممارسة النظر في كل الحوادث والشؤون والسياسات العامة، وأن التصرف والتدبر العام ينبغي أن يكون على حسب هذه الممارسات<sup>1</sup>.

ولتفعيل هذه الممارسة، يجب أن تتوفر الاستعداد والقبالية لدى الفرد والجماعة للميل والنزوع نحو الحياة السياسية، كما يتطلب أيضاً التمييز بين ممارسة السياسة وبين الإشتغال أو امتهان العمل السياسي، فالزهاوي كان يقصد بدعوته الأفراد والجماعة للممارسة السياسية إنما يقصد بدعوته، أن يتيح المجال لغلبة "ملكة الاستبصار" لديهم، وأن تشيع "روح المراقبة" في الأمة دون أن يشتغل أو يمتحن كل أفرادها العمل السياسي<sup>2</sup>.

وحسب رؤية الزهاوي للعمل السياسي لدى الأفراد والجماعة، فإن أرقى أشكال الممارسة السياسية تتجلى في متابعة النواب المشتغلين بالسياسة، الذين يتخذون "الوسائل لمساعدة الحكومة الصالحة لتحسين حال البلاد أو مقاومة الحكومة التي تسوء معها حال الوطن"<sup>3</sup>، فالسياسة بالمعنى الثاني عنده، ظاهرة فاعلة من الظواهر الإنسانية وجزءاً لا يتجزأ من مقومات الفرد والجماعة على حد سواء، إذ على الصعيد الاجتماعي هي التي تحفز تشكل "الروح العمومية" أي الرأي العام المستنير، وعلى الصعيد السياسي هي التي توجد "الفلسفة السياسية" أو ما كان يطلق عليه

<sup>1</sup> الجامع، المرجع السابق، ص 78.

<sup>2</sup> نفسه، ص 79.

<sup>3</sup> الزهاوي، "نظام الحب والبغض"، المصدر السابق، ص 409.

الزهرابي "سياسة السياسات"<sup>1</sup>، التي تحدد المبادئ والمفاهيم العامة في الحياة السياسية سواء على مستوى الوجود الفعلي أو المأمول للمجتمع والإنسان.

ويعتقد الزهرابي بالأهمية البالغة للسياسة في سياق العملية الإصلاحية الشاملة، وعليه قدم تصوره للسياسة ومدى الحاجة إليها، لولادة الإنسان المواطن الواعي بطبيعة الحق الذي يدفعه نحو الاهتمام بشؤون وطنه، ومن ثمة سعى لتصحيح تصورات الفرد الخاطئة حول موضوع السياسة، بأن عمل على رفض الاستعدادات الرديئة لمن يقولون نحن لا نفهم السياسة، وينبهم إلى أن السياسة جزء لا يتجزأ من مقومات الفرد والجماعة على حد سواء، وأنها نشاط إنساني لا يقتصر على جوانب معينة من حياة المجتمعات الإنسانية، ولا تنحصر ممارستها في مجموعة محدودة من الناس أو فئة من فئات المجتمع.<sup>2</sup>

واستند الزهرابي في رؤيته للسياسة على نظريته لتاريخ الإنسانية، متأثراً في ذلك بالمفكرين المسلمين الأوائل، ومنهم ابن خلدون، الذي عبر عما ذهب إليه الزهرابي لاحقاً، إذ يذكر ابن خلدون أن "إن الإجماع الإنساني ضروري، ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم أن الإنسان مدني بالطبع، أي لا بد له من الإجماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم، وهو معنى العمران"<sup>3</sup>. ومن هنا يبرز الرصيد المعرفي والثقافي المرتبط بالفكر العربي الإسلامي الذي حصله عبد الحميد الزهرابي، عبر مراحل تعليمه الأولى في اتجاهها الإصلاحي.

لقد أدرك الزهرابي، أن الإصلاح السياسي لن يحقق هدفه إلا عبر التربية السياسية، بإعتبارها مطلباً ملحا لكل أفراد الأمة وجماعاتها، حيث ارتكز تصوره للسياسة من منظور ظاهري الصراع والتعاون المتلازمين لكل المجتمعات الإنسانية. حيث تعد المنفعة عنده جوهر السياسة من منظور واقع التعاون، وتعد القوة عنده

<sup>1</sup> الجامع، المرجع السابق، ص 79.

<sup>2</sup> الجامع، المرجع السابق، ص ص 79، 80.

<sup>3</sup> عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، ط10. بيروت: دار القلم، 1992، ص 41.

جورر السياسة من منظور واقع الصراع. ويفهم من ذلك الحاجة للسياسة وطبيعة موضوعاتها ومكوناتها - حسب الزهرروي - لا يعود إلى اعتبار العلاقات القائمة في حقل السياسة تحكم وفق منطق المنفعة والقوة لا وفق منطق الصداقة فحسب، وإنما يعود أيضا على نحو أساسي إلى إعتقاده بأن الحياة في ميدان السياسة، كالحياة في الطبيعة يحكمها قانون تنازع البقاء<sup>1</sup>.

ومن جهة أخرى، يرى عبد الحميد الزهرروي أن العنصر المحدد لأية دعوة إصلاحية هو المنفعة العامة، إذ أنه من الضروري أن تكون الأفكار والآراء والسياسات الإصلاحية مما ينطبق على منفعة الأمة، ومما يلائم مصلحتها<sup>2</sup>. وهذا ما يساعد على تكوّن ميول ورغبات وغايات لدى الأفراد والجماعات تتوافق مع مصالحهم مجتمعين.

وقد عمل الزهرروي على تبيان نزعته الإصلاحية في الحقل السياسي من خلال من خلال إتجاه الأمة عموما وجماعة العرب خصوصا، نحو الفعل والعمل السياسي الفعال. وذلك لاعتقاده الراسخ بأن الفعل السياسي يتقدم على سائر الفعاليات الأخرى التي يمكن أن تقضي إلى النهضة والتقدم، وبأن الأمة أساس العمل، وبأن لإرادة الأمة الأسبقية على عملها.

لم يسع الزهرروي من خلال كتاباته وعمله السياسي لاجتثاث ظاهرة الاستبداد السياسي وحسب، وإنما حرص أيضا على معالجة الخلل الكبير في الاستعداد لدى الفرد والجماعة، حتى تستقيم المسؤوليات والالتزامات التي تقع على عاتقهما، فيرى أن انتقال الفرد والجماعة من جملة العلاقات التي تثبت الاستبداد والتسلط، إلى العلاقات التي تشدد على التوافق والتكامل والتعاون. مؤكدا في سعيه لبيان الأسس التي تقوم عليها عملية التكامل أن: " لكل أمة إنما تقوم بنيتها على أسس، ولا تكون تلك الأسس متينة راسخة ما لم يكن كل فرد من الأمة عضوا أساسيا فيها، ومتى كان الفرد عضوا

<sup>1</sup> الزهرروي، "خواطر السياحة" المصدر السابق، ص 150.

<sup>2</sup> الحلاق، المرجع السابق، 125.

أساسيا في الأمة كان مكلفا بأن يحافظ على بنية الأمة وكيانها، وليس بجهل أحد أن الأمم لا تحيا وتبقى إذا فقدت فيها العدل"<sup>1</sup>.

ومن أجل تحقيق ذلك، اتجه الزهرابي إلى الإنسان الفرد بإعتباره أول مقومات الأمة، ويسعى لمعالجة آفات نفسه وتقويم إستعداداتها وقواها، كما يسعى إلى أن ينبهه لمكانته الحقيقية في بنيان الأمة، ولأهمية الإلتفات إلى الحياة الإجتماعية ومتطلباتها، إذ يرى أنه من الضروري أن يدرك الإنسان الفرد بوضوح، إن إنشغاله بالحياة الفردية من شأنه أن يترك أثارا رديئة في جسم الأمة، ويقصد بالحياة الفردية " أن لا يهتم المرء إلا راحة نفسه وشهواتها وأن يصرف فكره عن كل ما يتعلق بمنفعة الأمة ومضرتها من حيث المجموع"<sup>2</sup>.

ورغم إدراكه لأهمية البعد الإجتماعي في الإنسان بوضوح، إلا أنه في الوقت ذاته، حرص الزهرابي على إلى أن ينبه إلى أن غلبة هذا البعد هي وسيلة لسعادة الذات، وأنه " لولا ذلك لما كان من فائدة لحت الناس على تحميل أنفسهم كل عناء وكل مفادة في سبيل الدفاع عن الأوطان وفي سبيل إقامة العدل والحق، وفي سبيل حماية الضعيف ونصر المظلوم"<sup>3</sup>.

لقد تمحورت الفكرة الرئيسية التي سوّق لها عبد الحميد الزهرابي في كتاباته، بدعوته إلى تكامل البعد الفردي والبعد الإجتماعي في الإنسان، مبررها هو أن الأمة التي يشعر أفرادها بأن منافعهم ومصالحهم متصلة بمنافع ومصالح مجموع الأمة،

<sup>1</sup> عبد الحميد الزهرابي، "أتقوا الله في أوطانكم"، مجلة الحضارة، السنة الثالثة، العدد 123، 15 أوت 1912، الأعمال الكاملة..القسم الثالث، المصدر السابق، ص 345.

<sup>2</sup> عبد الحميد الزهرابي، "حول الحرب أيضا" مجلة الحضارة، السنة الثالثة، العدد 114، 13 جوان 1912، الأعمال الكاملة... القسم الثالث، المصدر السابق، ص 293.

<sup>3</sup> نفسه، ص 294.



فيجتهدون في إعلاء شأنها لتعلو بذلك أقدارهم، وأما الأمة التي ينشغل أفرادها بحياتهم الشخصية وينصرفون عن أي شأن من شؤون العامة، فتلك كتب عليها الشقاء<sup>1</sup>.

ونخلص مما سبق، أن الزهاوي اعتبر بناء الإنسان المواطن الذي يتكامل بعده الفردي مع بعده الاجتماعي في الحقل السياسي، تساعد الفرد على حماية حقوقه، وتنمية الروابط العامة والمحافظة في ذات الوقت على المصالح العامة، وترشده إلى كيفية الحياة مع الآخرين من دون المساس بطبيعة الحياة السياسية ( الصراع والنزاع والتسابق والإختلاف)، والهدف في النهاية هو تحضير كل فرد من أفراد الجماعة لأن يكون عنصرا مشاركا بفعالية في عملية تكوين الأمة سياسيا والاهتمام بمقوماتها ورعاية مصالحها.

وكان الزهاوي يرى أن قيادة العمل السياسي بحاجة إلى رجال أكفاء، ويمتلكون صفات خاصة: "كيف يا ترى تدير الجماعات السياسية في حين أنها تتألف من أفراد متباينين ومتفاوتين كثيرا في المدارك والرغائب ولكل منهم شأن يغنيه من صناعة أو زراعة أو تجارة؟"<sup>2</sup>. ويجيب الزهاوي على السؤال الذي طرحه في الجزء السابع من مقالته حول التربية السياسية، بأن ذلك وظيفة القادة الزعماء " ... ومتى دبت الروح العمومية ولو ديبيا خفيفا ألفتها تلتمس الزعماء وتتلمسهم. والزعماء هم نبات الأسباب والسنن الكونية، وبن وجودهم ووجود الروح العمومية علاقة دقيقة جدا"<sup>3</sup>.

وهؤلاء الزعماء هم الذين يقودون شعوبهم، ويتحكمون بمفاصل القرار فيها، ويعملون على خلق الروح العمومية، وتوحيد فعاليات وطاقات وجهود الأفراد والفئات المختلفة، وتشكيل الكيان المتماسك والقوي. لأن "الجماعات (الأمم) لا تكون جماعات

<sup>1</sup> عبد الحميد الزهاوي، "المستقبل"، مجلة الحضارة، السنة الثانية، العدد 97، 09 فيفري، 1912، الأعمال الكاملة ... القسم الثالث، المصدر السابق، ص431.

<sup>2</sup> عبد الحميد الزهاوي، "تربيتنا السياسية -7-، مجلة الحضارة، السنة الثانية العدد59، 25 ماي 1911، الأعمال الكاملة ... القسم الثالث، المصدر السابق، ص42.

<sup>3</sup> نفسه، ص 43

على وجه التمام ، ولا تكون لها سياسة مخصوصة، إلا إذا كان لها زعماء . والزعماء هم الذين يديرون سياستها وإدارتهم هي إدارتها<sup>1</sup>.

ومن الطبيعي أن تكون العلاقة بين الزعماء وشعوبهم علاقة جدلية تفاعلية، فلنجاح الزعيم في مساعيه لا بد أن يكون الشعب قد وصل إلى درجة من الاستعداد تؤهله للتفاعل مع زعيمه، والسير معا إلى معارج التقدم والفلاح، فكأن هناك علاقة دقيقة جدا بين وجود الزعيم، وبين تهيؤ الناس لذلك. وبرأي الزهرابي فإن للزعيم صفات وإمكانات وإستعدادات تجعل من المستحيل على من لا يملكها أن يغدوا زعيما، كما لا تستطيع الظروف مهما كانت صعبة أن تمنع من يملكها أن يكون زعيما<sup>2</sup>.

### ب النظام السياسي وأسسها:

عمل عبد الحميد الزهرابي على تحديد مفهوم واضح للدولة والسلطة، وماهي الوظائف التي تسند لهما، وقد حاول أن يزوج في ذلك بين النظم والمؤسسات في الفكر الغربي(كالوطنية والسلطة السياسية والانتخابات والدستور)، والفكر السياسي الإسلامي (كالخلافة والبيعة والإجتهد والشورى). وهو دليل على مدى إطلاعه واتساع ثقافته السياسية، حيث جسد -حسب قوله- مدى "عراقتنا بما هو روح القوانين الأساسية"<sup>3</sup>، ومدى الحاجة إلى إقتباس وسائل العدل عند الغربيين وسبل محافظتهم على المقوم الذي يعد من أهم مقومات الأمم.

ومما كان يراه الزهرابي، هو أن الأفراد والجماعات بحاجة إلى النظام لتنظيم علاقاتهم وتقوية روابطهم، ولإستتباب الأمن والإستقرار في المجتمع<sup>4</sup>، وإن كانت الحكمة هي التي توفر شروط ضبط وتسديد ظاهرة الصراع الملازمة لكل المجتمعات

<sup>1</sup> الزهرابي، "تربيتنا السياسية -7-، المصدر السابق، ص 44.

<sup>2</sup> نفسه، ص 45.

<sup>3</sup> عبد الحميد الزهرابي، "الدين الإسلامي لا ينافي المدنية"، جريدة الجريدة، العدد 49، يوم 1907/05/07،

الأعمال الكاملة...القسم الرابع، المصدر السابق، ص 56.

<sup>4</sup> عبد الحميد الزهرابي، "من يصنع النظام"، جريدة الجريدة، العدد 16، يوم 1907/03/26، الأعمال الكاملة

...القسم الرابع، المصدر السابق، ص 56، ص 37.

الإنسانية وتعمل على تذكير المتصارعين والمتنازعين بأهمية التعايش السلمي وسلوك طريق السلم الإجماعي، فإن تجسيد الحكمة في الواقع يتطلب البحث عن التنظيم الذي تتجلى فيه الحكمة ، ويؤدي إلى تحقق دولة يرتقي فيها الإنسان.

ويعتقد الزهرابي، أنه بمجرد تشكل الدولة تتولد حاجة المجتمعين إلى القوة، التي تنطوي على قدرة تعمل على حفظ نظام الإجماع، وتقسيم الأعمال، وتحديد المسؤوليات، وإيجاد التراضي عند تعيين الحدود والمقادير، وهي الحكومة التي يتطلب وجودها اتفاق إرادات أفراد وجماعات الأمة على شكل الهيئة الإدارية الحاكمة التي تعمل على تحصيل المصالح المشتركة، وتنفيذ القوانين والتشريعات، والمحافظة على الأمن والحقوق. لذلك تعد "مسألة نصب الحكومة المادة الأساسية الأولى للأمم؛ وكل أمة تهمل هذه المسألة فهي إنما تهمل واجبا من أعظم الواجبات، وحقا من أكرم الحقوق، فتكون معرضة لأنواع من الخزي والخذلان والذلة والهوان"<sup>1</sup>.

ولا تتوقف عملية تنصيب الحكومة برأي الزهرابي على مجموعة من الناس بل هي عملية يشترك فيها جميع أفراد الأمة، وهذه المشاركة تتطلب أن يكون الفرد عضوا أساسيا في بنیان الدولة، إذ أنه، "متى كان كل فرد في الأمة عضوا أساسيا فيها، كان بالطبع شريكا في نصب الحكومة"<sup>2</sup>، وللنظام السياسي عند الزهرابي أسس لا يقوم إلا بها، وهي تتمثل في التالي:

**أولا/ العقل:** يؤكد عبد الحميد الزهرابي أن جميع الأمم تحتاج إلى تنظيم العلاقات بين أفرادها وجماعاتها، وأن سن مجموعة من القوانين التي ترتب الأعمال والأحكام وتحدد الحقوق والواجبات، وأن سن الأحكام وتطبيق القوانين في أي مجتمع يحتاج إلى العقل؛ فهو مبدأ الدولة والشرائع والقوانين.

<sup>1</sup> عبد الحميد الزهرابي، "اتقوا الله في اوطانكم" مجلة الحضارة ، المجلد الثالث . العدد 124 . 22 / 08 / 1912،

الأعمال الكاملة... القسم الثالث، المصدر السابق، ص 345.

<sup>2</sup> نفسه، ص 347.

فالعقل عنده هو الفاعل الرئيس في سن التشريعات والقوانين المتعلقة بنظام الإجماع، فهو من يناط له بناء مؤسسات الدولة ووضع الدستور، الذي يحدد القواعد الأساسية المتعلقة بالواجبات والحقوق. وأن هذه الأمور ليست من إنتاج الفكر الغربي، وإنما هي نتاج العقل الإنساني الخالص، ف"المدونات الأساسية (الدستور) ليست في الحقيقة أوروبية من حيث موضوعها، بل ربما كانت بدعة أوروبية من حيث شكلها وترتيبها، فهي والحال هذه من الصنف الذي استحسنه عقول الأمم من بدعهم في سياسة الأمم وتصنيف وثائقها المدنية التي بها تتسهل معرفة الناس ما لهم وما عليهم"<sup>1</sup>.

إن تعظيم الزهرابي للعقل في العمل السياسي بشقيه التنظيمي والتدبيرى، لا يكون إلا مرتبطاً بالبعد الدينى، فالدين عنده بمثابة الدعامة الأساسية للوحدة السياسية للدولة والمحافظة على كيان الأمة، ورابطة أخلاقية وفكرية "تحشر الشعوب الكثيرة المتغايرة في الألسنة والألوان، المتباعدة في العادات والبلدان"<sup>2</sup>، فقد كان واعياً جداً لكل ما هو دينى ولما هو سياسى، فقد كشفت آراؤه وتصوراته حول وظيفة هذا الدين في الدولة. فهو يعتقد أن الدين الإسلامى جاء بمتطلبات الحياة السياسية، الاجتماعية والمدنية إلا أنه كان يرى بأن ما جاء به هذا الدين هو في حدود القواعد الكلية، وإن الإحاطة بالجزئيات التي تتعلق بنظام الإجماع منوطة بالعقل.

**ثانياً/ حاكمية الأمة:** يذهب الزهرابي إلى أن مبدأ الحاكمية هو المبدأ الثانى الذى تستند إليه السلطة السياسية، والحكم حق طبيعى لأفراد الأمة وجماعاتها، والرئاسة أو الوظيفة التي يتولى مهامها الحكام ليست مجرد تشريف وتكريم لهم، وإنما هي خدمة وواجب، الأصل فيها إدارة شؤون الدولة والمحافظة على المصالح العامة وتوفير الأمن والحياة الكريمة للفرد، وحق الأمة في الحكم يعنى " أن يكون للأمة الحرية في التصرف بأمور نفسها والاستقلال في إرادتها واختيارها، ومباشرة سائر

<sup>1</sup> الزهرابي، "انقوا الله في أوطانكم"، المصدر السابق، ص 256.

<sup>2</sup> الزهرابي، "نظام الحب والبغض"، المصدر السابق، ص 368.

فروع الحكومة وما يتعلق بجملتها"<sup>1</sup>، وهو بذلك يعلن رفضه الصريح لأن تقوم العلاقة بين الحاكم والمحكوم على أساس أن الأول سيد والثاني تابع أو عبد، أي أن تكون السلطة نتيجة الإجبار والعبودية والطاعة.

**ثالثاً/ التعاقد:** يعتقد عبد الحميد الزهاوي أن التسليم بحاكمية الأمة أو القول بأن الأمة هي السلطة الحاكمة في الدولة، وأنها هي المتصرفة من دون غيرها في جملة شؤونها، يجب التفصيل فيه إذ لا يتصور معه أن يتولى جميع أفراد الأمة سلطة إدارة الشؤون والسياسات العامة. وعلى ذلك يترتب عن هذه الحقيقة أن تقوم الأمة بسد حاجاتها إلى الإدارة والحكم، بأن تعهد سلطتها أو توكلها إلى فرد من أفرادها وتعد معه "العقد الأعظم المعبر عنه بالبيعة والمبايعة، فمتى بايعها المبايع على إقامة أحكام الحق فيما بينها، وعاهدته على التسليم والإذعان والطاعة فيما يمضيه من أحكام..."<sup>2</sup>.

وتعد فكرة التعاقد عند الزهاوي، نقطة الإنطلاق في تأسيس مبادئ العدالة في الدولة، وفي تسديد معاني الانتماء والولاء والإخلاص لدى الفرد والجماعة. وهذه الفكرة في أصلها غربي، ومستمدة من فكرة فلاسفة العقد الاجتماعي (مونتسكيو، هوبز، لوك)، الذين حاولوا من خلال فكرة التعاقد تفسير إنشاء الدولة والحاجة إليها\*.

<sup>1</sup> عبد الحميد الزهاوي، " المسائل الشرعية في الخلافة"، جريدة المقطم، العدد 3799، سبتمبر 1901، الأعمال الكاملة... القسم الأول، المصدر السابق، ص 447.

<sup>2</sup> عبد الحميد الزهاوي، "النظار" مجلة الحضارة، السنة الثانية، العدد 66، 13 جويلية 1911، الأعمال الكاملة... القسم الثالث، المصدر السابق، ص 101.

\* **نظرية العقد الاجتماعي:** ظهرت نظرية العقد الاجتماعي في القرنين السابع عشر والثامن عشر، وهي بالتعريف: فلسفة سياسية حديثة، تعتقد أن أصل الدولة يعود لعقد بين الناس، تنطلق نظرية العقد الاجتماعي من الفرضية القائلة بأن نشوء المجتمع لم يكن طبيعياً، بل اصطناعياً، حيث كان الناس يعيشون في الحالة الطبيعية (ما قبل الدولة) من دون قوانين تنظم حياتهم، مما أدى لانتشار الفوضى، الأمر الذي دفع الناس للاتفاق على عقد بينهم، ينقذ حياتهم، وينظم شؤونهم، وبموجبه يتخلون عن بعض حقوقهم الطبيعية لصالح الدولة. ومن بين الفلاسفة الذين أسس لهذه النظرية نجد كل توماس هوبز (1588-1679) Thomas Hobbes، وعند جون لوك (John Locke 1632-1704) وجان جاك روسو (Jean-Jacques Rousseau 1712-1778)، ويوجد بين

رابعا/الديمقراطية التمثيلية: سعى الزهرابي من خلال أفكاره الإصلاحية حول المجتمع والدين والسياسة، إلى تحقيق الفعالية للأمة، وإن كان قد أختار القيم والمبادئ التنظيمية الغربية لتحقيق هذه الفعالية، مؤكداً أن الحكم النيابي هو المنهج اللائق والمناسب لحقوق الإنسان إنطلاقاً من كونه إنسان، بصرف النظر عن طريقة التعااطي مع هذا المنهج وبغض النظر عن نتائجها.

وكان الزهرابي يؤكد في كل مرة على وعيه بأن طريقة تنظيم السلطة في الغرب هي الأكثر ملائمة لتحقيق إنسانية الإنسان وكرامته والمساواة في الحقوق والواجبات، لكنه في الوقت نفسه ظل يكرر بأن العرب قد أخذوا شيئاً من أصول الحكم النيابي، ونادوا بالشورى وعظموا شأنها بينهم<sup>1</sup>، على أن المهم بالنسبة إليه هو أن الأمة الإسلامية لم تألف بعد هذه الأبعاد في حياتها، فتربيتها تميل أكثر إلى الحكم المطلق، حتى أنها: "أزهقت نزوعها نحو الحرية المشروعة"<sup>2</sup>.

### خلاصة الفصل

آمن عمر بن قنور منذ البداية بفكرة جمال الدين الأفغاني لإنشاء جامعة إسلامية، فحاول أن يؤسس مشروعه الإصلاحي النهضوي إنطلاقاً من مبدأ الوحدة الإسلامية والتضامن الإسلامي، لمجابهة الأطماع الاستعمارية الغربية، وسياساتها في تجهيل ومسح هوية الشعوب العربية والإسلامية.

---

الفلاسفة الثلاث خلاف حول الطبيعة الأولى للعلاقات بين المجموعات البشرية، إلا أن الجميع يتفقون جميعاً على أساس واحد، وهو أن مصدر السيادة والسلطان في الدولة هو العقد. أنظر أكثر:

- بطرس بطرس غالي ومحمود خيرى عيسى، مدخل لعلم السياسة، ط7. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1984، ص 176-178.

<sup>1</sup> الزهرابي، "خديجة أم المؤمنين"، المصدر السابق، ص 104.

<sup>2</sup> عبد الحميد الزهرابي، "الحق والواجب في الانتخابات"، مجلة الحضارة، العدد 95، 02 فيفري 1912، الأعمال الكاملة... القسم الثالث، المصدر السابق، ص 275.

وقد عرفت أفكاره الإصلاحية المتناغمة مع أفكار جيل مفكري الإصلاح والنهضة في ذلك الوقت انتشارا واسعا في المشرق والمغرب العربيين، وقد عمل على تبرير توجهه الإصلاحي من خلال الواقع الاجتماعي والسياسي الذي كان يعيشه المجتمع الجزائري في ظل الإستعمار الفرنسي.

ورغم إقراره بابتعاده عن العمل السياسي، وانخراطه أكثر في عملية الإصلاح الاجتماعي للفرد والجماعة، إنطلاقا من مبدأ أن الإصلاح الحقيقي يبدأ بالفرد، وأن بإصلاح هذا الأخير تصلح الجماعة والدولة، وقد كانت رؤيته لواقع الفرد الجزائري تحمل الكثير من الدلالات السلبية التي يجب تغييرها قبل الحديث عن استبدال السلطات الاستعمارية، ودعا بن قدير المجتمع، أفرادا وجماعات إلى ضرورة الارتقاء بالعلم والفضيلة كأساس للخلاص من كل أشكال البؤس الاجتماعي والثقافي والسياسي.

وبعدما عرض بن قدير أفكاره الإصلاحية، تعرض إلى الكثير من الإنتقاد من نظرائه المشتغلين بهموم الفكر والإصلاح والنهضة من طرف التعريبيين الداعين إلى الاندماج الكلي في المجتمع الفرنسي على حد سواء، وقد سببت له دعوته إلى إنشاء الجامعة الإسلامية، وجماعة التعارف لشمال إفريقيا الكثير من المضايقات والمتاعب. إلا أن ذلك لم يثنه في السعي وراء تلك الأفكار وإقناع الشباب الجزائري والمغربي بضرورتها للخروج من الحالة التي هم عليها.

ومن جهته، لعب عبد الحميد الزهاوي دورا بارزا ضمن الحركة الإصلاحية التي عرفت في البلاد العربية، فقد كان مفكرا سياسيا ومصالحا اجتماعيا، وداعيا فعالا للنهضة بالأمة، إلا أن جهوده العملية في الإصلاح كانت إلى حد كبير محصورة في المجال السياسي، الذي تفرس فيه منذ شبابه، فإنشغل به دون غيره، رغم ما كان يملكه من الكفاءة العلمية والمعرفية التي تؤهله إلى أن يشتغل في أكثر من مجال، وابتانت كتاباته عن مفكر موسوعي في الدين والفلسفة والاجتماع.

وما يميز مواقف الزهرابي السياسية هو الاعتدال في الرؤية والطرح، حتى في تلك القضايا التي رافع من أجلها، وناضل من أجل تحقيقها، فقد كانت مثلاً آراؤه في القومية العربية معتدلة، حيث أنه لم يطالب على غرار الكثير من المفكرين العرب بالانفصال عن الدولة العثمانية، مطالباً باصلاح أحوال العرب ضمن كيان السلطنة، واعتبر الرابطة الوطنية هي أقوى الروابط التي تجمع العرب مع الأتراك وغيرهم من قوميات داخل الدولة العثمانية، حيث كان يؤمن بقداسة الوطن الإسلامي العثماني، إنطلاقاً من قاعدة المساواة الإسلامية التي كرسها الرسول (ﷺ) "لهم ما لنا وعليهم ما علينا"، وعلى هذا الأساس عارض فكرة الجامعة الإسلامية واعتبرها فكرة طوباوية لا يمكن أن تتحقق على أرض الواقع.

ودلل على رأيه هذا بما عرفه التاريخ الإسلامي من صراع وإنقسام وتفكك، والذي ظل قائماً إلى غاية ذلك العصر، وبرأيه فإن الدين لا يمكن أن يعتبر أساس للوحدة بل أن الوحدة الحقيقية تأتي باحترام كل عنصر في الدولة للعناصر الأخرى في ظل وحدة وطنية، واتحاد مدني ينظم المصالح المشتركة لهذه الجماعات، دون إقصاء لأي طرف من أطراف الجماعة المشكلة للدولة العثمانية.

ولم تكن القومية العربية التي ناد بها الزهرابي في ذلك الوقت في اتجاه معارض للدولة العثمانية، بل هي في النهاية تصب في خدمتها، وذلك باصلاح أحوال العرب دون خروجهم عن كيانها، وانطلق الزهرابي في دعوته للقومية العربية من العقيدة الإسلامية والتراث الإسلامي، وهو تأكيد على مفهوم التلاحم والترابط فيما بين العروبة والإسلام.

لقد انتقل الزهرابي بفكره الإصلاحي والنهضوي النظري إلى الواقع العملي، خصوصاً في المجال السياسي، حيث شارك في تأسيس العديد من الأحزاب السياسية، وترأس المؤتمر العربي الأول بباريس، وكان عضواً في مجلس المبعوثان، ومجلس الأعيان، وقد قدم حياته في النهاية بسبب هذه الرؤية الإصلاحية للدولة العثمانية.



وما يمكن ملاحظته من خلال استعراض المشروع الإصلاحي لكل من عمر بن قدور وعبد الحميد الزهراوي، هو إتفاقهما على أهمية بقاء الدولة العثمانية وعدم الخروج عنها، لمواجهة الأطماع الاستعمارية المتزايدة على المنطقة العربية.

إلا أن الرجلين يختلفان في الأليات والوسائل التي يتم على أساسها حماية دولة الخلافة، ففي الوقت الذي تبنى عمر بن قدور فكرة الجامعة الإسلامية، رأى عبد الحميد الزهراوي فيها فكرة طوباوية لا يمكن تحقيقها على أرض الواقع، فاتجه الأول إلى إنشاء رابطة التعارف لمسلمي شمال إفريقيا كإطار مرحلي لتحقيق فكرة الجامعة الإسلامية، في حين أنخرط الثاني، في فكرة القومية العربية التي يتم من خلالها تعزيز حقوق العرب ولفت الباب العالي للظلم والجور الذي لحق بهم بسبب سياساتها.

أما الفرق الآخر في توجهات الرجلين، فقد تمثل في أي البعدين أولى هو في أولوية البعد السياسي أم البعد الإجتماعي، ففي الوقت الذي أولى عمر بن قدور أهمية كبرى للبعد الاجتماعي لإصلاح الفرد والجماعة؛ رأى عبد الحميد الزهراوي أن البعد السياسي هو أساس الإصلاح، وأنه في غياب اصلاح سياسي، تبقى الجهود الأخرى غير ذات فائدة لتغيير واقع العرب، أما الأمر الذي يجمع بين الرجلين في مشروعهم النهضة والإصلاح والنهضة، هو أن كل منهما كان يرى الواقع بائسا ومزريا، ومن ثمة يجب تغييره بالإصلاح ولو أنهما اختلفا في منطلقاته وألياته، لكنهما اتفقا على ضرورته ووجوبه.

# الخاتمة

تعتبر الفترة الممتدة من النصف الثاني للقرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، من أهم المراحل في تاريخ الأمة العربية والإسلامية، ذلك أن هذه المرحلة شهدت تحولات جذرية في مسارها، ترتب عنه معطيات ومستجدات كان لها أثرا واضحا لما بعدها، وقد حاولت الحركات الإصلاحية والنهضوية في العالم العربي والإسلامي التعبير وبشكل واع عن يقظة نخب من الشعوب العربية، وسعيها للدخول إلى معركة التحديث ومواجهة كل مظاهر التخلف والانحطاط الفكري والأخلاقي والاستبداد السياسي، والتطلع نحو الإصلاح والنهضة، ولم يكن طريق هذه الحركات الإصلاحية سهلا في ظل الضغوطات الأجنبية والإدارة العثمانية، لكن عزمهم وإصرارهم على تأسيس اللبنة الأولى للإصلاح كان هو السبيل الذي انتهجه أغلب رجال الإصلاح في هذه المرحلة التاريخية.

لقد عمل بعض مفكري الإصلاح في البلاد العربية والإسلامية على استنهاض شعوبهم من خلال استحضار العهد الأول للدولة الإسلامية، وتاريخ الأمة وتراثها الفكري والإنساني، فالأمة التي صنعت لنفسها حضارة وسلطانا في التاريخ تظل حيّة إذا استعادت ذات القيم والمبادئ، لإحيائها من جديد، وقد حقق هذا التيار ذو النزعة التقليدية الكثير من أهدافه الدينية وحتى السياسية، ومن جهة أخرى، رأي آخرون بأن بعث هذه الأمة، لن يكون إلا عبر تتبع المسارات التي خطتها الشعوب الأوروبية في الإصلاح والتحديث، مقتنعين بأنه لا يمكن الخروج من حالة التقهقر التي هم عليها إلا من خلال تقليد الغرب في علومه وأنظمتها، وفي هذا ظل الجدل القائم بين هاذين التيارين، ظهر تيار جديد تبنى الخيار الثالث، وحاول التوفيق بين الهوية الإسلامية والتقدم الأوربي بمؤسساته وقوانينه الوضعية، وتقرر لديه أن لا سبيل إلى مواجهة الغرب إلا بأساليب الغرب ذاته، والعمل على الإستفادة من المعارف العصرية لبعث النهضة الإسلامية دون التخلي عن معارفه، مع السعي إلى الاستقلال من هيمنة الاستعمار ورفع الغشاوة عن العقول،

وما يمكن زعمه، هو أن كل من عمر بن قنبر وعبد الحميد الزهراوي ينتميان إلى هذا التيار الإصلاحي الذي آمن بمبدأ عدم الرجوع إلى الماضي بما فيه من

جمود وبدع وخرافات، وضرورة ربط التقدم العلمي بمبادئ الإسلام؛ لأنه هو المبدأ الصالح للتغيير، وأنه لا تعارض بينه وبين الحياة الحديثة المتفتحة على كل ما يخدم الإنسانية ولا يضر بقيم المجتمع الإسلامي.

ومما نستنتجه كذلك ومن خلال استعراضنا لتيارات الإصلاح والنهضة التي عرفتها الأمة العربية والإسلامية خلال فترة الدراسة هو أن الوضع الذي كانت تعيشه البلاد العربية والإسلامية لم يكن يسرُّ أحدا منهم، وأن الجميع حمل شعار التغيير والتجديد، كهدف لمشروع كل واحد منهم، وإن اختلفوا في آليات تحقيقه، وأن عدوهم هي القوى المحلية والأجنبية التي دافعت على جمود الأمة وهيأت الظروف لبقائها على حالة التخلف، واستثمرت في الوضع سياسيا واقتصاديا، ضمانا لنفوذها ومصالحها، واستمرارا لهيمنتها.

لقد حاولت هذه الدراسة الكشف عن أهمية البيئة الاجتماعية والسياسية الصعبة التي عاش فيها كل من عمر بن قنبر وعبد الحميد الزهراوي، والتي كان لها الدور البارز في صقل فكرهما ونضج مشروعهما الإصلاحية، وتبني خيار الإصلاح والنهضة كضرورة ملحة من أجل إنقاذ بلديهما من مظاهر البؤس والفساد، اللذان تسببت فيها السلطات الحاكمة في كلا البلدين.

فتشابه البيئة السياسية والاجتماعية لكل من الجزائر وسوريا في عديد من المجالات، مع بعض الاستثناءات القليلة المرتبطة بطبيعة السلطة السائدة في البلدين، حيث لا يمكن أن نساوي في الضرر، الذي أوقعته الطبيعة الاستيطانية للاحتلال الفرنسي بالجزائر على شعبها، مع السلطة العثمانية العسكرية التي كانت تتسم بالقمع والتعسف ونهب خيرات السوريين، أدى في النهاية إلى التشابه في النتائج، إذ كانت وفي كثير من المجالات تكاد تكون واحدة، وخاصة على المستوى الاجتماعي، فظهرت في كلا البلدين المجاعات والأوبئة، وتنامت الهجرات خارج البلاد.

أما في مجالات أخرى، ومنها على سبيل المثال، المجال الثقافي، فقد كان وضع الجزائر أسوأ بكثير منه في سوريا، حيث شنت سلطات الاحتلال الفرنسي غزوا ثقافيا هدفه مسخ الهوية العربية والإسلامية للجزائريين، أما في سوريا فقد كان الوضع الثقافي أقل سوءاً، حيث كان الوضع الثقافي امتداداً للوضع العام للدولة العثمانية، حيث انتشرت في فترة مجال الدراسة وبشكل واسع الأمية والجهل.

وعلى عكس الجزائر، فقد كانت للحملات التبشيرية الأوروبية جوانب إيجابية على الواقع الثقافي والعلمي للبلاد، واستقادت شريحة من المجتمع منها في اكتساب العلم والمعرفة من خلال الدراسة بمدارسها، وكان لها دور في نشر الوعي القومي والسياسي في فترة لاحقة، وهذا لا ينفي الضرر الذي ألحقته هذه الحملات في مناحي أخرى.

فشلت كل مساعي الإصلاح التي قامت بها كل من الدولة العثمانية وسلطة الاحتلال الفرنسي، من أجل استيعاب مطالب نخب الإصلاح وشعوبها، لكن تلك الإجراءات الإصلاحية لم تحقق إلا أهدافهم، وزادت من قبضتهم على الشعبين الجزائري والسوري، وذلك لغياب النية الصادقة في إصلاح الوضع.

لقد كان عمر بن قنور وعبد الحميد الزهراوي، نموذجان بارزان للمفكران اللذان قاما بفضح الممارسات التسلطية والقمعية، للسلطات القائمة في بلديهما وسخرا قلمهما من أجل تبيان النوايا الحقيقية للإصلاحات الشكلية التي كانت تقوم بها من حين لآخر تلك السلطات، وقدا تشخيصاً مفصلاً للإصلاح الحقيقي الذي تنتشده شعوبهما، وأن ما قامت به السلطات العثمانية، وسلطات الاحتلال الفرنسي لا يستجيب لتطلعاتهما.

وبذلك يمكن القول، أن كل من عمر بن قنور وعبد الحميد الزهراوي كانا على دراية كاملة بكل ما يخطط لشعوبهما، وكانت كتاباتهما الناقدة للوضع تقلق السلطات، وهو ما وضعهما محل متابعة وتضييق مستمر، وبذلك فقد بينت الدراسة صحة الفرضية الأولى، التي ربطت بين الأوضاع الاجتماعية والسياسية التي

عاصرها عمر بن قنور وعبء الحميد الزهراوي؁ وكانء هي الءافع الرئيبي في بعء أفكارهما الإصلاءية؁ فالبيئة التي عاش فيها الرءلان ؁ ءفعا بهما من أجل البءء عن الءلول لمءءلف المءاكل التي أثقءا كاهل شعبيهما؁ وأعرقءهم في أءون الفقر والءهل.

ومن ءلال ءءبع مسار نشأة عمر بن قنور وعبء الحميد الزهراوي ؁ ءبين لنا أهمية ءور البيئة الأسرية في ءوءهاءهما ومواقفهما اللاحقة؁ والءفع بهما للاءءغال بالءمل العام؁ والءفاع عن قضايا الناس ونقل همومهم وشءونهم لمن يعنيه الأمر؁ وءلك انءلاقا من ءشبعهما بالءقافة الإسلامية العربية؁ والءمسك بالينابيع الأساسية للإسلام؁ والأءء بالميراث ءلقياي للمسلمين عبر ءاريخ؁ وممن يرجع لهم الفضل الكبير في ءشكل هذه القناعات والمباءئ لءى عمر بن قنور؁ هي والءءه التي ربءه على القيم والمباءئ الإسلامية؁ أما الفضل في صقل شخصية عبء الحميد الزهراوي فيعود لوالءه؁ الءي حرص على ءعليم ابنه وءكوينه؁ ءعلما وءكوينا زلوج فيه بين العلوم الءينية وعلوم العصر الءءء؁ كما أن الشءصيتين ءأءرا أيما ءأءر بشيوخهما الءين عرسوا فيهما المباءئ الأولى والأساسية للعلم والمعرفة.

ووفقا لءلك اسءطاعا أن يوءءا ءقافة عربية إسلامية راقية لغة وأسلوبا وفكرا؁ ءءاوزا فيها نظرائهما من مفكرين وعلماء عصرهما؁ وقءما منءلجا فكريا إصلاءيا نهضويا في نصوص سهلة ءءاؤل؁ شيقة الأسلوب؁ ءلوة العبارة؁ سواء في النصوص الءينية أو الإءءماعية أو الفكرية؁ وءءى السياسية؁ وقء أبانء الءراسة أءر إءلاع الرءلين على الفكر الغربي ءءويري؁ في آرائهما لمءءلف القضايا التي ءناولاهما في ءءابءهما؁ وممكن القول في هذا السياق أن للبيئة الأسرية وءعليمية التي نشأ في ظلها الرءلين كانت لها أءر إءجابي في مسارهما الصءفي والنضالي؁ وهما يءءقان في ءلك إلى ءء كبير.

وكشفء الءراسة أيضا؁ بأن الطريق الءي سلكه بن قنور وعبء الحميد الزهراوي لم يكن مفروشا بالزهور؁ رغم نشأءهما في عائلءين ميسورءا الءال؁ فقء واجها طول

حياتها تجارب قاسية في مواجهة السلطات الحاكمة وعادات وتقاليد المجتمع، قادت الظروف الأول إلى المنفى، ثم المرض والموت في الأربعينات من العمر، فيما كانت تجربة الثاني مع سلطات الدولة العثمانية أكثر قساوة، وكانت نهايتها مأساوية، وتم شنقه بعد أن ذاق مرارة النفي وكل أصناف التعذيب، ولذلك يمكن القول أن تجربة عبد الحميد الزهراوي مع السلطات العثمانية كانت أكثر قسوة من تجربة عمر بن قدور، على الرغم من أن سلطات الاستعمارية كانت أنكى وأشد في تعاملها مع خصومها من نظيرتها العثمانية بشكل عام، وهو ما يؤكد أن الأفكار السياسية التي دعا إليها عبد الحميد الزهراوي، كانت أكثر جرأة من أفكار عمر بن قدور الذي نأى بنفسه في الحديث عن السايسة، وأعلن ذلك صراحة في نصوص كتاباته.

وكشف لنا تتبع المسار الصحفي، لكل من عمر بن قدور وعبد الحميد الزهراوي، أن لهذا الأخير تأثير كبير على فكر ورؤية عمر بن قدور الإصلاحية في العديد من جوانبها، وهو ما جعل التتابع في رأيهما في العديد من القضايا والمسائل المتعلقة بالفكر الديني والإجتماعي، وإن كان هناك بعض التباين في القضايا السياسية، ورؤيتهما للطريقة المثلى لمعالجتها.

وبالنظر إلى مسار الرجلين في علاقتهما بالصحافة والكتابة الصحفية، نجد أيضا تشابه في كثير من الجوانب، أولها أن كليهما أسس المجلات والجرائد وعملا محررين لها، كما أن كليهما تعرض للمضايقات وتم على إثرها غلق جرائدهما بسبب الآراء التي كان يبثون فيها، و من جهة أخرى للمقارنة بين المسارين نجد أيضا أن كليهما هاجر بقلمه خارج حدود وطنه، فكتبا في جرائد ومجلات عديدة، مشتركة والتي منها "المنار" و"المؤيد"، " والحضارة"، ونقلت العديد من الجرائد والمجلات مقالاتهما، نظرا للقيمة العلمية والفكرية التي كانت تحتويها، وبذلك فقد انصهر عمر بن قدور وعبد الحميد الزهراوي في الحركة الفكرية والثقافية الإصلاحية العربية، وشكلا من خلال كتاباتهما منارة لحركة الإصلاح في مشرق البلاد ومغربها، وكانت لتجربتهما التي زاوجت بين العمل الميداني (السياسي والإجتماعي)

والعمل الفكري عنصر قوة لمجمل الأفكار الإصلاحية التي نادوا بها، والتي ملخصها أن المجتمع الصالح يجب أن يبني على أسس عادلة.

أما نقطتي الخلاف التي لمستهما في تتبع مسارهما الصحفي؛ فتكمن الأولى في أولوية الأبعاد التي أعطاها كل واحد منهما لمضمون مقالاتهما، فقد ركز عمر بن قذور بشكل واضح على البعد الاجتماعي للإصلاح، وخاصة في النسخة الثانية من مجلة الفاروق، منطلقاً من أن إصلاح الفرد والمجتمع، هو اللبنة الأولى لإصلاح الدولة والأمة، في الوقت الذي ركز عبد الحميد الزهراوي على البعد السياسي، ومبرره في ذلك هو أن الإصلاح السياسي هو المنطلق لإصلاح اوضاع المجتمع، وأن الفساد السياسي، سيجعل من كل عمل إصلاحي آخر غير ذا جدوى وفائدة، فالسياسة حسبه هي أساس الإصلاح، وبغير إصلاح يظل الفساد في المجالات الأخرى أمراً واقعاً، مهما بذل من أجلها من جهد وإمكانيات.

أما نقطة الخلاف الثانية فلمستها، في تركيز عمر بن قذور على القضايا التي تعني الشعب الجزائري بصفة خاصة، أما الزهراوي فقد شغلته قضايا الأمة والدولة العثمانية، أكثر من قضايا سوريا المحلية، وإن كان ذلك مبرر بالنسبة له، وهو أن القضايا المحلية لشعبه، هي ذاتها قضايا الدولة العثمانية، والأمة الإسلامية في عمومها، كما أن كتابات الزهراوي، غلب عليها الطابع الفكري الفلسفي، أكثر من معالجة قضايا ظرفية.

وكشفت الدراسة، عن مساهمة عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي، لجل القضايا الفكرية والدينية والسياسية والاجتماعية، التي أثرت في عهديهما، وحتى في المرحلة السابقة لعصرهما.

فقد راهنا على امكانية تحقيق الاصلاح عن طريق تربية النشأ تربية تمزج بين القيم العربية الاسلامية والعلوم الغربية المتطورة، وهو ما سجلناه في مقالاتهما العديدة عبر مختلف الجرائد، بل أكثر من ذلك، عمل بن قذور في آخر حياته مدرسا باحدى المدارس الخاصة، التي أشرف بمعية رفقائه في المسيرة الاصلاحية على تأسيسها،



كما أننا بأن التعليم هو حياة الشعوب، وأن تفوق الأوروبيين وهيمنتهم على الدول العربية والإسلامية كان بسبب امتلاكهم لناصرية العلم والمعرفة، ولذلك طالبا بتجديد طرق ومناهج التعليم التي كانت سائدة في عهدهم، والتي كانت بعيدة عن روح العصر، لغياب روح النقد والاستسلام المفرط لآراء السلف دون تدبير وتمحيص، ورغم اختلاف واقع التعليم في كلا البلدين، وعليه طالب الاثنان كل بطريقته، بتأسيس مدارس جديدة تكون لها مناهج تعليمية مختلفة عن التي كانت في عصرهما، حيث دعا عمر بن قذور إلى تأسيس المدارس الحرة الخاصة، لمواجهة السياسة الاستعمارية الهادفة لمسح هوية الشعب الجزائري، بينما نجد عبد الحميد الزهراوي، يشجع المدارس التبشيرية ويدعو الناس إلى تدريس أبنائهم بها، وهو ما كان يحاربه بن قذور ويرى فيه خطر على هوية الشعب الجزائري.

وبمراجعة الموروث الصحفي لعمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي، نجدتهما وهما يناقشان ملف التربية في مجتمعيهما، قد تطرقا وبإسهاب وإلحاح إلى قضية تعليم البنات، وأنها لا تقل أهمية عن تعليم البنين، بل اعتبرها أكثر من حتمية لنهضة تاشعوب العربية وخروجها من حالة الانحطاط والتخلف، واللاحق بركب المجتمعات المتقدمة، التي تحقق فيها مضامين الإصلاح والنهضة، بالكيفية والشكل اللازمين، وهما بهذه الدعوة (تعليم البنات) يكونا من أهم وأبرز وأسبق مفكري الإصلاح والنهضة المعاصرين في البلاد العربية والإسلامية الداعين لتعليم الفتيات.

أما القضية الأخرى التي شغلت تفكيرهما، ونالت حظهما في الكتابة، فتتعلق بقضية التجنيد الإجباري، حيث سجلنا تعارضا في موقفهما، ففي الوقت الذي ناصب الأول العداء لمشروع التجنيد الاجباري في المرحلة الأولى، حث الثاني على ضرورة الانخراط في جيش الدولة العثمانية، ودافع من أجل أن ينال العرب شرف الانتماء إليه، والسبب في ذلك واضح، لاختلاف هدف التجنيد في كلا البلدين، إلا أنهما معا ابديا تخوفهما من فساد أخلاق الشباب بعد اختلاطهم بغيرهم من جنسيات وقوميات مختلفة.

الاتفاق والتباين لم يتوقف عند قضية التجديد، بل أمتد الى قضية شغلت ومازالت بال المسلمين، وهي قضية التجديد الديني، فقد اتفق الرجلان على ضرورة إعمال العقل، وأكدوا بأن التخلف الذي تعيشه الأمة الإسلامية في ذلك الوقت، مرده إلى غياب الاجتهاد في الدين، وانتشار الخرافات والبدع، وهو سبب انحراف المسلمين عن إسلامهم الصحيح، وانشغالهم بكتب المتأخرين عن النظر في القرآن الكريم والسنة النبوية، وهذا مرده إلى اعتقاد الناس استحالة وصولهم إلى مرتبة الاجتهاد، فالعلاقة بين الاجتهاد والتحديث علاقة مترابطة في رأي بن قنور والزهراري، فالاجتهاد -في اعتقادهما- هو المدخل إلى التحديث وتطوير المجتمع.

هذا فيما يخص نقاط التوافق في مضمار التجديد الديني، أما اختلاف موقفهما فكان من التصوف والمتصوفة، ففي الوقت الذي دافع بن قنور عن التصوف، ولم يجد أي تعارض بين رؤيته الإصلاحية، ومبادئ التصوف القائم على إصلاح الذات، بل أكثر من ذلك اعتبر التصوف مدخلا أساسيا لتحقيق مفاهيم الإصلاح والنهضة، وهذا راجع للأولوية التي أعطاها بن قنور لإصلاح المجتمع الذي ينطلق -حسبه بإصلاح الفرد-، وإن كان يستثني في ذلك بعض الطرق الصوفية التي مزجت تصوفها بالبدع والخرافات، وهو ما لا ينطبق برأيه على الطريقة التيجانية، التي انتمى إليها خلال منفاه بالأغواط. إلا أن الزهراري أخذ موقف المعارض للصوفية والمتصوفين، وذلك من باب معارضته للسلطة العثمانية، وسعيه لنزع أحد الأسلحة الإيديولوجية التي تستخدمها لمواجهة خصومها، وتبرير شرعيتها وسلطتها الاستبدادية، وبذلك يعارض الصوفية ليس في مبادئها وإنما باعتبارها أحد أذرع الاستبداد في بلاد الشام.

إن تأثير عبد الحميد الزهراري على عمر بن قنور كان واضحا جدا، في تناوله لمواضيع النهضة والإصلاح، وليس تأثير الزهراري فقط، بل كان بن قنور يشيد في كتاباته بالكثير من مفكري المشرق العربي، وخاصة محمد رشيد رضا ومحمد عبده، وكان بن قنور حريصا على دوام الترابط بين بلاد المغرب والمشرق، فكان له ثناء كبيرا على رجال المشروع النهضوي في المشرق، وفتح لهم أعمدة جرائده للكتابة بها بما

ينور الشعب الجزائري، ويخرجه من حالة الجمود الفكري والاستيلاء الثقافي، وبذلك تؤكد على صحة فرضية الدراسة، التي تؤكد بأن الفكر الإصلاحى الجزائرى هو امتداد للفكر الإصلاحى فى الشرق العربى.

ومن بين نقاط الاتفاق التى سجلتها الدراسة بين الرجلين، نجد الموضوع الاقتصادى فى كتاباتهما، حيث اتسم خطاب عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوى فى عمومهم، بالابتعاد عن التركيز على المسألة الاقتصادية، فلم يكن بمقدور تلك الكتابات الكشف عن الأزمة الاقتصادية - الاجتماعية، بوصفها مشكلة متأية من هيمنة النظام الاقتصادى الاستعمارى فى الجزائر، والنظام الضريبى العثمانى، ورغم أن الرجلين تحدثا، عن البؤس الاجتماعى لأفراد مجتمعيهما، لكنهما قرنا ذلك بالظلم والاستبداد الدينى والسياسى، وبدى أنهما غير مدركين، للآليات الاقتصادية التى انتهجها النظام المهيم، للإبقاء على حالة العوز والفقر فى المجتمعين، وبالتالى سهولة الهيمنة والسيطرة عليهما.

أما النقاط التى أبانت عن فجوة فى تفكيرهما، فتمثل أساسا فى موقفهما من الجامعة الإسلامية والفكر القومى، ففي الوقت الذى ناضل عمر بن قذور وسخر قلمه من أجل إقامة الجامعة الإسلامية، وأعتبرها الأساس فى حل كل المشاكل التى تعاني منها الأمة الإسلامية، وأكثر من ذلك، فقد أسس بن قذور نواة لهذه الجامعة ممثلة فى جماعة التعارف الإسلامى لشمال إفريقيا، وحث العاملين فى مجال الفكر والإصلاح للالتفاف حول مشروع، كلبنة أولى لمشروع أكبر هو الجامعة الإسلامية، نجد أن عبد الحميد الزهراوى ناصب العداء لفكرة الجامعة الإسلامية، ورأى فيها مشروعا طوباويا لا يرجى منه أى أمل فى الإصلاح، لأنه يقوم على رابطة الدين، وهذه الرابطة لا يمكن أن تشكل دعامة أساسية للوحدة السياسية والاتحاد، ورغم هذا التباين الواضح فى رؤية كل منهما للجامعة الإسلامية، إلا أن ذلك لم يثن عمر بن قذور، عن الإشادة بمؤتمر باريس 1913م، معبرا عن غبطته من إقرار المجتمعين فى المؤتمر اللغة العربية، لغة رسمية، رغم اختلاف أهداف المؤتمر مع الجامعة الإسلامية فى الشكل والمضمون.

لقد انطلق كل من عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي من حالة الانحطاط التي عرفتها البلاد العربية والإسلامية، سواء لأسباب داخلية أو لعوامل خارجية، وهما بذلك يتفقان في أنهما جاءا في مرحلة تاريخية من الأمة تميزت بالتخلف والفساد، وإن عدم نجاحهما في تحقيق أهدافهما الإصلاحية التي كانوا ينشدونها من خلال كتاباتهما، يعود في الجانب الأكبر منه، إلى غياب الحامل الاجتماعي لفكرهما، فالإقصاء والتهميش والمضايقات التي تعرضا لها، عرقلت انتشار فكرهما كما يجب، وجعلته محدودا في فئة قليلة من المجتمع.

وفي الأخير، لقد حاولت الدراسة تسليط الضوء، بالتحليل الفكري والمقاربة التاريخية لمختلف الأفكار الإصلاحية التي عمل كل من عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي على نسجها من واقعها الاجتماعي والسياسي والفكري، لمواجهة آثار التخلف والانحطاط الذي أفرزتهما بيئتين مختلفتين في طبيعة السلطتين الحاكميتين في البلدين، وذلك باستنطاق موروثهم الفكري والصحفي عبر مختلف الجرائد والمجلات التي كتبا بها، وخلصنا أن الفكر الإصلاحي للرجلين، لم يكن إلا تعبيراً صادقا عن ما كانت بحاجة إليه الأمة العربية والإسلامية، من أجل تحقيق نهضتها، واللاحق بمصاف الأمم المتقدمة، وأن الكثير من الأفكار التي ناديا بها، لا زالت صالحة لزمنا الراهن، وأن إعادة قراءة أفكار الرجلين، أصبحت أكثر من ضرورة مع تكييفها بما استجد من تطورات على الساحتين العربية والإسلامية، واستكمال المشروع الإصلاحي النهضوي إلى أن تتحول آلياته ووسائله القديمة والجديدة، إلى سياسات تلامس الواقع وتغيره، وأول نقطة يمكن البدء منها، هي إعادة تشكيل الوعي المعرفي للمنظومة الإصلاحية النهضوية للمرحلة التاريخية الراهنة.

الملاحق

## قائمة الملاحق:

### الملحق رقم: 01

صورة لعمر بن قدور الجزائري (1886-1932)

المصدر: صالح خرفي، عمر بن قدورالجزائري. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م.

### الملحق رقم: 02

صورة لعبد الحميد الزهراوي (1855-1916)

المصدر: عبد الحميد الزهراوي، الأعمال الكاملة، الأقسام الخمسة، (إعداد وتحقيق عبد الإله نبهان). دمشق: وزارة الثقافة السورية، 1995.

### الملحق رقم: 03

جريدة الحقيقة (التونسية) كتب بها عمر بن قدور في بداياته الصحفية 1907

### الملحق رقم: 04

الصفحة الاولى من جريدة التقدم التونسية

### الملحق رقم: 05

"مسألة تجنيد المسلمين": مقال لعمر بن قدور في جريدة التقدم (الصادرة) بتونس ( في: 09 جانفي تحت توقيع عمر بن قدور الجزائري 1908

### الملحق رقم: 06

الازمة الجزائرية " :مقال لعمر بن قدور في جريدة التقدم (الصادرة) بتونس) في: 23 جانفي تحت توقيع عمر بن قدور الجزائري 1908

### الملحق رقم: 07

"ماهذا التحامل رد على المؤيد " :مقال لعمر بن قدور في جريدة التقدم (الصادرة) بتونس) في: 06 فيفري 1908 تحت توقيع عمر بن قدور الجزائري

### الملحق رقم: 08

" التقدم بقوة الوطنية العالية ": مقال لعمر بن قذور في **جريدة التقدم** الصادرة (بتونس) في 27 فيفري 1908 تحت توقيع عمر بن قذور الجزائري

#### **الملحق رقم:09**

" انقذوا الجامعة المصرية ": مقال لعمر بن قذور في **جريدة اللواء** الصادرة ب ( مصر ) في 11 ماي 1908 تحت توقيع ابوحفص

#### **الملحق رقم :10**

الصفحة الاولى من **مجلة المنار** لصاحبها رشيد رضا والتي تضمنت عدد من مقالات عبد الحميد الزهراوي

#### **الملحق رقم :11**

"مقدمة خديجة " كتاب لعبد الحميد الزهراوي نشر في سلسلات ضمن **مجلة المنار** الصادرة ب ( ) ج 08 المجلد 13

#### **الملحق : رقم 12**

"تربيتنا السياسية "مقال لعبد الحميدالزهراوي في **جريدة الحضارة** الصادرة ب ( استانبول ) العدد :59 يوم 25 ماي 1911

مع وجود مقال لعمر بن قذور في نفس العدد تحت عنوان : "المدافع تهز مراكش " توقيع مكاتبنا الفاضل الجزائري

#### **الملحق رقم :13**

"الى حملة الاقلام ارباب الصحف الاسلامية "مقال لعمر بن قذور في: **جريدة الحضارة** (استانبول) العدد 74 يوم 07 سبتمبر 1911 تحت توقيع مكاتب الحضارة عمر بن قذور الجزائري

#### **الملحق :رقم14**

"سنحمل السلاح ونحن صاغرون " مقال لعمر بن قذور في **جريدة الحضارة** الصادرة ( باستانبول) العدد79 يوم 12 اكتوبر1911 تحت توقيع عمر بن قذور الجزائري

#### **الملحق :رقم 15**

" الاعيان رجال اليوم " مقال لعبد الحميد الزهراوي في جريدة الحضارة الصادرة  
ب ( استانبول ) العدد : 5 6 يوم 06 جويلية 1911

**الملحق :رقم 16**

"هفوات الاوربيين مسالة تجنيد مسلمي الجزائر "مقال لعمر بن قدور في جريدة  
المشير الصادرة ب ( تونس ) في 27 اوت 1911تحت توقيع عمر بن قدور

**الملحق:رقم17**

"الوطن العثماني وطن مقدس " اليوم وبعد اليوم ,مقال لعبد الحميد الزهراوي في  
جريدة الحضارة الصادرة ب ( استانبول ) في العدد85 يوم 10 نوفمبر 1911

**الملحق :رقم 18**

العدد الاول من جريد الفاروق لصاحبها عمر بن قدور السلسلة تحت رقم:

Mr12 في المكتبة الوطنية( الحامة الجزائر ) يوم 23ماي 1913

**الملحق :رقم 19**

" متى نفقه؟" مقال لعمر بن قدور في جريدة الفاروق الصادرة في (الجزائر ) يوم  
23 ماي 1913

**الملحق :رقم 20**

"الزهور وخواطر في الخيرات والشرور "مقالات لعبد الحميد الزهراوي في مجلة  
الزهور الصادرة ب (مصر) الجزء الاول السنة الرابعة مارس 1913

**الملحق :رقم 21**

العدد الاول من جريدة الوزير الصادرة ب (تونس)05 أفريل 1920

**الملحق : رقم 22**

" اصوات المغتاز من ضياع السنة " مقال لعمر بن قدور في جريدة الوزير  
الصادرة ب (تونس)في :19 افريل 1920 تحت توقيع الاصلع

**الملحق: رقم 23**



"بعد الساعة الهائلة " مقال لعمر بن قذور في جريدة الوزير الصادرة ب  
(تونس) في: 19 افريل 1920 تحت توقيع عمر بن قذور صاحب الفاروق  
الاغواط

**الملحق: رقم 24**

العدد الاول من مجلة الفاروق الاصدار الثاني لصاحبها عمر بن قذور 08 اكتوبر  
1920

**الملحق: رقم 25**

نموذج من مقالاته في الفاروق الاصدار الثاني

عمر بن قدور الجزائري (1886-1932)

الملحق رقم 02: صورة عبد الحميد الزهراوي



ادارة جريدة الحقيقة تهج الذهب عدده \*

ها عثمان بن قيس



الجريدة ولا ترد لأصحابها نشرت أو لم تنشر

قصة الاشتراك لا تعتبر إلا بتوصل ما تفضل

معضي باسم المدير

\*\*\*\*\*

# الحقيقة

EL HAKIKA

الاشتراكات تدفع سلفا  
في الحاضرة و بلدان المملكة  
عن سنة ..... ١٨ فرنكات  
عن ستة أشهر ..... ١٥  
في قطر الجزائر  
عن سنة ..... ٢٠ فرنكات  
عن ستة أشهر ..... ١٥  
\* في بقية البلدان \*  
عن سنة ..... ٢٥ فرنك  
\* اجراء الاعلانات للسطر الواحد \*  
فرنكات  
في الصحيفة الاولى ..... ٤  
في الثانية ..... ١٥٠  
في الثالثة ..... ١  
في الرابعة ..... ٧٥

\* الموافق ١٨ مارس ١٩٥٧

\* جريدة يومية اخبارية سياسية ادبية علمية \*

\* يوم الاثنين ٤ صفر سنة ١٣٧٥ \*

رشدكم الى ان الحق عليكم شرعا وعقلا ومدنية  
انكم تجمعون المجلس العام الذي اشتهر نواب  
عهم وتعتبرونه كما اعتبروكم وتخطبونهم كما  
خطبوكم ولا تخشون منهم عدوي فان اجسادهم  
مطهرة من حرايم الاختيار لانكم علمتموهم  
ان هذه الصفة تجوب لموصفها الهوان والصفار  
ومعاد الاجتماع تعرفون انهم انتم حقيقة البنية  
البنية على شهواتكم النفسانية ثم هم مخبرون  
في قولها اورد ها كما انكم احرار في البقاء  
او الاستغناء اليس هذا هو الواجب على قومه  
يقفون فيجاءكم بامعشر المنتخبين وانهم انقسموا  
تعملون عظيم البسنى كيف ركبتم هذا  
القياس الذي انتج لكم هذا الفكر القيم وكيف  
تصورتم انكم ادرى من غيركم بكنهه الصلاح  
والاصلاح لم تعلموا ان في بلادنا اكثر من  
علماء اعلام وذوي هارة عظام يتنازعون على تلك  
الكلمة التي منبت مجدهم اكثر مما يتنازعون  
عليها انتم المترقون منها لكن والسف وخجنتها  
لقد صدقت فراسة المنقرسين  
هذا وينما القلم ساير في مجاري التبيان  
يرمي بشهب البرهان اذ عرضت عليه كتابه

الهداويين الذين حضروا الجلسة العامة وصادقوا  
على قانون الاساسي واتخوهم وكان غالبهم من  
فضلاء المدرسين واعيان المتطوعين ومن تخبوا  
المتخريين من الجامع الاعظم فما قدر وهم  
حق قدرهم افلا يخجل هذا وجد الانسانية  
يا اهل العلم واهل الفهم واهل العلم كيف سمعت لكم  
الاساسية التي الاساسية التي توضح منهم مثلا  
الاساسية تفاهما وفيها ام تزيدون عليهم  
بصفة بالعلم والجسم ككلا عدم اهم لا  
يقدر من تلكه على استخدامهم ولا على  
ابدان البعض من كثير ولا على الاضباب والاحاز  
وقلب الحقيقة بالجزاهاهل العلم لقد حتم شيئا  
او اكد نفوس الانسانية ان تتغير منه ونشق  
الحق ونخر الجبال الهزيلة هذا ماذا تقولون يوم  
بلا سرار يندية التي اقتديت بها وماكده من  
قوة لا ادرى وواكده لما عزمته على ما عزمتهم  
وكذلك انتم من على فعل ما انتم لتتم باهله  
استغنى ذلك التلمذة التي لا زال اجمع في  
حداكم مرة وفي نيجان عنكم انكم ذرة لينهمكم  
ان هذا بقرة كيف لتعلمون وحكمكم لم تأسون  
وكف انتم انفسكم المنتخبون المتخيون ولا

في بعض فضولهم وقتت المضادة علمه من علومه  
الحاضرين وكانوا مما يقرب من زهاء مائتي  
نفرتم وقع الانتخاب بمجلس ادارة التجمعة  
حسب نص قانونها الاساسي فانتم من غلب  
فيها حسن الطن باللباقة والكفاية وسلم لهم  
الحاضرون ذلك القانون الاساسي المصدق عليه  
واوكلوا لهم اجراء ما ضمنه ومضوا لمجلس  
بسرور وحسن ثقة هذا وما دبت في هولاء  
المنتخبين حياء الانتخاب وجلسوا على ارائك  
العضوية ونشحت افواههم بالمقوضة الا وتكلموا  
بالعزة والكبرياء ونطاولوا ان راوا انفسهم  
افضل ممن سواهم وغفلوا عن  
فضل اوليات التلامذة لمسورى الفكر لتدريس  
منوا عليهم بتجربك فكارتهم التي كانت ولسن  
تزال حامدة عندهم وهم في كنههم اعلمه  
قفوا لا ادرى وواكده لما عزمتهم على ما عزمتهم  
وكذلك انتم من على فعل ما انتم لتتم باهله  
استغنى ذلك التلمذة التي لا زال اجمع في  
حداكم مرة وفي نيجان عنكم انكم ذرة لينهمكم  
ان هذا بقرة كيف لتعلمون وحكمكم لم تأسون  
وكف انتم انفسكم المنتخبون المتخيون ولا

\* العرب بالخير \*  
لمن اكبر الحقوق  
لا يخفى على القراء الكرام ما قد شعاع  
وذاع وشنت الاسماع من ان نخبة من فضلاء  
تلامذة الجامع الاعظم عمره الله توفقوا لما  
بث روح الحيات في جامعتهم العلمية ويحكم  
بين اقرانهم براهنة الاخاء الوديه فعموا في تاسيس  
جمعية سموها جمعية تلامذة جامع الزيتونة \*  
وهي الها قلوبا وانديو الر باسنتها الوقتية للمدرس  
الشيخ الطاهر الشيفر فعين هذا الرئيس موعدا  
الاجتماع بقاعة الخلدونية ووزع مكاتب  
الاستدعاء على كل من اهل العلم وفضلاء الاعيان  
واسحاب الجرايد فلما دعوتهم على حسن نية  
وخالص طوية اعتنا بهذا المشروع الاعم ووقع  
الاجتماع بهم صكك حافل قاد فيه هذا الرئيس  
والذي خلفا على الحاضر من اخذ فيه بجامع  
القلوب وبرهن فيه على السداد الذي يقضى  
والذي يزال قاشيا وأشار بالمدوا \* لكن لغير  
اذن صاغية \* ثم تلاه الشيخ الاخضر ابن  
الحسين واتي خطابا غزير المعنى ثم تلى القانون  
الاساسي على سامع الحاضرين وبعد المناقشة

# Al-Maddom

REVUE LITTÉRAIRE DE LA PÉRIODE LITTÉRAIRE A. L. U. ET S. PAGES

السنة الأولى  
عدد 20  
تونس يوم الخميس ١٣٢٦  
واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا  
الموافق ٦ فيفري عام ١٩٠٨

**Tarif de l'abonnement**  
Par an 41 francs 20 francs  
Six mois 22 francs

**Correspondances**  
Les lettres doivent être adressées à la Rédaction  
du journal à l'adresse du Directeur  
M. Echir el Fourty

**Administration**  
M. Echir el Fourty — TUNIS

**Annouces**  
Pour ce qui concerne les réclames et  
annonces on s'adresse de pré à pré au  
bureau du journal.

# التفكير

جريدة في موضوعات فلسفية وأدبية

**الإشتراك**  
٣٠ فرات عن سنة داخل القارة و ١١ عن نصف  
١٢ بركس خارج القارة  
لا يتبرصولات الإشتراك وغيره إلا إذا كان  
المدفوع صاحب القارة  
بني الإشتراك التبرعات  
للإشتراكيات

ترجمنا صاحب الجريدة مدير سياسيا  
محل الإدارة بسجنا باب مارونج للحقيقة عدد ٢

وما هم إلا اللبحة ان بدت  
فيساب منه اللب ساحر لظها  
وامضهم بهوى الكؤس اذ بدت  
ومجلس انس قد تناغت طيوروه  
توى هؤلاء الناس في حركاتهم  
براهم وتم انس قد دروا انسابم  
بارواهم في العالمين وبالسكر  
بجدوا الى ما ينش الروح عندم  
وبان لهم سر الوجود فالصروا  
واضحوا بهذا الامر بانون كما  
وما قامهم ان يدركو انه لذة  
وجادوا بانفس حيوه تفقدلا

انظرت جميع ما ذكرت مسبقا  
لاني ريت النجس في خلق مادي  
ليسوا شكلا تخالف جودها  
وفي كل نوع حكمة جن قدره  
وبت هذه الفكر من بعد عبرة  
وقلت عساه سيقيد غمامدا

نظرة في الموضوع  
عنوان قصيدة مريدة ودرية بديعة جادت بها فرحة الشاعر المطبوع والكاتب الخفيف  
الروح السيد عبد العزيز المسمودي احد اعيان الكتبة بالوزارة الكبرى . ويسرنا جدا ان  
اجيب دعوة التقدم الى الفات شعرنا لنا للمواضيع الهامة النافعة . مثل موضوع هذه القصيدة  
قال حفظه الله :

**الادب والادب المتورسبون**  
دور التقليد (١٠) سنة ٥٥ الى ١٨٨٠  
(٣)

في لدور الذي قبل هذا (١٠) ابنا ما وصلت اليه الملكة التولية من التروة وانتشار العلوم  
ودراج الادب وقتنا ان ذلك العصر الزاهر لم يدم بكل الاسف الا امدة ديرة لوفوع  
تلائل سياسية حدثت تقريبا . اعتبار في هيئة البلاد الاجتماعية .

صمدت لي من الخبيثة بانفكر  
ووجهت من نور الفؤاد اشعة  
قبالت لي الافاق للاصقيرة التي  
واصرت بها مثل الخريطة صورة  
وكانت مثالا والطبيعة منظر  
ولا شك ان الشعر معناه صورة

رايت جميع الناس فيها تحالفت  
ذهاب والاب ولوم وبفضة  
نغمت كاني قد ارى الشعر ناطقا  
وقلت كذا الشعر ناطقا  
وتسقط فلما واحدا بعد واحد  
ولكنها الشطر ناطق كل قطاعة

لمدرك ما هذا الوجود اذا نشا  
وما المرء الا من تكون حياته  
ويكتب في تلك الصحائف اسفارا  
ويسالك في دور الحياة مشخصا  
فكل امرء يأتي الوجود بمنزل  
وما السبب ان يعرف الا كما يعرف

نبيهه لا صحائف في سير  
عائلة ذكر جملا بمدى الدهر  
تطيل له في الناس جملا من العمر  
على مسرح لا يام شيئا من الدهر  
شيء من الاعمال شيء عن سير  
خيالات اشباح تمر بلا حصر  
سوى لذة للجسم وهو من شعر  
رايت كثيرا لا هم نفوسهم





لهم لم يبرهوا بعد كيف يرتكبون أسباب  
مذاهب التي يشؤون بها . ولا كيف  
تصرون أرباب الفلاح المتروحة أمامهم .  
لشذوكم لغة نشر الرضاة كم كتبتم  
كم كتبتون . وك نشرتم كم تشارون .  
لربما الحز مدادا لما كتبتم في معنى  
الخطاب لا يخدم الآن مدادا . ولو كانت  
الخطاب للعلم التي بها تعلمون في معنى  
الخطاب إلى الأخوة لا يخدم الآن اقلاما .  
لا لا تكلم بجليل الفلسفة لو كانت  
تدعية لأبيات فائدة الأمانة ونهضة الأخوة  
بمقدمات في معرفة حقيقتها صترة  
مؤلفها والتدبير الذي جعلكم تتذكرون  
بمقدمات في التورم تدبرونه جيدا كأنكم  
تدبرونه من قبل بكم لا شك تتفقون  
الخطبة قد سادت على الأتباع . فكم يرب  
الأقاليم غير عامل ومفكر غير مدير .  
لربما العساة وان كانت ملوثة بالسلالات  
سرفية العاقبة والتفصيل المتعلامة  
لجنة والصفاء السمرية الرثة فانها لم  
والواجب الحقيقي نحو الأمة الإسلامية  
لأثبات خاتمة عن مركزه نحو حوله  
بإدارة بكتانه .

ان كثيرا من الناس لا يعرفون الصحافة  
تسرى أنها تنقل الأخبار وتقدم التاريخ  
في الأوقات التي تنسبهم إلى مزيها  
شبهية وتحقق أنها لم توجد إلا لتبين لهم  
طريقه الأفكار بقي حانرا متعها بما يجب  
لحده بقوله : ان هولا . القوم (أي  
بالحق) يقولون إنكارا ويحذرون على  
الخطاب والأخوة وهم على مثل طريقها  
عربا . سارون . ومن الأتباع معروفون .  
لحقوق الأخوة يقولون .

ادركه مشر الرضاة إلى الاتحاد ولكن  
لا لا يبرهوا . ضالوا يمكن من قولنا  
بمذاهب الاتحاد الذي يأمرنا به الإسلام  
لنا عليه ثم نخرج ذلك إلى حيز العمل  
بيل . فنتبين على تشكيل جامعة  
حافة الإسلامية يكون لها نقابة ومجالس  
بمسندون مال فيتم السبل للفتن في  
الديان . وتنظيم أوقافا وترتفع على

أساس العمل . لا سيما إذا قلنا الى عهد  
مؤثر في رأس كل سنة في عاصمة من  
للعوام الإسلامية تقوم منه الأمة العمدية  
امانكا وان أوقافا لا تنف عند حدود العالم  
والورق فقط .

لا تأثير للفتن التي تنبعت في الصحف  
حسبا لتتضي ملوس السياسة المختلفة في  
الاصطلاح الإسلامية على هذا المشروع أو  
تضع حقه من الأهم . فلا تروق « العلم »  
مثلا هيته من مواجاة « الويد » ولا تنبع  
« النار » خلعتن مصالحة « دين وميثاق »  
ولا تروق « ملين » حدثها عن مواجاة  
« التيس » لأن الأخوة الإسلامية يجب  
أن تكون فوق الاختلافات السياسية .  
ولا يصح لنا أن نتفكر إذا أردنا أن  
تقدم على هذا العمل الحظير في القوميات  
الجنية والقوية فلا بأس إذا انخرط في  
سلك جماعة الصحافة الإسلامية عدا الصحف  
التي تصدر باللغات الشرقية والمجرات التي  
تصدر باللغات الأفريقية وهي ملك رجال  
مسلمين . لأن الصبة الحمدية في العالوية  
في هذا الباب منها ما خلفت الاستقلال والشباب  
ومها تباينت للتقدم والفتنات . ولكن  
لا مدخل لأي جريدة أخرى ولو كانت  
تصدر بلغة القرآن إذا كان صاحبها اجنبيا  
من الإسلام .

ولما حاولت الأفراس الشخصية أن  
توقنا من العمل لأدرك هذه الناية التي هي  
أحسن متبقة بفضله التاريخ لعلم الصحافة  
الإسلامية : غيبنا أن نجد ضالنا تجريدا  
ممنوعا من شوائب الأفراس . وكنت  
أنتسقا كأننا بين يدي الرسول صلى الله  
عليه وسلم كما أعلن اصحابه بقوله تعالى :  
« انا المؤمنون أخوة » ثم لتسأل ضالنا  
ماذا تشر واحساسنا ماذا تحس ولناظر  
بيننا بعد ذلك بالمعروف أن امتدأت قلوبنا  
إلى الحياة والقبال حصر سيد بالاتحاد .  
أو لتتوق (قدر الله) مرضين ان غلبت  
علينا تشوقنا وكنا قوما خالين .  
لذكر إلى قرأت . ندممة طرية فيهم .  
الصحف ان « جوديس » الاشتراكي

الفرسوي الشهير جوديس ، من امداد جوديس  
« الإنسانية » نقدنا لآل الامم لما فبلغ  
غير ذلك إلى الاشتراكيين اللاتين فاسرعوا  
إلى مداوته واكتبروا له بال مائل تبسر له  
به ان يصدر جوديس متساكر مواظف لغواته  
في البداية وان كانوا اعداء . في القومية .  
الاستا . معشر الرضاة . احق بهذه ارية من  
هولا . اليوم ! ليس مبدأ الإسلام احق  
بالأختاء . من البادي الأخرى وهو الذي  
يأسر بالتعاون والتعاون على البر والتورم  
يجب علينا أن نختلف الصغائر الاجنبية  
والسياسة جانيا ونضع اليد في اليد صيانة  
لستنا . وحفظا لنا . والضياع الاوامر  
ربنا ونينا . والا فما حفظه الاوراق من  
الرمط والتذكير يكون حجة علينا لا تا .  
لأننا لم نودع فيها طلبا لصالح العام بل  
نأسر الناس بالبر ونسب أنفسنا . ونحتم  
على الاتحاد ونبت الشقاق بيننا .

عنده مرة كبرى وباللائف مشر  
الرضاة بالاس طلب الشهم الروسي تشكيل  
الوقت الإسلامي العام فابكت الاشعة أو  
ضعاها حتى ذهب ذلك المشروع التاسع  
ادراج الرابع . ولعل السبب في ذلك عدم  
وجود الرجال المفكرين في أطراف بلاد  
الإسلام . وان أوروبا لا شك قد ازددت  
بالأمة الإسلامية واحترقها فأبصر قبا كمة  
عن مؤثرها ومشروعها . ولكن لو يوفقكم  
الله وتقدر ا قدر اقتراض هذا فلكم  
ستجرون تلك الرخصة الشماء . من صحبة  
الأمة الإسلامية . لأن جامعة الصحافة  
وموترها منوطان بإخلاصكم وبخلاص  
الكتاب في صحفكم لا بالعلماء الجاهدين  
ولا بالارباب الامور والتفاسير ولا بالارباب الاموال  
غير تجدين على الشرعات الحرة بقواتنا .  
فما هو احكم الله الى جمع الكلمة ولم  
الشعث ولوسف تجتمع بكم كلمة الأمة  
لأنكم انما وعدتها ولعلنا احترقتم  
لأنكم من زعماءة عليها تكونوا ما  
زعماء اصلاح واتحاد . لازها مشاق وفساد .  
يودي لو كانت كل واحد منكم بخطاب  
على حدة في هذا المشروع ولكن لسره

الخطابست على ما في جميع الصحف الإسلامية  
على اختلاف مشايها وقائها وقائها . احسن  
ولكن رأيت جريدة « الحدادة » احسن  
ولسطة بيبي وبكم لاسيا وانها  
تصدر بدار الخلافة العظمى فما أنا غاطبكم  
بهذه التصيعة التي لاحت في من لغون  
التضيق الطويل في اصلاح احوال الاسلام  
والسليين . والرجاء ان لا تهلوه وان  
لا تتناكروها كما تتناكروا عدى الصحف او  
تعلقوا عليها دون أن تثبتوا آراءكم الحقيقية  
كتابة وصلا . ارجو ان تتجاوزوا وتتجاوزوا  
في هذا الشأن . وان تقيدوا الوزن بالسط  
ولا تحسروا اليان . واحسروا من عدم  
صعاق مسلم في العالم قالوا اليه مقاليد  
الزعامة الأولية والشهدوا في العمل وثيقة  
الفتون الاسمي والله السعان . والسلام  
عليكم ورحمة الله .

الجزائر في ٢١ أغسطس ١٩١١  
مكتب « الحدادة »  
عبد الرحمن قدير الجزائري

« الحدادة » وردت هذه الرسالة من  
مكتبتنا القائل ومدبر الجريدة توجه نحو  
وكنه قد شربناها كما هي .

مباحث اقتصادية

١ -  
حرة السي والعمل - وحرة التناقض  
والباردة -

قد بينا أقسام التصالحات ونسبتها من  
التجربة والآن نتنقل إلى البحث عن أمر  
هو ربيع الصناعة وسبب حركتها وتقدمها  
وهكذا الروم هو اطلاق الحرية فيها  
وتعريفه ان يعمل الانسان عملا لنفسه  
الصناعة واللكان ووقت العمل فيكون  
الانسان بذلك هو السؤل في الربح  
والخسارة .

ولم تعد لدة من الهم حتى اليوم التسع  
بهذه الحرية تماما على اطلاقها فلا يزال  
الحكومات بمجدد حرة كثير من العامل  
وقد مر على هذا الأمر ثلاثة أدوار الأولى

### حوادث محلية

#### الاستفارة العامة

بأمر من وزارة الشؤون ان جعلت البارح الكارم سيو صاحب بوزال والى كادب اقيم العام قد دعاه الى من المرس الذي ازمه التراس مدة عقرب من شهر انتهى هذا الفصل بسلامة العاقبة .

لدينا مقالة طويلة ثاقب بشرح اعمال بعض اصحاب الطرق الذين عاثوا في البلاد فسادا وروا جراسواق العجور والنسب فاستلقت اليها انظار ولاة الاور سلفا

#### علم المطبوعات

اهدي لنا حضرة الاستاذ الفاضل السيد حسين محمد الراعي الحلواني الناك من علماء الازهر الشريف واهامي الشرعي نتيجته لسنة 1326 هجرية تشتمل على توقيعات وحوادث مهمة فبما كان كمال حاضرة المؤلف حفظه الله محكمة الصنع والانتان وادوع فيها فوائد فراد من كل صارف وتالذ فنتج الادباء واصحاب الاشغال والتجار على افتناء هذه النتيجة المفيدة

برزت لعالم المطبوعات بمملكة ايطاليا مجلة جليلية تحت عن اللغات والمعلوم الشرقية المثقفة وعن حاله الآن بجزرها مجلة من اساتذة المستشرقين العالميين تحض منهم الاستاذ الكبير فويدي والحكيم ابيو مدرس اللغة ببارمو وصديقنا الحكيم غريطين وغيرهم من اهل الكتب وقد تصدقنا العدد الثاني من هذه المجلة فالتيناها حاوية لمئات منافية الذليل من اصناف منيد في حركة المطبوعات العربية المصادرة خلل العام الفارط فرجو لهامه المجلة مقدما باهرا وانشارا عاليا

اهدي لنا حضرة الاستاذ المحقق السيد ابن رضا اللباني خريطة تونس وهي على غاية من الاتقان وجودة الصنع وقد اخبرني بأنه صنع مثلها لعلوم بلاد الاسلام فنشكره على خدمته الجليلة التي خدم بها عموم المسلمين بل عموم الشرقيين

#### الازمة الجزائرية

والجزائري في 14 يناير 1326 كادبنا الجزائري

#### مكتلة حق

انتهج جل الجزائريين ان لم يقل فكلمهم من تلك الرسالة المتواضعة المنشورة في عدد 20 من التقدم ونظروا اليها نظرة مزودة بعوامل

المسرة من وجود مثل الكادب والسياسي الازم ابن محاور الصنهاجي من التقدم الجزائري الذي نعى عليه التقدم في فضاء واداعه في حيرة العدا

ولا نعرف ان لمثلت الرسالة الجميلة اسما متبنا من الاصل وحلت مع جزائها تعديل الكتب الصالحة الملوقة بالبر والقرارات والقرارات التي تصطر اليها كل امه حانت بحسب النهوس والورق فضلا عن شعب كالشعب الجزائري والذالك اخذت الامال وانظروا بفرغ صبر الوقت الذي تعبر فيه الكعبة وربة للمواسم بينه الغناها الى مثل تلك الكلفة السليمة وراجه انها لا تفنا ان تسرع الى بيت مصعبها بين صلوع كل مسلم باستعمال الطريقة التي خطها حصرة الكادب السيد ابن منصور الصنهاجي التي يصنع اليها الفضي بسل وهمي الغير الاحتكام فلا تعجب اذا ان لهجت السنة الجزائرية بالفتكر والذالك الصنهاجي الذي خط في خدمة الوطن حروفا لا يسامها له الشاريز وان عاقبت

الدمور وتواتت العصور لاشعة مختلفة في لانها

لا تقبول ان مراسيل لها امل في قرية السليبي بطن الجزائر اومي تسرد لهم السعوط والاصحلال قبل منها مسا لا يفتقده ولا يفوله عاقل وان كان ان اشدت لاسل التي تصدر من قلوب الجزائريين والمسلمين مغذها من نقطة واحدة وهي التقدم ولا تكن من سوء لفظ ان منتهى ملك لاشعة عياني جدا فالجزائريون يزور ان تفكير افكار الجزائريين واستفصال جزويتهم من قلوبهم لا يذكرون لا باصباحهم الصعبة لا رابونية سوء وانقت تلك الصعبة او المراديين لاسلاسي وحموده المستقيمة اهلها على حين ان المسلمين يزور ان لا تقدم لهم ولا نهضة ولا منس لا بواسطة الدين لاسلاسي وبراءات احكامه المستقيمة التي صهلها مدن وتقدم وعلى منهلها فليسير الصنمان كما انقدن الزلال بار باردة

من اراد ان يسبح لاره الباردة ولا تفكر الساجدة فليصت لصوت حزب لا سطر بالجزائر ولاكن ان كان مسلما فان هذا الحزب طالبا حاد الجزائريين وسلمهم اوزاتهم وخبراتهم ومع ذلك فلم يصطنق حتى اهدى بطن في الدين لاسلامي حين سا حوات امواسا استخدام المسلمين في العسكرية ومن جلة انارانه الباردة وانصاره الساجدة السني يشماز منها المسلم بل وحقى القردى الصف ما تفرسه جريدة ولاديش لا كبريان التي هي لسان حزب المعمرين بندها حيث فالت ولاديش وسيله حسنة لهذا النامر الذي بين المسلم والفرانسوي لان نسعي جهدا في تصحيح القران وتبديل الايات التي تطلق عدنا بغيرها التي تحبينا في قلب من ياروا وبارم المسلمين ان يدرسوا القران المحرف في مدارسهم وساجدهم بدلا من هذا القران القديم الذي بيت دائما في قلوب المسلمين بعضنا وبعضهم

#### على النصب ضد السببيين ، دامل !!

#### لوم في سيات مسرى

ما تضر هدمت ماتونس ينعصت مالتا ساريلاد لاسلام نفعيت ورجال الكوايزير عليهم اعداد لانه في سيات عرق . لامصانته ترشدهم الارونة صكوكب افريقية التي جلا به اهد الفرنسيون وبانها لم تصدر لانها لا تزيد بها مسرة التعذر الا اساعدا . ولا حضايب تعلم دانتهنم ولا . ولا السح المشروبات التي تكن ييم لامة امه والرجال رجال يهل لرجال الكوايزير ان يبقوا الحياة فيغسلونها ام كتب التفهيم على قلوبهم اهم نوم في سيات ميق لا ينعصون

مسدا ما يسرى ان قوله كان في عان لازمة الكوايزيرت نظرا لطيق نطاق الكبريدة سياتهم لفرصة حينما صدر الكبريدة اليربية لامع القلم في هذا الوب والله حسنا وهم الوكيل مكاتبكم عمر بن فديو والكوايزير

#### طرابلس الغرب

يوم الخميس في 12 ذو الحجة الحرام لحضرة وكيلا القائل

في عصر يوم اذ قين التاسع من ذي الحجة الحرام اطلق من القلعة للمرية احد وعشرين مدفا وذق بشارة وانشارا لا يدخل ميد الاصمى حسب الصادة وهاكذا في كل وقت من اوقات الصلوات يجرى للصل بطلاق العدد المذكور من المنافع الي انهاء رابع العيد

وعند طلوع الوردت كاذة الجنود على احتلاف اسماها من طوبية وخياها ومشات وامسقت مينة وميسرة من سراية العوزية مروي الكثير العسكري الى جامع احمد بنا

ومع الشروق اقبل صاحب العروة الشريفة بشارة واكيا حواء الازهب النجدي محمودة باركان حربية وامانه وعظه فرقة سن اخطاه وخرق الصوفية الومي اليها الى اداء صلاة العيد في الجامع المذكور وفي الساعة 3 خرج من الجامع وقصه السراية الحمراء بقر الزلاية وعندما استقر بقره قدمت اليها كافة الضباط وباركان الحرب لاداء تحية العيد ثم رواته الادارات ثم الاعيان والتجار يتقدمها السيد حسونه بنشا رئيس البلدية ثم التجار من الاخرجه ولبهوه دوكا دخل على اخذ حصته من المجلس وكانه الجميع يسرووا واطلاق وجه كعادته الخوفة ودارية المتروية وتليت الدعوات لصاحب الخلافة الصلبي كل ذلك وللوسيلة العسكرية تترجم باناداتها المطرية وسيا نقل رجعا الى سراية الزرزية وسعدالي على الاطلاع وعندما استوى اخذ الجنند في اللزور في سنوف الاطافي المنجسرين عن اعطاف اجلسهم حين انذات الازقة والساروح وكان كتما من الاخرجه اخذوا الحياة بالتصوير تقدم الالاي الاول سين اثنت وثلاثة الالاي الثاني ثم الالاي الثالث ثم بطرية من المدافع الجليلة ثم الالاي الاول سن الحياه ثم الالاي الثاني ثم ثلاثة بطريات من المدافع وكان الجلي على طية ماريو من الملابس والهيئة بالقصم والقصم عائد في تحيين تمرينات الجند الي صاحب الرسة اليوم السلطان اكرام الاكرم محل الشيرالمظم الذي تشراف به القطر لزيارة الرحم منذ ثلاثة اشهر من يوم حرفة

سرف معلوماه من الفنون العسكرية ومباشرا القصم بنفسه في كل يوم مع مولوجه من الذكاء من الضباط والجنود العسكرية فحست بطق طية الحسن وعنهة كة ليس هو من القرب في حة كاهرا

يتم صياغة من ايام و...  
• لسم البدين ونست الابه  
• وعتم جينا المظن الوبج وكناه والشكر والالسة  
• داعية بخير الي وكين الرابية وكاه الجيش كثر الله  
• بالذات من الاسلام ومثل بصله الكرام الاكويين  
• الذليلة الصديقة التي عرضت للضلالة امين الوحيين ليد  
• ابو نوره الله مامين  
• وعند اقتضاه الموك وودت قنصل لمول كل منهم  
• بانفراد لاداء تحية العرد حسب الشعار العربي  
• وعند التزامل صككت الامطار برحمة الله والحمدة  
• على طهه

#### THE ROYAL VIEW

( ذي رويال فيو )

في التيلو... الطلياني الكائن جلاو حجرة يوجد تضيضات حبية والقاب كانه حقيفة ( سينو كراف ) واسمار الدخول 3 فرنك و 2 فرنك وفرنك ونصف وفرنك وربع وفرنك واحد و 50 سنتيم وانصت فرنك وحقين الساحة الثلغنة ونصف مساه وفي كل يوم خميس وسبت واحد في الساعة الثالثة بعد الزوال

#### محكمة الشدخم

- شاهة للم... الفرنسية ودمدم للخصية
- التتو... لا قد استنادا ليه حقيقتا تحوي على اصدق
- الكتب العربية... على المعلقين من اهلها طبع عصر
- والدائم... ولاستقامته وهذه بعض اسمائها مع ترتيب
- بهارها... من اراد حيا من ذلك في طبقة بالجزائر
- الذو... فبعضه من قبله بقره ارسال القبضة العلية
- تم اجرة البريد
- من ف
- 2. 24
- 2. 25
- 2. 26
- 2. 27
- 2. 28
- 2. 29
- 2. 30
- 2. 31
- 2. 32
- 2. 33
- 2. 34
- 2. 35
- 2. 36
- 2. 37
- 2. 38
- 2. 39
- 2. 40
- 2. 41
- 2. 42
- 2. 43
- 2. 44
- 2. 45
- 2. 46
- 2. 47
- 2. 48
- 2. 49
- 2. 50
- 2. 51
- 2. 52
- 2. 53
- 2. 54
- 2. 55
- 2. 56
- 2. 57
- 2. 58
- 2. 59
- 2. 60
- 2. 61
- 2. 62
- 2. 63
- 2. 64
- 2. 65
- 2. 66
- 2. 67
- 2. 68
- 2. 69
- 2. 70
- 2. 71
- 2. 72
- 2. 73
- 2. 74
- 2. 75
- 2. 76
- 2. 77
- 2. 78
- 2. 79
- 2. 80
- 2. 81
- 2. 82
- 2. 83
- 2. 84
- 2. 85
- 2. 86
- 2. 87
- 2. 88
- 2. 89
- 2. 90
- 2. 91
- 2. 92
- 2. 93
- 2. 94
- 2. 95
- 2. 96
- 2. 97
- 2. 98
- 2. 99
- 2. 100







لعله ونحن نشكر عمه السيد صالح السوسي الشريف الذي قصر شعره على الموضوع الاجتماعي كما أننا نعرض غيره من الأدباء على سائر هذه المواضيع التي هيها وبرحمتنا من عملهم في مدافعهم وترجمتهم في سريتهم فإن للوئيل لا يجدي الاموات وبنان الاحياء .

السيد صالح السوسي يغالب من اخوانه الادباء نشطيه هذين البيتين وفي الحقيقة يغالبهم مشارطتهم الاساس والتنافس والتحرر على حبة الايام التي ادمت القلوب وكادت الاثمنة من اجلها ان تذوب وهذا نص البيتين

شيان اعظم من سير اججت  
وزفيرها قد دام الفي عام

واشد من وقع السهام على الفتى  
قهر الضميف وادمع الايتام

التقدم بقوة الوطنية انعالية

لا

(التطور في التقدم)

الجزائري في ١ فيري ١٩١١ بمصره مكتبه الفصل  
طالما تنازع الاغتراف وبيات المذاهب  
واختلفت المشارب كل بحسب طغفه وهواه  
نفسه . ولكن رغمنا عن تمدد تلك الطرائق  
وكثرة ما فيها من المضائق فان الشرف كل  
الشرف لم يذهب الا مع من كان له مبدأ  
« وطنية راقية » لا هورانية وصرى وسعادة  
عمومية عالية و لا منعمة شخصية خصوصية  
اجل ما ينزل الظفر والنور الا على من وهب  
نفسه للامة ونظر الى المجد نظرة ثاقبة فامسه  
وحسب ان من كانت هذه صفته رالى هذا  
المجد بلغت قوته لا يلبث ان تعزم امام وطنيته  
الجيش الجراة وتترى الادار الاساطيل  
نائلة وتذرق في الهواء المناطيد الطيارة القوية  
اعالية . فكم من زعيم ملاء فؤاده الوطنية  
الحقة ناهض الشموب وانا داصحاب العروش  
وخاصم حاملي التيجان ثم كانت عاقبته انه من  
الذين فتم من مضى صحبة وطنيته وفداء  
نامته فكتب باسمه بالذهب الوهاج على صفحات  
الروح ومنهم من فاز بامنيته وظهرت به فكان  
له القدر الملى والشكر الذي لا يقنى من جميع  
الظلمة .

فكم من بطل في الاسلام كانت له الوطنية

لا ارض لم تكن لاحد من قبله وكم من عبور  
في الامة العربية لمب على مسرح الحوادث  
ورى نفسه على مروة الممالك واستذل الصعاب  
وأنرس الاخوان الشداد حتى دنت له العباد  
وتمكن من بلادهم هل ليس الا ذلك الشهم  
العظيم والبطل الكبير و سارق بن زياد و الفاتح  
اشبه جزيرة الادلس وقوله لرجال جيشه بمد  
ان عبرهم بحر الزقاق واوقد النار في المراكب  
داها الناس ابن مقر البحر وراكم المدعو  
امامكم وليس لكم والقالا الصديق والصبر .  
عبره ووعنة لا جبالنا الحالية وان هي الاقطة  
في بحر ذلك الفخر العربي ولوطنية الاسلامية  
العالية .

وكم من زعيم الحاضرة قد سهر وطنيته الى  
مناغضة مبراسور ومناغضة قبصر في  
القارة الاربابوية وهب نفسه صحبة لشبه  
المستضعف في الارض . هناك « الميزان »  
بطل الوطنية التراسوية وهناك « فيكتور  
هو جو » صاحب تلك النخوة التي دوخت  
عمرش نابليون الاول ، براطور فرنسا واعلنت  
بينه وبين الاكابر حربا عوانا شرايطنا .  
ليس الا هو القدوة الحسنة لرجال الحرية  
المجيدون في بلاد الغالية والاراضي السكسوية  
انت اذهب بالفتره اللبيب التي عاصمتهم  
الدلائل ولا اقلب له صفحات التاريخ بل ليس  
له الا ان يلا بصره الفكري من حالة بلاد  
البرنتال العمومية الراهنة وعاقبة تهور الملك  
« دون كارو » وولي عهده وماذا جاب عليها  
ذلك الاستبداد الشنيع فقد كانت الماقبة الحسنة  
لدى الوطنية وزعماء الحرية ردت لهم النصر  
جميع الامة الحية التي ذاتت لدها الحرية فلا غرو  
ان لهجت سنة نواب الامة الفرنسية في  
مجلسها بذلك الصوت المؤثر « فليمش احراو  
البرنتال : فذبح الجمهورية البرنتالية . . . »

الوطنية اذا تحققت فلوب قوم رفهم واذا  
سادت في امة وقتها واعلت فيها لانها عبارة  
عن « القيرة » المناغضة « المنافية » ولها اشعد  
من النور لا حد لا طرا قبل ان فيها تضحية ما  
في النفس حيا فيما للغير من ابناء الوطن لذلك  
مها صرخ صوت الوطنية الا ويجد صدام بين  
في كل مكان وترى الذين خصهم الله بتلك  
الصفات الدالية يصوتون اليه بشاذهبهم ونحيونه  
بقلوبهم . اياذ الوطنية هي خدمة الانسانية باوسع

عنه ويجعلون اصابعهم في ماذنهم من تلك  
الصواعق حذر السوط وصوت الوطنيه عياط  
بالظالمين

الوطنية هي التي رفعت مقام الامة البابية  
من رتبة اربابها الابوية الى اعلى مقام الدول  
العظمى الاربابوية فما اغتبت انكسرية وهي  
هي ان تمد اليها يد الصديق لصدهه او الظهير  
انظيره وقد كان الغربيون من قبل يحتسرونها  
وزردون باعمالها ويسويتها ببلاد النزم تحتيرا  
وامانها ثم تبدل التحقير اجلالا والامهان  
احتراما . ليس ذلك بفضل الوطنية ولرأمن  
اجمال الوطنيين الصادقين .

ما لنا نرى لاعاءة الوطنية في كل وقت  
تلونا من التحكم والتشديد في الملحن على اهل  
الوطنية ويسوتهم بالمتورين ويسوت لهم  
كل تمصب ولا ينظرون اليوم الا بين الانبياء  
ويزخرون بهم في كل وقت وحين

سلم يخل قطر الجزائر من مثل هذه الطائفة  
التي هي الداء العضال في ذاته الطاهرية كالم  
يخل كل قطر من الانظار الشرقية والشرقية  
من مثلبا . ولما سامت طريق الوطنيين من  
المجازرة العرة التي تعدها هذه الطائفة اسام  
مشروعات الوطنية واهلها فهم يتشامرون  
على الساد في الارض وزعمون انهم هم المنورون  
(بق : بق )

عذر الا ولا تلك القوم الذين مها شروا باذني  
حزوكه ليلية جيوية من اهل الوطنية الا ان يذوقوا  
وزانوا في الثلب الذي هو سلاح العدي للبرهان  
مدا ولا تلك الوطنية . وقالوا لجمهورياتهم انظروا  
الى « النهور في التقدم » اذ لا فكر يعدهم  
ولا ينظر برشدهم ولا ذهن فينبههم الى النهور  
الكهربائي للوطنى واقف لهم عامسة الى النهور  
منه لان حرارة الوطنية كالبحر او انها تشعل  
ذلك واهم اذا ذوا منها صمقوا في اماحهم  
ودكت هياكلهم وانهدمت صروحهم فلذلك  
تجدد لا يجربون ان يمسوا جوهرها بمحج  
في حين الهم يطمنون على القامين غلقتها  
ويقولون فيهم ما قاله مالك في الخبر .

كتب الوطنى النيور السيد ابن  
نصير الصنهاجى في التسليم حروفا في  
خدمة الوطنية وقد عضدناهم في ذلك المشروع  
الحوي فغار الجزائر فلم يزد ذلك اعزاء الوطنية  
الا فاضاعة وتهورا وقالوا هذه نهاية النهور

بجسم المظلم الصادق من رجال الوطنية حيث  
اوهوا الناس بانه قد ارتضت العقل عن مبادئها  
(الوطنية) وانما وانما بل اصول المصينين  
لها نسال ان لا يهاب الوجود انما هو يوم  
العاب بسلامة مدقو والمسيطرين كذا استباحرت  
ضاهم ابع . . . من بذكرهم ان الاظم  
السيطرة نفسها لا تحترم الامن كانت له وطنية  
كفيتها وشهور كمشورما هي والحالة  
هذه تصالح كل قوم وجد فهم من يدع  
عن حقوقهم ويرف قدر الحياة بملكه للثيرة  
التي اعيشكل لما ية او مصلحة فاية وتم الشرف  
الوطنية في ذلك الاحترام

نحن شبان الوطنية الجزيرة والذين لنا  
اعباد ممتل حياة الشعب الجزائري نلهم من  
تكيد اغواننا لمشايق السقوط ولا نرى فرضا  
يمتطينا فضاؤهم من مطالبة الانودة والوحيدة  
الا وهي الخياطة المصرية . فن الحاله ان لبيت  
بذلك القرض وتعمل تلك الانشودة العزيرة  
وكيف لا تتبدرا لحوال العمومية على اختلافها  
وتغير ما جاز ذوق الوطنية من الهدى الباذخ  
والنصر الساجح يرتبهم فاجسادنا الحية بقوة تلك  
النخوة الشفوية يسيدون بسننا وانما يتحققنا  
ان لا حياطين لم يفرز في تحت الوطنية الحقة  
ويجب تحتها العزيرة . فان كان تمددنا كورة  
الوطنية المالة عند ذوى الارض هو قلوبهم  
في التقدم ، فمن اول النهور في الاحياء  
الوطنية وكل من يشبع الظنير يذبحها من  
على الامة وجمن لانها القوية المتمثلة في روية  
الاسم وكل امة توفى منيتها الوطنية هي الامة  
التي تذاق اذنا ونحسر لذلك اسطوره  
فلتس الوطنية العمومية واليهي كبرها  
مهم بغيرهم والجزائرية  
الاصول الجزائرية  
تتعلق على جانب من العلم والادب  
تتعلق على جانب من العلم والادب  
من فائدهم والانسانية ويرض في المطالعة بيان  
الطبيعه والصين دون ان يكتبه دفع نبي . من  
حروبها للصراع والاداء لا يتمم الاقتصاد في  
الاقاير على اللغز العالي واليات للذوق في  
لها يومها من قم الامة ايت في اكثر من جريدة  
قماما . ذلك القراء اعلم نغمة القاص ولا يمل اليد  
صغيرة لا وتسمى عيشا في اسماج ابرحها وقد  
لنفسها من فاحشها انصافا ولها لودها القدر  
شعر كبرهه وحاصلها العارها . الشعر كبرهه  
شعر كبرهه وحاصلها العارها . الشعر كبرهه





(المجلد الثالث عشر)

٦٤١

(الجزء التاسع)

بؤننى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

# المحكمة

بؤننى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام: ان الاسلام سوى رة مناراة كثار الطريق

(الاثني عشر من رمان ١٣٢٨ - ١٣ كؤور (نشرين الاول) ١٩١٠ م)

## باب تفسير القرآن الحكيم

مقتبس في الدروس التي كان يلقها في الأزهر الأستاذ الامام الشيخ محمد رضى الله عنه

(٥٧: ٤٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ

حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا، وَإِذَا

كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ

النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ،

إِنِ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا

قال البقاعي في نظم الدرر: ولما وصف الوقوف بين يديه في يوم العرض

والاهوال الذي أدت فيه سطوة الكبرياء والجلال الى نمحي الدم ومنعت فيه قوة

(المجلد الثالث عشر)

(٨١)

(المترجم)

مقدمته خديجة (\*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

( ذكر الله تعالى والثناء عليه  
والشكر له قبل كل شيء )

دخل هذه الدار عدد لا يحصى من بني آدم بمجموعهم عمرت القرى  
والامصار، وتحركت أفلاك العلوم والاعمال هو تماثبت أسلاك الاجتماع  
والاحوال هو اذا فتحت كتب السير والتاريخ لا نجد ذكر آدم من دخلها  
ولا عشرهم ولا الواحد في الالف، ولا الواحد في ألف الالف منهم  
فماذا يعني المؤرخون بهذا القليل من بني آدم وبهمالون الكثير منهم؟  
ليس بمعجب ما صنم المؤرخون فان الاكثريين من بني آدم متشاكل  
السيرة، متشابهو الحالة والغاية، على ما بين سيرهم من التغير، وبين احوالهم  
من التفاوت، وذلك أن حاصل أسرم تعب وكد ومزاحمة وحيرات  
وعسرات في تحصيل ما اشتبهوا أو تعودوه من المطالب جل أو حقر، فاذا

(\*) بقلم السيد عبد الحميد الزهراوي مؤلف سيرة السيدة خديجة



الاستعداد للزعامة ولكن الصحافي الماهر يستطيع أن ينصر الزعيم وأن يخذله ولذلك أوصي نفسي وسائر إخواني الصحافيين بشي من الاخلاص مع المهارة لنضع نصرنا وخذلنا في مواضعها مما هو أنفع للامة إبدان نبذل الوسع بالاستطلاع والتفحص لا على حسب ما يبدد لأحدنا ولهذا أود نفسي وإخواني الأثمة والروية . وأكرد المجلة والبلدية

قد يذهل أحدنا عن مقدار ما يرفع الأمة من رفع شخص في نظرها هو أهل للرفة أو خفض شخص هو أهل للخفض وعن مقدار ما يضر الأمة إذا انعكس لها الأمر فرفع في نظرها من هو أهل للخفض وخفض من هو أهل للرفة فليتق الصحافي متقب الجماعة التي يريد خيرها فإن بين براعته ومدارك الناس علاقة بيّنة ولا أقول هي دقيقة

الاستعدادات الشخصية قد تكون بحيث يراها أكثر الناس وقد تستهزأ بعض الحوادث وبنات الحوادث فتصبح لا يراها إلا قليل فلهذا ولأسباب أخرى تكثر الاختلافات والاضطرابات في الانتخابات ويقع في كثير منها خيطات بعضها شديدة الظهور ومن ثمه كان الالتفات الى أمر الانتخابات تقطعاً

عظيمة في خطوط تربتنا السياسية فإن معظم سياسة الجماعة يصبح في أيدي من تتخيم . قلت معظم سياسة الجماعة ولم أقل كلها لأن زعماء الجماعة ليسوا هم المنتخبين وحدهم بل هم على أنواع كما فصلنا آنفاً وما عن

عبث فصلناه بل قد يكون المنتخب غير زعيم إذا كان محوراً من الاستعدادات الشخصية كثيراً .

وبعد فإذا قلنا اليوم إن في جماعة العرب مثلاً روحاً عمومية فن شأن هذه الروح أن يكون لهذه الجماعة زغاب عمومية تقتضي سياسة خصوصية وذلك مثل جعل تعلم العلوم في المكاتب التالية في بلادهم بلتهم فديرو هذه السياسة حينئذ هم النواب المنتخبون ، والكاتب الصحفيون ، والفضلاء المفكرون ، وكبار الأسماء المحترمون . وإذا قلنا ليس فيهم روح عمومية فما متخوهم بزعماء لهم وإناهم من جملة الصور التي تمثل « المشروطة » التي يقولون عنها ، وما كتبهم بزعماء لهم وإناهم من جملة الصور التي تمثل « المدنية » الماخصرة التي يصفونها ، وما كبار أسمرهم بزعماء لهم وإناهم من جملة الصور التي تمثل « العظيمة » الساذجة التي ألفوها ، فهل تلك الروح موجودة أم لا وكيف يعلم ذلك يا ترى ؟

( سيجي )  
عبد الحميد الزهراوي

﴿ مراکش ﴾  
المدافع تذر المراكبيين  
( لمكاتبا الفاضل الجزائري )

لقد أجايت الليالي الجمالي كما توقعت في رسالتي المؤرخة في ١٣ ابريل المتصرم على سرائلي . وصدقت تكهني بتداخل الحكومة الفرنسية في شؤون مراكش لا تقفم خطر الثورة والحصار على حاضرة فاس وأصبح سلطانها مهدداً بالخلع والجلاد عن مرش أسلافه . وأثبتت قولتي بأن

الحالة الحاضرة حول حامل تاج مراكش كالحالة التي كانت محجلة بسلفه الخارح . ولو كان هذا السلطان الحالي بعيداً من فاس لربيع سلطان آخر فيها وقطعت بذلك جهيزة كل خطيب . ولكن لا كان مقياً بها ما استطاع أحد في تلك الحاضرة أن يتظاهر بإسقاطه وتدمر ، رغم أن هجوم الثائرين على أسوارها وخرابهم لجدران ديارها .

الحركة العسكرية الفرنسية :

ان الحكومة الفرنسية أعربت بأن قتلها للسيور في حاضرة فاس تلتقي التماساً من السلطان عبد الحفيظ يتضمن العاطب بتسريع عملة « المرابي » خليته في الدار البيضاء على فاس لنجاحه ورفع الحصار عن عاصمته . وإجابة لهذا الاكتماس بادرت الحكومة الفرنسية الى تزويد الجزائر موراني قائد حامية الشاوية بالأوامر المطلوبة لتنفيذ هذا المشروع بسرعة . ولكن الأمر لم يقف عند هذا الحد بل ارتأت الوزارة البادية ان هذه الخطة لا تستطيع أن تعمل شيئاً مادامت مراكشية عضة وفي قلوب جنودها ما فيها ( ١١ ) فأصدرت الأوامر لتتولى الأوامر للساكر الفرنسية بالزحف على العاصمة من شرقها وغربها . اي من الحدود الجزائرية شرقاً ومن الشاوية غرباً . وقد بادرت الدوائر العسكرية تلبية لهذه الأوامر الى زف الذخائر والجنود والعدد والعدد الى التفتلين المذكورين . ولا كان الأمر خطيراً وداخلية مراكش مرتبكة وخيبة لم تر الدولة المراكش النظامية الموجودة كالتقدم لدمعيران جنوب الايلات الجزائرية والتبائل البربرية الى التطعن في في هذا العمل والتقدم أمام صفوف الجنود . وقد أصبحت الآن قوة المراكش النظامية التي تعمل لهذه الغاية تتألف من قسمين :

قسم يعمل في شرق فاس تحت أمر الجنرال توني والجزائريين غيرادوت ولوي وهو يجتري على أربعة أو اربعين المشاة وثلاثة ككتائب من الفرنسيين وثلاثة بطاريات من المدافع الجبلية من يار ٧٥ ملميمتر . ويبلغ

مجموعه وحدة التي كانت تتألف من ٢٠٠ جندي فأصعد عددها الى ٥٠٠ جندي بقيادة الكونين هيلي . واهمة مبنوية في إمداد هذا الترم بقوة عظيمة الماحل منها ثلاثة طوابير من المشاة وقسم من الحيني وكتيبة من الفرسان وثلاثة بطاريات من المدافع الجبلية . هذا فضلاً عن اللد الذي هو على وشك التحرق به من طوائف العربان المتطوعة للساة بـ « القوم » : قسم يعمل في غرب فاس تحت أمر الجنرال موراني والجزائريين ديوت والبيز وهو يجتري على ستة طوابير من المشاة وكتيبتين من الفرسان ثم طابورين منهم وثلاثة بطاريات من المدافع الجبلية . هذا عدا القوة الناهبة حديثاً من فرنسا والجزائر وتونس والسنغال . ومنها الجنود الاستعمارية التي جلت مستلة تحت أمر الجنرال ديوت وهي تتألف من ١٨٠٠ مشاة و ٥٥٠ بطبيعة

الاعمال الحربية الفرنسية :

حشرت الدولة الفرنسية هذه القوة في صيد مراكش فأصبح قسمها الأول الآل محلاً لجزء عظيم من اجزاء هذه البلاد فبعد ان دخل مدينة « ديدو » دخولاً سلباً تقدم نحو وادي ملوية وهو يتجاول ان يعبره للقدم على نثره ثم فاس . وقد حصل للإهالي من تقدم المساكر الفرنسية استياء عظيم فحملهم على ضرب المساكر المذكورة في ليلة ٧ ماي بعدة طلقات نارية جرح فيها أحد الضباط جرحاً خفيفاً فأصبوا تقدموا نحو التصور الضاربة في شاطئ ملوية الأيسر ونصبوا ٢٤ مدفعاً في الشاطئ الأيمن ووجهوا أنوارها نحو التصور المذكورة وفي مدة ٣٠ دقيقة والمدافع تصرخ أصبحت قاعاً صهفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمناً . والمراد من الجنرال توني أن يعبر وادي ملوية ويقصد تازة ولكن اسبانيا قامت قيامتها تاناً . هذه الخطة لانها تم تازة داخلة في متعلقة فنوردها .

أما القسم الثاني الذي ذكرت أنه يعمل في غرب فاس فإنه الآن يجيم في محطه



التبصرة في شمال شرق رباط القنح وشرق  
 شرق الهدية . ولقد حصل لجورده صمويل  
 في عبور وادي بومر برنج الذي يسب في  
 المحيط الغربي بين مدينتي الرباط وسلا .  
 وقد أفاقت الأنباء بان طليعة هذا القمم  
 الموضوع تحت أمر الكارليل برولار قد  
 قامت من التبصرة وستوجه نحو « سيدي  
 عياش » ثم « لأمة يعأو » ثم « دار  
 الزواوي » الموجودة قرب فاس . وتسير  
 للأعمال الحربية في هذه الأوطان المملوثة  
 بحجارة البربر كزوان وبني حسن وزمور  
 وبقية القبائل الثائرة منح وزارة حربية  
 فرسعة للجنرال موانبي حرية العمل بلا  
 قيد حتى يتسنى له التنازل القرض الصالحة  
 دون أن يفسر هافي الأخذ بالرد مع باريس .  
 لما التباين الساكنة في التواحي المشهورة  
 فيها هذه الجند فأنقضت حياتها وتوغلت  
 في دواخل البلاد . والظاهر أنها فعلت  
 ذلك إنقاذاً لأرزاقها وعيالها وإيضالها إلى  
 إلى ما فيها في داخل البلاد ثم تبعت بمقاتلتها  
 إلى مناشرة الجند الفرنسية .

الحركة السياسية

لا أقدمت فرنسا على هذا التداخل  
 التبايني في مراكش أعلنت الدول الرقعة  
 على صك الجزيرة بأنها لم تقدم على هذا  
 العمل إلا بعد أن بلغ السيل الزبي وأنها  
 تسع الآن ضد التاثيرين عن جدران فاس  
 وانتقاد الأوربيين الساكنين هناك الذين  
 هم على وشك السقوط في قبضة التاثيرين  
 للتوحشين . ومن جهة أخرى يقال أيضاً  
 أنها تعمل لإيجاد السلطان وتقوم تحته  
 الذي أصبح صانراً إلى السقوط . ورغماً  
 من تلك الدعوى المنظمة التي تدعو فرنسا  
 إلى التثبث بالصكوك والمهود لم تبوح  
 تعمل في مراكش بصفتها دولة عظمى قوية  
 كما تقول « الطان » سواء كان عملها موافقاً  
 لتلك الصكوك واليهود أم كان مخالفاً !!  
 ولقد حصل لاسبانية من حركات  
 المراكش الفرنسية قرب المنطقة التي تدنا  
 تحت نفوذها استياء شديد ظهر على السنة  
 صحيفها . ولكن حكومتها ما انفكت

تعرب عن ولائها للحكومة الباريسية  
 وهي مستعدة استعداداً هائلاً للعمل كما  
 ذكرت في رسالة ٣ ابريل المنضم . وقد  
 قامت من « سبتة » فرقة من عساكرها تحتوي  
 على ٣٠٠٠ جندي قاصدة احتلال مدينة  
 « تطاون » وقد احتج اهالي هذه المدينة  
 على هذا الاعتداء من سبانية لدى المخزن  
 فأجابهم بأن اسبانية تعمل الواجب عليها  
 في صك الجزيرة أي تنفيذ خدمة البرليس  
 ( عجايب ١١ ) وأماهاوطيادياضيا في احتلال  
 القدر الكبير والعرش وارز يلا  
 والمظنون أن المنيعة لا تعارض فرسعة ولا  
 غيرها في هذا الوقت ما دامت الثورة مهددة  
 للأوربيين تهديداً خاصاً من عام كما  
 ذكرت ذلك صحيفها . ولكن ماذا بعد  
 احتلال فاس ؟ . انهم يقولون ليس وراء  
 احتلال فاس الا الخطر المهدد للسلام  
 الأوربي . وان كنا لا نسلم ذلك ما دام  
 التاريخ يتلو علينا آياته الباهرات . ولذا  
 لا تكون المانية تجاه فرسعة كفرنسة تجاه  
 انكلترة يوم اقامت للغدري تحته المائل  
 في مصر ؟ . ولكن لا تحسبن ممر مراكش  
 تلك كانت راقية وهذه ان ساقطة .  
 تلك مرصودة بالفرمانات الشاهانية واليهود  
 الدولية وهذه ملقاة في فضاء واسع من  
 السياسات ولو كان لصك الجزيرة قوة أما  
 أصبح عبد العزيز مخلوعاً وجزء عظيم من  
 البلاد في قبضة فرسعة لاغرو إذا قلت انه  
 اذا مد الاحتلال ظله على فاس وجعل أجل  
 السطابه غير مسمى تكون حالة بلاد  
 مراكش أخط من مرتبة الحياة لأن مركزها  
 الاجتماعي مختل لا نظام له . هذه سياسة  
 عميقة ولها أفعال مقدمة واني أكرر القول  
 لتأها بان الليالي هي التي تقدر على حلها  
 لاسيا وان أربابها أنفسهم لا يتكلمون لها  
 تفسيراً .

الحركة الثورية

ان التاثيرين الآن يملكون مدينة  
 « مكناس » وقد باهروا فيها على ما تدينه  
 الأتباء البريقة مولاي الزوين شقيق السلطان  
 عبد الحفيظ زعيماً لهم ويقولون بان وزير

خارجيته اوري . وانه اي . ولاي الزوين  
 زعيم التاثيرين عدو للأوربيين . وخطه  
 طردهم جميعاً من التراب الراكشي . بالرة  
 وصدت كما كانتهم السياسية . وهكذا  
 كانوا يذيعون قبل عن عبد الحفيظ حينما  
 كان زعيماً . لمدي انها لتقلبات هائلة  
 فن يذكر الراكشين بعبء غفلتهم الوحشية  
 رسو . حين فقتهم بآل الطوي . والآخرى  
 فقتهم بأنفسهم . هم يجهلون أمرهم على  
 مطاردة المراكش الفرنسية والاسبانية  
 أيضاً في الريف والحلجة ليتسكنوا من خلع  
 عبد الحفيظ والانتقام من وزيره فياذا  
 أعدوا لذلك . الظاهر عندي انهم لم  
 يعدوا شيئاً سوى البنادق والحل هذا فصل  
 الصيف أقبل وزيرهم أن حصادهم فيمكنهم  
 اليرم من جمع ما كانوا يزعمون بالأس .  
 ان ذلك الزرع لا شك سيجمع بأيدي  
 الزراعيين وتبقى عائلاتهم تتضور جوعاً  
 فيلجأون إلى الخدوع كثيرهم من الحاضرين  
 الآن . هذا فضلاً عما سيلقون من  
 التنازل الحشوة باللييت ورشاش الدائع  
 الرشاشة المملكة . اللهم ان هذه أهوال  
 شديدة حاقت بمادك فالطف بهم فياقتضيت  
 انك انت اللطيف الخبير .

في كلمة قط

اعتادوا معشر الثوريين لملككم قتلجون  
 انظروا إلى مصارع الأمم كراكش . ما  
 هي بعد عظمتها وقوتها وحضارتها أصبحت  
 في الحشرة الأخيرة . اتقوا تحركات  
 الاجنبي فان أولها رطب لذيد ومبشيتا علم  
 وصديد . ولأوردية الآن اصطلاحات  
 اعتادت ان تشتمنا بها . ولعلنا انقبتنا لها  
 ولكن ما ذا يفيد ذلك بعد أن سكتت  
 القاضية واقعة لا يرب فيها . واذا كنا  
 كذلك فن ذا الذي يقع الامم من  
 تلك الاصطلاحات المعمول بها في  
 السياسة بشر ما اجرت عليه من وت  
 المعنى والمآب . واوردية أيضاً  
 لتعلم أن مصيرها كذلك الصبي .  
 وكما تدين تدان . ثم السلام على الاخلاص  
 الابسان والسلام على كاهه وارفقائه مادام

من التجدين المتكبرين الثوريين كالمناج  
 الشرود

الجزائر - في ١٢ مايو ١٩١١

مجلس الأتية

يوم السبت في ٣٠ مارس  
 - الاجتماع السابع والثمانون -  
 - آخر المدة الانتظامية -

تم هذا الاجتماع المدة النظامية  
 للمجلس وقد كانت اجتماعاته العمومية  
 في هذه المدة سبعة وتسعين لاجتماع  
 منها كان فيه جلستان طويلتان الأولى  
 قبل الظهر ممتدة إلى الواحدة بحد  
 فالأ والثانية بعد الظهر ممتدة إلى قريب  
 الغروب غالباً وتقليل من الاجتماعات  
 يكون فيها ثلاث جلسات . وعلى ما مر في  
 أثناء ذلك من تعطيل الاجتماعات الأضحي  
 وعيد الجلوس وعيد الميلاد وعيد الفصح  
 يرى القارئ أن معدل انعقاد المجلس  
 في مده النظامية هذه السنة هو ستة  
 عشر مرة في كل شهر وإذا أضفنا إلى  
 حساب فيها ثلاث ثمانية أيام عن يوم  
 الجمعة والأحد في كل اسبوع وجدنا أنه  
 لم يبق إلا ستة أيام فقط في كل شهر  
 للاشتغال في العجان وبديهي أن ستة أيام  
 في كل شهر لا تكفي لعمل العجان فينا  
 نذكر للقارئ العزيز أن كثيراً من  
 أعضاء العجان كانوا يشتغلون أيضاً في  
 الفاصلة الممتدة للاشتغال بين المجلسين  
 وكانوا أيضاً يشتغلون في بعض أيام  
 الأضاح وكذا يواضطرون أحياناً إلى العمل  
 في اللجنة حال انعقاد بعض الاجتماعات  
 العمومية وهذا هو نهاية بذل الوسع  
 البشري .

قرى الضبط السابق في ابتداء  
 الجلسة الأولى من هذا الاجتماع فلم يترس  
 عليهم مشروع في قانون ترقية الضباط  
 والامراء العسكرية الذين يمتنون لإجواز  
 ومجدوقزان واليمن وهو ست عشر مادة  
 سندرجها في عدد يأتي .  
 ثم قام الصدر الاعظم فأجاب على  
 الخطب التي اوردت بمناسبة ميزانية النافعة  
 وفي الجلسة الثانية قرى تقرير  
 مقدم من شفيق بك المؤيد جتان أن  
 بعض المجهزين مؤلف بوظائف صح



والمصادقة والمناجزة إنهما بيننا وبين هولاء.

يقول قائلون إن التواد بيننا وبينهم مستعد الحضور، وفريق آخرون يرون أنه ليس بمستعد. أما أنا فأربح فكركي وفكر القساري من هذه الموصفة الناجمة من عدم استفتاء الواقع وأكتفي بأن أخذ من الواقع هذا النص وهو أنه، تندوجت الملائق «الازرية الثمانية» لم تقم بين الثمانيين والأجانب مودة حقيقية وإنما كانت تحدث مساوآت من الأجانب أحياناً لهذه الدولة ولكن بأثان سياسية باهظة جداً. بيد أن هناك مشكلة جذرية بالأمان وهي أن هذه الدولة كان قد أقي عليها في أسلاف من الضعف ما بلغ بها شفا التدمر ثم كان انتماعها على يد الأجانب، وكذلك قد أتى على الأمة من الجهل ما بلغ بها أخص الانحطاط ولم يكن انتشالها إلا على يد الأجانب أيضاً فكيف ندمهم بمد ذلك أعداء!

والجواب أن الحالة التي بيننا وبين الأجانب لا تسي في الحقيقة عداوة ولا يصح أن تسمى صداقة وإنما هي من نوع ما يسمى «تنازع البقاء» وما نعتي بالبقاء هنا بقاء وجود حكومة لنا وإنما نعتي بقاء ما يميز الحكومة التي لنا من وجود اختيار وإرادة لها أمامهم وهذا هو الذي ينازعوننا عليه فكيف نتف مع سكوتنا ومن يكفتمنا؟ نعم للأجانب فضل عظيم في حياتنا العلمية وكل شيء هو يبيع العلم ولكن إذا كان عن التفضيل التجريد من

كل إرادة واختيار أفلا يكون الموت خيراً من الحياة معه؟

\*\*\*

التنازع الذي أمرنا إليه ظاهر لا ينكر، والامتخاذ أمام المنازعة بكرة ولا يشكر، فذلك تطفح بعض جوانبنا أحياناً بدم الأجانب حين يتراعى لها من قلبهم شيء من آثار ذلك التنازع أمان نحن قترى من المديب المجازفة بإسناد كل شيء مما نحن فيه من التفرق والفتن والفساد إلى الأجانب كما نرى من الخطأ تبرتهم من كل دسيسة البتة ولكن الاستئثار بلوم أنفسنا على المغفلة عن دسائهم، أو على فسح المجال لها غير من الاشتغال بلومهم من بعيد على أمور غير مستنكرة من البشر غالباً على أنه قد يكون المقام خطائياً أو جديلاً وبديهي أنه يتفرق والمطلة هذه لأجل تحريك عزة النفوس أن يوجه الشاب بشيء من الشدق قد يتجاوز الحدود ويدوس الحقوق منهم جهاراً بيد أننا لا ننسى مع ذلك أن الأولى هو الجدال بالتي هي أحسن وأن القول المهجر ليس من داب أرباب الجدل وأن الكلمة الطيبة حتى في مقام المبارزة خير من الكلمة السجدة

والذي علينا هو أن نتذكر ونسى في رد الطواري من آثار تنازع البقاء بما يمكننا من الوسائل الجديدة لا أن نزلها بالشتم واللوم إذ ليس في هذا من فلاح. هذا هو مشربنا بالنسبة لما ينبغي أن يكون عليه ألسان الأمة والواحد

منا في الجدال السياسي، ومنتجع كلامنا في هذا الباب يجده على نحو واحد أما من حيث نظر الواحد منا إلى أخلاقهم وعاداتهم ونظرياتهم فله أن يذكر فيها ما يظهر له على حسب نظره من مدح وذم، وقبول ورد، ومن يأبون إلا أن يدوا ذلك طمناً في الأجانب لأنهم أجانب فقد حق لنا أن نقول إنهم يجلبون في الحكم، أو يحكمون بشير حلم، بل عندنا أن الذي يقف أمام أخلاق الأجانب وعاداتهم ونظرياتهم يعقل ليس فيه قوة للتفريق بين ما يقبل وما يرد منها "فا قر به قرب ولا بعده بمد" عبد الحميد الزهراوى

[على الرصف - ٧ رمضان ١٣٢٩  
١ ايلول ١٩١١]

إلى حملة الأعلام أرباب الصحف الإسلامية

(في البلاد المثانية والانتظار المصرية - والمملكة القارسية - والدير الهندية - والامبراطورية الروسية - والجزائر البريطانية - واليابان التونسية والجزائرية - واقطار ما ورد البعارة الأوقافية)

اليكم معشر الرصاف الكرام . انزف التحية والسلام . وارجو من عواطفكم الشريفة أن تصفوا الى ما أتلو عليكم من نبأ يقين . مما اختلج في فؤادي الحزين . وتنادم شأنه حرك مني السنين . فتقدمت به وبقيني انكم من النصفين . هلوا فاعتسوا بقول هذا الضيف وانتقوا أحسنه . فقد اضره كتابه واجهده . والميم الانسان يتي ما يقبول . يدعى أنه من أرواح الفضول . وقد بلغ السيل الزوى واعتزى القول ما اعتزلها من أدوا الذهول . ان التضامن حكمة الرفوة ورفعة الحكمة . والرواف روح الاسلام . واداء

الواجبات بأخلاق نفس الخلاص . قضاها حسنة لا يتلذذ فيها الشان . ولكن غرور النفس نفس التورون رقها على اللورس وانما تظن انهم نهباً ضرباً برأى الفاظها والفاظها الراتقة . يتكلم لتأثيراتها في انذنتنا مجالا ضيقا تحصل فيه بسرة عيب ان تصدى لطريق قنر ونذهب فيه تشطى . ونرضى دين ان نحس لتلك التأثيرات عشنا في مناظرنا تيميم فيه جرائيبها وتقايد . ونحافظ عليها لتلك اريكة خدوزنا الى الأبد . ونفصح لتأثيراتها الميدان في اجسادنا حتى تتحرك بجر كلك حواصنا وعواطفنا واحسانا . هذه منقطة كبرى تبضت على نواصينا واحتوت على حاضرنا وبادينا . وطسنت على أصدارنا وبصاننا . وصبرتنا نعمه في غشاوات من جنابنا أيدينا . العلم بأن لنا أن ننتبه الى مضرتها بنا فقلع هذا الجلود ونستمد لكاملها . حتى يتسنى ان نخضعها لفضائلنا فنسحب مغلوبان مقهورة ونجتلي جيوشها من ماقبل قلوبنا فسكون من الذين يدعون الى الخبيثة والارباب ويرامون بالعرف وبنور من الشكر لانتزعت ونحزوز بذلك على رضاء ربنا ورضاء طويقتنا لانتزعت وصلاح امتنا . وفروخواتنا . كانت الافكار بالأمس موصدة الاولي ان كبري وعلينا من غير الاستبدال الب حيايا . ان سوي فا يرتح ان تصحت أروابها بسم الله من الا . وقتشمت غيوبا بجمول الله . فكتتم مشايقة ونحتر الرضاء الماملين على ذلك . والهينين بله الافكار ترح ما هنالك . من جهل وضلال . ونفسه بقول في الاخلاق والحضال . وغتر في التقليد حيايين ) على أمر الله . وقطعنا أمراً الله به أن يوصل كمان والاخر والسعي في الأرض بالتحريز والتحويل . بعربا سائر وغلو في التفسير والتأويل . نعم انتم معكم القرون الاخر هذه الحركة الحسنة . وغارسو اشجارها ادركت مع الثار التي قتت أن نضيع ويحل اكملها لا تفرح حاضرا وباد . انتم أساتذة الهامة الإسلامية برون الاتحاد قائم يبق قطر من أطلالها الا ولكم اننا من الثلاثة الا ايده العادون . ولكن لا يصح لنا أن نقتربا منكم من حيايا الا افكار ونسبه من حيرير الاقلام فمن وصندوق عن ان لنا من عرفوا من جراء ذلك انهم يروا . ودة

لهم لم يعرفوا بعد كيف يرتبون أسباب ما لديهم التي يتشوقون إليها . ولا كيف تحزن أبواب الفلاح المنتزحة امامهم . انشدكم الله عشر الرضا . كم كتبتكم كتبتون . وكم نشرتم ولم تنشرون . لو كان الجز ممدادا لما كتبتكم في معنى الخاد . لو جدم الآن ممدادا . ولو كانت اجازة قلامكم التي بها تحطون في معنى لجة الى الأخوة لما وجدتم الآن اقلاما . لا تذكركم بالجميل الفلسفة أو الكلمات العلمية لايات فائدة الاتحاد وتضمنة الأخوة ثم السابقون في معرفة حقيقتها صدارة . وما التيدت كبري فلكم تتذكرون قول النبي اليوم تذبذبون جيداً كأنكم تذبذبون من قبل بانكم لا شك تتعقون بالثقة قد سادت على الافكار . فكم يتق الا قائل غير عامل ومفكر غير مدير . لو ان الصحافة وان كانت مملوءة بالمسالات سرانية الضافية والتفصيل الاستطلاعية لكانت والصادق الشرعية الرائدة فانها لم تدر الاجاب الحقيقي نحو الامة الاسلامية لا لثبات ضالة عن مركزه تحوم حوله وادارة بجمكانه .

ان كثيرا من الناس لا يعرفون الصحافة سوى انها تنقل الاخبار وتخدم التاريخ . بل لا يعرفون ان الصحافة هي التي تربيها شخصية وتحقق انها لم توجد الا لتنهض المهم على وجه الافكار بقي حائرا مندهشا يحاطب بله بقله . ان هولاء القوم (أي الصحفيين) يوظفون افكارنا ويحشروننا على محاذ والأخوة وهم على مثل طريقنا عرجا سائرون . ونحن الاتحاد معروضون . حقوق الأخوة يعفون .

ادرككم مشر الرضا الى الاتحاد ولكن لا تقبلوا . فصاروا يمكن من قلوبنا ليوث الاتحاد الذي يأمرنا به الاسلام فصار عليه ثم نخرج ذلك الى حيز الفعل سهل . فتراها على تشكيل جامعة صحافة الاسلامية تكون لها نقابة ومجالس بلديات وصناديق مال فيلتزم السبل التي تشتت في ادراك . وتتعلم اقوالنا وترتفع على

أساس العمل . لا سيما اذا وقفنا الى عقد مؤتمري في رأس كل سنة في عاصمة من العواصم الاسلامية نقيم منه الامة المحمدية اعمالنا وان اقوالنا لا نقتف عند حدود القام والورق فقط .

لا تأثير للنايات التي تنزعت في الصحف حسبما تقتضي طقوس السياسة المختلفة في الاقطار الاسلامية على هذا المشروع او نفعه حقه من الاهتمام . فلا تقول « العلم » مثلا هيته عن مواجاة « المؤيد » ولا تمنع « النار » حطمت عن مصالحة « دين ومعيشة » ولا تقول « طين » حدثها عن مواجاة « اللتين » لأن الاخوة الاسلامية يجب أن تكون فوق الاختلافات السياسية . ولا يصح لنا أن نفتكر اذا أردنا أن نقدم على هذا العمل الحطير في القوميات الجنسية واللغوية فلا بأس اذا انحرف في سلك جامعة الصحافة الاسلامية عدا الصحف التي تصدر باللغات الشرقية والمجواند التي تصدر باللغات الافريقية وهي ملك رجال مسلمين . لأن الصفة المحمدية المطلوبة في هذا الباب منها اختلفت الالسنه والمشارب . ومهما تباينت المقاصد والنايات . ولكن لا مدخل لأي جريدة اخرى ولو كانت تصدر بلغة القرآن اذا كان صاحبها اجنبياً عن الاسلام .

وإذا حاولت الاغراض الشخصية أن ترفقنا عن العمل لادراك هذه الغاية التي هي احسن منقبة يحفظها التاريخ لعالم الصحافة الاسلامية . حسبتنا أن نجد ضامنا تجريدا منسوبا من شوائب الاغراض . ولتشل أنفسنا كأننا بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم لا أعلن اصحابه بقوله تعالى : « انما المؤمنون اخوة » ثم للسؤال ضامنا . ماذا تشتم واحساساتنا ماذا تحس ولناظر بيننا بعد ذلك بالمعروف أن اطمأنت قلوبنا الى الحياة واقتبال عصر سعيد بالاتحاد . أو لنفوق (قدر الله) معرضين ان غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين .

أذكر اني قرأت : ندمة طويلة في بعض الصحف ان « جوديس » الاشتراكي

الفرنسي الشهير عجز يوماً عن اصدار جريدته « الانسانية » لتقدان المال اللازم لها فبلغ خبر ذلك الى الاشتراكيين اللاميين فاسرعوا الى معاونه واكتبوا له بال مال طائل يسر له به ان يصدر جريدته شاكر عواطف اخوانه في البدا وان كانوا اعداءه في القومية .

الفساد معشر الرضا . احق بهذه الربة من هولاء القوم ؟ ليس مبدأ الاسلام احق بالأختاء من البادي الاخرى وهو الذي يأمر بالتواضع والتعاون على البر والتقوى ؟ يجب علينا أن نحلف الصفاق الاجتهادية والسياسية جانبا ونضع اليد في اليد صيانة لمستقبلنا . وحفظاً لنا . وانصياء الاوامر ربنا وديننا . والا فما حفظته الاوراق من العوظ والتذكير يسكون حجة علينا لا تا . لاننا لم نودع فيها طلباً الصالح العام بل نأمر الناس بالبر وننسى أنفسنا . ونحتم على الاتحاد ونثبت الشقاق بيننا .

هذه معرة كبرى وباللائف معشر الرضا . بالاس طلب الشهم الروسي تشكيل المؤتمر الاسلامي العام فا كانت الاشية أو ضحاها حتى ذهب ذلك المشروع النافع ادراج الرياح . ولعل السبب في ذلك عدم وجود الرجال النكرين في اطراف بلاد الاسلام . وان اوروبا لا شك قد ازدرت بالامة اسلامية واحترقها لا ابصرتها كحمة عن مؤتمرها ومشروعها . ولكن لو يوفقكم الله وتقدر ا قدر اقتراسي هذا فانكم ستجرون تلك الوصية الشنة من صحيفة الامة الاسلامية . لأن جامعة الصحافة وموترها منوطان باخلاصكم وخالص الكتاب في صحتكم لا بالعلماء الجامدين ولا بالاولياء الامور والتفاسين ولا بالارباب الاموال غير تبرعين على الشرورات الحيرة بقولنا نحن . فسادوا رحمتكم الله الى جمع الكلمة ولم الشئ ولسوف تجتمع بكم كلمة الامة لانكم انتم اهداتها ولطالما احترقتم لانفسكم معنى الزعامة عليها فكونوا لها زعماء اصلاح واتحاد . لازعامة شقاق وفساد .

يودي لو كاتب كل واحد منكم بخطاب على حدة في هذا المشروع ولكن لسره

الخطابست مطالعني جميع الصحف الاسلامية على اختلاف مشاربها واظهارها . ولكني رأيت جريدة « الحضارة » احسن واسطة بيني وبينكم لاسيا وانها تصدر بدار الخلافة العظمى فها أنا مخاطبكم بهذه النصيحة التي لاحت في من غفون التضمين العلويين في اصلاح احوال الاسلام والمسلمين . والرجاء ان لا تهملوها وان لا تتناقلوها كما تتناقلوا عدى الصحف او تعلقوا عليها دون أن تثبتوا آراءكم الحقيقية كتابة وعلا . ارجو ان تتجاوزوا وتتجاوزوا في هذا الشأن . وان تقيدوا الوزن بالسط ولا تحسروا اليان . وابتجروا عن القدم صحافي مسلم في العالم قاتلوا اليه مقاليد الزعامة الاولى وانشروا في العمل وتبينة القاتلون الاساسي والله المستعان . والسلام عليكم ورحمة الله .

الجزائر في ٢٤ أغسطس ١٩١١  
مكاتب « الحضارة »  
عبر بن قدير الجزائري

« الحضارة » وردت هذه الرسالة من مكاتبتنا الفاضل ومدير الجريدة توجه نحو وطنه فشرناها كما هي .

مباحث اقتصادية

٩ -

حرية السعي والعمل - وحرية التنافس والمباراة -

قد بينا أقسام الصناعات ونسبتها من الثروة والان نتقل الى البحث عن أمر هو ربيع الصناعة وسبب حركتها وتقدمها وهكذا الروم هو اطلاق الحرية فيها وتبرينه « ان يعمل الانسان مختاراً لنفسه الصناعة والمكان ووقت العمل » فيكون الانسان بذلك هو المسؤول في الربيع والحسارة .

ولم تقل امة من الهم حتى اليوم تنتع بهذه الحرية تماماً على اطلاقها فلا تزال الحكومات يجدد حرية كثير من المعامل وقد مر على هذا الامر ثلاثة ادوار الاولى

سنحمل السلاح ونحن صاغرون  
الجزائر في 8 شوال 1329

في هذه الآونة تعد على الجزائر اللجنة الحربية الباريسية للتوسط بيننا وبين المسلمين على حمل السلاح والالتحاق في سلك التجنيد . والدافع في الصحف أن أن اللجنة ستعدي كل الشان الذين يتراوح سنهم بين 18 سنة و 20 سنة . وإذا صح هذا القول فأي سأكون من جملة الذين سيحملون السلاح بموجب هذا القرار . لأن حتى الآن لا يتجاوز الخامسة والعشرين سنة وقد ولدت في سبتمبر سنة 1886 وفي شهر هذه السنة بلغت هذا السن وعامه فسأستقطع عن قراد الحضارة الكرام ( لا سمح الله ) بصفتي كاتباً سياسياً واكثري ريتا نجيم الشائق لأقلامهم في حياتي العسكرية (أ) بشؤون مهمة لا يتوصل إليها والى معرفتها إلا من تقه السيف والضرب في سبيل الله في مواطن مائة بالرائدين الماجدين . وإلى يومنا هذا إذا تحققت تلك الأقامة . وسأبقي جازراً تجاه الأخطار التي أتصباها وتعرضت الأوف من الخواقي الشبان الجزائريين . ولست أعني بالأخطار أخطار نقل السلاح ومقابلة نيران المدافع بالصدر بل أخطار تبيكت الضمير والشعور إلى الساكنين في القلوب .

تمت مسؤوتنا الحكومة الفرنسية إلى تكلفتها وتوقع منا صبغة الإسلام وتحمل عهدها صبراً وتحملاً في مقام من الأهانة وضيق وهي تحسب أن هذا العمل يفيدنا أكثر مما يفيدنا . تحسب هذا وتقرراً إن أينا بالتمصب الدمع . لها تشبهاً الآن من نوع الحيوان الدابن وترى التكنات ومواطن الحرب أحسن مداوس تتهب فيها وتوتقي إلى صفوف الناس السخنين . لهذا نراها لا تقبل رفضنا لأمرها وتواصل السبي لتزير جانيها بقرتنا الجسدية تقدمنا أمام جندها ترسا لنا الطوارئ ويقذف النيران . بل تتأخر أخرى تحملنا طمعا لإقواء المدافع

بيننا يكون ابتناؤها بلغة التبع والصور يقتصدون .

إن الوقت جد الثقيل وقت سلام وهدوء ولكن عند العقلاء وقت حرب وكفاح . وكيف يكون الوقت وقت سلام وهدوء والشعنا بيننا من الأقوياء المم العذاب . اننا نعلم لا شك على حمل السلاح وإذا تحمد الجلوب للقتال لا للعب وللجد لا للهزل . هذه مراكن لا زوال لها ولها الأبد امد طويل وبالشهرة نكون من الذين يعملون هناك لترويط الأستيلاء الفرنسي جيرا نطقاً وطنيتنا وشعورنا القومي والديني لأجل الدفاع عن اللوا، التلت الألوان . ولأجل أن يكسب الفرنسيون الفخر والشرف . ولأجل أن يتفجع رؤساء الاموال الفرنسيون بوزيدة الأستيلاء وقرة النصر . لما نحن لمسنهك دماء اغرقتنا في القومية والدين ونقابل الأخطار العظيمة من كل شق ونحو ونبيع الضمير ونبتدأ نصيب الأخرة ثم نصبح كما كنا من قبل لا يعرفون إلا أننا من هم الجزائريين ومن انبيا . الحقق ومن متوحشي بيني الانسان وما إذا ظلمون .

\*\*\*

بلغت هذا الحد وقد فاجئتني خبر اعلان الحرب فزاع مني النظر وتوجه فكري نحو الشرق لتنظر الألباء واتاحي الصحف فلم يكن تلك المشورت مدا سعيد في ذاكري بل كان وقعاً سيئاً جداً .

أظن الحرب وقبل كنا نعتقد ان لا مناص منها وطرابلس الغرب مغلوقة خالية من الحماية الكافية فكانت الحسارة المنظم في استنار الأجنبي لشؤونها وتحكمها على اطرافها وتحجزه القلوب عليها والوزارة الحقية في نفسه عن ذلك تتداب ثم تجاز قلنا . التي الداخلية الى ان أذن للإيطاليين أن يتيروا وثبة رجل واحد الاختلاس والانتلاك فتبهم حتى باشا ناكسلا لا يدرى على شي وترك الأزمة شديدة والدموي يتحقق الحرب الأوطان .

ما كنا نظن ان التمدب في السياسة يصل بوزارة حتى باشا الى هذه التسعة وما كنا ننتكر ان الطرابلسيين وطاميتهم يتكون للدموفرة احتلال عاصمتهم دون أن تروى الأرض من حاصمهم ودون ان تحصى الأذقات العلوية في التناوشات ليقسي للذوة ان قد لم يدها ثأناً . ولكن ... لا حول ولا قوة الا بالله !

لقد ثبت للفكري الدقة ما كنت اخن فيه اننا . كتلمي في الرسالة الثالثة حيث قلت لتقطن الدولة حدود البوسان بالرجال . ولكي لم اخن في المفهوم عليها بل كان قصدي أن تكون مهددة قطع ريثا تتحن أن غايتها من كزيت ستكون بعد هنات وعينات فتلبأ الى السكون . أما وقد جاءت الأخبار بأن الجلود العثمانية استأنفت الزحف على تساليا وان عقلياً من عقلاء رجال الدولة قال : « نه علينا سذكرا مع ايضاً والدول » فان الخطر اعمد عطياً لسو . الخطر . الزحف على اليونان ليس هذا وقته وكان الواجب ان تعد طرابلس بكل الجهد حتى لا يتسنى لإيطاليا أن تحتل منه قيد شبر من القرب ثم القوف تجاه البقان بالرصاد .

ان الرومياً اذاً ستكرى اقتصاداً لليونان وربما يقوم معها من يريدها من مالك القرب وإذا ذلك تقسح الدقة في مالا مفسدة له . تذكر انكروا أيها العثمانيون سقائق الأشياء فان السياسة تقترح وفق الظروف والأحوال والنوازع والأميال وإذا كان ضيق الصدر هو الذي احدث هذه الحركة فلا شك انكم عتوتن في صلحكم ولكننا الداعية لما لكم واما عليكم . اتول هذا واننا لاثبتون باطاني قدامي انه سيؤيدكم غير أننا لا نستطيع ان نستر تلك الرمشة التي تحقق اقتدسا جزاء على راية الهلال إذا كانت مزدارتمن ارباب الصليب .

الحاصل ان طرابلس ايها الاخوان قطعة عاتية يجب عليكم ان تدافعوا عنها حتى نهبها فاحذروا ان تتركوا منها قيد شعرة فبه

حق للشع الإيطالي والا نتكروا ان الألباء بقاء سيادكم في العالم الاسلامي الا انهم الذي تم تدعب أروا بمد عين واذا ذلك تشفق على الألباء بالويل الشديد على الاسلام وبذبح السلي وبنا الحكم قد تنضيم الحسام قابيل لشعبه البدار الى القرب الشديد والاخذ بالجر والتسك بالانجاد والدراية في السيل كما والله وليكم ناصركم سبحانه .

مكتاب الحضارة  
عمر بن قذور الجزائري  
باحث اقتصادية  
التعهد الشركات واتواها  
تقدم أن تقررة ثلاثة مولد  
الطبيعة والسبي ورأس المال ويجتاز في كبره من انما على حدة والان منتقل الى البحث فادحة عن الرابض الذي يربط هذه بضمرة قده ويجزها الى جز العمل وهذا هو التمهيد التست قائمه « هو الانسان الذي يأنس لهبة الآلف الامور الضمانية والتجارية التي تدبها بلكه رؤوس الاموال » .

لم يكن الانسان يحتاج الى التمهيد فينبغي فينبغي الأمر عندما تحت الأفراد تتولى قدا . حاجتها بانفسها بل وجد التمهيد بعد ان وجد للورد الثالث رأس المال وورد في الأعمال وأول ماسار التمهيد مع التوازي من الزراعة من مكان الى آخر ثم ترسم دائرة مهتم من التجارة الى الصناعات هذه صناعية تجارية . يتولى دائرة العمل ( الفيارك ) ويتكفل تجهيزها ياسمن الآلات وأقواها ويجتاز الى تحري الركب واستحاضارها من مواردها بأرض الأمان فيجب على التمهيد ان يكون له المبدأ الصناعية ليستكن من ملاحظة الهندسة والصناعات والآلات التي يتولى ادارتها ويفعي ان يكون درساً طرق التجارة وقد تقدم ما يجب على التاجر معرفته من العلوم والألسنة ليتم بوظيفة حتى التمهيد وينبغي ان يكون « بعض الامم الجارية

**EL-HADARÁ**

Journal arabe  
Administration  
RUE HOUOUR OSMANIEH  
N 37 STAMBOUL

Abonnement

٣ دولارات في البلاد العثمانية ٥٥ فرانس  
١٥ فرنك في البلاد الأجنبية ١٥ فرانس  
تتم السنة قرش صاغ

# الحضارة

صاحب الجريدة ومدير سياستها

عبدالمعطي الزهراوي

مكتبات الجريدة

باسم ادارة الحضارة ونمو ٣٧ في

نور عثمانية ( الاستانة )

العنوان التلغرافي: الاستانة ١ الحضارة

٢٣ حزيران ١٩٢٧ - ٦ تموز ١٩١١

جريدة عربية سياسية أدبية تصدر كل اسبوع

القسطنطينية - في ٩ رجب ١٣٤٩

الذين كانوا يستخدمون في ذلك العهد لحصل عندنا فرائح كبير في الرجال فان الأعيان الآن على مكلات ما ضيبتهم هم قسم عظيم من رجال اليوم من حيث تشكيل الدولة وقشة الأمور ولست أدري بمن تأتي مكاتبتهم لو رفضوا بأنهم من الماضي وكيف ترفض هؤلاء الشيوخ بمد أن رأيتهم من تسكع الشبان المتجحين ما رأيتهم كلاً بل يجب أن تغير وتغير بما أتت علينا من الدروس الجديدة أن الحاجة إلى هذه الذوات في هذا العهد هي كحاجة ذلك العهد إليها ولقد سمنا حتى كعدنا تنوع عما أسماها به مكرراً بعض قبان الصحافة الجديدة وماجوري اليهود من التبجح بالأيدي الشابة، والأفكار الشابة، والإدارة الشابة، والسياسة الشابة ١١١ ولت شمري ماذا يقولون بمد ما بدأ للناس أجمعين عزت تلك الأيدي الشابة أولم يتبين لهم أن حبيبة الدهر (الشيبة) ليست بالضياعة الكاسدة عندما نجد الأمر وتطلب المعلومات الواسعة والرؤية الوافرة والتجارب الكبيرة والشهرة الكافية كما أن اعتدال التقدير وتورد الحد وضواد الفود ليست باداة

عند عبد الحميد ثم تولى له الصدارة ست مرات فيما أتذكر صار اليوم من كبار ممثلي الحكومة النيابية وذلك برياضته الأعيان وبعثه بأشأ الذي كانت حكومة عبد الحميد تعطيه ذلك الراتب العظيم هو اليوم نائب الرئيس في الأعيان وفريد باشا الذي كان الصدر الأعظم في العهد الأخير من المهة ومة للتبعية رأيتهم من داخلية في هذا العهد الجديد وحين حلني باشا الذي كان متبولاً كثيراً في ذلك العهد عند عبد الحميد وبعض رجاله رأيتهم في العهد الجديد صدراً أعظم وبسيرة مختصرة يمكنك أن تقول إن الأعيان اليوم - والتأخر لا حكم له - هم من الذين قد أعلا الدور الماضي شأنهم بالرتب والوظائف بل أكثرهم ممن نصبتهم صاحب ذلك الدور السابق في هذا المنصب الجديد ومن هنا ومنه قلم أن الأمم مهما أرادت أن تتخلص من كل ما ضيبتهم بسهولة وسرعة لا يتسنى لها ذلك على أنه لا ينبغي أن تزيد ذلك إذ ليس كل الماضي بالنسبة إلى الأمم مضراً بها نحن نكره العهد الحميدي ولكن لو أردنا الآن أن نطرح كل الرجال

ولا تزال هذه المسئلة تحت البحث والمتناقشة فيما بين الجماعتين تتألف هيئة الأعيان اليوم من نحو خمسين منهم عرب (٦) واران وأوط (٣) وجر كس (٢) وكرد (١) وروم (٥) وأرمن (٤) وبلنار (١) واولاح (١) ويهود (١) والباقيون أتراك ويوجد بين المجدوع من المشيرين والفرقاء (١١) ومن الوزراء (٧) ومن المسمين (٨) والباقيون من أصحاب الرتب الملكية المالية بعد الوزارة أكثر هؤلاء الرجال هم من رجال العهد السابق وقد كانوا في ذلك الدور يشون على هواه واليوم يشون على هوى هذا الدور فهم ممن يستلبون على هوى القوة النابذة كدأب أكثر الناس يريد أن بضاعة هؤلاء من التجارب ووفرة وحظهم من العلم بالسياسة عظيم فذلك قسم الحاجة إلى الاستعادة من بضاعتهم في عهد الدستور كما مست إليها حاجة العهد الحميدي وهم لا يبخرون بهذه البضاعة على من احترمها وأدى قيمتها فسيب باشا الذي كان الكاتب للخاص

## ﴿ الأعيان ﴾

رجال اليوم

٢- نحن مقدون للأمم تسليداً في تقسيم جهه شهورنا الرسمية إلى قسمين المبعوثين والأعيان وليس هذا القسم في الحقيقة بأمر لازم للشورى بدليل استثناء بعض الأمم عن هيئة الأعيان كما هو الأمر عند اليونان مثلاً ولكن قد يكون وجود هذه الهيئة أمناً لسلامة القوانين والمقررات من الخطأ وقد يكون أسد لنا فاذ الاستعداد وأقطع لذرائع الفرور إذ بدعيه أنه كما يجاذر استبداد الفرد وفروره يخاف من استبداد الجماعات وفرورها أيضاً بل استبداد الجماعات وفرورها أحن أن يخشى لأنه أقوى وأطول مدى فهذا وغيره من الأسباب الأخرى يجعل في نظرنا وجهاً وجيباً لما قلنا فيه الأمم من جعل جماعة الشورى قسمين - وعند تدليل القانون الأساسي مال جمهور النواب إلى إبقاء الأعيان بيد أنهم ارتأوا أن يكون تشاهم بانتخاب الأمة وأن تكون مدتهم محدودة وخالفهم في ذلك الأعيان



في حد ذاتها على استقامة الأخلاق  
وسمة الماروف وفضل الاستعداد  
لاستلام أمة دولة كثيرة المشاكل  
في الداخل والخارج  
أنا لا أريد بهذا انتصاراً للأعيان  
الموجودين ولكني أريد به وصف ما  
نحن عليه اليوم بالجملة ويان أن شيوخ  
أمس ليسوا اليوم أقل من أيام من الذين  
ظهروا بهم «الشبان» على أن أقبح  
ما يستحقه الذوق السليم هو التوجه  
بالشباب والتعامل بمثل هذا على  
الشيخوخة في حين أن احترام الشيخوخة  
أمر تقضي به الحكمة والآداب الاجتماعية  
فضلاً عن الديانة. وفي حين أن الخطوة  
التي بين الشباب والشيخوخة قصيرة  
ظن من لا يعرفون أن الشبان  
الذين ظهروا أو أظهروا على هذا المسرح  
الجديد أغزر علماً من أولئك الشيخوخة  
ونسوا أن أولئك قد درسوا من  
الثقات والمعارف كما درس هؤلاء أو  
أكثر ثم غدتهم التجارب وظنوا أنهم  
أحسن أخلاقاً من أولئك وأمضى همة  
وأصبر على تحمل أفعال المشاكل ولكن  
الزمان كذب لهم كل هذه الظنون  
قد يتخيل مستمع هذا القول أن  
قاله رجل قد حنت السنون من ظهره ،  
وأن الذي جعله يتصرف للشيخوخة هو  
بلوغه إليها . فإنا أطمان هذا الظان  
بأن صاحب هذا القول ليس كما قد  
تخيل وإنما هو يريد أن يضرب على  
أيدي القروء  
يبني أن نعرف بأن الأعيان  
من رجال اليوم كما أنهم من رجال أمس  
ويبني أن لا نفضل أيام الذين ملأت  
أقوالهم الدنيا بجدح أنفسهم ثم أتت  
أحوالهم بما يكذب تلك اللذات

أنا لا أقول ان هذه الطبقة التي  
منها الأعيان فيها رجال ممن تعوزهم  
الأمة لجسام أمورها والنهوض بها من  
حال الى حال أو رجال يصبح أن  
يكونوا أسوة في المكارم والمالي  
وقدوة في الأعمال العظيمة وإنما أريد  
أن ألوه بأن وجودهم غير من عدمهم  
مع وجود هذه الفوضى الماخضة ولو  
كان هناك هم أعلام المهودة فيهم  
لأصبحنا مستطيعين أن نفاخر بها أما  
الآن فترضى من الفضيحة بالقد الذي  
ذكرناه من أن الأمة قد تستفيد من  
تجاربهم وأن الذين طغسوا على أنواع  
السياسة الشابة (١) ليسوا خيراً منهم  
الهم إلا الذين حنوا لهم الرقاب .  
عبد الحميد الزعراوى

**بجلس الإستهانة**  
بقية -  
(البيت ٢١ مائس)  
- الجلسة الثانية -

المواضيع التي بحث فيها في هذه الجلسة  
هي :  
(١) قانون السكان عشائر في ولاية  
ديار بكر  
(٢) لائحة قانونية بشأن صرف غسنة  
وعشرين ألف ليرة لاصلاحات حوران  
واعقالم مدة من العسكرية  
(٣) خط أله بلال - بولي  
(٤) تقاعد الملكية  
(٥) تقاعد العسكرية  
(٦) معاشات التقاعد  
- العشائر في ديار بكر -  
افتتح الجلسة اجد رداً بك في الساعة  
الثانية بعد الظهر وشرع بالذاكرة وكان  
أول شيء عرض في ابتداء هذه الجلسة  
لائحة قانونية بشأن السكان عشائر في  
ديار بكر وهي فان مواد (١) الأولى المخصص  
سنة ملايين ومبشرة الف درهم من

الأراضي الخالية في أقطعية جزيرة ونصبيين  
وكركب ورأس العين ووربان شهر لسكان عشائر  
( المادة الثانية ) يعطى لكل فرد من ذكور  
العشائر مقدار نصف من الأراضي ويعطى عيالاتها  
كياتان حطة من كيسة ديار بكر لأجل  
البذر للسحابين منهم ( المادة الثالثة )  
تعى هذه العشائر من العسكرية وسائر  
التكاليف ما عدا تكاليف الاقنعام  
والاشتراك ومدته هذا الاعطاء خمس سنين  
من نهاية اسكانهم ( المادة الرابعة ) البالغ  
التي تستطلي لهم لأجل إنشاء دور وبيوت  
وشراء أدوات وميومات للفلاحة تؤخذ  
منهم أقساطاً على عشر سنين من بعد  
مرور خمس سنين لا يؤخذ فيها منهم  
شيء ولا يحد عليهم قاض ( المادة  
الخامسة ) يترك مقدار مناسب من الأراضي  
صحرى لكل قرية من القرى التي تعمر  
ببذرة الزراعة ( المادة السادسة ) ناحية كوكب  
الشامية او الزرد تتبع لواء ماربدين  
( أحد الثرية ديار بكر ) وتصدر قضاء ( المادة  
السابعة ) تخصص من الخريفة خمسون  
ألف ليرة لتعطي لمرزاق لبناء مساكن  
وشراء أدوات وميومات للفلاحة على أن  
تصرف في سنتين ( المادة الثامنة على )  
تفارقني المالية والداشلية تنفيذ هذا القانون  
كانت المناقشة في هذا القانون خيفة  
وسبب ذلك أن هذه العشائر المراد اسكانها  
أكثرها من لواء الزرد وفي الزرد أراضي  
خالية كثيرة فلم يكن من الحكمة  
أخذ عشائر من لواء الزرد مع وجود أراضي  
خالية فيه وإسكانها في ولاية ديار بكر  
ولم يكتفوا بذلك حتى صرحوا في المادة  
السادسة ببيع ناحية كوكب إلى لواء  
ماربدين من بعد أن كتبت تاجمة لواء الزرد  
ولا يخفى أن في هذا الموضوع كله تقديراً  
لفوس لواء الزرد ونسباً لعمرائه قبل  
السران واترى أن تحوب بيتاً الذين بيتاً  
أخر .  
وكان أشد المناقشة بين صاحب هذه  
المطريفة الذي ذهب إلى أن في السنة

سراً وبين نائب الداخلية الذي أقام  
أن السنة على إسماها وأنهم لا يضررون  
شيئاً غير اعادة الاتحاد وود عليه صاحب  
هذه المطريفة بأننا كنا لا قصد لنا فوق  
هذا التصدد وإنما لشكر الطرق التي قد  
تذهبون فيها وترعون أنها مصلحة للجميع  
هي الأسياسة عنه ولا يجب لكم أن  
تعدوا وتحسروا وتحسروا لأنفسكم  
عبد الأناد وراوده منع أن غيركم من  
أبناء هذا الوطن مثلكم من غير مالون  
البيت وأخيراً تنازلت الحكومة عن اللوا  
السادسة خلقت وقبلت الأكتوبة بتة  
الواد .  
اصلاحات حوران :  
قررت مواد قانونية بشأن إسكان  
مليونين وخمسة مائة ألف قرش ( نحو خمسة  
وعشرين ألف ليرة ) لاصلاحات حوران  
واعقالم مدة من العسكرية وقد لود  
بضمهم أن تؤجل هذه اللائحة لأن  
الوقت غير مناسب لها فرد عليهم نائب  
الداخلية ومبعوث سورية بأن هذه من  
الضروريات قبلت .  
خط أله بلال - بولي :  
قررت مضطلة من لجنة المناقشة تقي  
أن اللجنة اطلعت على القولة للشفقة بهذا  
المخط وأن اللجنة استطلعت ما يبني  
استعلامه بهذا الشأن من مستشار الثانية  
وخلصه ما ظهر لها أن الخط  
من امله بلال بل بولي ثم منها الى ساق  
سنتين كيلومتر اخرى مجموعها نحو مائة  
وثلاثين كيلومتر وأن الشركة تطلب تأييدان  
غسنة عشر ألف فرك من كل كيلومتر  
وأنها تجمل خط ( حيدر باشا - بندك ) -  
زوباً والهيئة رأيت كل هذا موافقاً .  
فاعترض كثيرون وقالوا هذه مسكة والغالب  
تحتاج الى تأمل وتدقيق فرضها في هذه القولة  
الوقت الشيق لا يجوز وبعد المناقشة طلب  
طرحها على الآراء بتعيين الاسماء فوجت  
الآراء التي بجانب تأخيرها ٤٢ والآراء  
التي بجانب الأذكرة فيها ٨٤ فقررت  
الذكرة فيها بإيدائها أوليت تأجيلها



عدد ٨٥ - السنة الثانية  
 الحاضرة  
 EL-HADARÁ  
 Journal arabe  
 Administration  
 RUE MOUSSAHEM  
 N 37 STAMBOUL  
 الاشتراكات  
 Abonnement  
 ٣ دولارات في البلاد، الثانية ٥٠...  
 ١٥... في البلاد الأجنبية...  
 صاحب الجريدة ومدير سياستها  
 عبدالمجيد الزهراوي  
 المراسلات  
 باسم ادارة الحضارة ونمو ٥٥ في  
 نورعثمانية (الاستانة)  
 العنوان التلغرافي: الاستانة (الحضارة)

# الحضارة

الاستغلتية - ٣ ذي الحجة ١٣٢٩ جريدة عربية سياسية ادبية اسبوعية ١٠ تشرين الثاني ١٩١١ - ٢٣ تشرين الثاني ١٩١١

## الوطن العثماني ووطن مقدس

- الوطن العثماني دار السلام
- الوطن العثماني دار الشعوب
- الوطن العثماني مهد هدى في الماضي
- (ومربع هدى للآتي)
- قطعة بمد نوم
- (اليوم وبعد اليوم)

[الدين بمرسهم بالتوبة  
 تصفيح الحقائق]

الشرق = هي الوسيلة التي اتخذها  
 اولئك الصليبيون الاولون في حروبهم  
 تلك، أصبحت هي الوسيلة التي يتوسل  
 بها الوريثون، نتالي تنفيذ بعض الآرب  
 عند وقوع ما يشبه النصب الذميم.  
 وطبعي أن خلافت الرومان - وأهلك  
 بشره أسلافهم - لا يودون أن يتفروا  
 بأن قواعد الإسلام أير منهم بالمسيحين  
 الذين توطنوا البلاد وأعطف منهم  
 عليهم وأول منهم بحمايتهم والحفاظة  
 عليهم. نعم لا يودون أن يتفروا بذلك  
 بل يسبون لى تلك القواعد المباركة  
 النصب الذميم والقائم والقسوة  
 ويتخذون الحجة على ذلك من أعمال  
 بعض المسلمين وليت شعري كيف  
 يكون العمل الشاذ الصادر من بعض  
 آحاد الناس مثلاً أو من بعض اجتهادات  
 من لهم رأي في بعض العصور حجة  
 على دين لم يوجد نصر من العصور  
 ولا لجيل من الأجيال بل يكون  
 مصاحباً للحكم والمصالح الاجتماعية  
 كما تجأت وكسفا تجلت، ومطارداً  
 للمفاسد من أين جرت، وأيان سارت  
 وبرت، وكيف تنسب تمدي بعض  
 المسلمين على بعض المسيحين الى  
 الدين ونسب الذي يقع مثله ألف ألف  
 مرة من تمدي المسلمين على المسلمين؟  
 لمعرك نحن أكثر إتصافاً إذ لا  
 نسب ما نعرفه من أحوال هؤلاء  
 الاوربيين الى دينهم كما ينسبون أحوال  
 بعض أفراد أو طوائف منا الى ديننا.  
 نحن نعرف والحمد لله تعالى ما هي  
 التعاليم الشريفة التي جاء بها سيدنا  
 المسيح (عليه السلام) ونعرف ما عليه  
 هؤلاء الاوربيون ولذلك نقول ان  
 اوربا لا تنتهج على الشرق بسائق تعاليم  
 دينية بل بسائق تناهج ورواية وروثها  
 مع ما ورثوا من الرومان ومعلم أن  
 مقتضى تلك التناهج الرومانية التظ  
 على الأمم لاستثمار ثمرها وتسخيرها  
 للأهواء وهل يتسطر غير هذا من  
 حكومات لم يتم أصلها الاصيل على  
 أساس من شأنه أن لا يعمل قوياً على  
 مبادأة آخرين بالشر لا غرض وما أرب  
 شخصية. وربما قيل أن حكوماتنا  
 التي قام أصلها الاصيل على دين محرم  
 الظلم أشد التحريم لم يسلم بمعناها من  
 أعمال بعيدة جداً عن روح الدين  
 فنحن نسلم هذا ولا نستطيع انكاره  
 ولكننا نستطيع أن ندعي معه أن أظم  
 حكوماتنا لا يخشى منها على غير المسلم  
 أكثر مما يخشى على المسلم وأنظمتك

تلك الحروب الصليبية كان المقصود  
 منها محبب الظاهر تخليص المسيحين  
 فحين في الشرق من ظلم المسلمين  
 وينسبون أصل الخس على هذا الجهاد  
 الصليبي الى زهاب يسى بطرسا والحقيقة  
 أن بطرسا هذا كان آلة والظاهر ان  
 أوربا إذ ذاك لاح لها أن المسلمين في  
 خض لتفوق كلمتهم ولاشدداد ضعف  
 اللاه في تلك الأيام ونجحت أن دولها اذا  
 نجحت على اشرق الاسلامي هجمة  
 بلحده ييسر لها أن تحتك البلاد  
 وتتسما وتصل الى مشهياتها المادية  
 تحت ستار حماية المسيحية في الشرق (١)  
 لقد خاب ذلك الظن وبدأت كل  
 جيوش تلك الدول بالحية والنفس  
 وتلف منها مئات الألوف ولم تستلج  
 في تلك المدة الطويلة التي ظلت فيها  
 مصابرة في سبيل ذلك المرام أن تتجاوز  
 السواحل إلا برة قليلة فأنهم تقوا ما لم  
 يكونوا ينجسبون وتبين لهم أن كثرتهم  
 لم تكن شيئاً وأن أولئك الذين ليسوا  
 إلا طائفة قليلة من مجموع المسلمين هم  
 وحدتهم كانوا اطردهم والتكبير  
 بهم وبالجملة قد رجح الصليبيون  
 خائين من هذه النزوة الطولية التي  
 تلاشت فيها الكتاب وتوات  
 الموت وتواد المدد  
 وكان كالت = حماية المسيحين في

الحكومات عاشت معها المسيحية واليهودية ولم نحتاجا إلى شيء من مثل هذه « الحماية » التي تريد التوسل بها إلى الأرب حكومات يجهر بعضها اليوم أن لا ذن لها

فيا ليت شهري ألا يقوم في شرقا المبارك من أبناء وطننا المبحجين من يردون دعوى هذه « الحماية » في وجوه الأوربيين ويقولون لهم إن بقاءنا في هذا الوطن منذ ثلاثة عشر قرناً دليل على أن أسلافنا لم يكونوا محتاجين فيه إلى من يحميهم . ثم ياليت شمري ألا يقوم في هذا الشرق المبارك من المسلمين من يزعجون ما نجت عننا ك الإهمال على هذه القاعدة التي نحن لنا أن نفاخر بها كل القواعد الأساسية التي عند الأمم فني بها القاعدة التي تجعل لير المسلمين ما المسلمين وعليهم ما على المسلمين . لهم مالنا وعليهم ما علينا »

لأجل هذه القاعدة تقول إن الوطن الثاني مقدس لأنه باعتبار أن الحكومة قائمة فيه على مثل هذا الأساس تجد قوانينه بعيداً عن دس الأثرة والتعصب الذميمة

ولأجل هذه القاعدة تقول إن هذا الوطن دار الشعوب وهذا ثابت بالفعل أي أن أكثر شعوب العالم سواء من حيث الأجناس أم من حيث المذاهب قد اتخذت لها نصيباً في هذا الوطن . ولدى التدقيق نجد أن هذا أثر من آثار قدسية الأسس التي أشرنا إليها وأنه لم يضرها في كل ذلك الحين من الدهر صدأ الإهمال والابتعاد أحياناً عن الروح الشريف

وجدير بدار الشعوب أن تكون

دار السلام ولنا نعي بذلك أن تأتي الحكرة في السلاح وتنام مطمئنة آمنة مكر الأكرين وهدر التاددين ولنا نعي أن العناية بصون السلام فيه تكون مضاعفة والشعوب تتصافر على ذلك وتتساعد فيه ونعني أيضاً أن من الضر الذي يت هذه الفكرة في نفوس بيته

أما التوائل الخارجية التي تهدد سلام هذا الوطن فقد قلنا إنها آتية من أوروبا ولكن هل أوروبا متفقة على الإخلال بسلامه وسلامته وهل هي تأوية أن تعيد فيه سيرتها الأولى من المروب الصليبية ؟

تخلف الأنظار والأفكار كثيراً في الجواب عن هذا السؤال فمن الناس من يقول نعم إن أوروبا مهما اختلفت فهي متفقة على الإخلال بسلام هذا الوطن وسلامته ومهما تقدمت في المدنية وإقامة الوزن للعقود الدولية فلا بد من أن تقيدها سيرتها الأولى . هذا قول الأكثرين بل قول الجماهير أما الذين يقولون بعدم بعض المفكرين فليسوا سواء في بل منهم من يقوله معتقداً بصحة ومنهم من يقوله للإهابة بالهدم الخادمة . والنهوض بالبرامج الحاجة . ومنهم من يقوله لمباراة العامة استراحة من لائنهم . ومن الناس من يقول إن أوروبا التي فشلت في تلك المروب الصليبية قد استغادت منها دروساً جليلة وكثيرة ومن شأن تلك الدروس بالجملة أن تبطل أوروبا التائب عن بكرة أبيها دفعة واحدة على الشرق فان ذلك يؤنبه أيضاً وربما لا تحصل مصلحتها حينئذ

أما رأينا فهو أن نترك التفتن الآن ونستحي الواقع وهو يقتينا أن أوروبا انفتحت في عمرها قليلاً واختلفت كثيراً وحارب بعضها بعضاً كثيراً وان كان اسم المسيحية يجمعها كما أننا نحن اختلفنا كثيراً أيضاً

قامت دول وأمارات إسلامية كثيرة من قبل وبقي اليوم ممن ورثها دولة الفرس ودولة مراکش وحكومة الأفغان وبعض الإمارات في الهند والبلاذ العربية المستقلة وهذه الدولة الثانية وهي عظماء وكبراهن وصاحبة الخلافة فيهن . وقامت في أوروبا ثم امريكا ودول وأمارات مسيحية كثيرة وبقي ممن ورثها هذه الدول والحكومات الحاضرة منها الصغر كالسوتان والبشار والصرب ومنها الكثير روسيا والمانيا والنسفة والكاترة وقرقة وإيطاليا والولايات المتحدة ومنها المتوسطات كسبانيا وجمهوريات امريكا الجنوبية

صنعت سائر الدول والأمارات الإسلامية لأسباب كثيرة أعظمها سبق الأوربيين بمعارف الصناعات والآلات والمال والقوانين والسياسات واختراعات الأسلحة وبقيت هذه الدولة الثانية فيها شيء من القوة بالنسبة . والمستصعب اليوم هو وقوفها وحدها أمام أوروبا كلها ولا سيما إذا زين لدولها أن تتفق يوماً من الأيام

هذا ما نحوم حوله الأفكار . ويتبادل عنه أهل الأمصار والمجالس أصبحت في ازدياد . والفتوب اليوم في تناجر وتناد .

الوطن عرين ، وهو مقدس هو خزنة آثار السلف ، وقرابة بقايا المجد والشرف . هو دار السلام لساير العالمين ، وهو دار الإسلام لساير المسلمين ، قلبه مكة المكرمة التي يفخر ملك هذا الوطن بأن خادمها ، ووجهه دار الخلافة لإحدى عرائس الدنيا ، وأطرافه هذه الخطوب الحاضرة ، أفلا يستحق على قسيسه وجماله وجلاله أن توطن النفس على حسن مسألة الذين يساعدوننا على هذا سلامه وسلامته ، وحسن مقاومة ما يريدون لنا فيه كيداً سواً كما كان الكاندون أهل دولة واحدة أم أكاوا

لقد أكثر كتابنا من التنديد بما كاهنا من ظالمين إلى أن الخلاف فيما بين تلك الدول ليس أمراً مفروضاً بل هو واقع وقع كثيراً من قبل وهو واقع الوجود وسيظل واقعاً . وأخشية دول أوروبا إحداهن من الأخرى ليست بأقل من أن خشيها وعادتنا . نحن . وما تكالمجها التي قامت بين ألمانيا وفرنسا بعيدة . ولا آثارها من النفوس ذاهبة التي كما أننا ما زلنا نسمع هولاء . ولولا نفوس من شعوب أوروبا يتقاذون بسيفهم نطق الحرب

نعم إن القوم في أوروبا اختلفوا كثيراً ولا يزالون يختلفون . وتفرقت القوم في الشرق ولا يزالون يتفرقون منها ولذلك لا زنى من الحكمة الأسس شره فوائد اختلاف أوربي يثلب على الظالم أنه لا يزال . ولا الطمع بنوائد أتق من شرقي يرجع في الحبان أنه لا يكون شره أولاً يظول ، على أنناع هذا لا نستحق



مقدس الاستناد وبناء كل الآمال على ذلك  
 وقصران الخلاف التركي ، ولا سد كل منافذ  
 دار السلام انكارها وخواطر ادون نسج هذا الوفاق  
 الاسلام التركي ، فانه يحتل أن يبقى اختلاف  
 الكبرياء اوروبا وجوداً من غير أن تكون لنا فائدة  
 الوطن بله ، وليس من الحال أن تتفق اوروبا ولو  
 إلاة إحدى رفة قليلة ، كما أنه يحتمل أن نستفيد  
 هذه الطيور من تقارب الشرق بالقلوب وقاطنات  
 في قبيس شومه وان لم تتفق هذه الشعوب تمام  
 النفس إلى الاتفاق وليس من الحال أن يتفقوا  
 ينا على صفة ولو زماناً يسيراً فالأسس التي ينبغي  
 مقاومة من البناء عليها عندنا هي (١) أن لا نجعل  
 سواء كل شعوب اوروبا بصحواً لتأدية  
 ة أم أكر واحدة . و (٢) أن يشتمل كل شعب  
 لتتديد اوروبا بتأدية نفسه ولا يتلغى أحد منا  
 لاف فيما يتأمل غيرهم و (٣) أن نبقى متذكرين  
 صائل هوناً خير اوروبا وشرها ومتيقظين لها  
 واقع البر متذكرين وجوب التعاطف الحقيقي  
 دول اوروبا بيننا وعاملين له بالحكمة من غير  
 مت بأقل من أن نزعج الدنيا بكلام أكثره فارغ .  
 وما تلتأجل لا تقول إن اتفاقهم الفعلي  
 لما يوافقنا على ما نوافقهم عليه من السياسة  
 نوس ذاتها التي نسير عليها دخلاً لا ينكر في  
 لا . والاولى ثبوته وامداده إن كنا نحنين ، ونسجيه  
 في باسنة وتقريبه إن كنا مسيين . كما أنه لا  
 ينكر أن ثبوته خير وأنفع لنا من  
 باختلاف تسجيه  
 ون . ونقول لا تقول إن اوروبا لا يأتينا  
 ن يتفرقوا منها شر وانما تقول قد أتانا ويأتينا مع  
 ة اليأس شرها خير فليتنا أن نجد أنفسنا بالملم  
 ب على الفصحيح والذوق السليم لتبميز خيرها  
 فوائداً تتفق من شرها ، وعليها إذا ذكرنا أبواب  
 نه لا يكون شرها أن لا ننسى أبواب خيرها ، فان  
 لا نستطيع هذا ما يقرب الى ما يسمى الانصاف

وأقرب الى ما يسمى الدياسة الحديثة  
 التي يرمى منها تعويق الاتفاق الفعلي  
 علينا .  
 ونعم لا تقول إن تنادي شعوبنا إلى  
 التضاد والتعاون غير حسن وانما تقول  
 ان الشعوب التي فصل فيما بينها شيء  
 من الفواصل لا ينبغي أن تألف اتكامل  
 بمعنى على بعض في حين أن نكمل  
 منها أدواء خاصة و" كما في الهواء  
 سوا " فاذا لم يشتمل كل شعب بتقوية  
 نفسه فان ما نراه من تأمل هذا بذلك  
 وذلك بهذا مع بقا ضعف هذا وذلك  
 إن هو إلا أمر يفر ولا يبشر والله  
 كيف نرى أننا ما زلنا منذ مقتل عمر  
 رضي الله تعالى عنه مختلفين . وكيف  
 نذهل عن أننا ما برحنا كل هذه  
 المصور مختلفين . وكيف يربز عنا  
 أننا لم تتكاتف يوم اكتسح التتار  
 تلك البلاد الاسلامية ومنها دار الخلافة  
 ولم تتألب يوم تألب الصليبيون وغزوا  
 بلادنا بألف ألف من سفوة مقاتلتهم  
 ونعم لا تقول إن اتفاقنا اليوم كفا  
 أجمعين حال وانما تقول إن هذا الاتفاق  
 مع فقد القادير الكافية من الأسلحة  
 وتوابها وسائر الاستعدادات الحربية  
 والاقتصادية لا يأتي بالمطرب ولا يدفع  
 المحذور اذا وقع . وعدم اتفاقنا كانا  
 أجمعين ألمع وجود قوة عظيمة في كل  
 شعب منا لا ياتي المرغوب فان المرغوب  
 هو دفع تألب اوروبا وهي لا تألب متى  
 عرفت أن في كل شعب قوة ولو تألبت  
 حينئذ لما نجحت أيضاً وليتنا لا ننسى  
 أن الذين دفعوا " الصليبيين " لم يكونوا  
 كل المسلمين ولهذا أقول وسأعيد هذا  
 القول كثيراً هلبوا تنادوا الى تقوية

كل شعب وتويد كل شعب الاتكامل  
 على الله تعالى وعلى نفسه مع إيجاب  
 روح التعاطف فيما بين الجميع ، وهدوا  
 تنادوا الى تقبيل ما تصنمه الحكومة  
 أحياناً من استعمال قوتها في تقطيع  
 أطرافها وإضعاف نفسها بنفسها .  
 وهدوا تنادوا إلى استهجان ما يصنمه  
 المناقرون المذرون من تقديح كل قوة  
 تتلب في الاستانة وان جاء على يدها  
 أنواع الحراب وموجبات الضعف .  
 وهدوا تنادوا الى معرفة أن الحكومة  
 الثمانية منها استطاعت أن تصون بلاد  
 بلادها فانها لا تستطيع أن تصون بلاد  
 مر أكش وايران وغيرها إذلحت عليها  
 الحاققة كما أنها لم تستطع من قبل أن ترد  
 وتذود شيئاً عن البلاد التي غنمتها الروس  
 ولا عن البلاد التي تسيطر فيها اليوم  
 فرنسا وانكلترة . وقالوا تنادوا الى  
 سرقة أن طرابلس الغرب إنما يجاذب  
 فيها اليوم في الحقيقة اولئك الابود  
 من أهل جيزتها وأنه لولا قوتهم تلك لكان  
 الأمر في هذه المسئلة أكثر أشكالاً  
 وأدعى الى زيادة الأسف فساوتك  
 العرب الكرام يجب أن يقتدى سائر  
 العرب ويحسوا بحساب الند ولا يقولوا  
 ورانا فلان وفلان فان فلان وفلان  
 هموماً أخرى وليس لهم من خليل وفي  
 إلا أعضادهم وما قبضت عليه أكنهم  
 إن كان تحت أكنهم يواتر ومن أزداد  
 تجردهم من تلك البوتر بأية وسيلة  
 وأي أسلوب كان فليعلموا أنه خائن  
 لدولتهم ولوطنهم العام ولوطنهم الخاص  
 ولا يابوموا إلا أنفسهم إن سكتوا أمام  
 تدابير الخائنين  
 إن علينا أآيان : فإن على القراء  
 أن لا يملوا شهادة الحس والامان .

وإن أردنا إلا تذكرة وتبصيرة فمن شاء  
 ادكرومن القائلين ، وعنايته سبحانه  
 مرجوة .  
 إي لمر الحق إن عناية المبدع  
 مرتب الوجودات ومصنف الإكوان  
 لمرجوة حق الرجاء ، فمن عنايته تعالى  
 أن أظهر سيدنا محمداً وسيدنا المسيح  
 عليها الصلاة والسلام في قلب هذا  
 الشرق ، ومن عنايته تعالى أن أقام  
 لهذا القلب ساجداً من الحكومات في  
 هذا الشرق على أساس ذلك الدين  
 المين المحمدي الذي وضع الحكومات  
 قواعد لا تسومها قاعدة في العالمين  
 وهي التي حفظت الحكومة وستظل  
 حافظةها ، وهي التي هدت العالم إلى  
 أحسن نواميس الاجتماع وستظل هاديه  
 منها ما أوجاهه الله بقوله " إن الله يأمركم  
 أن تؤدوا الأمانات الى أهلها  
 واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا  
 بالعدل " ومنها ما أوجاهه بقوله " وقاتلوا  
 في سبيل الله القئين بقاتلونكم " ومنها ما  
 أوجاهه بقوله " لا إكراه في الدين " - خلاصة -  
 والحلاصة أن هذه المزيجات كافية  
 لتركان الصبوع . وإسراعنا إلى التنبؤ .  
 وإذا نحن أفتنا فان ما عندنا من النور  
 يكفينا ويكفي العالم لسير على المسالك  
 الصالحة لاجتماع الشعوب ، وأعمال الأمم  
 تتخلها الموارض . ولكن الجذور  
 الشينة لا تزعزعا المواقف . والله  
 سبحانه غني الألطاف ، وتصاريف  
 عنايته فوق إحاطة الأفكار . ومن  
 رحمة إرسال الناصحين المصطفين  
 الأخيار . وتأيد هديهم على مدى  
 الأعصار ، وهو متم توره  
 عبد الحميد الزهرابي





المدیر المسؤول  
ایمن تقی الدین

الجزء الاول  
مارس ( اذار ) ١٩١٣  
السنة الرابعة

منشیء المجلة  
ابن یونس الخمیسین

الزهور

## السنة الرابعة

### للزهور

یتبدیء فی هذا الشهر الجمیل فصل الربیع ، فتفتتح الأزهار ، وتترین  
الطبیعة بأبهی حلاها . وفي هذا الشهر ایضاً یتبدیء « الزهور » السنة  
الرابعة من حیاتها ، ولزهور الأدب أسوة بأزهار الریاض  
وها نحن الیوم آخذون ، مع أنصار هذه المجلة من أفاضل الکتاب  
والشعراء ، یجمع باقة جدیدة تقتطفها للقراء من جنان الآداب والمعارف ،  
لتضم الی اخواتها السابقة . ونحن علی رجاء اننا قد أحسننا فی عملنا الماضي ،  
وعلی أمل ان نحسن العمل فی الآتی ما



## الزهور



المرء روح خفيٌ لست تنظره  
 ان كان ظاهره عنوان باطنه  
 الأبرار من هذه الصور  
 فهاكم عن فؤادي أصدق الخبر  
 عبد الحميد الزهرادي

للسيد عبد الحميد افندي الزهرادي شهرة في الادب لا تقل عن شهرته في السياسة . ولئن كانت سوريا قد عرفته سياسياً ماهراً ، ومبعوثاً قيوراً على مصالحها ، فان مصر عرفته من قبل كاتباً مجيداً ، وصحافياً قديراً . على ان شواغل السياسة لم تصرفه عن الكتابة فقد طالما أنشأ المقالات الضافية ، وكتب الفصول الشائقة في جريدته «المضارة» النراء . ولقد اغتنمنا فرصة وجوده في هذه الاثناء في مصر ، فسألناه ان يزين بعض صفحات « الزهور » بفصل يكتبه خصيصاً لها ، فتفضل بالمقال التالي ، قال :

## خواتر

« في الخيرات والشرور »

ترك الأولون من البشر للأخلاف كثيراً من الخيرات ، وخلفوا لهم وافرًا من الشرور؛ وقد مرّ الدهرُ تلوّ الدهرِ ، وجاءت أجيالٌ خلف أجيالٍ ، وتلك الشرور ثابتة لم ترحزها العقول ، ولم تمتنع عليها النفوس ؛ بل كأنّ السعيد الفائز من الاخلاف ، هو المحتفظ الضنين بذلك التراث ، فاذا ما تأملنا في أبدية هذه الأسواء وشبه ازلتها ، وجب علينا ان لا ننظر الى محافظة الأجيال على تلك التركة المباركة بنظر النهاون ، وان لا نجعل علتها التصادف ، بل يجب ان نحني الرأس قليلا امام ما هنالك من المجهولات التي اقتضت هذا الأمر ، عسى ان يفتح لنا باب من ابواب العلم بعد تأدية هذه السجدة الاعتراف بوفرة اسرار الكون وعظمتها ، ولبس ما ينحني على اكثر البشر إلا من الاسرار ، ولقد اختلف كثيراً نظراً المفكرين في الموازنة بين الخير والشر ، ومآل الأقوال كلها الى ثلاثة : من يرى ان الشر أكثر ، ومن يرى ان الخير أغلب ، ومتوسط يرى ان بين الخير والشر تعادلاً مع رجحان خفيف لجانب الخير

يقول مغلبو الشر : ألم تر ايها الانسان الى كثرة الامراض ، ووفرة الأحزان ، وشدة العدوان ، وغلبة الحرمان ، وشيوع الشكوى ، وعموم البلبوى ؟ . . ألم تر كيف يقل أولو اليسار حتى يستطيع عدّهم ، وكيف











الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
الوزارة الوطنية للتعليم والثقافة  
الجامعة الجزائرية  
الكلية العلمية  
الجامعة الجزائرية  
الكلية العلمية

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
الوزارة الوطنية للتعليم والثقافة  
الجامعة الجزائرية  
الكلية العلمية  
الجامعة الجزائرية  
الكلية العلمية

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
الوزارة الوطنية للتعليم والثقافة  
الجامعة الجزائرية  
الكلية العلمية  
الجامعة الجزائرية  
الكلية العلمية

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
الوزارة الوطنية للتعليم والثقافة  
الجامعة الجزائرية  
الكلية العلمية  
الجامعة الجزائرية  
الكلية العلمية

PRODUITS HYGIENIQUES  
Hops Pair  
EXTRAITS FINS  
LOTIONS BRILLANTES  
EAU DE COLOGNE  
ALCOOL - MENTHE  
POUDRE DE RIZ SAVONS  
POMMDES  
PARFUMERIE PEYRONNET  
-PARIS-BORDEAUX-TALENCE-  
EN VENTE PARTOUT  
GROS ABREVIATIAH AGENT GENE  
LAHOUDAT (ALGER) 62-1-10

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
الوزارة الوطنية للتعليم والثقافة  
الجامعة الجزائرية  
الكلية العلمية  
الجامعة الجزائرية  
الكلية العلمية





# البيبايوغرافيا

## البيبليوغرافيا:

### 1 = المصادر:

- القرآن الكريم.

### أ/ الوثائق:

1- بيانات وتقارير حول علاقة الجزائريين بالشباب التونسي 1920-1923 في الأرشيف التونسي، ملف رقم 19، العلبة رقم 3.

2- Associations Culturelles Musulmanes, in :A.N.A ( Archive national d' Algérie) IBA/CUL-18,N° 881.

### ب/ الجرائد والدوريات:

- 1- جريدة الهلال، العدد 11، 22 فيفري 1907.
- 2- جريدة الحقيقة، 15 ماي 1907.
- 3- جريدة الأخبار، بتاريخ 07 جوان 1908.
- 4- جريدة الأخبار، بتاريخ 08 جانفي 1911
- 5- جريدة الأخبار، بتاريخ 16 أفريل 1911.
- 6- جريدة الأخبار، بتاريخ 19 فيفري 1911.
- 7- جريدة الأخبار، بتاريخ 23 أكتوبر 1910.
- 8- جريدة التقدم، بتاريخ 01 ديسمبر 1923
- 9- جريدة التقدم، بتاريخ 15 جانفي 1924.
- 10- جريدة التقدم، بتاريخ 15 جانفي 1924.
- 11- جريدة التقدم، بتاريخ 15 ديسمبر 1923.
- 12- جريدة الحق، العدد 39 بتاريخ 06 جويلية 1912.
- 13- جريدة الصديق العدد الرابع، بتاريخ 03 أوت 1920.

- 14- جريدة الصديق، بتاريخ 27 فيفري 1922.
- 15- جريدة الفاروق، 21 مارس 1913.
- 16- جريدة الفاروق، 28 نوفمبر 1913.
- 17- جريدة الفاروق، العدد 02، بتاريخ 15 أكتوبر 1920.
- 18- جريدة الفاروق، العدد 14، بتاريخ 30 ماي 1913
- 19- جريدة الفاروق، العدد 33، بتاريخ 1913.
- 20- جريدة الفاروق، العدد 51 بتاريخ 09 مارس 1914.
- 21- جريدة الفاروق، العدد 55 بتاريخ 06 أبريل 1914.
- 22- جريدة الفاروق، العدد 58. بتاريخ 1913.
- 23- جريدة الفاروق، العدد 69، 12 جويلية 1914م.
- 24- جريدة الفاروق، العدد 73، 10 أوت 1914م.
- 25- جريدة الفاروق، العدد 88، بتاريخ 27 نوفمبر 1914.
- 26- جريدة الفاروق، العدد الثالث، بتاريخ 14 مارس 1913.
- 27- جريدة الفاروق، بتاريخ 06 جوان 1913.
- 28- جريدة الفاروق، بتاريخ 13 جوان 1913.
- 29- جريدة الفاروق، بتاريخ 21 مارس 1913.
- 30- جريدة الفاروق، بتاريخ 30 ماي 1913.
- 31- جريدة المشير، العدد 20، 21 مارس 1911.
- 32- صحيفة الهلال، بتاريخ 01 فيفري 1907.

### ج/ الكتب والدراسات:

- 1- أمين، أحمد، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ط3. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1971.
- 2- أوغلي، عائشة عثمان، والدي السلطان عبد الحميد الثاني، ترجمة صالح سداوي صالح، عمان، دار البشير، 1991.
- 3- البارودي، فخري، أوراق ومذكرات فخري البارودي، (تحقيق عبد الحكيم دعد)، القسم الأول. دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 1999.
- 4- بن قدور، عمر، الإبداء والإعادة في مسلك سائق السعادة، (تقديم وتحقيق: محمد عبد الحليم بيشي). الجزائر: دار البصائر، 2011.
- 5- التونسي، خيرالدين، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، ط1. تونس: مطبعة الدولة، 1284هـ.
- 6- الحسنی الأفغانی، جمال الدین، محمد عبده، الآثار الكاملة في جريدة العروة الوثقى، الجزء الأول، ط1، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2001م.
- 7- خوجة، حمدان بن عثمان، المرأة، (تقديم وتعريب وتحقيق: محمد العربي الزبيري)، الجزائر: الوكالة الوطنية للنشر والإشهار، 2005.
- 8- رضا، محمد رشيد، مختارات سياسية من مجلة المنار، تقديم ودراسة وجيه كوثراني. بيروت: دار الطليعة، 1980.
- 9- الزهراوي، عبد الحميد، الأعمال الكاملة، الأقسام الخمسة، (إعداد وتحقيق عبد الإله نبهان). دمشق: وزارة الثقافة السورية، 1995.
- 10- (—، —)، الفقه والتصوف، ط1. القاهرة: مطبعة نور الأمل، 1960.
- 11- زيدان، جورجى، تاريخ آداب اللغة العربية، الجزء 4. مصر: دار مكتبة الحياة، 1983.
- 12- السلطان، عبد الحميد الثاني، السلطان: مذكراتي السياسية 1891-1908م، ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1979.
- 13- دي طرازي، فيليب، تاريخ الصحافة العربية، المجلد 1، الجزء 2. بيروت: المطبعة الأدبية 1913م.
- 14- عبده، محمد، الأعمال الكاملة، الجزء 03، ط1، تحقيق وتقديم: محمد عمارة. القاهرة: دار الشروق، 1993.

- 15- (—،—)، الإسلام بين العلم والمدنية ( عرض وتحقيق وتقديم: طاهر طناجي). القاهرة: دار  
المرغائب 1912.
- 16- العظم، رفيق بك، الجامعة الإسلامية وأوروبا. القاهرة: مطبعة هندية، 1907م.
- 17- (—،—)، الدروس الحكيمة للناشئة الإسلامية، ط2. دمشق: المطبعة الوطنية، د ت ن.
- 18- كامل، مصطفى، المسألة الشرقية، مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2013.
- 19- كرد علي، محمد، الإسلام والحضارة العربية. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1950.
- 20- الكواكبي، عبد الرحمن، طبائع الاستبداد ومصاع الاستعباد، ط3. بيروت: دار النفائس، 2006.
- 21- المدني، أحمد توفيق، حياة كفاح، مذكرات، الجزء الأول. الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع،  
2010.

#### د/ المقالات:

- 1- بن قدور، عمر، "مشروع عظيم"، جريدة الفاروق، العدد 69، 12 جويلية 1914م.
- 2- بن عيسى، الطيب، "وفاة رصيف كبير" مجلة الوزير، العدد 348، 13 فيفري 1932.
- 3- بن قدور، عمر " منبر العبر"، جريدة الأخبار، العدد 13658، 27 نوفمبر 1910.
- 4- بن قدور، عمر " نحن والأفاكون"، جريدة الفاروق، العدد 13، 13 ماي 1913.
- 5- بن قدور، عمر "الضمير والأصداع"، مجلة المشير، العدد 39، 06 أوت 1911م.
- 6- بن قدور، عمر "دان النهوض ولم يدن"، جريدة الفاروق، العدد 19، 04 جويلية 1913م.
- 7- بن قدور، عمر، "التعليم والاقتصاد"، جريدة الصديق، العدد 02، 15 أوت 1920م.
- 8- بن قدور، عمر افتتاحية الفاروق، جريدة الفاروق، 09 مارس 1914.
- 9- بن قدور، عمر، " أبناء الشعب أمام المستقبل"، جريدة الأخبار، بتاريخ 21 ديسمبر 1913.
- 10- بن قدور، عمر، " إلى الشعب الإسلامي"، جريدة الفاروق، العدد 73، 10 أوت 1914م.
- 11- بن قدور، عمر، " بعد الساعة الهائلة"، جريدة الوزير التونسية، العدد 03، 19 أبريل 1920.
- 12- بن قدور، عمر، " خطواتنا إلى المستقبل1"، جريدة الفاروق، العدد 06، 06 نوفمبر 1920.
- 13- بن قدور، عمر، " خطواتنا إلى المستقبل2"، جريدة الفاروق، العدد 09، 14، جويلية 1920.



- 14- بن قدور، عمر، "ساعدوا على التفاهم" **جريدة الفاروق**، العدد 21، 18 جويلية 1913.
- 15- بن قدور، عمر، "سنحمل السلاح ونحن صاغرون، **مجلة الحضارة**، العدد 79، 12 أكتوبر 1911.
- 16- بن قدور، عمر، "صوت العلم"، **جريدة الأخبار**، بتاريخ 31 ماي 1908.
- 17- بن قدور، عمر، "لينهض من القوم الأحياء"، **جريدة الفاروق**، العدد 46، 30 جانفي 1914م.
- 18- بن قدور، عمر، "ما أكل الثور الأحمر إلا لما أكل الثور الأبيض"، **جريدة الفاروق**، بتاريخ 16 مارس 1914 .
- 19- بن قدور، عمر، "مشروع عظيم"، **جريدة الفاروق**، العدد 66، 23 جوان 1914م.
- 20- بن قدور، عمر، "منبر العبر"، **جريدة الأخبار**، العدد 13657، 20 نوفمبر 1910.
- 21- بن قدور، عمر، "منتهى الشطط: بين جدران مؤتمر المعمرين"، **جريدة التقدم**، العدد 32، 02 أبريل 1908م.
- 22- بن قدور، عمر، "نحن والأكوان" **جريدة الفاروق**، العدد 23، 01 أوت 1913.
- 23- بن قدور، عمر، "نحن وهم"، **جريدة الفاروق**، العدد 03، 23 أكتوبر 1920م.
- 24- بن قدور، عمر، "نحو المستقبل"، **جريدة الفاروق**، العدد 40، 12 ديسمبر 1913.
- 25- بن قدور، عمر، "أخبار الجزائر"، **جريدة الأخبار**، 23 أكتوبر 1910.
- 26- بن قدور، عمر، "إستقالة المسيو جونار" **المشير التونسية**، العدد 11، 11 مارس 1911م.
- 27- بن قدور، عمر، "إفتتاحية العدد"، **جريدة الفاروق**، 28 فيفري 1913.
- 28- بن قدور، عمر، "الأحداث الكبرى"، **جريدة الأخبار**، 16 أكتوبر 1910.
- 29- بن قدور، عمر، "الجزائر لحضرة مراسلنا"، **جريدة التقدم**، العدد 29، 05 مارس 1908م.
- 30- بن قدور، عمر، "الرفض الأخير لمشروع التجنيد الجزائري"، **جريدة المشير**، العدد 31، 10 سبتمبر 1911م.
- 31- بن قدور، عمر، "الرفض الأخير لمشروع التجنيد"، **مجلة المشير**، 10 سبتمبر 1911م.
- 32- بن قدور، عمر، "الشعور الإسلامي في الجزائر" **اللواء المصرية**، العدد 1954، 06 فيفري 1906م.
- 33- بن قدور، عمر، "العبرة والعبر"، **جريدة واد ميزاب**، العدد 39 و 40، 08 و 15 جويلية 1927.

- 34- بن قدور، عمر، "الفاروق بعد حول" **جريدة الفاروق**، العدد 51، 16 مارس 1914م.
- 35- بن قدور، عمر، "المقال الافتتاحي"، **جريدة الصديق**، العدد 01، 12 أوت 1920.
- 36- بن قدور، عمر، "إلى الأمة الإسلامية"، **جريدة الفاروق**، العدد 5، 28 مارس 1913.
- 37- بن قدور، عمر، "حي على التعليم" **جريدة التقدم**، بتاريخ 25 جانفي 1925.
- 38- بن قدور، عمر، "خطاب مفتوح إلى جانب المسيو جونار، الوالي العام"، **جريدة الأخبار**، 26 أبريل 1908.
- 39- بن قدور، عمر، "خطر الأحداث والبدع على القومية والدين"، **جريدة الفاروق**، العدد 63، 01 جوان 1913.
- 40- بن قدور، عمر، "ساعدوا على التعليم"، **جريدة الفاروق**، العدد 21، 11 جويلية 1913م.
- 41- بن قدور، عمر، "طور جديد للجزائر وللجزائريين"، **جريدة الفاروق**، العدد 49، 20 فيفري 1914.
- 42- بن قدور، عمر، "عهد جديد"، **جريدة الفاروق**، العدد 49، 20 فيفري 1914م.
- 43- بن قدور، عمر، "كيف يقف الصحافي المرشد بين الجزائريين"، **جريدة الحقيقة**، 12 جويلية 1908.
- 44- بن قدور، عمر، "ما أكل الثور الأحمر إلا لما أكل الثور الأبيض"، **جريدة الفاروق**، العدد 53، 23 مارس 1913.
- 45- بن قدور، عمر، "مأمورية الإسلام في تخلص البشر"، **جريدة الفاروق**، 25 ماي 1914.
- 46- بن قدور، عمر، "مراسلة أحوال الجزائر" **مجلة الوزير التونسية**، العدد 13، 05 جويلية 1920.
- 47- بن قدور، عمر، "مسألة تجنيد المسلمين(الجزائر)" **جريدة التقدم**، العدد 22، 9 جانفي 1908م.
- 48- بن قدور، عمر، "منتهى الشطط: بين جدران مؤتمر المعمرين"، **جريدة التقدم**، العدد 35، 30 أبريل 1908.
- 49- بن قدور، عمر، "نتيجة العلم (هي) الشعور بالجهل المطبق"، **جريدة الأخبار**، بتاريخ 26 ماي 1912.
- 50- بن قدور، عمر، "نحو المستقبل: هل من نهضة إلى التقدم بالتعليم"، **جريدة الفاروق**، بتاريخ 19 ديسمبر 1913.
- 51- بن قدور، عمر، "نحو النهوض" **جريدة الفاروق**، العدد 03، بتاريخ 22 أكتوبر 1920.

- 52- بن قدور، عمر، "هفوات الأوروبيين"، **جريدة المشير**، العدد 32، 17 سبتمبر 1911م.
- 53- بن قدور، عمر، "هفوات الأوروبيين: مسألة تجنيد مسلمي الجزائر"، **مجلة الحضارة**، العدد 69، 01 أكتوبر سبتمبر 1911م.
- 54- بن قدور، عمر، "والدتي أستاذي" **الفاروق**، العدد 80، 02 أكتوبر 1914م.
- 55- بن قدور، عمر، افتتاحية العدد، **جريدة الفاروق**، العدد الأول، 12 أوت 1920.
- 56- بن قدور، عمر، افتتاحية العدد، **جريدة الفاروق**، بتاريخ 28 فيفري 1913.
- 57- بن قدور، عمر، الاسترشاد بالعلم والاستقلال"، **جريدة واد ميزاب**، العدد 39، 15 أوت 1927م.
- 58- بن قدور، عمر، **جريدة الفاروق**، العدد 15، 26 مارس 1913.
- 59- بن قدور، عمر، نحو المستقبل" **جريدة الفاروق**، العدد 40، 12 ديسمبر 1913.
- 60- بن قدور، عمر، "الأفكار الخصوصية بعد الساعة الهائلة"، **جريدة الوزير التونسية**، العدد 3، السنة الأولى، أبريل 1920.
- 61- بن قدور، عمر، "الرفض الأخيل مشروع التجنيد الاجباري"، **جريدة المشير**، العدد 31، 10 سبتمبر 1911.
- 62- بن قدور، عمر، "الشعور الإسلامي في الجزائر"، **جريدة اللواء المصرية**، العدد 1954، 06 فيفري 1906م.
- 63- بن قدور، عمر، "إلى الروح المقدسة، **الفاروق**، العدد 57، 20 أبريل 1914م
- 64- بن قدور، عمر، "دان النهوض ولم يدن 2"، **جريدة الفاروق**، العدد 16، 12 جوان 1913.
- 65- بن قدور، عمر، "دان النهوض ولم يدن 3"، **جريدة الفاروق**، العدد 17، 20 جوان 1913م.
- 66- بن قدور، عمر، "دان النهوض ولم يدن 1"، **جريدة الفاروق**، العدد 15، 06 جوان 1913.
- 67- بن قدور، عمر، "نحو النهوض"، **جريدة الفاروق**، العدد 04، 29 أكتوبر 1920م.
- 68- بن قدور، عمر، "مقابلة رصيف كبير"، **جريدة الأخبار**، العدد 13650، 02 أوتبر 1910م.
- 69- الجزيري، حسين، التفرق داء والالتئام دواء"، **جريدة الفاروق**، العدد 69، 12 جويلية 1914م.
- 70- راسم، عمر، "رسالة مفتوحة إلى رئيس الوزراء فرنسا ووزير الحربية والوالي العام"، **جريدة التقدم**، العدد 20، 26 ديسمبر 1902.

- 71- راسم، عمر، "مسألة تجنيد الأهالي"، **جريدة الحق**، العدد 40، من 13 إلى 20 جويلية 1912.
- 72- رشيد رضا، محمد، "مارتن لوثر واين تيمية"، **مجلة المنار**، المجلد 15، جزء 7.
- 73- رشيد رضا، محمد، "السيد الزهراوي (كتاب سري من الزهراوي)"، **جريدة المنار**، مج 19
- 74- رشيد رضا، محمد، **مجلة الحضارة**، 28 سبتمبر 1839.
- 75- الزهراوي، عبد الحميد "اليوم وبعد اليوم" **مجلة الحضارة**، المجلد 2، العدد 84، 17/11/1911م.
- 76- الزهراوي، عبد الحميد "اليوم وبعد اليوم" الدين يمرضهم التمويه تشفيهم الحقائق، **مجلة الحضارة**، المجلد 2، العدد 82، 03/11/1911م.
- 77- الزهراوي، عبد الحميد. "اليوم وبعد اليوم"، **مجلة الحضارة**، المجلد 2، العدد 80، 19/10/1911م.
- 78- الزهراوي، عبد الحميد، " طائفة صغيرة من الخطيئات " "التي لا تحصى في اقل من سنة"، **مجلة الحضارة**، المجلد الثالث، العدد 129، 26/09/1912.
- 79- الزهراوي، عبد الحميد، "اتقوا الله في اوطانكم" **مجلة الحضارة**، المجلد الثالث، العدد 124. 22/08/1912.
- 80- الزهراوي، عبد الحميد، " اتقوا الله في اوطانكم"، **مجلة الحضارة**، المجلد الثالث العدد 123، 15 أوت 1912.
- 81- الزهراوي، عبد الحميد، " المسائل الشرعية في الخلافة"، **جريدة المقطم**، العدد 3799، سبتمبر 1901.
- 82- الزهراوي، عبد الحميد، " شعور الأمم بماضيها وجمعية التتار في الأستانة"، **مجلة الحضارة**، المجلد 02، العدد 55، 27 أبريل 1911.
- 83- الزهراوي، عبد الحميد، " من هم العرب"، **مجلة الحضارة**، المجلد 02، العدد 60، 01 جوان 1911م.
- 84- الزهراوي، عبد الحميد، "أتقوا الله في أوطانكم"، **مجلة الحضارة**، السنة الثالثة، العدد 123، 15 أوت 1912.
- 85- الزهراوي، عبد الحميد، "الأفراد والجماعات"، في **مجلة الإنسانية**. السنة الأولى. الجزء الثامن 1910/11/19.

- 86- الزهراوي، عبد الحميد، "الحق والواجب في الانتخابات"، مجلة الحضارة، العدد 95، 02 فيفري 1912.
- 87- الزهراوي، عبد الحميد، "الدين الإسلامي لا ينافي المدنية"، جريدة الجريدة، العدد 49، 1907/05/07.
- 88- الزهراوي، عبد الحميد، "السنوسية والجامعة الإسلامية حقائق نافع بيانها"، مجلة المنار، المجلد 10، الجزء 8، أكتوبر 1907.
- 89- الزهراوي، عبد الحميد، "اللغظ في الجامعة الإسلامية"، مجلة المنار، المجلد 10، 08 أكتوبر 1907.
- 90- الزهراوي، عبد الحميد، "المستقبل"، مجلة الحضارة، السنة الثانية، العدد 97، 09 فيفري، 1912.
- 91- الزهراوي، عبد الحميد، "تاريخنا في سنة"، مجلة الحضارة، 1911/01/12.
- 92- الزهراوي، عبد الحميد، "تريبتنا السياسية"، مجلة الحضارة، العدد 59، 25/03/1911.
- 93- الزهراوي، عبد الحميد، "حروبنا الداخلية"، مجلة الحضارة، المجلد الثالث، العدد 118، 11 جويلية 1912.
- 94- الزهراوي، عبد الحميد، "حول الحرب أيضا" مجلة الحضارة، السنة الثالثة، العدد 114، 13 جوان 1912.
- 95- الزهراوي، عبد الحميد، "ملخص اجتماع مجلس المبعوثان"، مجلة الحضارة، 15 سبتمبر 1910.
- 96- الزهراوي، عبد الحميد، "من يصنع النظام"، جريدة الجريدة، العدد 16، يوم 1907/03/26.
- 97- الزهراوي، عبد الحميد، نظام الحب والبغض، رسالة في علم النفس والأخلاق"، مجلة المنار، المجلد 06، الجزء 07 بتاريخ 27 جوان 1903.
- 98- الزهراوي، عبد الحميد، "اليوم وبعد اليوم" و"يقظة بعد نوم"، مجلة الحضارة، المجلد 2، العدد 85، 1911/11/23م.
- 99- الزهراوي، عبد الحميد، "الحق والقوة"، مجلة الحضارة، العدد السادس، السنة الأولى، 19 مارس 1910.

- 100- الزهراوي، عبد الحميد، "النظار1" مجلة الحضارة، السنة الثانية، العدد 66، 13 جويلية 1911.
- 101- الزهراوي، عبد الحميد، "إلى شبابنا"، جريدة الجريدة، 1907/07/22.
- 102- الزهراوي، عبد الحميد، "تربيتنا السياسية" مجلة الحضارة، المجلد 2، العدد 59، 25 ماي 1911.
- 103- الزهراوي، عبد الحميد، "تربيتنا السياسية"، مجلة الحضارة، المجلد 2، العدد 63، 22 جوان 1911م.
- 104- الزهراوي، عبد الحميد، "طائفة صغيرة من الخطيئات"، مجلة الحضارة، المجلد 3، العدد 129، 1912/09/26م.
- 105- الزهراوي، عبد الحميد، "كيف يكون النقد؟ كلام في كتاب التعليم والإرشاد ومسائل شتى"، مجلة المنار، المجلد السادس.
- 106- الزهراوي، عبد الحميد، "تربيتنا السياسية -7-، مجلة الحضارة، السنة الثانية العدد 59، 25 ماي 1911.
- 107- الزهراوي، عبد الحميد، "إلى قرائنا الأعزاء"، مجلة الحضارة، المجلد الثالث، العدد 111، 1912/03/23.
- 108- محرر الوزير، "جريدة الفاروق"، جريدة الوزير التونسية، العدد 36، السنة الأولى، 18 أكتوبر 1920.  
2= المراجع باللغة العربية:
- أ/ الكتب:

- 1- ابن خلدون، عبد الرحمان، المقدمة، ط10. بيروت: دار القلم، 1992.
- 2- أبو زهرة، محمد، الوحدة الإسلامية. بيروت: دار الرائد العربي، 1978.
- 3- أجرون، روبير، تاريخ الجزائر المعاصر من انتفاضة 1871 إلى ثورة حرب التحرير 1954م، (ترجمة: جمال فاطمي وآخرون)، المجلد الثاني. الجزائر: دار الأمة، 2008.

- 4- (—،—)، المسلمون وفرنسا (1871 - 1919م )، (ترجمة: محمد حاج مسعود)، ط1. الجزائر: دار الرائد للكتاب الجزائر 2007 .
- 5- إحدادن، زهير، أعلام الصحافة الجزائرية (بن قدور، عمر، عمر راسم)، الجزء الثاني. الجزائر: دار إحدادن للنشر والتوزيع، 1999.
- 6- (—،—)، الصحافة المكتوبة في الجزائر. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1999.
- 7- (—،—)، بيليوغرافيا الصحافة الجزائرية (الصحافة الإسلامية الجزائرية من بدايتها إلى غاية 1930). الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب 1986.
- 8- أحمد الشريف، الشيخ، الأنوار القدسية في مقدمة الطريقة السنوسية. اسطنبول: مطبعة عامرة، 1939.
- 9- الأشرف، مصطفى، الجزائر الأمة والمجتمع، (ترجمة: حنفي بن عيسى). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983.
- 10- أنطونيوس، جورج، يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية، (ترجمة: ناصر الدين الأسد)، ط8. بيروت: دار العلم للملايين، د ت ن.
- 11- أومليل، علي، "في معنى التنوير"، في كتاب جماعي بعنوان: حصيلة العقلانية والتنوير في الفكر العربي المعاصر. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2005.
- 12- بالحاج يحي، الجيلاني، الصحافي المناضل سليمان الجادوي . تونس: دار سیراس للنشر، 2006.
- 13- بجاوي، محمد الصالح، متعاونون ومجنودون جزائريون في الجيش الفرنسي 1830-1918، ط1. الجزائر: دار القصة للنشر، 2009.
- 14- بحبوح، زينب نبوه، زينب فواز رائدة من أعلام النهضة العربية الحديثة. دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 2000.
- 15- برادة، علي حرازم بن العربي، جواهر المعاني وبلوغ الأمان في فيض سيدي أبي العباس التجاني. بيروت: دار الكتب العلمية، 1997.
- 16- برو، توفيق، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908-1914 . القاهرة: دار النهار للطباعة والنشر، 1960.

- 17- بن العقون، عبد الرحمان بن إبراهيم، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصرة (الفترة الأولى 1920-1936م). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986م.
- 18- بن عبد الكريم، محمد، من أعلام الجزائر حمدان بن عثمان خوجة الجزائري ومذكراته، ط1. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1972.
- 19- بن علي، ياسين، خروج الوهابية عن الخلافة الإسلامية، القاهرة، مكتبة الزيتونة، 2014. البهي، محمد، كتاب محاضرات في الفكر الإسلامي. القاهرة: المطبعة الأميرية 1957.
- 20- بن قينة، عمر، أعلام وأعمال في الفكر والثقافة والأدب. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2000.
- 21- بوحوش، عمار والذنيبات، محمد محمود، مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث، ط2. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2001.
- 22- بوصفصاف، عبد الكريم، الفكر العربي الحديث والمعاصر، محمد عبده وعبد الحميد إبن باديس نموذجاً، الجزء الأول. الجزائر: دار مداد يونيفارستي براس، 2009.
- 23- بيات، فاضل، الدولة العثمانية في المجال العربي (دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية-مطلع العهد العثماني - أواسط القرن 19م)، ط1. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2007.
- 24- تركي، رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية 1931-1956م، ط2. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981.
- 25- الجابري، محسن، علم الثورة العربية. بغداد: الموسوعة الصغيرة، 1990.
- 26- الجابري، محمد الصالح، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1983.
- 27- الجامع، عصام حسين، التربية السياسية والوعي القومي: دراسة في الفكر السياسي عند عبد الحميد الزهراوي. بيروت: شبكة المعارف، 2010.
- 28- جلال، يحيى، العالم العربي الحديث والمعاصر، الجزء الأول. مصر: المكتب الجامعي الحديث، 1998.
- 29- الجميل، سيار، العرب والأترك، ط1. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1997.



- 30- الجندي، أدهم، شهداء الحرب العالمية الكبرى. دمشق: مطبعة العروبة، 1960.
- 31- الجندي، أنور، تراجم الأعلام المعاصرين في العالم الإسلامي. القاهرة: مكتبة الأنجلومصرية، 1970.
- 32- الجندي، خالد، شخصية الإمام محمد بن عبد الوهاب، بين الباحثين والدارسين. نيويورك: صافي إيرا، 2015.
- 33- الجندي، عبد الحليم، الإمام محمد عبده، ط2. القاهرة: دار المعارف، 1987.
- 34- جوزيف، إلياس، تطور الصحافة السورية في مائة عام (1865-1965)، ط1. بيروت: دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع، 1982.
- 35- جوليان، شارل أندري، إفريقيا الشمالية تسير، ترجمة: محمد مزالي وآخرين. تونس: الدار التونسية للنشر، 1976.
- 36- الجيلالي، عبدالرحمن، تاريخ الجزائر العام، الجزء الخامس. الجزائر: دار الامة، 2014.
- 37- حتي، فيليب، تاريخ لبنان من أقدم العصور التاريخية إلى عصر الحاضر. بيروت: دار الثقافة، 1993.
- 38- حرب سلطان، محمد، عبد الحميد الثاني آخر سلاطين العثمانيين الكبار، ط1. دمشق: دار القلم، 1990.
- 39- حرب، محمد، مذكرات السلطان عبد الحميد، ط3. دمشق: دار القلم، 1991.
- 40- حوراني، ألبرت، الفكر العربي في عصر النهضة 1798. 1939، (ترجمة كريم عزقول)، ط4. بيروت: دار النهار، 1986.
- 41- الخالدي، مصطفى، وعمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، ط3. صيدا (لبنان): المكتبة العصرية 1986.
- 42- خرفي، صالح، عمر بن قذور الجزائري. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م.
- 43- خليل صابات، تاريخ الطباعة في الشرق العربي. القاهرة: دار المعارف، 1966.

- 44- خيثر، عبد النور و(آخرون)، منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 . الجزائر: المطبعة الرسمية 2007.
- 45- داغر، أسعد، ثورة العرب ضد الأتراك: مقدماتها، أسبابها، نتائجها، تحقيق وتقديم عصام شبارو، ط2. بيروت: دار التضامن 1993.
- 46- (—،—)، مصادر الدراسات الأدبية من العصر الجاهلي الى عصر النهضة، ج 01، ط2. لبنان: المطبعة المخلصية دار الثقافة، 1961.
- 47- دبوز، محمد علي، النهضة الجزائرية الحديثة، الجزء الأول. الجزائر: المطبعة الجزائرية، 1971.
- 48- الدسوقي، محمد كمال، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية. القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، 1976. زاهية، قدورة، تاريخ العرب الحديث، ط2. بيروت: دار النهضة العربية، 1985.
- 49- الدهان، سامي، الأمير شكيب أرسلان حياته وآثاره. القاهرة: دار المعارف، 196.
- 50- زروق، نادية، سياسة الجمهورية الفرنسية الثالثة في الجزائر 1870-1900. الجزائر: دار هومة، 2014.
- 51- ساحل، عبد الحميد، بن قدور، عمر الجزائري، رائد الصحافة الإصلاحية في الجزائر. الجزائر: منشورات ANEP، 2014.
- 52- سعد الدين، محمد منير، الإعلام، بيروت: دار بيروت المحروسة، 1991.
- 53- سعد الله، أبو القاسم، ابن العنابي رائد التجديد الإسلامي. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1977.
- 54- (—،—)، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945م، ج 3، ط3. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.
- 55- (—،—)، رحلة ابن حمادوش الجزائري. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1982.
- 56- (—،—)، تاريخ الجزائر الثقافي. الجزء 5. ط1. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2000.
- 57- سعيد، أمين، الثورة العربية الكبرى، تاريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن، المجلد الأول. القاهرة: مكتبة مدبولي، د.ت.

- 58- سعيدوني، ناصر الدين، البوعبدلي، المهدي، الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)، ج4. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م.
- 59- سلطان، جاسم ، من الصحوة إلى اليقظة: استراتيجية الإدراك للحراك ، ط4. القاهرة: أم القرى للترجمة والتوزيع، 2010.
- 60- سليمان، موسى، الحركة العربية لسيرة المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة 1908-1924. ط2. بيروت: دار النهار للنشر، 1986.
- 61- شرفي، عاشور، معلمة الجزائر: القاموس الموسوعي، تاريخ، ثقافة، أحداث، معالم وأعلام، ط1. الجزائر: دار القصبية للنشر، 2008.
- 62- شكرى، محمد فؤاد، السنوسية دين و دولة، لندن: مركز الدراسات الليبية، 2000.
- 63- الشهابي، مصطفى، محاضرات عن القومية العربية (تاريخها، قوامها ومراميها)، ط2. القاهرة: مطبعة الرسالة، د ت ن.
- 64- الصباغ، ليلي، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ط3. دمشق: منشورات جامعة دمشق، 1991.
- 65- صلاح عبد الرازق الشيخ داو، عماد، الفساد والإصلاح. دمشق : منشورات إتحاد الكتاب العرب، سنة 2003 .
- 66- طربين، أحمد، تاريخ المشرق العربي المعاصر، ط4. دمشق: منشورات جامعة دمشق، 1992.
- 67- طهاري، محمد، مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده. الجزائر: دار الأمة، ط3، 1999.
- 68- عابد الجابري، محمد، في نقد الحاجة إلى الإصلاح، ط 1. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، سنة 2005 .
- 69- عباد، صالح، الجزائر بين فرنسا والمستوطنين (1830-1930). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1999.
- 70- الجيلالي، عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، ط 6 . بيروت: دار الثقافة، 1983.

- 71- عبد الرحمن الرفاعي، الثورة العربية والاحتلال الانجليزي، ط4. القاهرة: دار المعارف، 1983.
- 72- عبد الرزاق أحمد محمد جاد ، فلسفة المشروع الحضاري: بين الإحياء الاسلامي والتحديث العربي، الجزء الأول. الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1995.
- 73- عبد العزيز، محمد عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا 1864-1914. مصر: دار المعارف.
- 74- غالي بطرس بطرس وعيسى محمود خيرى ، مدخل لعلم السياسة، ط7. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1984.
- 75- العجيلي، التليلي ، صدى حركة الجامعة الإسلامية في المغرب العربي 1876-1918. تونس: دار الجنوب للنشر، 2005.
- 76- عبد الله، اسماعيل صبرى ، نحو نهضة عربية ثانية: الضرورة والتمطلبات، فى قضايا التنوير والنهضة، فى الفكر العربى المعاصر. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1999.
- 77- العربي صديقي، البحث عن ديمقراطية عربية:الخطاب والخطاب المقابل،(ترجمة:محمد الخولي وعمر الأيوبي).ط1. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2005.
- 78- العزاوي، قيس، الدولة العثمانية، قراءة جديدة فى عوامل الانحطاط، ط1. بيروت: الدار العربية للعلوم، 1994م.
- 79- العطار، نجاح، "الزهرابي فى كتابه خديجة أم المؤمنين"، فى كتاب مهرجان الفكر والعقيدة لتكريم ذكرى عبد الحميد الزهراوي. دمشق: المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، 1963.
- 80- العقاد، صلاح، المغرب العربى، ط3. القاهرة: المكتبة الانجلو مصرية، 1969.
- 81- علوش، ناجي، مدخل إلى قراءة: الزهراوي، عبد الحميد، حياته-مؤلفاته-أفكاره. دمشق: منشورات وزارة الثقافة السورية، 1995.
- 82- علي محمد، محمد الصلابي، الثمار الزكية للحركة السنوسية فى ليبيا، الجزء الأول، ط1. القاهرة: مكتبة التابعيين، 2001.

- 83- عمارة، محمد، الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، مع دراسة عن حياته وآثاره. القاهرة: دار الكتاب العربي، 1968.
- 84- (—، —)، عبد الرحمن الكواكبي شهيد الحرية ومجد الإسلام. القاهرة: دار المستقبل العربي، 1984.
- 85- عمراوي، حميد، دور حمدان خوجة في تطوير القضية الجزائرية (1827-1840). قسنطينة (الجزائر): دار البعث، 1987م.
- 86- عوض، عبد العزيز، الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1281-1911م. القاهرة: مطبعة المعارف، 1969م.
- 87- غرايبية، عبد الكريم، سوريا في القرن التاسع عشر 1840-1876م. القاهرة: معهد الدراسات العربية، 1962م.
- 88- غليسي، جوان، الجزائر الثائرة، (ترجمة: خيري حماد)، ط1. بيروت: دار الطليعة 1961م.
- 89- غليون، برهان، إغتيال العقل: محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية، ط8. الدار البيضاء (المغرب): المركز الثقافي العربي، 2006.
- 90- قاسمية، خيرية، الحكومة العربية في دمشق ما بين 1918. 1920. القاهرة: دار المعارف، 1971.
- 91- كامل، محمود، الدولة العربية الكبرى. القاهرة: دار المعارف، 1958.
- 92- كوثراني، وجيه، السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ ولاية العثمانية في بلاد الشام، ط1. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1988.
- 93- كومنز، ديفيد دين، الإصلاح الإسلامي: السياسة والتغيير الاجتماعي في سوريا اواخر العهد العثماني، (ترجمة مجيد الراضي). دمشق: دار المدى للثقافة والنشر، 1999.
- 94- المحافظة علي ، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، ط3. بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، 1980.
- 95- محمد المخزومي، خاطرات جمال الدين الأفغاني. بيروت: دار الحقيقة، 1980.

- 96- محمد حسين، محمد، **الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، الجزء الثاني، ط7. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1984م.**
- 97- محمد راتب الحلاق، **عبد الحميد الزهراوي: دراسة في فكره السياسي والاجتماعي. دمشق: إتحاد الكتاب العرب، 1995.**
- 98- محمد رجب البيومي، **النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، ط1. دمشق: دار القلم للطباعة والنشر، 1995.**
- 99- محمد كامل الخطيب، **المؤتمر العربي الأول: قضايا وحوارات النهضة العربية، ط2. دمشق: وزارة الثقافة السورية، 1996.**
- 100- مصطفى، أحمد عبد الرحيم، **في أصول التاريخ العثماني، ط1. القاهرة: دار الشروق، 1982م.**
- 101- المغربي، عبد القادر، **جمال الدين الأفغاني، ط3. القاهرة: دار المعارف، د.ت.**
- 102- مياسي، إبراهيم، **مقاربات في تاريخ الجزائر ( 1830 - 1962 ). الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2007.**
- 103- ميكيافيلي، ننيكولا، **الأمير، (ترجمة أكرم مومن). القاهرة: دار غبن سيناء، 2004.**
- 104- ناصر، محمد، **الصحف العربية الجزائرية ما بين ( 1847 - 1939 ). الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980.**
- 105- (—،—)، **المقالة الصحفية الجزائرية، نشأتها، تطورها وأعلامها 1903 إلى 1931، ج 2. الجزائر: منشورات وزارة الثقافة، 2008.**
- 106- (—،—)، **صحف أبي اليقضان. الجزائر: منشورات وزارة الثقافة، 2008.**
- 107- نافع، بشير موسى وآخرون، **الظاهرة السلفية، التعددية التنظيمية والسياسات. بيروت: دار العلم للملايين.**
- 108- الندوي، أبو الحسن على الحسني، **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ط14. الكويت: دار القلم، 1992.**

109- نور الدين زين، زين الدين، نشوء القومية العربية، ط4، بيروت: دار النهار للنشر  
1986.

110- وبوزورث، شاخت، تراث الإسلام، سلسلة عالم المعرفة، ط2. الكويت: المجلس الوطني  
للثقافة والفنون والآداب، 1988.

111- وتلن، ألما، عبد الحميد ظل الله على الأرض، (ترجمة: راسم رشدي). مصر: دار النيل  
للطباعة، 1950.

112- الوناس، المنصف، الدولة والمسألة الثقافية في الجزائر. تونس: المطبعة العربية، دت ن.

113- يونان، لبيب رزق، الأحزاب المصرية عبر مائة عام، ط1. القاهرة: الهيئة المصرية العامة  
للكتاب، 2006.

#### ب/ المقالات:

1- بن شنب، سعد الدين، "النهضة العربية في الجزائر في النصف الول من القرن الرابع عشر للهجرة"  
مجلة كلية الآداب (جامعة الجزائر)، العدد 01، 1964.

2- الجبوري، هيثم محيي وطالب، عبد الجبوري، زينب حسين، "أثر الإصلاح العثماني في تطور  
الحركة الفكرية في الوطن العربي في العهد العثماني المتأخر"، مجلة بابل للعلوم الانسانية، المجلد 63،  
العدد 03، 2015.

3- جعيط، هشام، "النهضة وحركات الإصلاح ومفهوم الثورة في العالم الإسلامي الحديث"، مجلة  
المستقبل العربي، العدد 38، أبريل 1982.

4- الجنابي، بثينة عباس، "نظم الحكم والإدارة العثمانية في الوطن العربي"، مجلة كلية التربية  
الأساسية، الجامعة المستنصرية، المجلد 17، العدد 71، 2011.

5- حباسي، شاوش، "من مظاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي بالجزائر 1830-1962م"، مجلة  
الدراسات التاريخية، العدد 10، 1997.

6- حميطوش، يوسف، "المدرسة الفرنسية في الجزائر ودورها في تكوين النخب"، مجلة المصادر، العدد  
16، السداسي الثاني، 2007.

- 7- حنا، عبد الله، "السيد الزهراوي، عبد الحميد، 1871-1916 (حياته، نشاطه السياسي ورسائل الفقه والتصوف)" مجلة النهج، خريف 1994.
- 8- دحماني، توفيق، "نظرات على الضرائب في الجزائر، العهد العثماني، الأمير عبد القادر، الاحتلال الفرنسي حتى 1914"، مجلة المصادر، العدد 18، السداسي الثاني، 2008.
- 9- ربيع حيدر طاهر، "الجذور التاريخية للنظام الحزبي الانجليزي"، مجلة مركز بابل، العدد 01، جوان 2011.
- 10- سعد الله، أبو القاسم، تيارات اليقظة والاصلاح في المغرب 1830-1956" مجلة المصادر، العدد 08، ماي 2003.
- 11- شترة، خيرالدين، "النضال الصحفي للنخبة الجزائرية بتونس 1900-1956، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد 07، ديسمبر 2012،
- 12- الشريف، محمد بن موسى، "أبو النهضة التونسية خير الدين التونسي"، مجلة المجتمع، 26 أبريل 2016.
- 13- عبدالوهاب، محمد حلمي، "مركزية الإصلاح في فكر محمد عبده"، جريدة الحياة، السبت، 22 أبريل 2017.
- 14- عيسى القراري، إبراهيم حاج (أبو اليقظان)، "حول المشروع العظيم"، جريدة الفاروق، العدد 74، 21 أوت 1914م.
- 15- فايد، بشير، "جوانب من حياة الشيخ سي عزيز بن الحداد"، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة فرحات عباس سطيف، العدد 04، جوان 2006.
- 16- مطمر، محمد العيد، "التنظيم الإداري في عهد الاحتلال الفرنسي وأثره على الحالة الاجتماعية للسكان بمنطقة الأوراس"، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد 04، ماي 2003.
- 17- مولود عويمر، العلامة عبد القادر المجاوي التلمساني الجزائري، المكتبة الجزائرية الشاملة.
- 18- الميلاد، زكي، "محمد عبده وتطور الفكر الإصلاحية"، مجلة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، مارس 2015.



19- ناصر، محمد، "زائد الدعوة إلى التضامن الإسلامي بن قدور، عمر الجزائري"، مجلة الأصالة، العدد 57-58، جوان -جويلية 1978.

### 3 = المصادر والمراجع باللغات الأجنبية:

أ/ المصادر:

- G.G.A: Correspondances du Général Rovigo, T.1, par Esquer Gabriel, Ed: Typographie Adolphe Jourdan, imprimeur de l'université, Alger 1914.

ب / المراجع باللغة الفرنسية:

- 1- Ageron, charles robert: **les algériens musulmans et la France (1871-1919)**, tome 2, paris :(p .u.f), 1968.
- 2- Benamrane, Djilali, **L'Émigration algérienne en France**. alger: SNED, 1983.
- 3- Colonna, Fanny, **Instituteurs Algériens 1883-1939** . alger : OPU, 1975.
- 4- Ihaddaden, Zouhir, **histoire de la presse indigène en algerie, des origines jusq' en 1930**. alger: ENAL, 1983.
- 5- Julien, Charles André, **Histoire de l'Algérie contemporaine 1827-1871**.Paris : P.U.F, 1964.
- 6- Kaddache, Mahfoud, **Histoire du Nationalisme Algérien**, Tome 01. Alger : ENAL, 1993.
- 7- Kaddache, Mahfoud, **L'Emir Khaled : Documents et témoignages pour servir à l'étude du Nationalisme Algérien**. Alger : OPU- Alger – 2009.

ج/ المراجع باللغة الإنجليزية:

- 1- Barry Coward, Peter Gaunt, **The Stuart Age: England, 1603–1714**. London:Taylor & Francis,1994.
- 2- Cleveland, William L.A., **Modern History of the Middle East**. Boulder: West view Press,1990.
- 3- Esposito, John, **Islam and Politics**, 3rd Edition. New York: Syracuse University Press, 1991.
- 4- Longrigg, Stephen Hemsley, **Syria and lebanon under french mandate**. London : Oxford University Press, 1958.

د / المقالات باللغة الفرنسية والإنجليزية:

- 1- Ageron, Charles-Robert. Collot (Claude), "Les institutions de l'Algérie durant la période coloniale (1830-1962)", **Revue française d'histoire d'outre-mer**, tome 75, n°281, 4e trimestre 1988.
- 2- Khalidi rachid, "the 1912 Election Campaign in the Cities of Bilad El- Sham", **International Journal of Middel East Studies**,14, 1984.
- 3- Philipe Millet, "Les Jeunes Algériens ". **La revue de Paris**, Novembre – décembre,1913.
- 4- Gouin, Jean-Michel, "Victor Barrucand, voyageur libertaire", La Nouvelle République, 14 août 2013.

=4 الرسائل الجامعية:

- 1- أمزيان، حسين، النظام الإداري الفرنسي في الجزائر: دراسة تاريخية عن دائرة باتنة بين 1870-1919، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الاسكندرية(مصر)، 1991.
- 2- بايوق، سمير لبنى ، وضع المرأة في المبادرات الدولية للإصلاح في الشرق الأوسط، أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، سنة 2009.
- 3- بجاوي، محمد ، المجندون الجزائريون في الجيش الفرنسي 1830 - 1900، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، بكلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر02، 2006/2005.
- 4- ساحل، عبد الحميد، الفكر الإصلاحى لعمر بن قور الجزائري، دراسة تحليلية لمقالاته الصحفية 1906-1927، أطروحة دكتوراه في علون الإعلام والاتصال 2011-2012.
- 5- السعافين إبراهيم ، مدرسة الأحياء والتراث: دراسة في أثر الشعر العربي القديم على مدرسة الأحياء في مصر. بيروت: دار الأندلس 1995.
- 6- مريوش، أحمد ، الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في القضية الوطنية وثورة 1954م، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2005-2006.

##### 5 = القواميس والموسوعات:

- 1- أنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، الجزء 01، ط2. القاهرة: دار المعارف، 1973.
- 2- الحفناوي، جلال السعيد ، موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، المجلد التاسع، ط1. بيروت: دار الجيل، 2005م.
- 3- الزركلي، خير الدين ، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء العرب والمستعربين والمستشرقين، الجزء الثالث، ط15. بيروت: دار العلم للملايين، 2002.
- 4- عبد الفتاح الصعيدي، معجم الأدباء من العصر الجاهلي إلى سنة 2002، الجزء الثالث، ط1. بيروت: دار العلم للملايين، 2002 .
- 5- كخالة، عمر رضا، المستدرك على معجم المؤلفين، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1985.

- 6- الكيالي، عبد الوهاب ، الموسوعة السياسية، الجزء الرابع. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1994.
- 7- محفوظ، محمد، تراجم المؤلفين التونسيين، الجزء الثاني. بيروت: دار الغرب الاسلامي، 1982.
- 8- مسعد، جبران ، معجم الرائد ، المجلد 2، ط5. بيروت: دار العلم للملايين ، 1986.
- 9- معلوف، لويس، المنجد في اللغة والأدب والعلوم، ط19. بيروت: المطبعة الكاثوليكية، د ت ن.

# الفهارس

## 1- فهرس الأعلام:

### (أ)

- ابن ابي شنب: ص 87.
- ابن العنابي: ص 83 .
- ابن الموهوب: ص 87 .
- ابن تيمية: ص 43.
- ابن حمادوش الجزائري: ص 83.
- ابن رشد: ص 54.
- ابن سماية: ص 121 .
- ابن سيناء: ص 54.
- ابن قانة: ص 211.
- أحمد توفيق المدني: ص 168 .
- أحمد لطفي السيد: ص 132 .
- أديب إسحاق: ص 54.
- أطفيش: ص 197 .
- الأمير عبد القادر الجزائري: ص 197، 211.

### (ب)

- بن زكري: ص 117، 118، 197 .
- بوجو: ص 79.
- بويسون: ص 85.
- بيشون: ص 138.

### (ت)

- توفيق البكري: ص 128.

## (ج)

- جان جاك روسو: ص 129.

- جمال الدين الأفغاني: ص 40، 48، 50، 52، 53، 54، 55

57، 65، 66، 90، 95، 102، 125، 126 .

- جوناك: ص 150، 151، 152، 194، 276 .

## (ح)

- حسن الطويل: ص 54 .

- حسن خوجة: ص 128 .

- حمدان بن عثمان خوجة: ص 59، 60، 61، 83 .

## (خ)

- خالد أفندي البرازي: ص 133 .

- خير الدين التونسي: ص 62، 63 .

## (د)

- درويش خضر: ص 54 .

## (ر)

- رشيد رضا: ص 50، 115، 126، 130، 132، 133، 138، 180،

182، 218 .

- رفيق العظم: ص 126، 140، 156، 181، 234، 235، 247،

258،

- رفيق رزق سلوم: ص 182 .

- ريتشارد: ص 84 .

## (س)

- سعد زغلول:ص 90 .
- سليم أفندي سلام:ص 204.

## (ش)

- شاكرا الحنبلي:134
- شكيب ارسلان:ص 90، 91 ، 127.

## (ط)

- طاهر الجزائري:ص132 .
- طاهر بك:ص 129 .
- الطيب بن عيسى: ص 123، 147، 152، 162، 166.

## (ع)

- عبد الباقي الأفغاني: ص128 .
- عبد الحميد ابن باديس: ص40، 48، 50، 88 .
- عبد الستار الأتاسي:ص 128 .
- وصفي الاتاسي: ص135 .
- علي يوسف: ص 132، 135، 181.
- عماد صلاح عبد الرزاق:ص 35 .
- عمر راسم: ص 85، 86، 114، 153، 153، 167، 192، 212 .
- عبد القادر المجاوي:ص 87، 119، 120، 197 .

## (ف)

- فاران:ص 80 .
- فيكتور باروكاند:ص 148، 150.



-

## (ك)

- كرومييل: ص 41 .
- كريميو: ص 75 ، 78 .

## (ل)

- لويس فيليب :ص 74 .

## (م)

- محب الدين الخطيب: ص 136 ، 181.
- محمد البهي: ص 48 .
- محمد بن بكير: ص 197 .
- محمد بن عبد الوهاب : ص 44 ، 48 ، 49 .
- محمد بن علي السنوسي :ص 47 ، 48 .
- محمد شاكر:ص 116 .
- محمد عبده :ص 40، 48، 50، 52، 53، 54، 55، 56، 57، 64، 65، 66، 90، 91، 92، 121، 125، 126، 130، 131، 181، 226، 235، 286 .
- مختار باشا: ص 135 .
- مصطفى بن اسماعيل : ص 211 .
- مصطفى كامل:ص 90، 126، 151 .
- مصطفى حافظ : ص 194 .
- المهدي السنوسي:ص 48 .
- المولود بن محمد الزريبي: ص 171 ، 172 .

- مونتيسكيو: ص 129 .

## (ن)

- نابليون بونابرت: ص 29 ، 31 ، 32 .

- ناظم باشا : ص 131 .

## (و)

- وصفي الأتاسي: ص 135 .

- ولي الله شاه الدهلوي: ص 43.

## 2- فهرس الأماكن والبلدان:

## (أ)

- الإستانة: ص 51 ، 104 ، 115 ، 116 ، 128 ، 129 ، 119 ، 130 ،

132 ، 133 ، 135 ، 136 ، 203 ، 224 ، 235 .

- اسطنبول: ص 95 ، 128 .

- اسعد آباد: ص 51 .

- الاسكندرونة: ص 132 .

- أفغانستان: ص 51 .

- الألزاس واللورين: ص 70 .

- الأناضول: ص 98 .

## (ب)

- باريس: ص 52، 55، ، 56، 72 ، 73 ، 115 ، 114 ، 125 ، 127 ،  
136 ، 137 ، 140 ، 142 ، 175 ، 201 .
- بجاية: ص 83 .
- البلقان: ص 59 .

## (ت)

- تلمسان: ص 83 .

## (ج)

- الجزائر: ص 46 ، 48 ، 39، 60 ، 61 ، 62، 69 ، 72 ، 73 ، 74 ،  
75 ، 77 ، 79، 80 ، 82 ، 83 ، 84 ، 85 ، 86 ، 87 ، 88 ، 90 ، 91 ،  
111 ، 114، 115 ، 116 ، 117 ، 121 ، 122 ، 141 ،  
144 ، 145 ، 147 ، 190 ، 192 ، 298.
- جزيرة العرب: ص 44 .
- جنيف: ص 91 .

## (ح)

- حماة: ص 133 ، 178 .
- حمص: ص 127 ، 129، 132، 133 ، 178، 179، 180.

## (د)

- درعية: ص 44 .

## (س)

- سوريا: ص 32 ، 58 ، 70 ، 97 ، 110 ، 111 ، 114 ، 115 ،  
123 ، 144 ، 162 ، 174 ، 175 ، 181 ، 185 ، 203 ،  
205 ، 223 ، 224 ، 242 ، 243 .

- سوق أهراس: ص 88 .

- سويسرا: ص 91 .

## (ش)

- شمال إفريقيا: ص 45 ، 46 ، 48 ، 72 ، 123 ، 197 ، 241 ، 261 ،  
262 ، 263 ، 265 ، 266 .

## (ط)

- طرابلس الغرب: ص 46 ، 48 ، 91 ، 136 ، 166 .

## (ع)

- عين مليلة: ص 88 .

## (غ)

- الغرب: ص 26 ، 30 ، 31 ، 32 ، 33 ، 42 ، 43 ، 45 ، 46 ، 49 ،  
54 ، 58 ، 60 ، 62 ، 64 ، 116 ، 65 ، 71 ، 84 ، 94 ، 101 ،  
102 ، 136 ، 147 .

## (ق)

- قالمة: ص 88 .
- القدس: ص 224.
- قسنطينة: ص 73 ، 83 ، 88 ، 119 ، 169 ، 170.

## (ك)

- كابل: ص 51 .

## (م)

- مرعش: ص 224.
- المشرق: ص 48 ، 66 ، 69 ، 71 ، 84 ، 87 ، 90 ، 92 ، 95 ، 119 ،  
122 ، 123 ، 125 ، 141 ، 186 .
- المغرب: ص 46 ، 48 ، 59 ، 69 ، 86 ، 91 ، 82 ، 119 ، 122 ، 123 ،  
141 ، 186 .
- المنطقة الإسلامية: ص 69
- المنطقة العربية: ص 69 ، 89 ، 98 ، 133 ، 144 ، 184 ، 185 ، 242 .

## (ن)

- نابلس: ص 224.

## (هـ)

- الهند: ص 32 ، 45 ، 51 ، 205.

## (و)

- وهران: ص 153، 210، 211 .

## (ي)

- يلنز: ص 95 .

### 3- فهرس الجماعات:

## (أ)

- الاتحاد والترقي: ص 115، 128، 129، 133، 134، 135، 136، 138 ،

، 179، 186.

- الاتحاديون: ص 76، 89، 96، 97، 99، 101، 136 .

- الأتراك: ص 139، 140 .

- الأغواطيون: ص 76 .

- الأفغان: ص 205 .

- الأمريكان: ص 105 .

## (ب)

- البرانية: ص 76 .

- بريطانيا العظمى: ص 98، 99، 107.

- البسكرة : ص 76 .

## (ت)

- التوفقية : ص 87 .

## (ج)

- الجامعة الإسلامية: ص 52 ، 89 ، 90 ، 91 ، 92 ، 111 ، 121 ،  
125 ، 154 ، 241 .
- جمعية الرشيدية: ص 87 .
- الجمهورية الثالثة: ص 70 ، 73 ، 74 .
- الجواجلة: ص 76 .

## (ح)

- الحضر: ص 76 .

## (د)

- الدولة العثمانية: ص 41 ، 47 ، 58 ، 70 ، 89 ، 90 ، 93 ، 94 ، 96 ،  
98 ، 100 ، 101 ، 102 ، 103 ، 104 ، 105 ، 106 ، 107 ، 109 ،  
110 ، 111 ، 112 ، 114 ، 132 ، 137 ، 138 ، 139 ، 140 ، 142 ،  
168 ، 174 ، 176 ، 177 ، 184 ، 202 ، 206 ، 209 ، 222 ، 223 ،  
225 ، 226 ، 241 ، 243 ، 244 .

## (ر)

- روسيا القيصرية: ص 41 .

## (ز)

- الزواويين: ص 210 ، 211 .

## (ص)

- الصديقية: ص 88 .

## (ق)

- القبائل: ص 46 ، 210 .
- القوط: ص 80 .

## (ك)

- الكراغلة: ص 59 ، 76 .
- الكولون: ص 86 ، 193 ، 213 ، 221 .

## (م)

- المجتمع الجزائري: ص 77 ، 78 ، 85 ، 114 ، 121 ، 197 ، 198 .
- المجتمع العربي: ص 26 ، 45 ، 101 ، 108 .
- المجتمع الاسلامي: ص 54 ، 56 ، 102 .
- المخزن: ص 77 ، 211 .
- المستوطنون: ص 77 ، 78 .
- الميزابيون: ص 76 .

## (ي)

- اليسوعيون: ص 105 .
- اليهود: ص 41 ، 70 ، 103 ، 152 ، 193 ، 213 ، 222 .



#### 4- فهرس الجرائد والمجلات

(أ)

- الأخبار: ص 86، 127، 145.
- الإسلام: ص 152، 154 .
- الاعتدال: ص 134، 135 .
- الإقدام: ص 169.
- الانسانية: ص 185 .

(ب)

- باريس: ص 176 .

(ت)

- التقدم: ص 85، 149، 193، 200، 212 .

(ث)

- ثمرات الفنون: ص 185 .

(ج)

- الجريدة: ص 132، 134.
- الجزائر: ص 153.

(ح)

- الحق: ص 152 .

- الحضارة: ص 116، 124، 127، 131، 135، 151، 152، 183،  
186، 213، 215، 217 .  
- الحقيقة: 147 -

(ر)

-الرائد:ص122.

(ز)

- الزهور: ص 185.

(س)

- السلطنة: ص 175، 176، 184 .

(ش)

- الشهباء: ص 177 .

(ص)

- الصباح: ص 86 .

- الصديق: ص 170، 172، 197.

(ع)

- العروة الوثقى: ص 55، 125 .

- عطارذ: ص 176 .

(غ)

- غدير الفرات: ص 176 .

## (ف)

- الفاروق: ص124، 108، 117، 119، 120، 121، 127، وتوجد  
المجلة في أغلب الصفحات تقريبا.  
- فرنسا الإسلامية: ص 86 .

## (ك)

- كوكب إفريقيا: ص 148 .

## (ل)

- اللواء: ص 90، 118، 126 .

## (م)

- المبشر: ص 86.  
- المشير: ص 122، 123، 166، 197، 21 .  
- مجلة الأمة العربية: ص 91.  
- مرآة الأحوال: ص 160.  
- مرشد الأمة : ص 124.  
- الوزير: ص 123، 173 .  
- المستقبل الجزائري: ص 166.  
- معلومات: ص 129، 130، 179، 181 .  
- المغرب: ص 69، 86 .  
- المقتبس: ص 178.

- المقطم: ص 130، 181 .
- المنار: ص 130، 139، 181، 204، 234، 236، 169، 171،  
188، 217، 219
- المدنية : ص135.
- المؤيد: ص 132، 180، 182، 185.

## (ن)

- النجاح: ص169.
- الادارة: ص136.

## (هـ)

- الهلال: ص 145، 146، 190 .
- واد ميزاب :ص174.
- الاخبار :ص124، 127، 148، 149، 151 .
- المدنية: ص 169, 199 .

# فهرس الموضوعات

## فهرس الموضوعات

|         |  |
|---------|--|
| 08..... | المقدمة  |
| 25..... | الفصل التمهيدي: مفهوم النهضة والإصلاح واهم حركتهما في البلاد العربية |
| 26..... | اولا : مفهوم النهضة  |
| 27..... | 1- مفهوم النهضة لغة  |
| 28..... | 2- مفهوم النهضة اصطلاحا  |
| 31..... | ثانيا : عوامل النهضة العربية   |
| 34..... | ثالثا: مفهوم الإصلاح   |
| 34..... | 1- مفهوم الإصلاح في اللغة العربية                                    |
| 36..... | 2- مفهوم الإصلاح في القران الكريم                                    |
| 38..... | 3- الإصلاح في اللغتين الفرنسية والانجليزية                           |
| 40..... | رابعا: دوافع الإصلاح في البلاد العربية والإسلامية                    |
| 42..... | خامسا: تيارات الإصلاح  |
| 42..... | 1- تيارات ذات نزعة دينية تقليدية                                     |
| 44..... | ا- الحركة الوهابية   |
| 45..... | ب- الحركة السنوسية   |
| 49..... | 2- التيارات التجديدية المتفتحة (التوافقية)                           |
| 50..... | ا- جمال الدين الافغاني   |
| 53..... | ب- محمد عبده   |
| 63..... | سادسا: مجالات الإصلاح  |
| 64..... | 1- الإصلاح الديني  |
| 65..... | 2- الإصلاح السياسي   |

|  |   |
|--|---|
| 66.....  | 3- الإصلاح الاجتماعي  |
| 66.....  | 4-الإصلاح الاقتصادي   |
| 67.....  | 5- الإصلاح الثقافي  |
| <b>الفصل الأول البيئة السياسية والاجتماعية لعصر عمر بن قنور وعبد الحميد الزهراوي</b> |   |
| 69.....  | <b>المبحث الاول : الظروف السياسية والاجتماعية للجزائر في بداية القرن العشرين.....</b> |
| 71.....  | <b>اولا: الاوضاع السياسية</b>   |
| 73.....  | 1- التنظيم الاداري  |
| 75.....  | <b>ثانيا : الأوضاع الاجتماعية</b>   |
| 79.....  | <b>ثالثا: الأوضاع الاقتصادية</b>  |
| 82.....  | <b>رابعا : الأوضاع الثقافية والتعليمية</b>  |
| 87.....  | 1- الجمعيات   |
| 88.....  | 2- النوادي  |
| 88.....  | 3- انبعاث التيار الاصلاحى في الجزائر ومنطقته  |
| 89 .....   | -الجامعة الاسلامية  |
| <b>المبحث الثاني :</b>   |   |
| 93.....  | <b>الظروف السياسية والاجتماعية لبلاد الشام في بداية القرن العشرين</b>                 |
| 94.....  | <b>أولا الأوضاع السياسية</b>  |
| 100.....   | <b>ثانيا : الأوضاع الاجتماعية</b>   |
| 101.....   | <b>ثالثا: الأوضاع الدينية</b>   |
| 104.....   | <b>رابعا : الأوضاع الثقافية والتعليمية</b>  |
| 106.....   | <b>خامسا : الأوضاع الاقتصادية</b>   |
| 110.....   | <b>خلاصة الفصل</b>  |

|          |   |
|----------|---|
| 113..... | الفصل الثاني : عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي المولد والنشأة  |
| 116..... | المبحث الاول :عمر بن قذور مولده ونشأته  |
| 127..... | المبحث الثاني :عبد الحميد الزهراوي مولده ونشأته   |
| 141..... | خلاصة الفصل   |
| 113..... | الفصل الثالث: المسار الصحفي لعمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي وتحدد مفاهيم النهضة والإصلاح في كتاباتهما |
| 144..... | المبحث الاول:المسار الصحفي لعمر بن قذور   |
| 145..... | اولا:المسار الصحفي لعمر بن قذور قبل الحرب العالمية الاولى   |
| 145..... | ثانيا :المسار الصحفي لعمر بن قذور بعد الحرب العالمية الأولى   |
| 169..... | المبحث الثاني :المسار الصحفي لعبد الحميد الزهراوي وتجليات مفاهيم النهضة والإصلاح                        |
| 174..... | اولا: موقف الزهراوي من السلطة العثمانية من خلال الصحافة   |
| 180..... | ثانيا: الزهراوي بين ممارسة السياسة ومهنة الصحافة  |
| 182..... | خلاصة الفصل   |
| 185..... | الفصل الرابع: رؤية بن قذور والزهراوي للإصلاح والتجديد ومواقفهما من بعض القضايا المعاصرة                 |
| 189..... | المبحث الأول: أهمية التعليم في مسار النهضة والإصلاح عند عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي                |
| 190..... | 1- أهمية التعليم عند عمر بن قذور  |
| 190..... | 2- أهمية التعليم عند عبد الحميد الزهراوي  |
| 202..... | المبحث الثاني :مسألة التجنيد عند عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي                                       |
| 209..... | 1- مسألة التجنيد الإجباري عند عمر بن قذور   |
| 209..... | 2- مسألة التجنيد عند عبد الحميد الزهراوي  |



|   |          |
|---|----------|
| المبحث الثالث :التجديد الديني عند عمر بن قذوروعبد الحميد الزهراوي                                 | 226..... |
| اولا :التجديد والإصلاح الديني عند عمر بن قذور   | 227..... |
| 1- محاربة البدع والخرافات   | 227..... |
| 2- الدعوة الى الاجتهاد  | 229..... |
| 3- موقفه من التصوف  | 231..... |
| ثانيا: التجديد والإصلاح الديني عند عبد الحميد الزهراوي  | 235..... |
| 1- الدعوة الى الاجتهاد  | 238..... |
| 2- موقفه من المتصوفة  | 240..... |
| خلاصة الفصل   | 243..... |
| الفصل الخامس :المشروع النهضوي والإصلاحي عند عمر بن قذور وعبد الحميد الزهراوي- التوافق والاختلاف - | 247..... |
| المبحث الأول: المشروع النهضوي والإصلاحي لعمر بن قذور  | 248..... |
| 1- دور الجامعة الاسلامية في النهضة والإصلاح   | 250..... |
| 2- جماعة التعارف الاسلامي لشمال افريقيا   | 261..... |
| 3- عمر بن قذور والإصلاح السياسي   | 266..... |
| المبحث الثاني :المشروع النهضوي والإصلاحي لعبد الحميد الزهراوي                                     | 270..... |
| 1-عبد الحميد الزهراوي والجامعة الاسلامية  | 276..... |
| 2- عبد الحميد الزهراوي والعمل القومي العربي   | 276..... |
| 3-عبد الحميد الزهراوي والإصلاح السياسي  | 284..... |
| ا- أهمية العمل السياسي في نهضة الفرد والمجتمع   | 285..... |
| ب- النظام السياسي وأسس  | 293..... |

|          |   |
|----------|---|
| 297..... | خلاصة الفصل   |
| 302..... | الخاتمة   |
| 312..... | الملاحق   |
| 351..... | البليو جرافيا                                       |
| 376..... | فهارس الاعلام، والأماكن، الجماعات، الجرائد والمجلات |
| 392..... | فهرس الموضوعات                                      |